

سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد

تأليف

المحدث فقيه أهل البيت

الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني

صاحب الحدائق الناضرة

المتوفى 1186هـ

الجزء الثاني

تحقيق الشيخ

محمد عيسى آل مكباس

دار العصمة



سلاسل الحديد

في تقييد ابن أبي الحديد


بسم الله الرحمن الرحيم

سلاسل الحديد

في تقييد ابن أبي الحديد

تأليف

المحدث فقيه أهل البيت

الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني قده

صاحب الحدائق الناضرة

المتوفى ١١٨٦ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

محمد عيسى آل مكباس

دار العصمة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار العصمة/كتب - قرطاسية - ترجمة - طباعة - خدمات أخرى

مملكة البحرين - السنابس

daralesmah@hotmail.com - ٠٠٩٧٣/٣٩٢١٤٢١٩ - ٠٠٩٧٣/١٧٥٥٣١٥٦

قال: الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة إلى آخره بعد كلام في المقام، ومن لطيف الكلام قوله عليه السلام فكنت رجلاً من المهاجرين، فان في ذلك من التخلص والتعبير ما لا يخفى على المتأمل، ألا ترى انه لم يبق عليه حجه لطاعن من حيث قد جعل نفسه من عرض المهاجرين الذين بنفر يسير منهم انعقدت خلافة ابي بكر، وهم اهل الحل والعقد، وانما كان الإجماع حجة لدخولهم فيه.

إلى أن قال: قال ابو مخنف: فحدثني موسى بن عبد الرحمن بن ابي ليلى، عن أبيه قال: اقبلنا مع الحسن عليه السلام وعمار من ذي قار حتى نزلنا القادسية، فنزل الحسن عليه السلام وعمار، و نزلنا معهما، فاحتبى عمار بحمايل سيفه، ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم، ثم سمعته يقول: ما تركت في نفسي حرة أهم من ان لا يكون نبشنا عثمان من قبره، ثم احرقناه بالنار[1].

ثم ساق الكلام إلى ان قال: قال ابو محنف: ولما نزل علي عليه السلام ذا قار، واقام بها كتبت عايشة إلى حفصة بنت عمر أما بعد فاني اخبرك ان عليًا قد نزل ذا قار، واقام بها مرعوبًا خائفًا لما بلغه من عدتنا وجماعتنا، وهو بمنزلة الاشقر ان تقدم عقر، وان تأخر نحر، فدعت حفصة جواري لها يغنين ويضربن بالدفوف، فامرتهن ان يقلن في غنائهن:

ما الخبر ما الخبر   علي في سقر

١- الدرجات الرفيعة/٢٦٤.

كـــــــالفرس الأشـــــقر إن تقـــــــدم عقـــــــر

وإن تـــــــــأخر نحـــــــر

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء، فبلغ ام كلثوم بنت علي عليه السلام فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم اسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت، فقالت ام كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما على اخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما انزل، فقالت حفصة: كفي رحمك الله، وامرت بالكتاب فمزق، واستغفرت الله[1].

قال ابو مخنف: روى هذا جرير بن يزيد، عن الحكم، ورواه الحسن بن دينار، عن حسن البصري، وذكر الواقدي مثل ذلك، وذكر المدايني أيضًا مثله.

قال: فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الاشعار:

وعـذرنا الرجـال بحـرب الرجـال فمـــا للنـــساء ومـــا للـــسباب

امـــا حـــسبنا مـــا اتينـــا بـــه لك الخير من هتك ذاك الحجاب

و مخرجهـــا اليـــوم مـــن بيتهـــا يعرفهـــا الـــذنب نـــبح الكـــلاب

الـــى ان اتانـــا كتـــاب لهـــا مـــشوم فيـــا قـــبح ذاك الكتـــاب

الى ان قال في ذكر طرف من احوال عايشة قد ذكره سابقًا وذكرنا ما

١- البحار ٣٢/٩٠.

فيه، ثم جرى حديث صلاة ابي بكر بالناس، وزعم الشيعة ان رسول الله ﷺ لم يأمر بذلك، وانه انما صلى بالناس عن امر عايشة ابنته، وان رسول الله ﷺ خرج متحاملاً، وهو مثقل فنحاه عن المحراب، وزعم بعض المحدثين ان ذلك كان عن امر رسول الله ﷺ وقوله، ثم اختلفوا فمنهم من قال نحاه، وصلى هو بالناس، ومنهم من قال بل إئتم بابي بكر كسائر الناس، ومنهم من قال ان الناس يصلون بصلاة ابي بكر، وابو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ، ثم كان منها في امر عثمان و تضريب الناس عليه ما قد ذكرناه في مواضعه، ثم تلا ذلك يوم الجمل.

واختلف المسلمون في حالها وحال من حضر الجمل، فقال الامامية كفر اصحاب الجمل كلهم الرؤساء والاتباع، وقال قوم من الحشوية والعامة اجتهدوا فلا اثم عليهم، ولا يحكم بخطأهم ولا خطأ علي واصحابه، وقال قوم من هؤلاء ان اصحاب الجمل أخطأوا، ولكنه خطأ مغفور كخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند من قال بالاشبه، والى هذا القول يذهب اكثر الاشعرية، وقال اصحابنا المعتزلة: كل اهل الجمل هالكون الاّ من ثبت توبته منهم، قالوا: فعايشة ممن ثبت توبتها، وكذلك طلحة والزبير، اما عايشة فانها اعترفت لعلي عليه السلام يوم الجمل بالخطأ وسألته العفو، وقد تواترت الروايات عنها باظهار الندم، وانها كانت تقول ليته كان لي من رسول الله ﷺ بنون عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وثكلتهم ولم يكن يوم الجمل، وانها كانت تقول ليتني مت قبل يوم الجمل، وانها كانت اذا ذكرت ذلك اليوم

تبكي حتى تبل خمارها، واما الزبير فرجع عن الحرب معترفًا بالخطأ لما ذكره علي عليه السلام ما ذكره، واما طلحة فانه مر به وهو صريع فارس، فقال له قف فوقف، فقال: من أي الفريقين انت؟ قال: من اصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام، قال: اقعدني فاقعده، فقال: امدد يدك ابايعك لاميرالمؤمنين فبايعه، وقال شيوخنا: ليس لقايل ان يقول ما يروى من الاخبار الآحاد بتوبتهم لا يعارض ما علم قطعًا معصيتهم، قالوا: لان التوبة انما يحكم بها للمكلف على غالب الظن في جميع المواضع، لا على القطع، ألا ترى انا نجوز ان يكون من اظهر التوبة منافقًا وكاذبًا، فبان ان المرجع في قبولها في كل موضع، انما هو إلى الظن، فجاز ان يعارض ما علم من معصيتهم بما يظن من توبتهم، انتهى[1].

أقول: الكلام في هذه المقاله يقع في مواضع:

الأوّل: ما ذكره في معنى قوله عليه السلام فكنت رجلاً من المهاجرين، من انعقاد خلافة ابي بكر بنفر يسير من المهاجرين، وأنهم اهل الحل والعقد، فان فيه:

أوّلاً: انه أي مناسبة هنا لإيراد هذا الكلام، وأي ارتباط يقتضيه في المقام، كما لا يخفى على ذوي الافهام.

وثانيًا: انه من الذي فوض إلى هؤلاء الحل والعقد في الانام، والتصرف في دمائهم واموالهم، ومناكحهم، وثغورهم، وامثال ذلك بنصب ذلك الخليفة عليهم والامام، مع ان هذا امر قد خص الله عز وجل به نفسه وانبيائه واوصيائهم

١- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٢٤ – ٢٥.

﴿عليهم الصلاة والسلام﴾، كما استفاضت به آيات الكتاب المجيد الذي لا يرده الاّ كافر عنيد، كقوله سبحانه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1]، والحصر في الثلاثة اظهر ظاهر في المطلوب، وهولاء هم اصحاب الحل والعقد في الناس، وبه يعلم ان من تصدى له غيرهم، فهو من اتباع الوسواس الخناس، وقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2]، وقوله عزوجل ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[3]، فمن اين صار لهؤلاء الجهال المشاركه للملك المتعال في الاختيار، لولا انهم من المكذبين له والكفار، وقد تقدم في الفصل الاول من المقصد الثاني من المقدمة ما فيه جلاء لبصائر الابصار، وهدى وذكرى لذوي الافكار و الاعتبار.

وثالثًا: انه ان كان الاجماع قد حصل على امامة ابي بكر وحجيته باعتبار دخول هؤلاء في المجمعين، فلم عدل عنه هو واصحابه إلى القول بان الامامة انما تثبت بالاختيار من اربعة او خمسة، ولا يشترط فيها الاجماع، وخالف ما هو المشهور بينهم كما حققناه سابقًا.

ورابعًا: ان حجية الاجماع عندهم كما صرحوا به في الكتب الاصولية، انما هو من حيث اجماع الامة لا من حيث دخول خصوصية زيد وعمر، فانهم

١- المائدة/٥٥.

٢- الأحزاب/٦.

٣- القصص/٦٨.

استندوا في حجيته إلى الاخبار كخبر لا تجتمع امتي على خطأ، وخبر يد الله على الجماعة وامثالهما.

الثاني: ما نقله من حديث عمار، وقوله في عثمان ما يشهد عليه بانه من اهل النار وبئس القرار، وهو جار على كلامه المتقدم عنه في حق عثمان في غير مقام.

فانظر إلى هذا الشارح الضال التايه في اودية الضلال كيف يدعي في غير مقام ما تقدم ان عثمان من اهل الجنة، ومن جملة العشرة المبشرة، وينقل هنا عن عمار مثل هذا الكلام، المنادي عليه بالدمار، وقد عرفت آنفًا ما نقلوه في حق عمار من الاخبار، وانه من اجلاء اصحاب الرسول ﷺ، وانه مع الحق في جميع احواله ملازمًا له، وثابتًا عليه، وأي مبالغة في كفر عثمان اكثر من ان يتمنى عمار ﴿رضي الله عنه﴾ بنبشه من قبره، واحراقه بالنار، مع انه لم يفعل هذا الفعل سابقًا ولا لاحقًا بالكلاب ولا بالكفار، فينقله هنا ويغمض عينه عنه، ويتجاوزه كالاعمى والاصم الذي لا يرى ولا يفهم، والرواية كما ترى من طرقهم لا من من طرق الشيعة، لان الراوي لها وهو ابو مخنف من رجالهم، ونقلة اخبارهم، كما اعترف به الشارح فيما تقدم، وهذه عادته اذا ضاق عليه الخناق والجواب كما عرفته في غير باب.

الثالث: ما نقله من كتاب عايشة إلى حفصة بنت عمر، وطرب حفصة بذلك، وتغنيها بتلك الاشعار بين البشر، فهو ليس بعجب عند من تأمل في حقيقة الحال ونظر، فان البنتين قد شربا بالكأس المترع من بغضه عليه السلام ووراثة

من الابوين، ونبت عليه اللحم والعظم، والشعر والبشر، واستحكم واوجب الطبع على قلبهما والرين.

وأما ما نقله الراوي عن حفصة بعد دخول ام كلثوم ﴿رضي الله عنها﴾ من انها استرجعت واستغفرت الله، فهو على تقدير صحته تمويه منها وكذب وبهتان، لما لحقها من الخجالة في ذلك المكان، كما هو من المقام اظهر من ان يحتاج إلى البيان.

الرابع: ما ذكره من حديث الصلاة فان فيه:

اولاً: ما قدمنا ذكره من ان نسبة هذا الزعم إلى الشيعة مع انه نقل عن بعض علمائهم اسناد ذلك إلى علي عليه السلام كما تقدّم ذكره ليس على ما ينبغي، بل الأولى نسبة الزعم إلى علي عليه السلام، فان الشيعة انما قالت بذلك تبعًا له عليه السلام، واسناد المخالفه انما هو إلى المتبوع والأصل، لا إلى التابع والفرع.

وثانيًا: ان اختلاف اولئك المحدثين الذين هم بتخفيف الدال على الحقيقة واليقين بعد نقلهم ان الصلاة كانت عن امر رسول الله صلى الله عليه وآله دليل على انحلال زمامهم، واختلال نظامهم في اصلاح هذا البهتان الذي زخرفته لهم عايشة وامثالها في هذا المكان، كما تقدم تحقيق ذلك بما لا يعتريه النقصان.

ونزيده هنا فتقول: لا يخفى انه من البعيد بل الابعد ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدم رجلاً للصلاة بالناس في مسجده، فيجهل اوليائه ذلك حتى لا يدرون هل صلى ام لم يصل بالكلية، وهل ازاله ام لم يزله، كما انهم متفقون على انه صلى عبد الرحمن بن عوف قبل مجيئه في بعض الايام، فجاء وصلى خلفه، ومتفقون

على تقديم عتاب بن أسيد للصلاة بمكة حين فتحها الرسول صلى الله عليه وآله وهو حاضر، واجماعهم في هذين الموضعين على صلاة هذين الرجلين واختلافهم في صلاة ابي بكر التي هي العمدة في مطالبهم ومدعاهم، دليل على اختراعها وابتداعها، لما تقدم سابقًا من اضطراب اخبارها وتنافيها، ويزيد ذلك بيانًا وايضاحًا لمن فتح الله تعالى مسامع قلبه بقبول الحق والصواب، انه اذا كان تلك الصلاة عن امره صلى الله عليه وآله كما ادعوه فخروجه بعد الامر على تلك الحال الثقيلة محمولاً على ايدي الرجال، ورجلاه يخطان الارض لشدة الضعف، وتحمل هذه المشقة الشديدة كيف يلائم ما ادعوه من هذه الاقوال الشاردة التي منها انه ائتم بأبي بكر، أرأيت انه صلى الله عليه وآله انما تحمل هذه المشقة العظيمة في تلك الحال، وخرج انما هو لتحصيل فضيلة الائتمام بابي بكر، فكيف اهمل هذه الفضيلة مدة صحته، وايام حياته، ما هذا الاّ عمى عن طريق الحق ونهج الهدى.

ومنها: انه جلس إلى جنب ابي بكر في المحراب وصلى معه، ولو صح هذا لدل على جواز صلاة امامين بالناس في محراب واحد، اذ فعله عليه السلام هذا كان في آخر يوم من عمره، ولم يرد له نسخ بعد ذلك، هذا ان كان ابو بكر بقى على امامته، وان كان صار مأمومًا فمن شأنه التأخر في الصف، فكيف يجوز صلاته محاذيًا للامام.

ومنها: انه اخره وجعله صفًا على حدة بينه وبين الناس، ولو صح هذا لدل ايضًا على جواز ان يصلي الرجل جماعة، ويقوم فرادى صفًا واحدًا على حياله، وهم لا يجيزونه ولا يقولون به، على انه مع جوازه يرجع الامر عليهم بان عزله

وتأخيره له بعد الامر نسخ لذلك الامر عما يوجبه من فضيلة ومنقبة، فلا يتم لهم ترتيب ما رتبوه على تلك الصلاة من انها رمز واشارة ونص خفي على خلافته وامامته.

وبالجملة فان من تأمل في هذا الاختلاف والاضطراب، يعلم ان البناء وقع على اساس خراب.

الخامس: ما نقله من الاختلاف في حال اصحاب الجمل، فانه قدمنا الكلام فيه مفصلاً غير مجمل، ونزيده هنا بما ذكره سيدنا المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في الشافي، والشيخ قدس سره في تلخيصه، واللفظ له حيث قال: عندنا ان من حارب أميرالمؤمنين عليه السلام، وضرب وجهه بالسيف كافر، الدليل المعتمد في ذلك اجماع الفرقة المحقة الامامية على ذلك، فانهم لا يختلفون في هذه المسئلة على حال من الاحوال، وقد دللنا على ان اجماعهم حجة فيما تقدم، وايضًا فنحن نعلم ان من حاربه كان منكرًا لامامته، ودافعًا لها، ودفع الامامة كفر، كما ان دفع النبوة كفر، لان الجهل بهما على حد واحد، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: من مات وهو لا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، ولا يكون الاّ على كفر، وايضًا روي عنه عليه السلام قال: حربك يا علي حربي، وسلمك يا علي سلمي، ومعلوم انما اراد احكام حربك تماثل لاحكام حربي، ولم يرد عليه السلام ان احدى الحربين هي الاخرى، لان المعلوم ضرورة خلاف ذلك، واذا كان حرب النبي صلى الله عليه وآله كفر، وجب مثل ذلك في حرب اميرالمؤمنين عليه السلام، لانه جعله مثل حربه، ويدل على ذلك أيضًا قوله صلى الله عليه وآله: اللهمّ وال من والاه،

وعاد من عاداه، ونحن نعلم انه لا تجب عداوة احد بالاطلاق إلاّ عداوه الكفار، وايضًا فنحن نعلم ان من كان يقاتله يستحل دمه، ويتقرب إلى الله بذلك، واستحلال دم امرء مؤمن كفر بالاجماع، وهو اعظم من استحلال جرعة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق.

فإن قيل: لو كانوا كفارًا لوجب ان يسير فيهم بسيرة الكفار، فيتبع موليهم، ويجهز على جريحهم، ويسبي ذراريهم، فلما لم يفعل ذلك دل على انهم لم يكونوا كفارًا.

قلنا: لا يجب بالتساوي في الكفر التساوي في جميع احكامه، لان احكام الكفر مختلفة، فحكم الحربي خلاف حكم الذمي، وحكم اهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له من عباد الاصنام، فان اهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية، ويقرون على اديانهم، ولا يفعل ذلك بعباد الاصنام، وعند من خالفنا من الفقهاء يجور التزويج باهل الذمة، وان لم يجز ذلك في غيرهم، وحكم المرتد بخلاف حكم الجميع، فاذا كان احكام الكفر مختلفة مع الاتفاق في كونه كفرًا، لا يمتنع أن يكون من حاربه عليه السلام كافرًا، وان سار فيهم بخلاف احكام الكفار.

وأما المعتزلة وكثير من المنصفين غيرهم، فيقولون بفسق من حاربه عليه السلام ونكث بيعته، ومرق عن طاعته، وانما يدعون انهم تابوا بعد ذلك، ويرجعون في ادعاء توبتهم إلى امور غير مقطوع بها ولا معلومة من اخبار الآحاد، والمعصية معلومة مقطوع عليها، وليس الرجوع عن المعلوم الاّ بمعلوم مثله.

وقد روى الواقدي بإسناده ان أميرالمؤمنين عليه السلام لما فتح البصرة كتب

إلى اهل الكوفة بالفتح: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي اميرالمؤمنين إلى اهل الكوفة، سلام عليكم، فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد: فان الله حكم عدل، لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم، واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال، اخبركم عنا وعن من سرنا اليه من جموع اهل البصرة، ومن ناشب اليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير، ونكثهم صفقة ايمانهم، وتنكبهم عن الحق، فنهضت من المدينة حين انتهى اليّ خبرهم، حين ساروا اليها في جماعتهم، وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار، فبعثت الحسن بن علي، وعمار بن ياسر، و قيس بن سعد، فاستنفرتكم بحق الله ورسوله، فاقبل اليّ اخوانكم سراعًا حتى قدموا عليّ، فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة، فاعذرت الدعاء، وقدمت بالحجة، وأقلت العثرة والزلة، واستتبتهم من نكثهم بيعتي، وعهد الله عليهم، فأبوا الاّ قتالي، وقتال من معي، والتمادي في الغي، فناهضتهم بالجهاد في سبيل الله، فقتل الله منهم من قتل ناكثًا، وولى من ولى إلى مصرهم، فسئلوني مادعوتهم اليه قبل القتال، فقبلت منهم، واغمدت السيف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، واجريت الحق والسنة بينهم، واستعملت عليهم عبد الله بن العباس على البصره، وانا ساير إلى الكوفة ان شاء الله تعالى، وقد بعثت اليكم زجر بن قيس الجعفي تسئلوه فيخبركم عني وعنهم، وردهم الحق علينا، فردهم الله وهم كارهون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكتب عبد الله بن أبي رافع في سنه ست وثلاثين.

فكيف يكون طلحة والزبير تائبين، وقد صرح عليه السلام بانهما تماديا في الغي حتى قتلا ناكثين، وقد روى ابو مخنف لوط بن يحيي هذا الكتاب بخلاف هذه الالفاظ، وروى في جملته بعد حمدالله والثناء عليه وذكر بغي القوم ونكثهم: وحاكمناهم إلى الله فادالنا عليهم، فقتل طلحة والزبير، وقد تقدمت اليهما بالمعذرة، وابلغت اليهما في النصيحة، واستشهدت عليهما صلحاء الامة، فما اطاعا المرشدين، ولا اجابا الناصحين، ولاذ اهل البغي بعايشة فقتل حولها عالم جم، وضرب الله وجه بقيتهم، فادبروا، فما كانت ناقة الحجر بأشأم عليهم منها على اهل ذلك المصر، مع ما حازت من الحوب الكبير في معصية ربها ونبيها، واغترارها في نفر من المسلمين، وسفك دماء المؤمنين بلا بيّنة ولا معذرة، ولا حجة ظاهرة، فلما هزمهم الله امرت ان لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح، ولا تكشف عورة، ولا يهتك ستر، ولا يدخل دارًا الاّ باذن، وامنت الناس، وقد استشهد منا رجال صالحون، ضاعف الله حسناتهم، ورفع درجاتهم، واثابهم ثواب الصادقين الصالحين الصابرين.

وليست هذه أوصاف من تاب، وقبض على الطهارة والانابة، وفي تقريعه عليه السلام بين قتلاه وقتلاهم، من قتل من عسكره بالشهادة دون من قتل منهم، ثم في دعائه لقتلى عسكره دون طلحة والزبير دلالة على ما قلناه، ولو كانا مضيا تائبين لكانا احق الناس بالوصف بالشهادة والترحم والدعاء.

وقد روى الواقدي ايضًا كتاب اميرالمؤمنين عليه السلام إلى اهل المدينة يتضمن مثل معاني كتابه إلى أهل الكوفة، وقريبًا من الفاظه، ووصفهم بانهم

قتلوا على النكث والبغي، ولو لا الاطالة لذكرناه بعينه.

وروى الواقدي ان ابن جرموز لما قتل الزبير نزل فاحتز رأسه، واخذ سيفه ثم اقبل حتى وقف على باب اميرالمؤمنين عليه السلام، فقال: انا رسول الاحنف، فتلا عليه السلام هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾[1]، فقال: هذا رأس الزبير وسيفه، وانا قاتله، فتناول اميرالمؤمنين عليه السلام سيفه، وقال: طالما جلا به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الحين ومصارع السوء[2].

ولو كان تائبًا لم يكن مصرعه مصرع سوء، لا سيما وقد قتله غادر، وهذه شهادة لو كان تائبًا مقلعًا عما كان عليه.

وروى الشعبي عن اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: ان أئمة الكفر في الاسلام خمسة، طلحة، والزبير، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وابو موسى الاشعري، وقد روي مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود[3].

وروى نوح بن دراج، عن محمد بن مسلم، عن حبة العرني، قال: سمعت عليًا عليه السلام حين برز اهل الجمل يقول: والله لقد علمت صاحبة الهودج ان اهل الجمل ملعونون على لسان النبي، وقد خاب من افترى، وقد روي هذا المعنى بهذا اللفظ او يقرب منه من طرق مختلفة[4].

١- النساء/١٤١.

٢- البحار ٣٣٤/٣٢.

٣- البحار ٣٣٥/٣٢.

٤- البحار ٣٣٥/٣٢.

وروى البلاذري في تاريخه، باسناده، عن جويرية بن اسماء انه قال: بلغني ان الزبير حين ولى ولم يكن بسط يده بسيفه اعترضه عمار بن ياسر بالرمح، وقال: اين يا ابا عبد الله؟ والله ما كنت بجبان، ولكني احسبك شككت، قال: هو ذاك، ومضى حتى نزل بوادي السباع، فقتله ابن جرموز.

و اعترافه بالشك يدل على خلاف التوبة، لانه لو كان تائبًا لقال له في الجواب ما شككت بل تحققت، انك وصاحبك على الحق، وانا على الباطل، وقد ندمت على ما كان مني، وأي موتة يكون لشأن غير متحقق، فهذه الاخبار وما شاكلها تعارض اخبارهم لو كان لها ظاهر التوبة، واذا تعارضت الاخبار في التوبة والاصرار سقط الجميع، وتمسكنا بما كنا عليه من احكام فسقهم وعظيم ذنبهم[١].

اقول: ومن الاخبار الداخلة في هذا الباب ما تقدم نقل الشارح في شرح قوله عليه السلام اما نه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم من الجزء الرابع من قول علي بن الحسين عليهما السلام لعروة بن الزبير، وقد بلغه عنه انه مع الزهري كانا في المسجد ينالان من علي عليه السلام، فجاء علي عليه السلام حتى وقف عليهما، فقال: اما انت يا عروة فان ابي قد حاكم اباك إلى الله فحكم لابي على ابيك، الخبر[٢].

فلو صحت التوبة لم يكن لكلامه عليه السلام موضع ولا لهذه المحاكمة

١- البحار ٣٢/ ٣٣٥ – ٣٣٦.

٢- من لا يحضره الفقيه ٤٨٢/٤، تحف العقول/٢٧٥، الغارات ٥٧٨/٢، المسترشد لابن جرير/١٥٠، البحار ١٤٣/٤٦.

معنى، ولا لحكمه تعالى لعلي عليه السلام على الزبير حق بالكلية.

ثم قال شيخنا المذكور: وليس لهم ان يقولوا ان كل ما رويتموه من طريق الآحاد، وذلك ان جميع اخبارهم بهذه المثابة، وكثيرًا مما رويناه اظهر مما رووه وافشى، وان كان من طريق الآحاد والامر سيان، واما توبة طلحة فالامر فيها اضيق على المخالف من الكلام في توبة الزبير، لان طلحة قتل بين الصفين، وهو مباشر للحرب مجتهد فيها، ولم يرجع عنها حتى أصابه السهم فأتى على نفسه، فادعاء توبة مثل هذا مكابرة.

فان قيل: أليس قد روي ان اميرالمؤمنين عليه السلام لما جاءه ابن جرموز برأس الزبير، قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار، فلو لم يكن تائبًا لما استحق النار بقتله.

قيل لهم: ان ابن جرموز غدر بالزبير وقتله بعد ان اعطاه الامان، وكان قتله على وجه الغيلة والمكر، وهذه منه معصية لا شبهة فيها، وقد تظاهر الخبر بما ذكرناه حتى روي ان عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت تحت عبد الله بن ابي بكر فخلف عليها عمر ثم الزبير قالت في ذلك شعرًا:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء وكان غير مقرد
ياعمرو لو نبهته لوجدته	لا طايشًا رعش اللسان ولا اليد

فإنما استحق ابن جرموز النار بقتله اياه غدرًا، لا لأن المقتول في الجنة، وهذا الجواب يتضمن الكلام على قولهم ان بشارته بالنار مع الإضافة إلى قتل

الزبير يدل على انه اذاً استحق النار بقتله، لانا قد بينا في الجواب انه من حيث قتله غدرًا استحق النار، وقد قيل في هذا الخبر أن ابن جرموز كان من جملة الخوارج الخارجين على اميرالمؤمنين عليه السلام في النهروان، وان النبي صلى الله عليه وآله كان خبره بحالهم ودله على جماعة منهم باعيانهم واوصافهم، فلما جاءه برأس الزبير اشفق عليه السلام من ان يظن به لعظيم ما فعله الخير، ويقطع على سلامة العاقبة، ويكون قتله الزبير شبهة فيما يصير اليه من الخارجية، فقطع عليه بالنار لتزول الشبهة في امره، وليعلم ان هذا الفعل الذي فعله لا يساوي شيئًا مع ما يرتكبه في المستقل، وجرى ذلك مجرى شهادة النبي صلى الله عليه وآله على رجل من الانصار يقال له قزمان -ابلى في يوم احد بلاء شديدًا، وقتل بيده جماعة- بالنار، فعجب من ذلك السامعون حتى كشفوا عن امره، فوجدوه انه لما حمل جريحًا إلى منزله، ووجد ألم الجراح قتل نفسه بمشقص، وانما شهد النبي صلى الله عليه وآله بالنار عليه عقيب بلائه للوجه الذي ذكرناه، والذي يدل على ان بشارته بالنار لم يكن لكون الزبير تائبًا متعلقًا بل لبعض ما ذكرناه، هو انه لو كان الامر كما ادعوه لاقاده اميرالمؤمنين عليه السلام ولما طل دمه، وفي عدوله عليه السلام عن ذلك دلالة على ما ذكرناه.

وأما طلحة فقد بينا انه يضيق اقامة العذر له، لانه قتل في المعركة، فحالة التوبة فيها بعيده، وظاهر الحال الاصرار، وليس لاحد ان يقول انه روي عنه انه قال بعد ما اصابه السهم:

ندمت ندامة الكسعي لما رأت عيناه ما صنعت يداه

لأنّ هذا بعيد من الصواب، والبيت المروي أن يدل على خلاف التوبة اولى، لانه جعل ندامته مثل ندامة الكسعي، وخبر الكسعي معروف، لأنه ندم حيث لا ينفعه الندم، وحيث فاته الأمر، وخرج من يده، ولو كان ندم طلحة واقعًا على وجه التوبة الصحيحة، لم يكن مثل ندامة الكسعي بل كان شبيهًا لندامه من تلافى ما فرط منه على وجه ينتفع به.

وروى حسين الأشقر، عن يوسف البزاز، عن جابر، عن ابي جعفر عليه السلام قال: مر اميرالمؤمنين عليه السلام بطلحة وهو صريع، فقال: اقعدوه، فاقعد، فقال: لقد كانت لك سابقة لكن دخل الشيطان في منخرك فأدخلك النار[1].

ثم روى معاوية بن هشام، عن صباح المزني، عن الحرث بن حصيرة، عن ابراهيم مولى قريش ان عليًا عليه السلام مر بطلحة قتيلاً يوم الجمل، وساق الحديث في التكلم معه ومع كعب بن سورة مثل ما مرّ[2].

ثم قال رحمه الله بعد أسئلة وأجوبة تركناها حذرًا من الاطناب:

فإن قيل: قول النبي صلى الله عليه وآله عشرة من اصحابي في الجنة يدلّ على انهما تابا بلا شك.

قيل لهم: قد بيّنا فيما تقدم الكلام على بطلان هذا الخبر حيث تعلّقوا به في فضايل أبي بكر، وقلنا: انه لا يجوز ان يعلم الله مكلفًا ليس بمعصوم من الذنوب بان عاقبته الجنة، لان ذلك يغريه بالقبيح، وليس يمكن أحد ادعاء

١- البحار ٣٢/٣٣٨.

٢- البحار ٣٢/٣٣٨.

عصمة التسعة، ولو لم تكن الاّ ما وقع من طلحة والزبير من النكث لكفى.

وقد ذكرنا ان هذا الخبر لو كان صحيحًا لاحتج به أبو بكر لنفسه، واحتج له به في السقيفة وغيرها، وكذلك عمر وعثمان، وما يبين ايضًا بطلانه امساك طلحة والزبير عن الاحتجاج به لما دعوا الناس إلى نصرتهما واستنفارهم إلى الحرب معهما، وأي فضيلة اعظم وافحم من الشهادة لهما بالجنة، وكيف يعدلان مع العلم والحاجة بمن ذكره الاّ لانه باطل، ويمكن ان يعلم مسلم هذا الخبر ويحمله على الاستحقاق في الحال لا العاقبة، فكأنه عليه السلام اراد انهم يدخلون الجنة ان وفوا ما هم عليه الآن، ويكون الفائدة في الخبر اعلامنا بانهم يستحقون الثواب في الحال.

وأمّا الكلام في توبة عايشة فما بيّنا من الطرق الثلاث في توبة طلحة والزبير، هي معتمدة فيما يدعونه من توبة عائشة:

أولها: ان جميع ما يروونه من الاخبار لا يمكن ادعاء العلم فيها، ولا القطع على صحتها، واحسن الاحوال فيها ان توجب الظن، وقد بينا ان المعلوم لا يرجع عنه بالمظنون.

والثاني: انها معارضة باخبار تزيد على ما رووه في القوة أو تساويه فمن ذلك: ما رواه الواقدي باسناده عن شعبة، عن ابن عباس، قال: ارسلني علي عليه السلام إلى عايشة بعد الهزيمة، وهي في دار الخزاعيين يأمرها ان ترجع إلى بلادها، وساق الخبر نحوًا مما قدمناه برواية الكشي إلى بكائها، ثم قال: قالت: والله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن، ثم ساق الحديث إلى آخره.

ثمّ قال: فان قيل: ففي هذا الخبر دليل على التوبة، وهو قولها عقيب بكائها، لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن.

قلنا: قد كشف الامر ما عقيب هذا الكلام به من اعترافها ببغض اميرالمؤمنين عليه السلام، وبغض اصحابه المؤمنين، وقد اوجب الله عليها محبتهم وتعظيمهم، وهذا دليل على الاصرار وان بكائها انما كان للخيبة لا للتوبة، وما كان في قولها لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن من دليل التوبة، وقد يقول المصر مثل ذلك اذا كان عارفًا بخطأه فيما ارتكبه، وليس كل من ارتكب ذنبًا يعتقد انه حسن حتى لا يكون خائفًا من العقاب عليه، وأكثر مرتكبي الذنوب يخافون العقاب مع الاصرار، ويظهر منهم مثل ما حكي عن عايشة ولا يكون توبة.

وروى الواقدي بإسناده ان عمارًا رحمه الله استأذن على عايشة بالبصره بعد الفتح فادنت له، فدخل فقال: يا امه كيف رأيت الله صنع حين جمع الحق والباطل، ألم يظهر الله الحق على الباطل، ويزهق الباطل؟ فقالت: ان الحرب دول وسجال، وقد اذيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن انظر يا عمار كيف تكون في عاقبة امرك[1].

وروى الطبري في تاريخه انه لما انتهى إلى عايشة قتل اميرالمؤمنين عليه السلام قالت:

فالقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

١- البحار ٣٢/٣٤٠.

ثم قالت: فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فان تك ناعيًا فلقد نعاه   بناع ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت سلمة بن ابي سلمة: ألعلي تقولين هذا! فقالت: اني انسى، فاذا نسيت فذكروني[1].

وهذه سخرية منها بزينب، وتمويه خوفًا من شناعتها، ومعلوم ان الناسي والساهي لا يمتثل الشعر في الاغراض المطابقه، ولم يكن ذلك منها الاّ عن قصد ومعرفة.

وروي عن ابن عباس انه قال لاميرالمؤمنين عليه السلام لما أبت عايشة الرجوع إلى المدينة: ارى ان تدعها يا اميرالمؤمنين بالبصرة ولا ترحلها، فقال له اميرالمؤمنين عليه السلام: انها لا تألوا شرًا ولكني اردها إلى بيتها الذي تركها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فان الله بالغ أمره[2].

وروى محمد بن اسحاق، عن جنادة ان عايشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة، لم تزل تحرض الناس على اميرالمؤمنين عليه السلام، وكتبت إلى معاويه والى اهل الشام مع الاسود بن البختري تحرضهم عليه ﴿صلوات الله عليه﴾.[3]

١- مقاتل الطالبيين للاصفهاني/٢٦، البحار ٣٤١/٣٢.

٢- البحار ٣٢/ ٣٤٠ – ٣٤١.

٣- البحار ٣٤١/٣٢.

وروى مسروق انه قال: دخلت على عايشة فجلست اليها، فحدثتني واستدعت غلامًا لها اسود، يقال له عبد الرحمن، فجاء حتى وقف، فقالت: يا مسروق اتدري لم سميته عبد الرحمن؟ فقال لا، فقالت: حبًا مني لعبدالرحمن بن ملجم[1].

فاما قصتها في دفن الحسن عليه السلام فمشهورة حتى قال لها عبد الله بن العباس يومًا على بغل، ويومًا على جمل! فقالت: او ما نسيتم يوم الجمل يا ابن عباس انكم لذو أحقاد[2].

ولو ذهبنا إلى تقصي ما روي عنها من الكلام الغليظ الشديد الدال على بقاء العداوة، واستمرار الحقد والضغينة لأطلنا واكثرنا، وما روي عنها من التلهف والتحسر على ما صدر عنها لا يدل على التوبة، اذ يجوز ان يكون ذلك من حيث خابت عن طلبتها، ولم تظفر ببغيتها مع الذل الذي لحقها، والعار في الدنيا، والاثم في الآخرة. انتهي كلام شيخنا المذكور منحه الله تعالى في جنانه اعلى القصور، ومتعه بالولدان والحور[3].

أقول: وغاية ما اضطرب اليه القوم هذا الاضطراب، وارادوا اصلاحه من الخراب، هو دعوى التوبة لطلحة والزبير وعايشة من حرب أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّا عن تلك الدماء التي اراقوها، والنفوس المؤمنة التي زهقوها، فلم يلموا عنه

١- البحار ٣٤١/٣٢.

٢- البحار ٣٤٢/٣٢.

٣- البحار ٣٤٢/٣٢.

بالجواب، كأن ذلك عندهم غير مناف لدخول الجنة التي ادعوها لهما في حديث العشرة، ولعايشة أنها زوجته ﷺ في الآخرة مع ما استفاض في اخبارهم مؤيدًا لما دلت عليه آيات الكتاب من الخلود في النار لفاعل ذلك، والتعذيب باشد العذاب، فمن ذلك ما روى البغوي في مصابيح السنة من الصحاح، انه لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا[1].

وعنه ﷺ، من قتل معاهدًا، لم يجد رائحة الجنة، وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين خريفًا[2].

ومن الحسان عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ لو ان اهل السماء والارض اشركوا في دم مؤمن لاكبهم الله في النار[3].

وعن ابي الدرداء، عن رسول الله ﷺ قال: كل ذنب عسى الله ان يغفره الاّ من ما ت مشركًا او من قتل مؤمنًا متعمدا[4].

وحينئذ فاذا كانت هذه رواياتهم في اصحتهم تنادي على من قتل مؤمنًا واحدًا باستحقاق النار، وغضب الجبار، وقتلهم لجملة اولئك المؤمنين كما تقدم ذكره متفق عليه بين الفريقين، ولا منكر له في البين، فاين استحقاق الجنة، ولكن القوم صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

وأما الحديث الذي نقله مستندًا اليه في توبة طلحة، فقد ذكره سابقًا،

١- المحلى ٣٤٣/١٠، الدر المنثور للسيوطي ١٩٧/٢.

٢- نيل الاوطار للشوكاني ١٥٥/٧، البخاري ٦٥/٤.

٣- سنن الترمذي ٤٢٧/٢.

٤- المستدرك للحاكم ٣٥١/٤.

وتكلمنا عليه بما يشفي العليل، ويبرد الغليل، فارجع اليه ان شئت في الجزء الاول في شرح قوله، ومن كلام له عليه السلام لما اظفره الله باصحاب الجمل.

السادس: قوله وقال شيوخنا ليس لقائل ان يقول إلى آخره، فانه تمويه وتلبيس، فقد استفادوه من شيخهم ابليس، وذلك فانا نقول: لا يخفى ان هنا شيئين:

أحدهما: ظهور آثار التوبة وامارتها من التائب بعد حصول المعصية الموجبة لفسقه.

ومن المعلوم انما يحكم هنا بالتوبة بناءه على الظاهر، اذ لا يعلم الباطن على الحقيقه الاّ الله تعالى، ونظيره ايضًا الحكم باسلام من اظهر الشهادتين، وقام بالفرائض بعد الكفر المعلوم يقينًا لقوله صلى الله عليه وآله نحكم بالظاهر، والله المتولي للسراير، والاكتفاء بالظاهر انما صير اليه لتعذر الوقوف على الباطن الذي لا يعلمه سواه سبحانه، فلو كلف بتوقف التوبة في التائب بعد المعصية، والاسلام بعد الكفر على معرفة الباطن لكان تكليفًا بما لا يطاق، وهو منفيًا عقلاً ونقلاً.

وثانيهما: صحة ظهور آثار التوبة، كأن يبلغنا الخبر عن زيد انه تاب، وظهرت منه آثار التوبة بعد ان علم فسقه، او اسلم وظهر منه القيام لشرايع الاسلام بعد ان كان معلوم الكفر، ولكن ذلك الخبر لا يفيدنا علمًا، فانما غاية ما يفيده الظن، فهل يحكم له بالتوبة او الاسلام بمجرد ذلك ام لا بد من افادة الخبر العلم؟ وهذا هو محل النزاع لا الاول، وقياس احدهما على الآخر قياس

مع الفارق، فانا انما اكتفينا في الاول بالظن الناشيء عن الظاهر، لتعذر ما سواه من العلم بخلاف الثاني، فانه العلم فيه ممكن، فلا يعدل عن العلم بما ظهر اولاً الاّ بعلم مثله، فقوله ان التوبة انما يحكم بها للمكلف على غالب الظن، لانه لا يجوز ان يكون من اظهر التوبة منافقًا وكافرًا مسلّم، ولكنه ليس من محل النزاع في شيء، فاننا انما ننازع في صحة ما نقلوه عنهم من انهم اظهروا ذلك لا في كون اظهار ذلك لا يدل على التوبة، وأحدهما لا يدل على الآخر، هذا كله اذا كان ما نقل يدل على اظهار التوبة كما ذكروه، والاّ فانا لم نر لهم مع الاغماض عن المناقشة في صحة النقل ما يدل بظاهره على التوبة كما نوهوا به، اما في حق الزبير مما عرفته غير مرة مع معارضته بما هو اصرح واصح، واما طلحة فليس لهم ازيد من هذا الحديث الذي يكرره الشارح، وقد بينا فيما سبق فساده ومعارضته باخبار عديدة من طرقهم تدفعه، واما عايشة فالاخبار فيها وان كانت اكثر الاّ انها معارضة بما هو اظهر واشهر، كما تقدم بيانه.

فائدة طريفة ونكتة لطيفة

يليق ذكرها ويحسن سطرها، نقلها الشريف القاضي نور الله الشوشتري قدس سره في كتاب مجالس المؤمنين في ترجمة الشيخ المفيد ﴿عطر الله مرقده﴾ عن كتاب مصابيح القلوب، قال: كان القاضي عبدالجبار المعتزلي ذات يوم في بغداد في مجلس الدرس، وجملة من علماء الفريقين كانوا في مجلسه، وكان الشيخ المفيد مجتهد الشيعة في ذلك الوقت، والقاضي عبدالجبار قد سمع به

ولكنه لم يره، فاتفق ان الشيخ رحمه الله حضر ذلك اليوم مجلس القاضي وحيث كان المجلس مملوًا جلس في صف النعال، وبعد ساعة خاطب القاضي، فقال له: عندي سؤال فان اجاز القاضي بحضور الائمة سئلت، فقال القاضي: سل، فقال له: هذا الخبر الذي ترويه طائفة الشيعة، وهو قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، صحيح ومسلم ان الرسول صلى الله عليه وآله قاله يوم غدير خم او ان الشيعة توهموا في نقله؟ قال القاضي: صحيح، فقال الشيخ: فاذا كان صحيحًا فما المراد بلفظ المولى؟ قال القاضي: الاولى، فقال الشيخ: فما هذا الخلاف؟ فقال القاضي: ايها الاخ هذا الخبر رواية، وخلافة ابي بكر دراية، والعاقل لا يترك الدراية إلى الرواية، فسكت الشيخ رحمه الله عن هذه المسئلة، وقال له: ما تقول فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعلي عليه السلام: يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي، فقال القاضي: صحيح، فقال الشيخ رحمه الله: ما تقول في اصحاب الجمل، فانه يلزم كفرهم بمقتضى قولك، فقال القاضي: انهم تابوا، فقال الشيخ: ايها القاضي ان الحرب دراية، والتوبة رواية، وانت قد قررت في حديث غدير خم، ان العاقل لا يترك الدراية إلى الرواية، فبهت القاضي وتحير، ثم رفع رأسه اليه، قال: من انت؟ فقال: خادمكم محمد بن النعمان الحارثي، فقام القاضي من مكانه واخذ بيد الشيخ رحمه الله واجلسه في مجلسه، وقال له: انت المفيد، فلما رأى علماء المجلس ما فعله القاضي من اكرام الشيخ ازورت وجوههم وبان الغضب والحسد في وجوههم، فقال لهم القاضي لما عرف ذلك من وجوههم: أيها العلماء الفضلاء ان هذا الرجل قد الزمني، وانا ليس عندي جوابه، فان كان عند

أحد منكم جوابه فليجبه ليرجع إلى محله، ثم بعد ذلك اتصل هذا الخبر بالسلطان عضد الدولة، فارسل للشيخ المفيد رحمه الله واحضره وسأله عما جرى فاخبره بذلك، فأعطاه فرسًا خاصًا بجلال مُذهب ومائة دينار، وعين له في كل يوم عشرة امنان من الخبز، وخمسة امنان من اللحم.

ونقل قدس سره ايضًا في الكتاب المذكور هذه الحكاية بوجه آخر من مجموعة امير ورام بن أمير أبو فراس قال: كان الشيخ من اهل عكبراء في أيام صغره، ثم انتقل مع أبيه إلى بغداد، واشتغل بالدرس على يد ابي عبد الله المعروف بالجعلي، ومنزله في درب من بغداد، وبعده اشتغل بالدرس على يد ابي ياسر في باب خراسان، ولما كان ابو ياسر لا يمكنه الخروج من عهدة البحث منه، قال له: لم لا تشتغل بالدرس على يد علي بن عيسى الرماني، فانه من اعاظم علماء الكلام، فقال الشيخ: اني لا اعرفه، ولا اجد احدًا يوصلني اليه، فارسل معه ابو ياسر رجلاً يوصله إلى الرماني، ولما كان مجلس الرماني مملوًا من الفضلاء والعلماء، جلس في صف النعال، وصار يتقرب شيئًا فشيئًا، كلما قام احد وخلا مكانه دنى لاجل استفادة المسائل، والسماع منه، فاتفق ان رجلاً من اهل البصرة دخل وسأل الرماني، وقال: ما تقول في حديث الغدير وقصة الغار؟ فقال الرماني: ان خبر الغار دراية، وخبر الغدير رواية، ولا يحصل من الرواية مثل ما يحصل من الدراية، ولما لم يمكن ذلك البصري رد الجواب خرج، قال الشيخ: فلم اطق السكوت، فتقدمت اليه، وقلت: عندي سؤال، فقال: قل، فقلت: ما تقول فيمن خرج على الامام العادل وحاربه وقاتله؟ فقال: كافر،

ثمّ استدرك، وقال: فاسق، فقلت: ما تقول في اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب؟ فقال: امام، فقلت: ما تقول في حرب طلحة والزبير وفتنة الجمل التي وقعت بينهم؟ فقال: انهم تابوا، فقلت: خبر الحرب دراية، وحديث التوبة رواية، فقال: كنت حاضرًا عند سؤال الرجل البصري؟ فقلت: نعم، فقال: رواية برواية، يعني ان الروايتين تعارضتا فتساقطتا، وبقي اصل سؤالك واردًا، ثم انه سئل من انت؟ وعند من تقرأ من علماء هذا البلد؟ فقال: عند الشيخ ابي عبد الله الجعلي، فقال لي: مكانك، ثمّ قام ودخل بيته ثم بعد ساعة خرج وبيده كتاب مختوم، فقال: اوصلها إلى شيخك ابي عبد الله، فاخذت الكتاب وأوصلته إلى الشيخ ففض الكتاب، وبقي مشغولاً بقراءته، وفي اثناء قراءته يضحك، ولما فرغ من قراءته، فقال: انه قد كتب لي بجميع ما جرى بينك وبينه في المجلس، واوصاني بك ولقبك بالمفيد، انتهى[1].

والظاهر ان ذلك اتفق للشيخ قدّس سرّه مرتين، والظاهر ان المرة الاولى كانت مع الرماني، والثانية مع القاضي.

إكمال فيه دفع اشكال

قد وقفت على رسالة لبعض الفضلاء المتأخرين يتضمن ان بعض أمراء الهند وعلمائهم أورد شبهة على كلام شيخنا المفيد قدّس سرّه، وادعى انها جواب عما أورده الشيخ المشار اليه على قاضي القضاة في المعارضة له بقصة أصحاب

١- مواقف الشيعة ٤٣/١.

الجمل، ودعوى توبتهم في ان الرواية لا تعارض الدراية، وصورة ما اورده ان مراد القاضي ان مدلول الرواية في شأن ابي بكر لا يجامع مدلول الرواية التي في شأن علي عليه السلام، فان خلافة ابي بكر بلا فصل لا يمكن ان تجتمع مع خلافة اميرالمؤمنين عليه السلام بلا فصل، فلا بد من الذهاب إلى احد المدلولين وطرح الآخر، ولا شك ان الدراية اقوى من الرواية، فينبغي التمسك بالدراية، فثبت انه ينبغي الذهاب إلى خلافه ابي بكر، وطرح مدلول نص الغدير، واما قضية الجمل والتوبة فليسا من التضاد في شيء، إذ لا حرج في وقوع الحرب والعصيان الناشيء منه في زمان وقوع التوبة في زمان متأخر عنه، فلا تنافي بين مدلولي الدراية والرواية هنا حتى يجب طرح أحدها، فلا بدّ من القول بكليهما، فظهر ان كلام الشيخ لا يقع في مقابلة كلام القاضي، ولا يوجب افحامه، وان وقع من القاضي في ذلك المجلس غفلة عن هذه الدقيقة، انتهى كلام ذلك الناصب المذكور.

ثمّ إن صاحب الرسالة المذكورة أطال في الرد لهذا الكلام، ووجدت أيضًا رسالة المقدس السيد نصر الله بن الحسين الحايري الكربلائي يتضمن نقل كلام هذا الناصب والرد عليه، ونقل السيد المذكور رحمه الله ان صاحب هذا الكلام كان من امراء ﴿اورنك زيب﴾ وتقرب اليه ليحظى بالمنزلة لديه، فخيب الله امله، وقطع قبيح عمله، ورجع منه بخفي حنين، وخسران الدارين.

وذكر السيد أيضًا في رسالته انه وقف على رسالة منسوبة إلى رجل من داراب تتضمن الجواب عن هذا الجواب والشبهة، والظاهر انها هي الرسالة التي

اشرنا اليها، واسم مصنفها محمد جعفر، ولكنه لم ينسب نفسه فيها إلى بلد مخصوصة، وحاصل ما أجابا به ﴿قدس الله سريهما﴾:

أولاً: منع ثبوت الخلافة لابي بكر حقيقة، لانها ليست عن الله ولا عن رسوله، والخلافة الحقيقية لا يكون الاّ عنهما، وبذلك يظهر بطلان كون خلافته دراية.

وثانيًا: ان خلافة اميرالمؤمنين عليه السلام ليست محض الرواية لتصريح جملة من علماء اهل السنة بثبوت خبر الغدير، ودلالته على ذلك، وعدم انقياد الناس اليه عليه السلام لا يقدح في صحة خلافته، كما لا يقدح في صحة نبوة الانبياء تخلف الناس عن اتباعهم والقول بنبوتهم.

وثالثًا: القدح في توبة من ادعوا له التوبة من اصحاب الجمل، وكل هذه المقدمات مشتمل على تطويل في الكلام بما لا يسع نقله في المقام، والذي يظهر لي إلى ان ما ذكراه ﴿قدس الله سريهما ونور قبريهما﴾ وان كان حقًا وصوابًا في حد ذاته الاّ انه لا تعلق له بالجواب عن الشبهة المذكورة، ولا انطباق له على الجواب عنها بوجه، وذلك فان الشيخ المفيد قدس سره بعد القاء القاضي عليه ذلك الكلام المتقدم لم يتعرض للطعن في خلافه ابي بكر، ولم يكذب بكونها دراية، وان كان يمكنه ذلك، ولا ادعى ثبوت خبر الغدير على وجه يساوي ما ادعاه خصمه، بل اعرض عن جميع ذلك، وقابل القاضي بالزام مثل ما الزمه، وهذا من اقوى الحجج في باب المناظرة، وحاصل كلام الشيخ قدس سره انه ان صح ما ذكرته من الالزام، يلزمك مثله في اهل الجمل، ويلزم

الحكم بكفرهم، وانت لا تقوله، وهذا الناصب قد ادعى الفرق بين المقامين، وانه لا يلزم من تقديم العمل بالدراية، وطرح الرواية في تعارض الخلافتين، تقديم العمل بها في تعارض حرب الجمل والتوبة، لاختلاف الزمانين، فيمكن القول بالحرب، ثم التوبة بعده في زمان آخر، وجميع ما اطالا به في رسالتيهما لا تعلق له بهذا المقام، ولا ينتظم في سلك هذا النظام.

والجواب الحقّ أن يقال: انه لايخفى على المتأمل في سياق الكلام وما وقع بين الشيخ والقاضي في ذلك المقام، ان البحث انما بني على المعارضة بين ثبوت الامر بطريق الدراية، وثبوته بطريق الرواية، اعم من ان يكون ذلك في وقت أو وقتين، بمعنى ان ما ثبت بطرق الدراية أقوى حجة مما ثبت بالرواية، لكن الطريق الاولى مفيدة للعلم واليقين، والثانية غاية ما تفيده الظن، وحينئذ فكما يلزم ترجيح خلافة ابي بكر لوكان ثبوتها بطريق الدراية على خلافة علي عليه السلام التي انما ثبتت بطريق الرواية، يلزم كفر المحاربين له عليه السلام يوم الجمل، لثبوته بطريق الدراية، وترجيحها على التوبة الدعاء لهم بطريق الرواية، وهذا هو الظاهر السياق من الكلام لجميع الافهام، وما ذكره من عدم الاجتماع في الاول والاجتماع في الثاني لا يترتب عليه اثر بالكلية، لانا نقول ان الكلام انما هو في ترجيح احد الطرفين على الآخر، ألا ترى انه اذا اعترف القاضي بالنص وصراحة دلالته على الامامة الزمه الشيخ قدس سره بانه مع اعترافكم بذلك، فما هذا الاختلاف، وقولكم بتقدم ابي بكر، اجاب القاضي بما معناه ان الرواية وان دلّت على ذلك الاّ ان دلالتها لكونها ظنية لا تدفع خلافة ابي بكر، الثابتة بطريق

يقيني، وهو الدراية، وليس في هذا ما يشير إلى امكان الاجتماع أو عدم امكانه بوجه.

ثمّ يقال له: انه بناء على ما ذكرت من تعارض الخلافتين وعدم اجتماعهما، فقد رجحت العمل بالدراية وقدمتها على العمل بالرواية، وليس ذلك البتة الاّ باعتبار افادته العلم دون الرواية التي انّما تفيد الظن، وحينئذ فلو قال الخصم ان الحرب الذي هو دراية فقد افاد كفر القوم، فيجب الحكم به حتى يثبت ما يرفعه ويزيله، لم يندفع بما ذكرته من انه لا حرج في وقوع الحرب والعصيان الناشيء منه في زمان متأخر، لان غاية ما يعطيه هذا الكلام امكان التوبة واحتمالها، لا وقوعها يقينًا، والمطلوب ثبوتها بطريق علمي يقيني، لرفع العلم بالكفر الثابت بطريق الدراية، وبذلك يعلم ان كلامه مجرد مغالطة لا تروج الاّ على ناقصي الاذهان من البله والنساء والصبيان.

وبالجملة فالكلام هنا راجع إلى ما قدمناه من ان الأمر المعلوم لا يرتفع إلاّ بأمر معلوم حسبما تقدم.

قال: الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار، ولا للغايب ان يرد، وانما الشورى للمهاجرين والانصار، فان اجتمعوا على رجل وسمّوه امامًا، كان ذلك لله رضى، فان خرج عن امرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى.

ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك لتجدن ابرء الناس من دم عثمان، ولتعلمنّ اني كنت في عزلة عنه الاّ ان تتجنّ فتجنّ ما بدا لك، والسلام[1].

شرح: قد تقدم ذكر هذا الكلام في اثناء اقتصاص مراسلة اميرالمؤمنين عليه السلام معاوية بجرير بن عبد الله البجلي، وقد ذكره ارباب السير كلهم، واورده شيوخنا المتكلمون في كتبهم احتجاجًا على صحة الاختيار، وكونه طريقًا إلى الإمامة، واول الكتاب اما بعد: فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام، لانه بايعني القوم الذين بايعوا إلى آخر الفصل، والمشهور المروي، فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة، اي رغبة عن ذلك الامام الذي وقع الاختيار له، والمروي بعد ذلك قوله ولاه الله ما تولى، ويصله جهنم وساءت مصيرًا، وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، فان كان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق، وظهر امر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فان احب الامور اليّ فيك العافية الاّ ان تتعرض للبلاء، فان تعرضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك، وقد اكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم اليّ احملك واياهم على كتاب الله، فاما تلك التي تريدها، فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري يا معاوية ان نظرت بعقلك إلى آخر الكلام.

وبعده: واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا يعترض بهم الشورى، وقد أرسلت جرير بن عبد الله البجلي، وهو من اهل الايمان

١- شرح نهج البلاغة ٣٥/١٤.

والهجرة فبايع، ولا قوة إلاّ بالله[1].

واعلم أن هذا الفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقًا إلى الامامة، كما يذكره اصحابنا المتكلمون، لانه احتج على معاوية ببيعة اهل الحل والعقد له، ولم يراع في ذلك اجماع المسلمين كلهم، وقاسه على بيعة اهل الحل والعقد لابي بكر، فانه ما روعي فيها اجماع المسلمين، لان سعد بن عبادة لم يبايع ولا احد من اهل بيته وولده، ولان عليًا عليه السلام وبني هاشم ومن انضوى اليهم لم يبايعوا في مبدأ الامر، وامتنعوا، ولم يتوقف المسلمون في تصحيح امامة ابي بكر، وتنفيذ احكامه على بيعتهم، وهذا دليل على صحة الاختيار، وكونه طريقًا إلى الامامة، وانه لا يقدح في امامته عليه السلام امتناع معاوية من البيعة واهل الشام.

فأما الإمامية فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام على التقية، وتقول انه ما كان يمكنه ان يصرح لمعاوية في مكتوبه بباطن الحال، ويقول له انا منصوص عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، معهود إلى المسلمين ان اكون خليفته فيهم بلا فصل، فيكون في ذلك طعن على الائمة المتقدمين، ويفسد حاله مع الذين بايعوه من اهل المدينة، وهذا القول من الامامية دعوى لو عضدها دليل لوجب ان يقال بها، ويصار اليها، ولكن لا دليل على ما يذهبون اليه من الاصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكتاب على التقية.

فأمّا قوله وقد اكثرت في قتلة عثمان إلى آخره، فيجب ان يذكر في

١- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٣٥ – ٣٦.

شرحه ما يقوله المتكلمون في هذه الواقعة.

قال أصحابنا المعتزلة: هذا الكلام حق وصواب، لان اولياء الدم يجب ان يبايعوا الامام، ويدخلوا تحت طاعته، ثم يرافعوا حضومهم اليه، فان حكم بالحق استدعيت امامته، وان حاد عن الحق انقضت خلافته، واولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليًا عليه السلام، ولا دخلوا تحت طاعته، انتهى.

أقول: لا يخفى عليك ما في كلامه من الخلل والزلل، حسبما اوضحناه آنفًا في خبر جرير بن عبد الله المذكور حيث نقله في الجزء الثالث، ولكنه لما ادعاه في هذا المقام فلا بد من اردافه بنقض ما زعمه من الابرام.

وأمّا قوله عن شيوخه انهم اوردوا هذا الكتاب دليلاً على صحة الاختيار، وكونه طريقًا إلى الامامة، ففيه دليل على عماهم او تعاميهم عن الحق الواضح، واستحقاقهم لمزيد الطعن والملامة لما عرفت في الفصل الاول من المقصد الثاني من المقدمة من الادلة التي لم تجتمع في غير هذا الكتاب على فساد الاختيار، وما توهموه من هذا الخبر فسيظهر ما فيه في المقام.

وأما ما نقله من قول اميرالمؤمنين عليه السلام في طلحة والزبير، فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق، وظهر امر الله وهم كارهون، فهو اظهر ظاهر في كفرهما لشهادته عليه السلام عليهما بالردة عن الاسلام، وبقائهما عليها حتى حاط بهما الانتقام، فأين ما يدعيه هو واصحابه من التوبة لهما، ويموهون به من ذلك الخبر المزخرف المتقدم عن قريب، وهذا صريح كلامه عليه السلام ينادي بأنه جاهدهما بعد ردتهما حتى جاء الحق، وظهر امر الله، وهو

نصره تعالى عليهما وهم كارهون، ولو كان دعوى التوبة صحيحة لما حسن هذا القول منه ، بل كان يجب ان يقول حتى رجعا وتابا، ولم يورد هذه الآية التي انما موردها في الكفار المنكرين للنبوة، فلولا ان القوم من اهل هذه الآية لما حسن ايرادها في حقهم ولا تشبيههم بهم، وهذا الضال يغمض عينه عن امثال هذا الكلام الذي هو من أحدّ السهام، ويهدر اذا خلا بنفسه بمزخرفاته ومزخرفات اصحابه التي هي من قبيل الرمي في الظلام، كما تقدم في سابق هذه المقالة وغيرها.

وأما قوله واعلم ان هذا الفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقًا إلى الامامة إلى آخره ففيه ان كلامه بصريحه دال على سوء فهمه الناشيء عما حل عليه من التعصب على الباطل، ومتابعة الهوى تقليدًا للاسلاف، فصارت لذلك عين بصيرته عوراء عن الحق والانصاف، والاّ فمن الظاهر البيّن الظهور لمن تنور قلبه بنور الايمان او سلب ذلك النور.

أوّلاً: ان الاجماع الذي جعل احد الادلة الشرعية في الاصول، وهو الذي اعتمده جمهور اهل السنة في صحة بيعة ابي بكر، وصار الكل يحتج به ويصول، انما هو اجماع اهل الحل والعقد، ورؤساء الدين من العلماء الاتقياء والابرار المهتدين المجتهدين، لا اجماع الناس كلهم من المسلمين، وهذا هو الذي احتج به ابو بكر وعمر على العباس، كما تقدم في حديث البراء بن عازب من الجزء الثاني، وهذا هو الذي اعتمده هنا في الاحتجاج على معاوية حيث قال وانما الشوري للمهاجرين والانصار، فان اجتمعوا على رجل

وسمّوه امامًا، كان ذلك لله رضى، افترى في هذا الكلام مجالاً للاكتفاء باختيار خمسة او واحد ورضى اربعة، كما يذهبون اليه، وبنوا في مذهبهم عليه، او هو صريح في اجتماع جميع المهاجرين والانصار الذين هم يومئذ اصحاب الحل والعقد، والشورى في الامة.

وثانيًا: ان قوله وقاسه على بيعة اهل الحل والعقد لابي بكر، ان اراد به جميع اهل الحل والعقد، فهو باطل، لما ذكره من تخلف سعد وولده واهل بيته، وتخلف علي عليه السلام وبني هاشم ومن انضوي اليهم، وان اراد به بعضهم كأولئك الخمسة الذين يرجعون في الحقيقة إلى عمر وحده، كما ذكره هو بنفسه في شرح الخطبة الشقشقية بقوله وعمر هو الذي شيد بيعة ابي بكر، ووقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطيء في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعدًا قتل الله سعدًا، وحطم أنف الحباب بن المنذر، وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام واخرجهم منها، ولولاه لما ثبت لابي بكر امر، ولا قامت له قائمة، فهو مسلم ولكن دعواه القياس هنا باطل، لظهور الفارق اظهر من فلق الصبح، فان بيعة علي عليه السلام مما قد اجتمعوا عليها جميعًا برغبة قلوبهم، وطلبوه لها بشدة رغبتهم بعد امتناعه عليهم اشد الامتناع، كما افصح كلامه عليه السلام في هذا الكتاب في غير موضع، وبيعة ابي بكر بزعمه انما هي باختيار اولئك الخمسة الذين يرجعون في الحقيقة إلى عمر وحده، وباقي الناس انما اخذوا على ما عرفت من كلامه قهرًا وجبرًا فما بين كاره اخذ قهرًا، وما بين من لم يبايع حتى مات، وما بين من لم يبايع الاّ بعد

مدة مديدة، فكيف تقاس الارض بالسما، والهدى بالعمى، ما اعمى قلبه من ضليل، ليس له مثيل في هذا القبيل.

وأمّا استناده عليه السلام إلى بيعة أبي بكر، والاحتجاج بها فانما هو لما ستعرفه عن قريب، لا لأن اجماع اهل الحل والعقد يومئذ قد انعقد عليها.

وثالثًا: انه عليه السلام استدل على حجية الاجماع المشار اليه بان فيه اتباع سبيل المؤمنين، كما هو المنقول في كتب الاصول عن الشافعي، فانه استدل على حجية الإجماع بالآية المذكورة، وأي انطباق لهذا الاستدلال على اختيار خمسة كما يقولون به، والاّ لتعددت السبل بتعدد الخمسة من اهل الحل والعقد لو اختلفوا في الاختيار.

وأمّا قوله: وأما الامامية فتحمل هذا الكلام منه عليه السلام على التقية، إلى آخره، ففيه انه ليس الامر كما زعمه بجهله وتوهمه، بل الامامية انما يحملون ذلك على المجاراة والتبكيت، والالزام للخصم بمقتضى معتقده الذي هو من أبلغ وجوه البلاغة في الكلام في مقام الجدال والخصام، فان معاوية لما كان معتقده في حجية انعقاد الامامة مذهب خلفائه، واتباعهم من ان طريق الامامة انما هو اجتماع الناس من اهل الحل والعقد على البيعة، والصفق على الايدي، خاطبه به والزمه بان بيعته عليه السلام قد انعقدت بما انعقدت به بيعة اولئك المتقدمين الذين اطاعهم وانقاد اليهم، وهو الاجماع بزعمهم، فان كانت تلك البيعة صحيحة توجب عليه الانقياد والطاعة، فهذه مثلها، فكيف يطيع أولئك، ويخالف في هذه، وهذا بحمد الله سبحانه ظاهرًا أتم الظهور، بل كالنور على

الطور إلاّ لمن اعترى ذهنه الفتور والقصور.

وأمّا قوله: وهذا القول من الامامية دعوى لو عضدها دليل، مشيرًا به إلى عدم النص الذي هو عدم الدليل، فان فيه ان طرفه عن الحق كليل، وقلبه بمرض الحمية والعصبية عليل، والاّ فالنصوص كما عرفت في المقدمة متواترة، بل في شرحه هذا مستفيضة متكاثرة، ولكنه تارة يقابلها بالتأويلات الباردة والترهات، وتارة يغمض عينه عنها كالاعمى، أو من يمشي في الظلمات، وكلمات اميرالمؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب مكشوفة الحجاب، مرفوعة النقاب، ولكنه لضلاله وعناده، قد سلك في شرحه هذا من اوله إلى آخره اخراج الفاظه عن ظواهرها، بل صريحها إلى التأويل الذي لا اعتماد عليه عند المنصف ولا تعويل.

وأمّا قوله: فان حكم بالحق استديمت امامته، وان حاد عن الحق انتقضت خلافته، ففيه انه اذا كان صحة الخلافه وبطلانها دائر مدار الحكم بالحق وعدمه، فهل كانت احكام عمر وقياساته واجتهاداته التي تناقض بعضها بعضًا، كما نقله عنه في شرح الخطبه الشقشقية، انه كان كثيرًا ما يفتي بالحكم ثم ينقضه إلى غيره إلى آخره، ونحو ذلك مما عددناه في مطاعنه برواياتهم، وكذا ما وقع من عثمان من أحداثه واحكامه التي قتل لاجلها، هل هي على الحقّ أو الباطل، لا سبيل إلى الاول، كما هو ظاهر لكل منصف عاقل، فلم لا اوجب ذلك انتقاض امامتهما، وبطلان خلافتهما، اللهم الاّ ان يقال انما هذا مخصوص بامامة علي عليه السلام، فيرتفع الاشكال من المقام.

قال: الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح اصلنا، وبغوا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، واحلسونا الخوف، واضطرّونا إلى جبل وعر، واوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا عن الذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، مؤمننا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الاصل، ومن اسلم من قريش خلو ممن نحن فيه، بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس واحجم الناس قدّم اهل بيته، فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنّة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم احد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة، لكن آجالهم عجلت، ومنيته اخّرت، فيا عجبًا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم يكن له كسابقتي التي لا يدعي مدع مالا اعرفه، ولا اظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال[1].

شرح: إلى ان قال: قوله عليه السلام: اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي اشارة إلى معاوية في الظاهر، والى من تقدم عليه من الخلفاء في الباطن، والدليل عليه قوله التي لا يدلي احد بمثلها، فاطلق القول اطلاقًا عامًا مستغرقًا لكل الناس اجمعين، ثم قال عليه السلام: إلاّ ان يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه، أي كل من ادعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب، لانه لو كان صادقًا لكان عليه السلام يعرفه لا محالة، فاذا قال من نفسه ان كل دعوى يخالف ما ذكرت، فاني

١- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٤٦ – ٤٧.

لا اعرف صحتها، فمعناه انها باطلة، وقوله ولا اظن الله يعرفه، فالظن هنا بمعني العلم، كقوله تعالى ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾[1]، واخرج هذه الكلمة مخرج قوله تعالى ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]، ليس المراد سلب العلم، بل العلم بالسلب، كذلك ليس مراده عليه السلام سلب الظن، بل ظن السلب، اي علم السلب، واعلم ان الله سبحانه يعرف انتفاءه، وكل ما يعلم الله انتفاءه فليس بثابت، إلى ان قال: ويجب ان نتكلم في هذا الفصل في مواضع، إلى ان قال بعد ذكر المحصورين في الشعب: وكان سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم ابو طالب بن عبد المطلب، وهو الكافل والمحامي، واختلف الناس فيه، فقالت الامامية واكثر الزيدية: انه ما مات الاّ مسلمًا، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ ابوالقاسم البلخي، وابو جعفر الاسكافي وغيرهما، وقال اكثر الناس من اهل الحديث والعامة، ومن شيوخنا البصريين وغيرهم مات على دين قومه، ويروون في ذلك حديثًا مشهورًا ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عند موته: قل يا عم كلمة اشهد لك بها عند الله تعالى، فقال: لولا ان تقول العرب ان أبا طالب جزع عند الموت لأقررت بها عينك[3].

١- الكهف/٥٣.

٢- يونس/١٨.

٣ - تفسير ابن كثير ٥٢٣/٣، تفسير القرطبي ٣٧٣/٦، تفسير البغوي ١٠٠/١، الدر المنثور ٤٢٨/٦، الايمان لابن منده ١٨١/١، الاعتقاد ١٥١/١، صحيح مسلم ٥٥/١، سنن الترمذي ٣٤١/٥، مسند احمد ٤٣٤/٢.

وروي انه قال: أنا على دين الاشياخ[1]، وقيل: انه قال: انا على دين عبد المطلب[2]، وقيل غير ذلك.

وروى كثير من المحدثين ان قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾[3]، وقوله ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[4]، نزلت الآية في أبي طالب، لأن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ استغفر له بعد موته.

وروي ان قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[5] انزلت في ابي طالب[6].

وروي ان عليًا عليه السلام جاء إلى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد موت ابي طالب، فقال: ان عمك الضال قد قضى، فما الذي تأمرني فيه؟[7]

واحتجّوا بانه لم ينقل احد عنه انه رآه يصلي، والصلاة المعرفة بين

---

١ - تفسير ابن كثير ٣٦/٤.

٢- تفسير ابن كثير ٥١٧/٢، زاد المسير ٥٠٧/٣، مختصر ابن كثير ٢١٥/٢، المستدرك ٣٦٦/٢، الطبقات الكبرى ١٢٢/١، الآحاد والمثاني ٤٢/٢، الروض الانف ٢٠٣/١.

٣- التوبة/١١٣.

٤- التوبة/١١٤.

٥- القصص/٥٦.

٦- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٦٥ – ٦٦.

٧- المعجم الاوسط ٣٤٠/٥، مصنف ابن ابي شيبة ٣٢/٣.

المسلم والكافر، وان عليًا وجعفرًا عليهما السلام لم يأخذا من تركته شيئًا.

ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: ان الله قد وعدني بتخفيف عذابه لما صنع في حقي، وانه في ضحضاح من نار[1].

ورووا عنه ايضًا انه قيل: لو استغفرت لامك وابيك، فقال: لو استغفرت لهما لاستغفرت لابي طالب، فانه صنع اليّ ما لم يصنعا، وان عبدالله وآمنة وأبا طالب جمرات من جمرات جهنم.

فأما الذين زعموا انه كان مسلمًا فقد رووا خلاف ذلك، فاسندوا خبر إلى اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لي جبرئيل: ان الله مشفعك في ستة، بطن حملك آمنة بنت وهب، وصلب انزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك ابوطالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهليه، قيل يا رسول الله: وما كان فعله؟ قال: كان سخيًا يطعم الطعام، ويجود بالسؤال، وثدي ارضعك حليمة بنت أبي ذويب[2].

قلت: سأل النقيب يحيى بن ابي زيد رحمه الله عن هذا الخبر، وقد قرأته عليه، هل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أخ من أبيه او من امه او منهما في الجاهلية؟ فقال: لا، انما عنى اخًا له في المودة والصحبه، قلت له: فمن هو؟ قال: لا ادري.

قالوا: وقد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزكية، فوجب بهذا ان يكون آباءهم كلهم

١- تفسير ابن كثير ٦٦١/١، الايمان لابن منده ٨٨٧/٢، التنبيه والرد ١٦٢/١.

٢- شرح نهج البلاغة ٦٦/١٤، شرح الاخبار ٢٢١/٣، البحار ١٥٦/٣٥.

منزهين من الشرك، لانهم لو كانوا عبدة اصنام لما كانوا طاهرين.

قالوا: وأما ما ذكر في القرآن عن ابراهيم وأبيه آذر، وكونه ضالاً مشركًا، فلا يقدح في مذهبنا، لان آذر كان عم ابراهيم، فاما ابوه فتارخ بن ناخور، وسمي العم ابًا كما قال الله تعالى ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾[1]، ثم عدّ فيهم اسماعيل، وهو ليس من آبائه، ولكنه عمه.

قلت: وهذا الاحتجاج عندي ضعيف، لان المراد من قوله عليه السلام نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزكية، تنزيه آباءه وامهاته عن السفاح لا غير، هذا مقتضى سياق الكلام، لان العرب كان يعيب بعضهم بعضًا باختلاط المياه واشتباه الانساب، ونكاح الشبهة، وقولهم لو كانوا عبدة اصنام ما كانوا طاهرين[2].

يقال لهم: لم قلتم لو كانوا عبدة اصنام ما كانوا طاهرين الاصلاب، فانه لا منافاة بين طهارة الاصلاب وعبادة الصنم، ألا ترى انه لو اراد ما زعموه لما جعل الاصلاب والارحام، بل جعل عوضهما العقائد، واعتذارهم عن ابراهيم وأبيه تقدح في قولهم في ابي طالب، لانه لم يكن أبا محمد صلى الله عليه وآله بل كان عمه، فاذا جاز عندهم ان يكون العم، وهو آذر مشركًا كما قد اعترفوه في تأويلهم لم يكن لهم حجة من هذا الوجه على اسلام ابي طالب.

١- البقرة/٣٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٦٧/١٤ – ٦٨.

واحتجّوا في إسلام الآباء بما روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال: يبعث الله تعالى عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الانبياء، وبهاء الملوك[1].

وروى العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينه: يا رسول الله أترجو لأبي طالب؟ قال: ارجو له كل خير من الله عز وجل[2].

وروي ان رجلاً من رجال الشيعة، وهو ابان بن محمود كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام جعلت فداك اني شككت في ايمان ابي طالب، فكتب اليه ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3].

وبعد: انك ان لم تقر بايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[4].

وقد روي عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه سئل عما يقول الناس ان ابا طالب في ضحضاح من نار، فقال: لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان، وايمان هذا الخلق في كفه أخرى لرجح إيمانه[5].

ثم قالوا: ألم تعلموا ان اميرالمؤمنين عليه السلام كان يأمر ان يحج عن عبدالله، وآمنة، وابي طالب في حياته، ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم[6].

١- الكافي ٤٤٧/١، من لا يحضره الفقيه ٨٩/٣، البحار ١٥٧/١٥ و ١٥٦/٣٥ و ٢٠٥/١٠٨، شرح نهج البلاغة ٦٨/١٤.

٢- الغدير ٣٧٣/٧.

٣- النساء/١١٥.

٤- إيمان ابي طالب للمفيد/٤، البحار ١١٠/٣٥.

٥- شرح نهج البلاغة ٦٨/١٤، مناقب اهل البيت للشيرواني/٥٠.

٦- البحار ١٥٧/٣٥.

وقد روي ان ابا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبي ﷺ عام الفتح يقوده، وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه، فقال: أردت يا رسول الله ان يأجره الله، اما والله الذي بعثك بالحق نبيًا، لأنا كنت اشد فرحًا باسلام عمك ابي طالب مني باسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك، فقال: صدقت[1].

وروي ان علي بن الحسين عليهما السلام سئل عن هذا، فقال: واعجبا ان الله تعالى نهى رسوله ان يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلى الاسلام، ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات[2].

ويروي قوم من الزيدية ان ابا طالب اسند المحدثون عنه حديثًا ينتهي إلى ابي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: سمعت ابا طالب يقول بمكة حدثني محمد بن أخي ان ربه بعثه بصلة الرحم، وان يعبده وحده، ولا يعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الامين[3].

وقال: ان قول النبي ﷺ انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، انما عنى به

١- البحار ١٥٧/٣، المعجم الكبير ٤٠/٩، تاريخ دمشق ٣٢٦/٦٦ و ٣٢٧/٦٦، مختصر تاريخ دمشق ٣٨٧١/١، الاصابة في تمييز الصحابة ٢٤٠/٧، وفيه: لانا كنت اشد فرحًا باسلام ابي= =طالب لو كان اسلم مني بأبي. وهذه الزيادة لم توجد الآ عند صاحب الاصابة وبها تنتفي المقابلة بين اسلام ابي قحافة وابي طالب اذ انه غير مسلم حسب نقل صاحب الاصابة وعليه فلا معنى لفرح ابي بكر الشديد. المحقق.

٢- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٦٨ – ٦٩، البحار ١٥٧/٣٥.

٣- البحار ١٥٧/٣٥.

أبا طالب[1].

وقالت الإماميّة: ان ما ترويه العامة من ان عليًا وجعفرًا عليهما السلام لم يأخذا من تركة أبي طالب شيئًا حديث موضوع، ومذهب اهل البيت عليهم السلام بخلاف ذلك، فان المسلم عندهم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم، ولو كان اعلى درجة منه في النسب.

قالوا: وقوله صلى الله عليه وآله: لا توارث بين اهل ملتين، نقول بوجه، لان التوارث تفاعل، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعي الطرفين كالتضارب لا يكون إلاّ من اثنين.

قالوا: وحب رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي طالب معلوم مشهود، ولو كان كافرًا ما جاز له حبه لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2].

قالوا: وقد اشتهر واستفاض الحديث وهو قوله لعقيل: انا احبك حبين، حبًا لك، وحبًا لحب أبي طالب لك، فانه كان يحبّك[3].

قالوا: وخطبة النكاح مشهورة خطبها ابوطالب عند نكاح محمد صلى الله عليه وآله خديجة وهي قوله: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل،

١- البحار ١٥٧/٣٥.

٢- المجادلة/٢٢.

٣- الخصال للصدوق/٧٦، البحار ٧٥/٣٥ و ١١٠/٤٢، كنز العمال ٧٤٠/١١ و ٥٦٢/١٣، تهذيب المقال للابطحي ٥٥/٥، تاريخ دمشق ١٨/٤١، سبل الهدى والرشاد ١١٤/١١.

وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوبًا، وروي محجوجًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم ان محمد بن عبد الله أخي، لا يوازن به فتى من قريش الاّ رجح عليه برًا وفضلاً، وحزمًا وعقلاً، ورأيًا ونبلاً، وان كان في المال قلّ، فان المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما احببتم من الصداق فعليّ، وله والله بعد نبأ شايع، وخطب جليل[1].

قالوا: افتراه يعلم نبأه الشايع، وخطبه الجليل، ثم يعانده ويكذبه، وهو من اولي الالباب، هذا غير سايغ في العقول.

قالوا: وقد روي عن ابي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ان اصحاب الكهف سروا الإيمان، واظهروا الشرك، فأتاهم الله أجرهم مرتين، وان ابا طالب أسر الايمان، وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرتين[2].

وفي الحديث الصحيح المشهور ان جبرئيل قال له ليلة مات ابوطالب: اخرج منها فقد مات ناصرك[3].

قالوا: وأما حديث الضحضاح من النار، فانما يرويه الناس كلهم عن

١- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٦٩ – ٧٠، من لا يحضره الفقيه ٣٩٧/٣، مستدرك الوسائل ٢٠٢/١٤، مكارم الاخلاق/ ٢٠٥، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣٩/١، البحار ٥/١٦، تاريخ ابن خلدون ٥/٢، تاريخ اليعقوبي ٢٠/٢، اعلام الورى ٢٧٤/١.

٢- الوسائل ٢٣١/١٦، البحار ١٥٨/٣٥.

٣- البحار ١٥٨/٣٥ و ٢٦١/٢٢ و ٢٩٣/٣٨ و ١٥١/٤١، الفصول المختارة للمفيد/٢٨٢، ايمان ابي طالب للمفيد/٢٤، الصراط المستقيم ٣٣٦/١، شرح نهج البلاغة ٢٩/١ و ١٢٨/٤ و ٧٠/١٤، اعلام الورى ٢٨٢/١، ينابيع المودة للقندوزي ٤٥٥/١.

رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعلي عليه السلام مشهور معلوم، وقصته وفسقه غير خاف.

قالوا: وقد روي باسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن ابي بكر بن قحافة ان ابا طالب ما مات حتى قال لا إله الاّ الله محمد رسول الله، والخبر المشهور ان ابا طالب قال عند الموت كلامًا خفيًا، فأصغى اليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي، والله لقد قالها عمك، ولكنك ضعف عن أن يبلغك صوته[1].

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: ما مات ابو طالب حتى اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا[2].

قالوا: واشعار ابي طالب تدل على انه كان مسلمًا، و لا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور، اذا تضمنا اقرارًا بالاسلام، ألا ترى ان يهوديًا لو توسط جماعة من المسلمين، وانشد شعرًا قد ارتجله ونظمه، ويتضمن الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله لكنا نحكم باسلامه، كما لو قال اشهد ان محمدًا رسول الله، فمن تلك الاشعار قوله شعرًا:

يرجون منا خطة دون نيلها ... ضراب وطعن بالوشيح المقوّم

يرجون ان نسخى بقتل محمد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدم

كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا ... جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

١- شرح نهج البلاغة ٧١/١٤، البحار ١٥٨/٣٥.

٢- شرح نهج البلاغة ١٤/ ٧٠ – ٧١، خصائص امير المؤمنين للنسائي/٣٨، الغدير ٣٦٩/٧ و ١٦/٨.

وتقطـع ارحـــام و تنـسى حليلـة حليلاً ويغـشى مـحـرم بعـد محـرم

على ما مضى مـن مقـتكم وعقـوقكم وغشيانكم فـي امـركم كــل مـأثم

وظلم نبي جاء يـدعو الـى الهـدى وامر أتى من عند ذي العـرش قـيّم

فـلا تحـسبونا مـسلمين فـمثلـه اذا كـان فـي قـــوم فليس بمـسلم

ومن شعر أبي طالب في امر الصحيفة التي كتبتها قريش في قطيعة بني هاشم قولـه:

ألا ابلغـا عـــني علـــى ذات بينهـا لويًا وخصا من لــؤي بنـي كعـب

ألـم تعلمـوا انــا وجـدنا محـمـــدًا رسولاً كموسى خط في اول الكتـب

وان علـيـــه فــــي العبــاد محبـة ولا حيف فيمن خصـه الله بالحـب

وان الـذي رقـشتموا فــي كتـابكم يكون لكم يومًا كراعيـة الـسـغب

أفيقوا أفيقـوا قـبل ان تحفـر الـربـا ويصبح من لم يجـن ذنبًا كذي ذنـب

ولا تتبعـوا امــــر الغـواة وتقطعـوا اواصـرنــا بعـد الـمــودة والقــرب

وتـستجلبوا حـربـًا عـوانـًا وربمـا امــر علـى مـا فاتـه جلبُ الحــرب

فلـسنا وبيـــت الله نـسلم احمــدًا لغراء مــن عض الزمـان ولا كـرب

ولـمـــا تـبـيــّن مــنكم وسـوالف وابـــداء تــرب بالمهنـدة الـشهب

بمعتـرك ضـنك تـــرى قـصد القنـا به والضباع العرج تعكف كالسرب

كـأن مـجـال الخيـل فـي حجراتـه وغمغمة الابـطـال معركـة الحـرب

ألــيس ابـــونا هاشـم شـــد أزره واوصـى بـنيـه بالطعـان وبالـضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما ينوب من النكب
ولكننا اهل الحفايظ والنهى ... اذا طار أرواح الكماة من الرعب

ومن ذاك أيضًا قوله:

فلا تسفهوا احلامكم في محمد ... ولا تبتغوا امر الغواة الاشائم
تمنيتم ان تقتلوه وانما ... أمانيكم هذي كاحلام نائم
وانكم والله لا تقتلونه ... ولمّا تروا قطف اللحي الجماجم
زعمتم بانا مسلمون محمدًا ... ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضال ابي على الهدى ... تمكّن في الفرعين من آل هاشم
امين حبيب في العباد مسوّم ... بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهانًا عليه وهيبةً ... وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي اتى بالوحي من عند ربه ... ومن قال لا يقرع بها سن نادم

ومن ذلك قوله وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي حين عذبته قريش:

امن تذكر دهر غير مأمون ... اصبحت مكتئبًا تبكي لمحزون
أمن تذكر اقوام ذوي سفه ... يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
ألا ترون أذل الله جمعكم ... انا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يبغي مضيفنا ... بكل مطرد في الكف مسنون

أمر هنات كأن الملح خالطها | نشفي بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجالٌ لا حلوم لها | بعد الصعوبة بالاسماع واللين
او تؤمنوا بكتاب منزل عجب | على نبي كموسى او كذي النون

قالوا: وقد جاء في الخبر أن ابا جهل بن هشام جاء مرة إلى رسول الله ﷺ، وهو ساجد، و بيده حجر يريد أن يرضخ به رأسه، فلصق الحجر بكفه، فلم يستطع ما اراد، فقال ابوطالب في ذلك من جملة أبيات:

افيقوا بني عمنا وانتهوا | عن الغي من بعد ذا المنطق
والاّ فإني اذاً خائف | بوايق في داركم تلتقي
كما ذاق من كان من قبلكم | ثمود وعاد ومن ذا بقي

ومنها قوله:

واعجب من ذاك في امركم | عجايب في الحجر الملصق
بكف الذي قام عن جنبه | الى الصابر الصادق المتقي
فاثبته الله في كفه | على رغمة الخاين الاحمق[1]

وقالوا: وقد اشتهر عن عبد الله بن المأمون انه كان يقول: اسلم والله ابو طالب بقوله شعرًا:

١-الاحتجاج ٣٤٤/١، الغدير ٣٣٦/٧.

نـصرت الرسـول رسـول المليـك ... ببـيض تـلالا كـلمـع البـروق
اذب واحمـي رسـول الالـه ... حمايـة حـام عليـه شـفيق
ومـا ان اذب لاعـدائـه ... ذبيـب البكـاء حـذار الفتيـق
ولكـن اذ يـموت لهـم سـاليًا ... كـمـا زار ليـث بغيـلٍ مـضيق

قالوا: جاء في السيرة، وذكره اكثر المؤرخين ان عمرو بـن العـاص لمـا خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن ابي طالب واصحابه عند النجاشي، قال:

تقـول ابنتـي لآيـن لآيـن الرحيـل ... ومـا الـبين منـي بمـستنكر
فقلـت دعيـني فـاني امـرء ... اريـد النجاشـي فـي جعفـر
لأكويـه عنـده كيـّة ... اقيـم بهـا نخـوة الاصـفر
ولـن انثنـي عـن بنـي هـاشم ... بما استطعت في الغيب والمحضر
وعـن عائـب الـلات فـي قولـه ... ولـو لا رضـى الـلات لـم تمطـر
وانـي سأشنـا قريـشًا لـه ... وان كـان كالـذهب الاحمـر

قالوا: فكان عمرو يسمى الشاني ابن الشاني، لان أباه كان اذا مر عليه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بمكـه يقـول: والله انـي لا شـنأك، وفيـه انـزل ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

قالوا: فكتب ابوطالب إلى النجاشي شعرًا، يحرضه فيه على إكرام جعفر

وأصحابه، والاعراض عما يقوله عمرو، وفيه وفيهم ومن جملته:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر وعمرو اعداء النبي الاقارب
وهل نال احسان النجاشي جعفرًا واصحابه أم عاق ذلك ساهب

في أبيات كثيرة.

قالوا: وروي عن علي عليه السلام انه قال: قال لي ابي: يا بني الزم ابن عمك، فانك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل، ثم قال لي:

ان الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يديكا[1]

قالوا: ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله:

ان عليًا وجعفرًا ثقتي عند ملم الزمان والنوب
لاتخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لامي من بينهم وأبي
والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بنيّ ذو حسب

قالوا: وقد جاءت الرواية ان ابا طالب لما مات جاء علي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فآذنه بموته، فترجّع عظيمًا، وحزن حزنًا شديدًا، ثم قال: امض فتول غسله، فاذا رفعته على سريره فاعلمني، ففعل، فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال له: وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيرًا،

١- البحار ١٢٠/٣٥.

فلقد ربيت وكفلت صغيرًا، وحضرت وآزرت كبيرًا، ثم تبعه إلى حفرته، فوقف عليه فقال: اما والله لاستغفرن لك، ولأشفعن فيك شفاعة تعجب بها الثقلان[1].

قالوا: والمسلم لا يجوز ان يتولى غسل الكافر، ولا يجوز للنبي ان يرق لكافر ولا يدعو له بخير، ولا ان يعده بالاستغفار والشفاعة، وانما تولى علي عليه السلام غسله، لان طالبًا وعقيلاً لم يكونا اسلما بعد، وكان جعفر بالحبشة، ولم يكن صلاة الجنايز شرعت بعد، ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة، وانما كان تشييع ودعاء ورقة.

قالوا: ومن شعر ابي طالب يخاطب به أخاه حمزة وكان يكنى أبا يعلى:

فصبرًا أبا يعلى على دين أحمد	وكن مظهرًا للدين وفقت صابرا
وحط من اتى بالحق من عند ربه	بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرني اذ قلت انك مؤمن	فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشًا بالذي قد اتيته جهادًا	وقل ما كان احمد ساحرا

قالوا: ومن شعره المشهور ايضًا:

أنت النبي محمد	قرم اغر مسود
لمسود ابن اكارم	طابوا وطاب المولد

١- شرح نهج البلاغة ٧٦/١٤، البحار ١٦٣/٣٥.

نعـــم الارومـــة أهلهـــا	عمـــرو الخـــضم الاوحـــد
هـشم الربيكـة فـي الجفـان	وعـــيش مكـــة انكـــد
فجـــرت بـــذلك سنـــة	فيهـــا الخبيـــزة تثـــرد
ولنـــا الـــسقاية للحجـــيج	بهـــا يمـــاث المـــسجد
والمأزمـــان ومـــا حـــوت	عرفاتهـــا والمـــسجد
أنـــى تـــضام ولـــم امـــت	وانـــا الـــشجاع العـــربدُ
وبطـــاح مكـــة لا يـــرى	فيهـــا نجيـــع اســـود
وبنـــوا ابيـــك كـــأنهم	اســـد العـــرين توقـــد
ولقـــد عهـــدتك صـــادقًا	فـــي القـــول لا تتـــردد
مـــا زلـــت تنطـــق بالـــصواب	وانـــت طفـــل امـــرد

قالوا: ومن شعره المشهور قوله يخاطب محمدًا ﷺ، ويسكن جأشه، ويأمره باظهار الدعوة:

لا يمنعنـك مـن حـق تقـوم بـه	أيـد تـصول ولا ملـق بأصـوات
فـان كفـك كفـي ان منيـت بهـم	ودون نفسك نفـسي فـي الملمـات

ومن ذلك قوله أيضًا شعرًا:

قـــد اكـــرم الله النبـــي محمـــدًا	فـاكرم خلـق الله فـي النـاس احمـد
وشـــق لـــه مـــن اســـمه ليجلـــه	فذوا العرش محمـود وهـذا محمـد

وقوله أيضًا: ويروى لعلي عليه السلام:

يـا شـاهـد الله عليّ فاشهـد   انـي عـلـى ديـن النبي احمـد

مـن ضـل فـي الـدين فـاني مهتـدي

قـالوا: فكـل هـذه الاشـعار قـد جـاءت مجـيء التـواتر، لانـه ان لـم يكـن آحادها متواترًا فمجموعها يدل على امر واحـد مـشترك، وهـو تـصديق محمـد صلى الله عليه وآله، ومجموعها متواتر كمـا ان كـل واحـد مـن قـتلات علـي عليه السلام الفرسـان منقولة آحادًا، اما مجموعها متواتر يفيدنا العلـم الـضروري لـشجاعته، وكـذلك فيما روي من سخاء حاتم، وحلم الاحنف ومعاوية، وذكاء إياس، وخلاعة أبي نواس، وغير ذلك.

قالوا: واتركوا هذا كله جانبًا، ما قولكم في القصيدة اللامية التـي شـهرتها شهرة ﴿قفا نبك﴾، وان جاز الشك فيها او في شيء من ابياتهـا، جـاز الـشك فـي ﴿قفا نبك﴾ او في بعض ابياتها، ونحن نذكر منها هاهنا قولـه:

اعوذ بـرب البيـت مـن كـل طـاعن   علينـــا بـــسوء او يلـــوح بباطـــل

ومـــن فـــاجر يغتابنـــا بمغيبـــة   ومن ملحق في الـدين مـا لـم يحـاول

كـــذبتم وبيـــت الله نبـــزي محمـــدًا   ولمـــا نطـــاعن دونـــه ونناضـــل

ونـنـــصره حتـــى نـــصرع دونـــه   ونـــذهل عـــن ابنائنـــا والحلائـــل

وحتى يرى ذو الروع يركـب روعـه   من الطعن فعـل الانكـب المتحايـل

ويـنـهض قـوم فـي الحديـد الـيكم   فخوض الروايا من طريـق حلاحـل

بكـل فتـى مثـل الـشهاب سـميدع | اخـي ثقـة عنـد الحفيظـة باسـل
وأمـا وبيـت الله ان جـد جـدنا | لتلتبـسن اسـيافنا بالاماثـل
ومـا تـرك قـومٍ لا أبًـا لـك سـيدًا | يحـوط الـذمار غيـر نكـس مواثـل
وابـيض يستـسقى الغمـام بوجهـه | ثمـال اليتـامى عـصمة للارامـل
تلـوذ بـه الهـلاك مـن آل هاشـم | وهـم عنـده فـي نعمـة وفواضـل
وميـزان صـدق لا يخـيس شـعيرة | ووزان صـدق وزنـه غيـر مايـل
ألـم تعلمـوا ان ابننـا لا مكـذب | لـدينا ولا يعبـأ بقـول الاباطـل
لعمـري لقـد كلفـت وجـدًا باحمـد | واحببتـه حـب الحـسيب المواصـل
وجـدت بنفـسي دونـه وحميتـه | ودافعـت عنـه بالـذرى والكواهـل
فمـا زال للـدنيا جمـالاً لاهلهـا | وشينًا لمـن عـادى وزيـن المحافـل
وأيـده رب العبـاد بنـصره | واظهـر دينًـا حقـه غيـر باطـل

وروي في السير والمغازي ان عتبة وربيعة او شيبة لما قطع رجل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر، اشبل علي عليه السلام وحمزة فاستنقذاه منه، وخبطا عتبة بسيفهما حتى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش، فالقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وان مخ ساقيه ليسيل، فقالوا: يا رسول الله لو ان ابا طالب حيًا لعلم انه قد صدق في قوله:

كـذبتم وبيـت الله نخلـي محـمدًا | ولـما نطـاعن دونـه و نناضـل
وننـصره حتـى نـصرع حولـه | ونـذهل عـن ابنائنـا والحلائـل

فيقال: ان رسول الله ﷺ استغفر له[1].

وبلغ عبيدة مع النبي ﷺ الصفراء فمات ودفن بها.

قالوا: وقد روي ان اعرابيًا جاء رسول الله ﷺ في عام جدب، فقال: اتيناك يا رسول الله و لم يبق لنا صبي يرضع، ولا شارف تجتر، ثم انشد:

اتيناك والعذراء تدمى لبانها ... وقد شغلت ام الرضيع عن الطفل

والقى بكفيه الفتى باستكانة ... من الجوع حتى ما يمر ولا يجلي

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز المقلي

وليس لنا الاّ اليك فرارنا ... واين فرار الناس الاّ إلى الرسل

فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمدالله واثنى عليه وقال: اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا هنيئًا، سحًا سجالاً، غدقًا طبقًا، دائمًا درًا، يحيي به الارض، وينبت به الزرع، ويدر صبه الضرع، واجعله سقيًا نافعًا، عاجلاً غير آجل، رأيت فوا الله ما ردّ رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى القت السماء اروافها، وجاء الناس يضجون الغرق الغرق يا رسول الله، فقال: اللهم حوالينا لا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالاكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: رحم الله ابا طالب لو كان حيًا لقرت عينه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله لعلك اردت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

١- شرح نهج البلاغة ٨٠/١٤، البحار ١٦٦/٣٥.

قال: أجل، فانشده ابياتًا من هذه القصيدة، ورسول الله ﷺ يستغفر لابي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة فأنشده:

لـك الحمـد والحمـد مـن شـكره	سـقينا بوجـه النبـي المطـر
دعـا الله خالقـه دعـوة	اليـه واشـخص منـه البـصر
فمـا كـان الاّ كمـا سـاعة	أو أقـصر حتـى رأينـا الـدرر
وفـاق الغزالـى وجـم البعـاق	اغـاث بـه الله عليـا مـضر
فكـان كمـا قـال عمـه	ابـو طالـب ذو رداء خـزر
بـه يـسر الله صـوب الغمـام	فهـذا العيـان وذاك الخبـر
فمـن يـشكر الله يلقـى المزيـد	ومـن يكفـر الله يلقـى الغيـر

فقال رسول الله ﷺ: ان يكن شاعر احسن فقد أحسنت[1].

قالوا: وانما لم يظهر ابوطالب الاسلام ويجاهر به، لانه لو اظهره لم يتهيأ من نصرة النبي ﷺ ما تهيأ له، وكان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه نحو أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ممن اسلم، ولم يتمكن من نصرته والقيام دونه حينئذ، وانما تمكن ابوطالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش وان ابطن الاسلام، كما لو ان انسانًا كان يبطن التشيّع، وهو في

١- شرح نهج البلاغة ٨٠/١٤، البحار ١٦٧/٣٥، دلائل النبوة للاصبهاني ١٨٤/١، الاحاديث الطوال ٢٤٢/١ – ٢٤٣، الدعاء ٥٩٧/١، الكامل في الضعفاء ٤٠٩/٣، التمهيد ٦٤/٢٢، التمهيد ٦٦/٢٢، بدائع الصنائع ٦٣١/١، البداية والنهاية ٩٠/٦.

بلد من بلاد الكرامية، وله في ذلك البلد وجاهة وقدم، وهو يظهر مذهب الكرامية، ويحفظ ناموسه بينهم بذلك، وكان له في ذلك البلد نفر يسير من الشيعة لا يزالون ينالون بالضرر والاذي من اهل ذلك البلد ورؤساءه، فانه ما دام قادر على اظهار مذهب اهل البلد يكون اشد تمكنًا من المدافعة والمحاماة عن اولئك النفر، فلو اظهر ما يحوز من التشيع، وكاشف اهل البلد بذلك، صار حكمه حكم واحد من اولئك النفر، ولحقه من الاذى والضرر ما يلحقهم، ولا يتمكن من الدفاع احيانًا عنهم كما كان أوّلاً.

قلت: فاما أنا فان الحال عندي ملتبسة والاخبار متعارضة، والله اعلم بحقيقه حاله كيف كانت، ويقف في صدري رسالة النفس الزكية إلى المنصور وقوله فيها: فانا ابن خير الاخيار، وانا ابن سيد اهل الجنة، وانا ابن سيد اهل النار.

فان هذه شهادة منه على ابي طالب بالكفر، وهو ابنه، وغير متهم عليه، وعهده قريب من عهد النبي ﷺ لم يطل الزمان، فيكون الخبر مفتعلاً، وجملة الامر انه قد روي في اسلامه اخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه اخبار كثيرة، فيتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البينتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف، وانا في امره من المتوقفين، واما الصلاة وكونه لم ينقل عنه فيجوز، لان الصلاة لم تكن بعد فرضت، وانما كانت نفلاً غير واجب، فمن شاء صلى ومن شاء ترك، ولم تفرض إلاّ بالمدينة، ويمكن ان يقول اصحاب الحديث اذا تعارض الجرح والتعديل كما قد اشرتم اليه،

فالترجيح عند اصحاب اصول الفقه لجانب الجرح، لان الجارح قد اطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل، ولخصومهم ان يجيبوا عن هذا فيقولوا هذا انما يقال ويذكر في اصول الفقه في طعن معضل في مقابلة تعديل مجمل، مثاله ان يروي شعبة حديثًا عن رجل فهو بروايته عنه قد وثقه، ويكفي في توثيقه له ان يكون مستور الحال عنده، ظاهر العدالة، فيطعن فيه الدارقطني مثلاً بان يقول كان مدلسًا او كان يرتكب الدين الفلاني، فيكون قد طعن طعنًا مفصلاً في مقابلة تعديل مجمل، وفيما نحن بصدده الروايتان متعارضتان تفصيلاً لا اجمالاً، لان هؤلاء يروون انه تلفظ بكلمة الشهادة عند الموت، وهؤلاء لا يروون انه قال عند الموت انا على دين الاشياخ، وبمثل هذا يجاب من قال من الشيعة روايتنا في اسلامه ارجح، لانا نروي حكمًا ايجابيًا ونشهد على اثبات، وخصومنا يشهدون على النفي، ولا شهادة على النفي، وذلك ان الشهادتين في الجانبين معًا انما هي اثبات ولكنه اثبات متضاد.

وصنف بعض الطالبين في هذا العصر كتابًا في اسلام ابي طالب وبعثه اليّ، وسألني ان اكتب عليه بخطي نظمًا او نثرًا، اشهد فيه بصحة ذلك وبوثاقة الادلة، فتحرجت ان احكم بذلك حكمًا قاطعًا لما عندي من التوقف فيه، ولم استجز ان اقعد عن تعظيم ابي طالب، فاني اعلم انه لولاه لما قامت للاسلام دعامة، واعلم ان حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى ان تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر الجلد هذه الابيات:

لولا ابوطالب وابنه ... لما مثل الدين شخصًا فقاما

فذاك بمكة آوى وحاما | وهذا بيثرب حس الحماما
تكفل عبد مناف بامر | واردي فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعدما | قضى ما قضاه وابقى تماما
فلله فاتحًا للهدى | ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد ابي طالب | جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إياب الصباح | من ظن ضوء النهار ظلاما

فوفيته حقه من التعظيم والاجلال، ولم اجزم بأمر عندي فيه وقفة، انتهى[1].

أقول: انظر إلى ما ينسجه على نفسه هذا الضال المتحير المبهوت، كنسج العنكبوت الذي فيه بعد تمام نسجها تموت، بقوله تفسير قوله عليه السلام فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، واعترافه بانه اشارة في الباطن إلى من تقدم عليه، ومراده انه دليل على تفضيله عليه السلام على اولئك كما يدعيه ويصول به على اهل السنة من الاشعرية وجمهور المعتزلة، ولكنه يبطل ما يصعق به في غير موضع، مما تقدم من كلامه بان تقدمهم عليه مع كونه هو الافضل والاولى، انما هو لرعاية مصلحة الإسلام بل صدّر بذلك خطبة كتابه كما عرفت، وخالف هو واصحابه المعقول والمنقول في قولهم بتقديم المفضول لما هنالك، وانه عليه السلام قد علم بتلك المصلحة وانكشف له وجهها،

١- شرح نهج البلاغة ٨٤/١٤.

فسلم لهم واطاع، وصار لهم باختياره من جملة الاتباع، ولو صح ما ادعوه من هذه الدعاوي الباطلة، فأي موضع للعجب في هذا المقام، وكيف ساغ من هذا الضال بعد اعترافه بتكذيب من قرن به غيره، أي جعله امامًا دونه مع انه ليس من تلك الاسباب التي ذكرها سبب يمت به ان يقول بصحة امامة غيره، ويهدر في سابق هذه المقالة بصحة الاختيار، ويستدل به على صحة امامة الأئمة الأبرار.

أما توقفه في اسلام ابي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ وارضاه بعد ما شرحه هنا وقدم قبله مثله مما سيأتي نقله، فهو دليل على ضلاله التام وتعصبه على ذلك الامام عليه السلام الذي يتمدح بتفضيله بين الانام، وبيان ذلك من وجوه:

احدها: ما علم من احوال علمائهم ومحدثيهم في الصدر الاول من الانحراف عن اهل البيت عليهم السلام، والميل عليهم والبغض لهم، وقد اعترف بذلك في شرح قوله عليه السلام اما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم، فذكر ثمة فصلاً طويلاً، قد قدمنا نقله في الجزء الثالث، قد نقل فيه بغض جل الصحابه له عليه السلام، وجملة قريش، واكثر التابعين من علمائهم والمحدثين، ورواة اخبارهم، وتقدم في الجزء العاشر اعترافه بما احدث في الدولة الاموية من احاديث الزور والبهتان في مناقب الخلفاء، ومثالب اميرالمؤمنين عليه السلام، وأنها قد روتها المحدثون وتديّن بها الصالحون، لاعتقادهم صحتها، وقد بلغ الامر إلى ان رووا في حقه عليه السلام مع ان مناقبه قد طبقت الخافقين، وفضائله قد ملأت الملوين ان

رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حقه: ان آل ابي طالب ليسوا لي باولياء، الخبر[1].

وانه عليه السلام خطب ابنة ابي جهل حتى شكاه رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر.

ونقل هذين الخبرين الناصب البخاري ومثله مسلم في صحيحهما[2]، وقد اعترف هذا الضال بكذبهما، وكذلك اعترف بكذب جملة من أحاديث البخاري كما تقدم التنبيه عليه، وقد اعترف ايضًا في الجزء العاشر بكذب جملة من الاحاديث التي رويت في مناقب ابي بكر، وامثال ذلك مما اوضحناه فيما تقدم، فاذا كانت هذه حال محدثيهم ونقلة اخبارهم وصحابتهم في بغض اهل البيت عليهم السلام، وعدم تحاشيهم من نقل الاكاذيب والزور والبهتان، فكيف تقوم الحجة عنده بهذه الاخبار، ولا سيما اذا عارضها ما هو اوضح منها سندًا واكثر عددًا، واصرح دلالة من تلك الاخبار التي ذكرها والاشعار التي نقلها التي هي في الظهور كالنور على الطور.

وثانيها: توجّه الطعن إلى ما ذكره من الادلة زيادة على ما ذكرناه اولاً، فاما الحديث الأوّل فيه:

أوّلاً: ان اضطرابهم واختلافهم في نقله دليل على انحلال زمامهم، واختلال نظامهم، وانه مصنوع موضوع، فيتخرص كل منهم فيما يريده ويهواه، وينقله ما يوافق طبعه، وقد قرروا في اصولهم ان اضطراب الحديث من جملة

١- صحيح مسلم ١٩٧/١، تا ريخ دمشق ١٠٩/٤٦، كنز العمال ٣٥٨/٣، كشف الخفاء ١٩/١، مقدمة فتح الباري ٣٢٩، وقد ورد في جميعها ان آل أبي فلان ليسوا لي باولياء الأ في مقدمة فتح الباري فقد جاء فيها: قال ابو بكر بن العربي: المراد آل أبي طالب.

٢- صحيح مسلم ١٩٠٢/٤، صحيح البخاري ١١٣٢/٣ و ١٣٦٤/٣.

الاسباب الموجبة لرده.

وثانيًا: انه معارض بما هو أصح منه سندًا، او اكثر عددًا، واصرح دلالة.

وأمّا الآية الاولى، وهي قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1]، ففي الاستدلال بها:

أوّلاً: ان الذي نقله شيخنا الطبرسي قُدِّسَ سِرُّهُ في كتاب مجمع البيان عن تفسير الحسن الذي هو احد علمائهم المعتمدين ان السبب في نزول الآية هو ان المسلمين قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ألا تستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية، فانزل الله سبحانه هذه الآية[2].

ونقل ابن شهراشوب في كتاب متشابه القرآن، عن الحسين بن المفضل انه آخر ما نزل من القرآن هذه الآية.

وهي حينئذ لا ينطبق على ما ذكروه، ولا ترجيح لما نقلوه من التفسير على ما نقلناه، بل الترجيح معنا بما ذكر من الآثار والاخبار والاشعار المستفيضه المتكاثرة.

وثانيًا: ان روايتهم المنقولة على ما في تفسير البيضاوي انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال لابي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ لما حضرته الوفاة: قل كلمة احاج لك بها عند

١- التوبة/١١٣.

٢- مجمع البيان ١٣٢/٥، تفسيرا لطبري٤٨٧/٦، مختصر ابن كثير ٢١٥/٢، تفسير مجاهد ٢٨٧/١.

الله، فأبى، قال: لا ازال استغفر لك ما لم انْه عنك فنزلت الآية[1].

وهذه الرواية ظاهرة البهتان، منهدمة البنيان، متداعية الاركان، اما اولاً: فان قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه لا ازال استغفر لك مع علمه بموته على الكفر، وان كان الكافر مصيره إلى النار وغير مستحق للمغفرة منه سبحانه رد عليه تعالى، وخلاف له، وهذا مما ينزه عنه سائر المؤمنين فضلاً عن ذلك الرسول المقرب الامين.

وأما ثانيًا: فان هذا مما يوجب كون ارادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه على خلاف ارادته تعالى، لان الله تعالى يريد عذابه لكفره، والرسول يريد عدمه لكونه عمه، وهذا انما يتمشى على قواعد الاشعرية لا قواعد العدليه الذين يزعم الشارح انه منهم هو واصحابه.

وأما ثالثًا: فان هذا مخالف لقوله سبحانه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2]، وقوله عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[3]، وقوله سبحانه ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[4]، ولا ريب أن ما خالف كتاب الله الواضح البيان فهو كذب وبهتان.

وأمّا رابعًا: فان الراوي لهذه الرواية على ما ذكره في كتاب مجالس

١- تفسير البيضاوي ١/١٧٥.

٢- المجادلة/٢٢.

٣- الممتحنة/١٣.

٤- الممتحنة/١.

المؤمنين نقلاً عن تفسير النيشابوري، سعيد بن المسيب، وبغضه وعداوته لاهل البيت عليهم السلام ظاهر كما اعترف به الشارح، وذكروه في جملة اعدائهم ومبغضيهم عليهم السلام في شرح قوله اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم إلى آخره، وحديث تخلفه عن الصلاة على علي بن الحسين عليهما السلام منقول من طريق العامة والخاصة.

وثالثًا: اختلاف رواياتهم في تفسير الآية وتعددها، فنقل في الكشاف بعد الرواية المذكورة رواية اخرى، وهي انه لما فتح صلى الله عليه وآله مكة زار امه ثم قام مستعبرًا، ثم قال: اني استأذنت ربي في زيارة امي فاذن لي، واستأذنته في الاستغفار، فلم يأذن لي، فنزلت[1].

قال: وهذا أصحّ، لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة[2].

وعلى هذا يسقط الاستدلال بالآية رأسًا، وهو موافق لما تقدم في الوجه الاول، ثم نقل انه قيل استغفر لابيه، ثم نزولها في استغفار المؤمنين لآبائهم المشركين، ثم نقل عن الحسن انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ان فلانًا ليستغفر لآبائه

١- أقول: وفي اقبح تعصبات السنة النصاب اعترافهم على صاحب الكشاف بانه في الجايز ان النبي صلى الله عليه وآله كان يستغفر له على سبيل الاستمرار إلى ان نزلت الآية في المدينة ولايخفى وهنه وضعفه فانه اذا كان الاستغفار للكفار غير جائز شرعًا فتقرير رسوله عليه هذه المدة غير جايز لانهم وان جوزوا الخطأ على الانبياء لكنهم لم يجوزوا تقريره سبحانه لهم على ذلك بل اوجبوا عليه سبحانه بعد حصول ذلك منهم تنبيههم وردعهم عنه فكيف يجوزون تقريره صلى الله عليه وآله على هذا الخطأ مدة عشر سنين ﴿منه﴾.

٢- تفسير الكشاف ٥٠٦/١.

المشركين، فقال: ونحن نستغفر لهم، فنزلت[1].

وحينئذ فلا يتم إلى الاستناد إلى تلك الرواية التي زعموا بها تفسير الآية، والاعتماد عليها لقيام الاحتمال الموجب البطلان الاستدلال، كما تقرر في محله، وفي هذه الرواية التي رووها ايضًا في حق امه آمنة ﴿رضي الله عنها﴾ ما عرفت في سابقتها من وجوه الطعن الدال على الكذب والبهتان، كما لا يخفى على ذوي الإيمان.

وقد روى مسلم في صحيحه هذه الرواية عن بريدة بدون هذه الزيادة، وهي ان النبي ﷺ أتى إلى رسم قبر وجلس وجلس الناس معه حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ثم بكى، فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: هذا قبر آمنة بنت وهب، وقد استأذنت ربي في زيارة قبر امي فأذن، فزوروا موتاكم يذكركم الموت[2].

ولولا علمه ﷺ بايمانها لما زارها، ولا بكى عند قبرها، بل كان الواجب عليه بمقتضى الآيات المتقدمة البعد عنها والتبري منها.

وفي رواية اخرى ايضًا عن بريده بعد قوله فأذن لي فادركتني الرقة فبكيت، قال: فما رأيت ساعة اكثر باكيًا من تلك الساعة، وليس فيها تلك الزيادة أيضًا[3].

١- تفسير الكشاف ٥٠٦/١.

٢- بعد مطالعة صحيح مسلم لم نر هذه الرواية ولكن المصنف قد نقلها من صحيح مسلم الموجود عنده، ولعل يد التحريف والتزوير وإخفاء الحقائق نالتها، ولا قوة إلاّ بالله.

٣- البداية والنهاية ٣٤٠/٢.

وأمّا الآية الثانية، وهي قوله سبحانه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] فالذي رووه فيها على ما نقله الطبرسي رحمه الله في كتاب مجمع البيان هو ان النبي صلى الله عليه وآله كان يحب إسلام عمه أبي طالب فنزلت هذه الآية، وكان يكره اسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[2]، فلم يسلّم ابوطالب واسلم وحشي، رووا ذلك عن ابن عباس[3].

وفي هذه الرواية: أولاً: ما تقدم من مخالفة قواعد العدلية الذين هذا الشارح واصحابه منهم بزعمهم، فانه لا خلاف بين العدلية في انه تجب ان تكون ارادة النبي صلى الله عليه وآله موافقة لارادة الله تعالى، ولا يجوز ان تخالفه في إرادته، كما لا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه، واذا كان الله تعالى على ما زعموا قد اراد كفر ابي طالب واسلام وحشي، فكيف يجوز منه صلى الله عليه وآله ان يريد خلافه، وكيف يجوز من هذا الضال الخروج عن قاعدة مذهبه في الاستدلال بهاتين الآيتين على ما زعموه في تفسيرهما من الروايتين، أتراه عمى بصر بصيرته عن النظر فيما ذكرناه، والتأمل فيما سطرناه.

وثانيًا: ما قدمنا من الآيات الدالة على النهي عن محبة من عادى الله سبحانه، ونقل في الكتاب ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدًا وصدقوه تفلحوا وترشدوا، فقال النبي: صلى الله عليه وآله: يا عم تأمرهم بالنصيحة

١- القصص/٥٦.

٢- الزمر/٥٣.

٣- تفسير مجمع البيان ٤٤٨/٧.

لانفسهم وتدعها لنفسك، قال: ما تريد يابن أخي؟ قال: اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من أيام الدنيا ان تقول لا إله الاّ الله اشهد لك بها عند الله، قال: يا ابن اخي اني اعلم انك لصادق، ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت، ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة وسبة بعدي لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق، لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكن سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف[1].

أقول: وهذا الخبر اذا تأملته بعين التحقيق فهو لنا لا علينا، لانا ننازع في كون ابي طالب كان مظهر الكفر تقية، وباطنه على دين الاسلام، وظاهر هذا الخبر كما ترى ينادي بالتقية على اهل بيته بعده من اظهار كلمة الاسلام، وموته على ملة آبائه موافقًا لما ندعيه من اسلامه باطنًا، فان آبائه عندنا مسلمون لا كفار، وعليه وافقنا جملة من محققي المخالفين كالشيخ جلال الدين السيوطي على ما نقله عنه في كتاب مجالس المؤمنين، ونقل عنه الاستدلال على ذلك بما ورد في تفسير ابن جرير بسنده عن ابن عباس ان المراد بقوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[2]، ان رضاه ﷺ ألا يدخل احد من اهل بيته النار، وعبد الله وآمنة وعبد المطلب ومن ارتفع منهم من اهل بيته لا يدخلون النار.

وحينئذ فموت أبي طالب على دينهم دليل على اسلامه، وايضًا فانه

١- البحار ١٥٥/٣٥، تفسير النسفي ٢٤١/١، تفسير الكشاف ٩٣٧/١.

٢- الضحى/٥.

بمقتضى هذه الرواية يحكم باسلام ابي طالب لكونه من اهل بيته، ولا معنى لكونه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يرضى بدخولهم الجنة، ولا يرضى بدخولهم النار مع الموت على الكفر، فان هذا باطل عقلاً ونقلاً، وانما هو باعتبار اسلامهم وعدم المؤاخذة بما وقع منهم عن الذنوب.

وثالثًا: انه نقل في الكشاف بعد نقل الرواية المذكورة قال: وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك اكلنا العرب بذلك، وانما نحن اكلة رأس[1].

أقول: وهذا هو الذي يساعده ما بعد هذه الآية من قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾[2].

وحينئذ فلا يتم الاستدلال لقيام هذا الاحتمال في المجال المؤيد بما ذكرناه.

ورابعًا: انا لو سلمنا نزول الآية في أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ لكان لنا ان نحملها على وجه صحيح ينطبق على المطلوب والمراد، ولا يتغشاه النقض والإيراد، وهو ما ذكره بعض اصحابنا ﴿رضوان الله عليهم﴾ من الايمان والهداية كما كان بيده سبحانه كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[3].

١- تفسير الكشاف ٩٣٧/١.

٢- القصص/٥٧.

٣- يونس/٩٩.

وقوله ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[1]، فالله سبحانه اخبر نبيه ﷺ ان هداية ابي طالب قد سبقت دعوتك له، فان هدايته سبحانه له كانت قبل دعوة نبيه بخلاف دعوة سائر الخلق، وانت لا تهدي من احببت ولكن الله سبحانه هو الذي هداه ووفقه للاسلام، وفي هذا اوضح دلالة على فضل ايمانه ﴿رضي الله عنه﴾ حيث انه من الله عز وجل، وهو معنى صحيح تنطبق عليه الآية.

ويؤيد ذلك بما ذكره الثقة الجليل علي بن ابراهيم القمي في تفسيره في الآية المذكورة، قال: قال: نزلت في ابي طالب، كان رسول الله ﷺ يقول: يا عم قل لا إله الاّ الله انفعك بها يوم القيامة، فيقول: يابن اخي انا اعلم بنفسي، فلما مات شهد العباس بن عبد المطلب عند رسول الله ﷺ انه تكلم بها عند الموت، فقال رسول الله ﷺ: اما انا فلم اسمعها منه، وارجو ان انفعه يوم القيامة[2].

أقول: وهذا حديث الموت الذي نقله القوم فزيّدوا فيه ونقصوا، وحجلوا حوله ورقصوا، فما بين من رواه بما تقدم في كلام الشارح، وما بين من رواه كما نقله القاضي البيضاوي في تفسير الآية المذكورة ان ابا طالب ﴿رضي الله عنه﴾ قال: يا ابن اخي قد علمت انك صادق، ولكني اكره ان يقال جزع عند

١- السجدة/١٣.

٢- تفسير القمي ١٤٢/٢، وفيه: وارجو ان تنفعه يوم القيامة.

الموت[1]، وما بين من رواه كما قدمنا نقله عن الكشاف.

فانظر إلى ما في وقع هذا الخبر من العجب العجاب الذي لا يخفى على ذوي الالباب، غاية ما يدل عليه الخبر على اختلاف هذه الروايات هو انه ﷺ اراد تلقينه كلمة الشهادة عند الاحتضار، كما هو السنة الجارية في جميع المؤمنين، والمأثور عن الائمة المعصومين، بل وغيرهم من المخالفين، وهو ﴿رضي الله عنه﴾ لما كان على ثقة من نفسه، وكان في مدة حياته مظهر للتقية، لم يستطع ان يجهر بها، وتكلم بها خفيًا عند الاحتضار، كما اخبر به عنه العباس في جملة من الاخبار كما تقدم ويأتي، وبذلك يزول الاشكال في هذا المجال، كما لا يخفى على ذوي الاكمال.

وأما الرواية المتضمنة بأن عليًا عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ بعد موت ابي طالب فقال: ان عمك الضال قد قضى، فهي معارضة بالرواية التي نقلها بعد من امره ﷺ عليًا عليه السلام بغسله وتوجعه وحزنه ﷺ، وقوله عند رؤية جنازته ما قال.

وفي دلائل النبوة، وتاريخ بغداد[2]، وتفسير الثعلبي انه ﷺ قال عند وفاته ﴿رضي الله عنه﴾: وصلتك رحم، وجزيت خيرًا، كفلتني صغيرًا، وحفظتني كبيرًا، فجزيت عني خيرًا، ثم اقبل على الناس، فقال: اما والله لاشفعن

١- تفسير البيضاوي ٢٩٨/١.

٢- تاريخ بغداد ١٩٦/١٣.

لعمي شفاعة يعجب لها الثقلان[1].

والترجيح لروايتنا بما ذكرناه وبما نقله من الاخبار والاشعار.

وأما الاحتجاج بانه لم ينقل عنه احد انه رآه يصلي فقد اجاب عنه، فلا يبقى لاعتماده عليه، وتوقفه لاجله مجال.

وأما الاحتجاج بان عليًا وجعفرًا عليهما السلام لم يأخذا من تركته شيئًا، فقد نقل الجواب عنه من طرق الامامية وتجاوزه ولم يعترضه بشيء كما هي عادته فيما لم يرتضه من الاجوبة، وحينئذ فلا يبقى له اعتماد على هذا الوجه ولا توقف لاجله.

وأما حديث الضحضاح من نار، فقد نقل ايضًا الجواب عنه، وحمل عليه، فلا يبقى له تعلق به ولا رجوع اليه، وسيأتي ان شاء الله تعالى في كلامه ما يزيده تأييدًا.

وأما حديث الجمرات فسترى ما فيه، فهذا حال اكثر أدلته التي توقف من اجلها، قد عرفت ما فيها، توقفه اما ناش عن العمى او من التعامي عن التأمل فيها بما يوجب صحتها او بطلانها، وستعرف ما في الباقي ان شاء الله تعالى.

وثالثها: ما اعترض به على الاستدلال بقوله صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزكية، من ان المراد تنزيه آبائه واجداده عن السفاح لا غير ففيه:

أولاً: ان شهادته صلى الله عليه وآله لهم بالطهارة شامل باطلاقه للامرين، فان الطهارة

١- تفسير ابن كثير ٥١٧/٢.

لغة هي النزاهة، والمراد نزاهة آبائه وامهاته من الشرك والزنا معًا، لا ريب ان الله سبحانه قد اخبر عن المشركين انهم نجس، وبذلك استدل العلماء على نجاسة الكفار، والنجس خلاف الطاهر، والتخصيص يحتاج إلى دليل، وليس فليس.

وثانيًا: قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1]، نقل الفاضل الجليل محمد بن علي بن شهراشوب في كتاب متشابهات القرآن، عن الثعلبي، والواحدي، وابن بطة في كتبهم، عن عطا، وعكرمة، عن ابن عباس قال: يعني يديرك من اصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى اخرجك في هذه الامة، وما زال ينقلب في اصلاب الانبياء والصالحين حتى ولدته امه.[2]

وثالثًا: ان قوله ان العرب كانت تعيب بعضها بعضًا، انه مردود بما تقدم من كلام الكلبي النسابة في نسب عمر من انهم يتفاخرون بمن يتفق في نسبه اختلاط المياه، بان يصير ابوه عمه، وخاله، وجده، ونحو ذلك، ويجعلونه دالاً على النجابة في المولد، وما تقدم ايضًا في كلام جملة من علمائهم من ان اولاد الزنا نجب، كما في معاوية، وعمرو بن العاص، لقوة الشهوة من الزنا.

ورابعًا: ان قوله ألا ترى انه لو اراد بما ذكروه لما ذكر الاصلاب والارحام، وفيه انه اراد ما هو اعم من الامرين بحيث يكون كل منهما داخل

١- الشعراء/٢١٨-٢١٩.

٢- ينابيع المودة ٦٢/١، تفسير القرطبي ١٣٠/١٣، الدر المنثور ٣٣٢/٦، زاد المسير ١٤٨/٦، مختصر ابن كثير ٨٧٨/٢، معاني القرآن ١٠٧/٥، ادلة معتقد ابي حنيفة ١٠٩/١، اعلام النبوة ٢٣٣/١، الشريعة ٤٣٤/١، المعجم الكبير ٣٦٢/١١، مجمع الزوائد ١٩٨/٧و ٣٩٥/٨، ارواء الغليل ٣٣٢/٦، الطبقات الكبر ٢٤/١، تاريخ دمشق ٤٠١/٣ و ٤٠٢/٣، البداية والنهاية ٢٥٦/٢، الشفا ١٧١/١، سيرة ابن كثير ١٨٩/١.

في البين، وتخصيص الاصلاب والارحام بالذكر لكون مخرج النطفة التي منها خلقوا ﴿صلوات الله عليهم﴾ الاول ومقرها في الثاني، فكنى عن الآباء والامهات بهذين اللفظين نظرًا إلى جميع ما ذكرنا من المعنيين، ولا معنى لجعل العقايد موضع اللفظين، بل لو قال نقلنا من الآباء الطاهرين إلى الامهات الطاهرات، لكان الاظهر فيه الطهارة من نجاسة الكفر، فانه هو المتبادر من اللفظ عند اطلاقه، ولكن لما اراد دخول ذلك المعنى، وشمول اللفظ له عبر عن لفظي الآباء والامهات بذينك اللفظين، ويؤيده ورود الخبر برواية اخرى كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى، نقلنا من اصلاب الطاهرين إلى ارحام الطاهرات[1]، وفي خبر آخر ايضًا من اصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات[2]، فجعل الطهاره وصفًا للرجال والنساء دون الاصلاب والارحام، وهو ظاهر فيما قلناه.

وخامسًا: ان قوله واعتذارهم عن ابوهم وأبيه يقدح في قولهم في ابي طالب، ففيه ان لفظ الخبر كما نقله ليس خاصًا به ﷺ، بل هو بلفظ الجمع، ومراده هو نزاهة اهل بيته الذين شرفهم الله، وافضلهم ابن عمه عليه السلام، فالحجة لهم واضحة واعلامها لائحة، ويؤيد ذلك ما تقدم روايته في المقدمة من حديث ابن المغازلي الشافعي في المناقب، ومثله ابن شيرويه في الفردوس من

١- روح المعاني ١٩٥/٧، ادلة معتقد ابي حنيفة ١١٠/١ و ١١٤/١.

٢- اوائل المقالات للمفيد/٤٦، تصحيح اعتقادات الامامية للمفيد/١٣٩، البحار ١١٧/١٥، مجمع البيان ٩٠/٤ و ٤٢٦/٦، تفسير الصافي ١٣١/٢، تأويل الآيات ٣٩٩/١.

قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كنت انا وعلي نورًا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر الف عام، فلما خلق آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، ففيّ النبوة، وفي علي الخلافة[1].

ورواه ابن المغازلي من طريق آخر أيضًا عن جابر بن عبد الله عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقال في آخره: حتى قسمنا جزئين، فجعل جزءاً في صلب عبد الله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فاخرجني نبيًا، وأخرج عليًا وصيًا[2].

وليتأمل العاقل المنصف أيجوز أن يكون هذا النور الشريف، والعنصر المنيف الذي قد خصّه الله تعالى منه بمزيد التعظيم والتشريف، وخلقه قبل خلق آدم بهذه المدة المذكورة أن ينقله من ظهور الانبياء نبيًا بعد نبي، ويجعله في ظهور أعدائه المشركين النجسين الرجسين فيما بين اولئك الأنبياء إلى ظهوره في عالم الوجود، ما أجهل هؤلاء العامة العوام الذين هم أضل من الأنعام، وما أعماهم عن المعرفة بقدر هذا النبي والامام عليهما وعلى ذريتهما أفضل الصلاة منه سبحانه والسلام، ولا غرو لو قالوا ما قالوه في هذا المقام، فقد نسبوه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أخبارهم التي قدمنا نقلها في المقصد الثالث من المقدمة إلى ما هو أشد وأعظم من الخطايا والآثام.

ورابعها: قوله بعد نقل كلام الطرفين قلت: فاما أنا فان الحال عندي

١- مناقب ابن المغازلي/١٤٥ مع اختلاف يسير.

٢- مناقب ابن المغازلي/١٤٦، وقريب من هذه الرواية ذكرها لسان الميزان ٢٢٩/٢، تاريخ دمشق ٦٧/٤٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٣٧٧/١.

ملتبسة والأخبار متعارضة.

وفيه أولاً: أنه لم يبق بمقتضى ما نقله من طرف القائلين بالاسلام، وابطالهم لبعض أدلة القائلين بالكفر عن أدلة القائلين بالكفر الاّ ماارووه في تفسير الآيتين المذكورتين في سبب نزولهما، وأنهما في أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ وحديث الجمرات، والاّ فغيرهما قد نقل اجوبتها وجمد عليها ولم يعترضها، وهو مؤذن بصحتها عنده كما هو المعروف من عادته وإلاّ لأعترضها وردها، وحينئذ فهل تبلغ تلك الأدلة الباقية قوة المعارضة عند منصف لهذه الأخبار والاشعار التي نقلها حتى يوجب ذلك التوقف عنده في المقام، ولاريب ان من جملة نقلة تلك الأخبار مثل أمير المؤمنين عليه السلام، وعلي بن الحسين، وابنه الباقر، والصادق، والرضا عليهم السلام، فهل في رواة تلك الأخبار من يقابل واحدًا من هؤلاء فضلاً عن جميعهم مع أنه يروي في أمير المؤمنين عليه السلام أنه مع الحق والحق معه، فكيف يتجه توقفه والحال هذه، هب أن الأخبار من أمير المؤمنين عليه السلام قد تعارضت باعتبار ما نقلوه عنه، وزوروه على لسانه، أليس أخبار باقي أولاده الذين قد انكر امامتهم فلا يمكنه انكار فضلهم ورجحانهم من سواهم، لاتفاق المخالف والمؤالف على ذلك، كما لايخفى من طالع كتب القوم، وما صنفوه، ودوّنوه في فضائلهم ومناقبهم، أو ان عنده أخبار أخر ترجح على ما نقله عنهم، فالواجب عليه ذكرها ونقلها، لأنه في مقام تحقيق هذه المسألة، أو ان هذه الأخبار لم تثبت عنده عنهم عليهم السلام، فالواجب الاعراض عن نقلها أو الطعن فيها بذلك.

وثانيًا: ان ما تمسك به من رسالة النفس الزكية إلى المنصور فهل يبلغ قوة المعارض لخبر واحد من أخبار هؤلاء الأئمة الابرار، وهل يقول عاقل أن شهادة النفس الزكية على أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ بالكفر مقبولة، ويرد شهادة ابنه أمير المؤمنين عليه السلام، وأيما أقرب عهد أمير المؤمنين عليه السلام بأبيه أو عهد النفس الزكية، وكذلك باقي الأئمة المذكورين، وهل يبلغ النفس الزكية في مقام الترجيح إلى أحد هؤلاء عليهم السلام، وهل يبلغ كلام النفس الزكية في الصراحة والدلالة على المطلوب إلى ما دلت عليه أخبارهم عليهم السلام، وأنه من المحتمل قريبًا ان صح الخبر ان هذا الخبر من النفس الزكية انما خرج مخرج المجارات والمماشاة مع المنصور حيث انه يعتقد كفر أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ فخاطبه بذلك الزامًا له بمعتقده، ومجاراة له، ولا مجال لانكار هذا الاحتمال كما لايخفى على ذوي الكمال، ما هذه الاّ ترهات ردية، وضلالات شيطانية.

وثالثًا: فان اخبار الاسلام مروية كما عرفت وتعرف من الجانبين، ومتفق عليها بين الطرفين، وأخبار الكفر مما اختص بروايتها أحد الخصمين، ولاريب في رجحان المتفق عليه مضافًا إلى ما عرفت من قيام احتمال الكذب في تلك الأخبار والبهتان، كما عرفت فيما جرى لهم في غير موضع ومكان، هذا وقد صرح الشارح نفسه في موضع من شرحه هذا بعد نقل الأقوال والأختلاف في قبر أمير المؤمنين عليه السلام واختياره هو انّ هذا القبر المشهور في الغري بالاستدلال على ذلك بما نقل عن الائمة عليهم السلام من زيارتهم له.

قال: وأولاده أعرف بقبر أبيهم من كل أحد[1]، وهذا بعينه لازم له في هذا المقام حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

وخامسها: انه من العجب من هذا الذي يتمدح بالانصاف والعدل، ويعد نفسه من جملة أهل العلم والفضل أنه بعد اعترافه بهلاك طلحة والزبير وعايشة بواقعة الجمل يعتذر لهم بالتوبة بمجرد تلك الأدلة التي قد عرفت في غير موضع أنها لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، والفسق عنده أمر مقطوع به لا ريب فيه، وفي مثل هذا المقام كيف يكابر بعد نقل هذه الأخبار والأشعار الصريحة في الاسلام عند جملة الأنام، ولا ريب انّ هذه الأدلة في اسلام أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ أكثر عددًا، وأوضح سندًا، واصرح دلالة، وان ما عارض تلك أقوى وأشد في المعارضة، وهوالحرب المتفق عليه الموجب لفسقهم عنده، وما عارض هذه ليس الاّ تلك الأخبار التي نقلها مما هو قابل للاحتمال ان سلمنا صحته كما عرفت مع ضعفه عن مقاومة ما قابله، ويتوقف هنا في ايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ الذي هو من هذه الأخبار والاشعار كالنور على الطور، ومثل ذلك مجادلته في عثمان مع اعترافه بمظالمه التي طبقت المشارق والمغارب حتى قادت له الحتوف والنوائب، ولكنه يعتذر كما قدمنا نقله عنه بأنها مقصورة له بحديث العشرة المبشرة الذي عرفت فيما قدمنا ما فيه من الايرادات المنتشرة، وانه من أهل بيعة الشجرة التي لا حاصل لها ولا ثمرة، وانه من أهل بدر المغفور لهم مع أنه لم يحضر، وقد بينا ما في خبره من الطعن

١- شرح نهج البلاغة ١٦/١.

الظاهر، فهو يقول بامامته، ويدين الله تعالى بولايته مع اعترافه بظلمه وجوره، وتعديه الحدود الشرعية تسترًا بهذه الخرافات التي ذكرناها، أوليس هذه الأخبار والاشعار المتفق عليها بين العامة والخاصة الصريحة الدلالة كما سمعت هنا تجري مجرى تلك الأدلة الباردة والتمحلات الشاردة، مع انّ الخطب في تلك أعظم، والخطر أشد حيث أنها امامة دينية، فلا بد فيها من الادلة اليقينية.

وأما هنا فلا، إذ هو حكم بايمان شخص، فلو فرضنا خطأه فيه، فانه لا يلحقه وزر ولا اثم.

وسادسها: ما نقله صاحب الطرايف خصه الله تعالى منه بسنايا اللطايف عن القوم من الأخبار والاشعار زيادة على ما تقدم.

قال قدس سره: من ذلك ماروه في كتاب اخبار أبي عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد الطبري اللغوي، عن أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب، عن ابن الاعرابي ما هذا لفظه: أخبرنا ثعلب، عن الاعرابي قال: العور الرداء من كل شيء، والوعر الموضع المخيف الموحش، قال ابن الاعرابي من العور، خبّر ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] قال علي عليه السلام، وقال ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾[2] وكان النبي صلى الله عليه وآله يربيه، وعبق من شيمته، وخلقه وكرمه ما اطاق، فقال لي: يا علي قد أمرت أن انذر عشيرتي

١- الشعراء/٢١٤.

٢- أقول قوله وقال ابن عباس جملة معترضة. ﴿منه﴾.

الأقربين، فاصنع لي طعامًا، واطبخ لي لحمًا، قال علي عليه السلام: فعددتهم فكانوا أربعين رجلاً قال: وصنعت الطعام طعامًا يكفي لاثنين أو ثلاثة.

قال: فقال لي المصطفى صلى الله عليه وآله: هاته، قال: فأخذ شيظة من اللحم فشظاها بأسنانه وجعلها في الجفنة، قال: وأعددت لهم عسًا من لبن، قال: ومضيت إلى القوم فاعلمتهم أنه قد دعاهم لطعام وشراب، قال: فدخلوا وأكلوا ولم يستتموا نصف الطعام حتى بصغوا.

قال: ولعهدي بالواحد منهم يأكل مثل ذلك الطعام وحده، قال: ثم أتيت باللبن، قال: فشربوا حتى بصغوا، قال: ولعهدي بالواحد منهم وحده ليشرب مثل ذلك اللبن، قال: وما بلغوا نصف العس، قال: ثم قام، فلما أراد أن يتكلّم اعترض عليه أبو لهب، فقال: لهذا دعوتنا ثم اتبع كلامه بكلمة، ثم قال: قوموا، فقاموا وانصرفوا، قال: فلما كان من الغد قال لي: ياعلي اصلح لي مثل ذلك الطعام والشراب، قال: فأصلحته ومضيت اليهم برسالته، قال: فاقبلوا اليه، فلما أكلوا وشربوا قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلّم فاعترضه أبو لهب، فقال له أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾: اسكت يا اعور ما انت وهذا، قال: ثم قال أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾: لا يقومنّ أحد، قال: فجلسوا، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله: قم ياسيدي فتكلّم بما تحب، وبلّغ رسالة ربك، فانك الصادق المصدق.

قال: فقال صلى الله عليه وآله: أرأيتم لو قلت لكم ان وراء هذا الجبل جيشًا يريد ان يغير عليكم أكنتم تصدقوني؟

قال: فقال كلهم: نعم، انك لأنت الأمين الصادق.

قال: فقال لهم: فوحدوا الله الجبار، واعبدوه وحده بالأخلاص، واخلعوا هذه الانداد والانجاس، واقروا واشهدوا أني رسوله اليكم والى الخلق، فاني قد جئتكم بعز الدنيا والآخرة.

قال: فقاموا وانصرفوا كلهم[1].

ومن ذلك مارواه الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾[2]، عن عبد الله بن عباس قال: اجتمعت قريش إلى أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ وقالوا: يا أبا طالب سلّم الينا محمدًا، فانه قد افسد أدياننا وسب آلهتنا، وهذه أبنائنا بين يديك تبن بأيهم شئت، ثم دعوا بعمارة ابن الوليد وكان مستحسنًا، فقال لهم: هل رأيتم ناقة حنت إلى غير فصيلها لا كان ذلك أبدًا، ثم نهض عنهم فدخل على النبي ﷺ فرآه كئيبًا، وقد علم مقالة قريش، فقال ﴿رضي الله عنه﴾: يا محمد لاتحزن، ثم قال:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بداك منك عيونا

ودعوتني وذكرت انك ناصحي ... ولقد نصحت وكنت قبل أمينا

وذكرت دينًا قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا

وروى الثعلبي أنه قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب

١- البحار ١٤٤/٣٥، الطرايف/٢٩٩.

٢- الأنعام/٢٦.

﴿رضي الله عنه﴾ مقاتل، وعبيد الله بن عباس، والقاسم بن محضرة، وعطاء بن دينار[1].

أقول: ونقل هذا الخبر الطبري في تاريخه باسناده، وفيه أنه لما جاؤوه بعمارة بن الوليد وقالوا له ماقالوه، قال لهم: ما انصفتموني، تعطوني ابنكم فاغذوه، وأعطيكم ابني فتقتلونه، بل فليأت كل امرء منكم بولده فاقتله ثم قال ﴿رضي الله عنه﴾ شعرًا:

منعنا الرسول رسول المليك   ببيض تلالا كلمع البروق[2]

الأبيات المتقدّمة، وسيأتي مثل ذلك عن الواقدي.

ثمّ قال في الطرائف: ومن ذلك مارواه باسناده في كتاب اسمه نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول رجل من علمائهم حنبلي المذهب اسمه ابراهيم بن على بن محمد الدينوري يرفعه إلى الحسين بن علي بن عبد الله الأزدي الفقيه، قال: حدثنا محمد بن صالح، قال: حدثني أبي، عن عبدالكريم الجزري، وقال الحسن بن علي المذكور، وحدثنا أيضًا عبد الله بن عمر الرقي، عن عبد الكريم الجزري، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة يقول فيه: ان النبي ﷺ قال للعباس ﴿رضي الله عنه﴾: ان الله قد أمرني باظهار امري وقد أنبأني واستنبأني فما

١- الطرايف/٣٠١.

٢- تاريخ الطبري ٢/٦٧.

عندك؟ فقال له العباس ﴿رضي الله عنه﴾: يا ابن أخي تعلم ان قريشًا اشد الناس حسدًا لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة العظمى، والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحدة، ينسفونا نسفًا صليًا، ولكن قرب إلى عمك أبي طالب، فانه أكبر اعمامك أن ينصرك ولا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه، فلما رآهما أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ قال: ان لكما لظنة وخيرًا، ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ﴿رضي الله عنه﴾ ما قال له النبيﷺ، وما أجابه به، فنظر اليه أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ وقال: اخرج يا ابن أخي فانك الرفيع كعبًا، والمنيع حزبًا، والأعلى أبًا، والله لا يسلقك لسان إلاّ سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب ذل البهم لصاحبها، ولقد كان أبى يقرأ الكتاب جميعًا، ولقد قال من صلبي أنبياء، ولوددت أني ادركت ذلك الزمان فآمنت به، ومن ادركه من ولدي فليؤمن به، ثم ذكر صفة النبي ﷺ للرسالة عقيب كلام أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، وصورة شهادته، وقد صلّى وحده، وجاءت خديجة فصلّت معه، وجاء علي فصلّى معه[1].

وزاد الزمخشري في كتاب آخر بيتًا رواه عن أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ بعد البيت الأخير:

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحًا بذاك معينا[2]

١- الطرايف/٣٠٢.

٢- الطرائف/٣٠٣.

أقول: لينظر الناظر في صراحة هذا الخبر، ودلالته على المطلوب على الوجه المحبوب.

ثم قال السيد قدس سره في الكتاب المذكور: ومن ذلك ماذكره الحنبلي صاحب الكتاب المذكور، ثم ساق قدس سره أخبارًا كثيرة، واشعارًا منيرة في هذا المعنى يطول بنقلها الكلام، من اراد فليرجع إلى الكتاب المذكور، إلى أن قال: ومن عجيب ما بلغت مبالغه العصبية على أبي طالب من اعداء أهل البيت عليهم السلام أنهم زعموا أن المراد بقوله تعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] أنها في أبي طالب[2].

وقد ذكر أبو المجد بن رشادة الواعظ الواسطي في مصنفه كتاب اسباب نزول القرآن ما هذا لفظه قال: قال الحسن بن الفضل في قوله عزّ وجل ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3] كيف يقال: أنها نزلت في أبي طالب، وهذه السورة من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة، وأبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ مات في عنفوان الاسلام، والنبي صلى الله عليه وآله بمكة، وانما هذه الآية نزلت في الحارث بن عثمان بن عبد مناف، وكان النبي صلى الله عليه وآله يحب اسلامه، فقال يومًا للنبي صلى الله عليه وآله: انا لنعلم انك على الحق، وان الذي جئت به حق، ولكن يمنعنا من اتباعك ان العرب تخطفنا من أرضنا لكثرتهم وقلتنا، ولا طاقة لنا بهم، فنزلت الآية، وكان النبي

١- القصص/٥٦.

٢- الطرائف/٣٠٣ وما بعدها.

٣- القصص/٥٦.

ﷺ يؤثر اسلامه بميله اليه[1].

قال عبد المحمود: فكيف استجاز احد من المسلمين العارفين مع هذه الروايات ومضمون هذه الأبيات أن ينكروا ايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، وقد تقدمت رواياتهم بوصية أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ لولده بملازمة النبي ﷺ وقوله: انه لايدعو إلاّ إلى خير، وقول النبي ﷺ: جزاك الله ياعم خيرًا، وقوله: لو كان حيًا قرت عيناه، ولو لم يعلم ان أبا طالب مات مؤمنًا ما دعا له، ولا كانت تقر عينه بنبيهم، ولو لم يكن إلاّ شهادة عترة نبيهم ﷺ بالايمان له لوجب تصديقهم، كما شهد نبيهم أنهم لا يفارقون الكتاب.

ولاريب ان العترة اعرف بباطن أبي طالب من الأجانب، وشيعة أهل البيت مجمعون على ذلك، ولهم فيه مصنفات، ولا رأينا ولا سمعنا ان مسلمًا أجرموا فيه مثل ما اجرموا في ايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، والذي نعرفه منهم أنهم يثبتون ايمان الكافر بأدنى سبب وأدنى خبر واحد وبالتلويح، فقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى انكار ايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب، ان هذا من جملة العجائب، انتهى كلامه علت في الخلد أقدامه[2].

أقول: ومن الادلة على ايمانه ﴿رضي الله عنه﴾ اجماع أهل البيت عليهم السلام

١- أقول: وهذا موافق لما تقدم نقله عن الكشاف من ان الآية انما نزلت في الرجل المذكور دون ابى طالب فلا يتم الاستناد في ذلك اليها. ﴿منه﴾.

٢- الطرايف/٣٠٦.

على ذلك كما هو معلوم عند المخالف والمؤالف، واجماعهم حجة لآية التطهير النازلة في شأنهم، وحديث الثقلين، وحديث السفينة الآمرين بالتمسك بهم والاتباع لهم، وامثالهما مما تقدم في المقدمة.

ومنها أيضًا قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1] قسم بلام التوكيد، ولا خلاف في نصرة أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ لهذا الدين بين المحبين والمعاندين.

ولاريب ان الله تعالى انما ينصر المؤمنين لقوله سبحانه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ومن الظاهر البيّن عند كل عاقل ان أبا طالب ﴿رضي الله عنه﴾ لم يوفق لهذا التوفيق الذي لا وجد ولا يوجد مثله الاّ بعد التوفيق للايمان، فان هذا الدين المستمر إلى يوم القيامة، وما هو عليه من الفضيلة والشرف على جملة الأديان، انما قام به، ولولاه لم تثبت له قائمة، وهذا النبي الذي هو اشرف الأنبياء، انما تمت كلمته واستقامت دعوته به ﴿رضي الله عنه﴾، فكيف يجامع جميع ذلك الشرك والكفر بالله، هذا كله مع قطع النظر عن هذه الأخبار والأشعار المنقولة في هذا المضمار، ولكن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3].

١- الحج/٤٠.

٢- الروم/٤٧.

٣- القصص/٥٦.

تأكيد أكيد

أقول: وقد نقل هذا الشارح الضال قبيل ما نقلناه عنه في هذا المجال في ذكر اجلاب قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله ما يؤكد ضلاله وغوايته، قال: فأما الكلام في الفصل الأول فنذكر منه ما ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازى، فانه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرخين، ومصنفه شيخ الناس كلهم.

قال محمد بن اسحاق: لم يسبق عليًا عليه السلام إلى الايمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحد من الناس، اللهم الاّ أن يكون خديجة، قال: وكان صلى الله عليه وآله يخرج ومعه علي عليه السلام مستخفيًا عن الناس، فيصليان الصلاة في بعض شعاب مكة، فاذا امسيا رجعا، فمكثا بذلك ماشاء الله لا ثالث لهما، ثم ان ابا طالب عثر عليهما يومًا يصليان، فقال لمحمد صلى الله عليه وآله: يابن أخي ما هذا الذي تفعله؟ فقال: أي عم هذا دين الله، ودين ملائكته ورسله، ودين أبينا ابراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، واحق من أجابني اليه، واعانني عليه، قال: فقال أبو طالب: اني لا أستطيع يا ابن أخي ان أفارق ديني ودين آبائي، وما كانوا عليه ولكن والله لايخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت، فزعموا انه قال لعلي عليه السلام: أي بني ما هذا الذي تصنع؟ فقال: يا أبتاه آمنت بالله ورسوله، وصدقته فيما جاء به، وصلّيت اليه، واتبعت قول نبيه، فزعموا أنه قال له: إنه لن يدعوك أو أنه لن يدعوك إلاّ إلى خير فالزمه[1].

١- شرح نهج البلاغة ١٩٩/١٣ و ٥٢/١٤، مناقب ابن شهرآشوب ٣٠١/١، العمدة لابن البطريق/٦٤، ذخائر العقبى/٦٠.

أقول: لايخفى مافي قول هذا الضال فزعموا في هذين الموضعين من التحامل على سيد الحرمين، وبغضه الظاهر رأي العين، فانهم لايقبلون أخبار الشيعة ولا أخبارهم اذا تضمنت الرد لما يهوونه والشنيعة، فان عجز الخبر لما كان ظاهرًا في الرد عليهم نسبه إلى الزعم الذي هو مطية الكذب.

ثم نقل عن محمد بن اسحاق أيضًا مجيء قريش إلى أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ وشكاياتهم اليه من الرسول ﷺ، انه يسفه أحلامهم ويسب آلهتهم، قال: فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له، ولم تطب نفسه باسلام ابن أخيه اليهم ولا خذلانه، فبعث اليه فقال: يا ابن أخي ان قومك جاؤني فقالوا: اليّ كذا وكذا، فأبقي عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا اطيقه، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا له فيه بدًا، وأنه خاذله ومسلمه، وانه قد ضعف عن نصرته، والقيام دونه، فقال: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك، ثم استعبر باكيًا وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب أقبل يا ابن أخي، فاقبل راجعًا، فقال له: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا[1].

قال ابن اسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما اجتمعت عليه قريش من حربه لما قام بنصرة النبي ﷺ، والله لن يصلوا اليك بجمعهم، الأبيات المتقدمة، وزاد في آخرها بيتًا آخر وهو قوله:

١- ابو طالب حامي الرسول/٥٤.

لـولا الملامـة او حـذاري سـبة لوجـدتني سـمحًا بـذاك أمينـا

أقـول: لا يخفـى علـى مـن تأمـل الأخبـار الـواردة فـي حـال أبـي طالـب ﴿رضي الله عنه﴾ مع النبي ﷺ، وما كان يخاطبه به، ويشافهه بـه مـن الكـلام في تلك الأيام الملموءة بتلك المصائب العظام، ان صدر هذا الخبر ومـا تـضمنه من ان أبا طالب طلب منه الكف عن الدعوة، وخاطبه بمثل هذا الخطاب الـذي كسر خاطره، غير صحيح، كما لا يخفى على المتأمل، وقد نقل هذه القصة غير واحد من أصحاب الأخبار، ولم ينقل هذه الكيفية، وكـذا البيـت الأخيـر الـذي ذكرناه هنا، لم أجده إلاّ في كلامه، وإلاّ فقد نقل غير واحد هذه الأبيات، ولـم ينقله في جملتها وحيث كان محل شبهة الخصم فنقول في الجواب عنه:

انه من المحتمل قريبًا ان قولـه ﷺ عنه ذلك خـرج مخـرج المخادعـة لقومه حيث أنه يظهر لهم أنه على ديـنهم، وأبياتـه هـذه وأمثالهـا صـريحة كمـا ترى في الايمان كما هو ظاهر غني عن البيان، فاستدرك ذلك بهذا البيت ليعلم القوم أنه باق على دينهم، وليتمكن من غرضه في نصرة النبي ﷺ، ثـم سـاق كلامه إلى أن قال: ومن شعر أبي طالب يذكر فيه رسول الله ﷺ وقيامه دونه شعرًا:

ارقــت وقــد تــصوبت النجــوم وبــت ولا تــسالمك الهمــوم

لظلــم عــشيرة ظلمــوا وعقــوا وغــب عقــوقهم لهــم وخــيم

هـم انتهكـوا المحـارم مـن أخـيهم وكــل فعــالهم دنــس ذمــيم

وراموا خطة جورًا وظلمًا وبعض القول ذو جنف مليم
ليخرج هاشم فيكون منها بلا قطع ابن مكة والحطيم
فمهلاً قومنا لا تركبونا بمظلمة لها خطب جسيم
فيندم بعضكم ويذل بعض وليس بمفلح ابدًا ظلوم
أرادوا قتل احمد زاعميه وليس بقتله منهم زعيم
ودون محمد منا ندي هم العرنين والعضو الصميم

ومن ذلك قوله أيضًا:

وقالوا لاحمد أنت أمرء خلوق الحديث ضعيف السّبب
وان كان احمد قد جاءهم بصدق ولم يأتهم بالكذب
فانا ومن حج من راكب وكعبة مكة ذات الحجب
تنالون أحمد او تصطلوا ظباة الرماح وحد القضب
وتقترفوا بين أبياتكم صدور العوالي وخيلاً سرب
تراهن من بين صافي السبب قصير الحزام طويل اللبب
عليها صناديد من هاشم هم الانجبون مع المنتجب

وروى عبد الله بن مسعود قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من قتلى بدر وامر بطرحهم في القليب، جعل يتذكر من شعر أبي طالب بيتًا فلا يحضره، فقال له أبو بكر لعله قوله: يا رسول الله:

وانـا لعمـر الله ان جـدّ جـدّنا ... لتلتبـسن اسيافنـا بالامـاثل

فسر بظفره بالبيت، وقال: أي لعمر الله لقد التبست[1].

أقول: وهذا من الأبيات التي تقدمت في كلام الشارح من أدلة القائلين باسلام أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ أولها:

أعوذ برب البيت من كل طاعن

ثم قال: ومن شعر أبي طالب قوله:

ألا ابلغـا عنـي لويًـا رسـالة ... بحـق ومـا تغنـي رسـالة مرسـل

بنـي عمنـا الادنيين فيما يخصهم ... واخواننا مـن عبـد شـمس ونوفـل

اظـاهرتم قومًـا علينـا سـفاهة ... وامـر غـوي مـن غـواة وجهـل

يقولـون لـو انـا قتلنـا محمـدًا ... اقـرت نواصـي هاشـم بالتـذلل

كذبتم ورب الهدي تدمى نحوره ... بمكـة والبيـت العتيـق المقبـل

تنالونـه أو تـصطلوا دون نيلـه ... صوارم تفري كـل عظـم ومفـصل

فمهلاً ولما تنتج الحرب بكرها ... بجـل تمـام أو بـآخر معجـل

وتلقـوا ربيـع الابطحـين محمـدًا ... على ربوة في رأس عنقاء عيطل

ويـأوي اليهـا هاشـمًا ان هاشـمًا ... عـرانين كعبًـا آخـر بعـد أول

فـان كنـتم ترجـون قتـل محمـد ... فرومـوا بمـا جمعـتم نقـل يـذبل

١- شرح نهج البلاغة ٦٢/١٤.

فانـا سـنحميه بكـل طميـرة   وذي بيعة تهدي المراكيل عكل
وكـل رديـنـي صـما كعوبـه   وعضب كايماض الغمامة مفصل

ثم قال الشارح: قلت: كان صديقنا علي بن يحيى البطريق يقول: لولا خاصة النبوة وسرّها لما كان مثل أبي طالب، وهو شيخ قريش ورئيسها، وذو سنها، وذو شرفها يمدح ابن أخيه محمداً، وهو شاب قد ربى في حجره، وهو يتيم ومكفول له، وجار مجرى اولاده بمثل قوله:

وتلقوا ربيع الابطحين محمداً   على ربوة فى رأس عنقاء عيطل
ويأوي اليه هاشماً ان هاشماً   عرانين كعب آخر بعد أول

ومثل قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم   وهم عنده فى نعمة وفواضل

فإن هذا الاسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والداني من الناس، وانما هو من مديح الملوك والعُظماء، فاذا تصورت انه شعر أبي طالب، ذلك الشيخ المبجل المعظم في محمد ﷺ، وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاماً وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة وأمرها، فان أمره كان

عظيمًا، وان الله تعالى أوقع في القلوب والانفس له منزلة رفيعة، ومكانًا جليلاً[1].

أقول: لايخفى ان ما نقله هنا عن ابن البطريق واضح الحجية عليه، وان عدل به عن سواء الطريق، وذلك ان خاصية النبوة وسرها انما يظهر عند من عرف محلها وقدرها، وشاهد شمسها وبدرها، وغير حلوها ومرها، والاّ فلم لا ظهرت هذه الخاصية عند غيره من اكابر قريش الذين تنكد منهم بدعوته العيش، وقابلوه بالطيش والعداوة والاذى والمحن والبلاء، مع معرفتهم باطنًا لصحة نبوته، وانما حملتهم العزة بالاثم، والحسد عن اجابة دعوته، فلولا ان أبا طالب ﴿رضي الله عنه﴾ كان عالمًا بتلك الدعوة، ونبوة ذلك النبي ﷺ قبل ظهوره، ومصدق بها كما تنادي به اشعاره، وتدل عليه آثاره، لما مدحه بهذا المدح الذي اعترف بانه لا يمدح به الاّ الملوك والعظماء، ومن أعجب العجاب من هؤلاء الغواة النصاب، التائهين في جملة أحوالهم في تيه الضلالة والارتياب، أنهم ينقلون عن أبي بكر وعمر ان الحامل لهم على الاسلام ما عرفوه من علماء أهل الكتاب واخبارهم من نبوة هذا النبي، وظهور دينه على الأديان، فكيف يهتدي إلى ذلك مثل أبي بكر وعمر في خمولهما ورذالتيهما ورذالة اصليهما، ولا يهتدي اليه أبو طالب، و هو الشيخ المشار اليه من بين أكابر قريش، المطلع على العلوم، وكل مخزون منها ومكتوم، مع ما رأى من الدلالات والآيات البينات في مولده ﷺ كما رووها في كتبهم، وقبله وبعده، وسمعه من الأخبار والرهبان في مدة تلك الأزمان، ومع ذلك يعظمه هذا

١- شرح نهج البلاغة ٦٣/١٤ وما بعدها، العمدة لابن البطريق/٢٨.

التعظيم والتبجيل، ولا يدخل في دينه ولا يقر بنبوته، ما هذا الاّ عمى محض عن الحق الواضح.

تذييل فيه تكميل

قد وقفت على كتاب لبعض أصحابنا ﴿رضوان الله عليهم﴾ صنفه في اثبات ايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، وهو السيد فخار بن معد الموسوى، والظاهر أنه هو الكتاب الذى اشار اليه الشارح في آخر كلامه بقوله وصنف بعض الطالبين في هذا العصر كتابًا في اسلام أبي طالب وبعثه اليّ اخوه، فان السيد فخار بن معد كان معاصرًا للشارح كما يدل عليه ما نقله عنه في صدر الكتاب في ترجمة السيد الرضي من حكاية رؤيا شيخنا المفيد لفاطمة الزهراء عليها السلام وأنها أتت اليه بالحسن والحسين عليهما السلام وقالت: علمهما العلم، فأتت اليه في صبيحة تلك الليلة فاطمة بنت الناصر في لمة من عبيدها وحشمها، وبيدها ولداها المرتضى والرضي، وسألته أن يعلمهما العلم، فان الشارح روى هذه الحكاية عن السيد فخار المذكور.

وبالجملة فالامر عندي بقرب من الجزم بكونه هو وجميع ما نقله الشارح من أدلة القائلين باسلام أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، واجوبتهم عن بعض ادلة الخصم، فهو كله من هذه الرسالة، كما ستقف عليه ان شاء الله، ومن ذلك يظهر لك مزيد تعصب هذا الضال على الضلال، بزعمه التوقف في المسألة مع ما

ستحيط به خبرًا بعد الوقوف على ما تضمنه الكتاب المشار اليه، وجله بروايات القوم، ونقل رجالهم وحيث كانت نسخته عزيزة الوجود مع تضمنه من الادلة والاخبار، ما لم يسمع الدهر بمثله ويجود، أوجبت على نفسي نقله بادنى تلخيص، وان طال به زمام الكلام، فانه من أهم المهام في المقام، واقرب القرب إلى الملك العلام، واهل البيت ﴿عليهم الصلاة والسلام﴾، وربما اقتضى سياق الكلام ان اردفه مني ببعض المقال، واصدره بقولي أقول ليظهر انفصاله عن كلامه رحمه الله في ذلك المجال.

قال ﴿قدس الله سره وبحضيرة القدس سره﴾ بعد الخطبة وبعد: فإني رأيت جماعة من المنتمين إلى الاسلام، المنتحلين للايمان يثبتون أبا طالب بن عبد المطلب بن هاشم ﴿تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه﴾ في حيز الكافرين، ويعدونه في عداد الجاحدين مع ما يروون من اشعاره الشاهدة بصحة اسلامه، وما يروون من أخباره المؤذنة بايمانه بغضًا منهم لولده أمير المؤمنين عليه السلام، وحسدًا لفارس المسلمين حيث كان لا تكسر عوده العواجم، ولا تقرع صفاته المراجم، شعرًا:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله	فالقوم اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها	حسدًا وبغيًا انه لذميم

حتى أنهم يقطعون على عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وآمنة بنت وهب بن زهرة بن كلاب ابوي رسول الله صلى الله عليه وآله بالكفر، ويرمونهما بالشرك

تشييدًا لمقالتهم، ومراعاة لشبهتهم، ثم كذلك يقولون في شيخ البطحاء، وسيد مضر الحراء عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ، وكل منهم قد دلت الادلة الصريحة على إسلامه، وشهدت الروايات الصحيحة بصحة ايمانه.

من ذلك ما أخبرني به شيخنا السعيد أبي عبد الله محمد بن ادريس ﴿رضي الله عنه﴾ في شهر ربيع سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، قال: أخبرني الشريف أبو الحسن علي بن ابراهيم العلوي العريضي، عن الحسين بن طحال المقدادي، عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي، عن والده الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ﴿رحمهما الله﴾ عن رجاله، عن الحسن بن جمهور العمي البصري، عن أبيه، عن عبد الرحمن الاصم، عن مسمع كردين، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: هبط عليّ جبرئيل عليه السلام فقال لي: يا محمد ان الله عزّ وجل شفعك في ستة، بطن حملك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، قيل: يا رسول الله وما كان فعله؟ قال: كان سخيًا يطعم الطعام، ويجود بالسؤال، وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذويب[1].

ومن ذلك ما اخبرني به الشيخ أبو عبد الله بهذا الاسناد إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله، عن رجاله يرفعونه إلى ادريس، وعلي

١- البحار ٣٥/١٠٨، الانوار العلية للنقدي/١٥.

بن اسباط جميعًا قالا: ان أبا عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وآله اني حرمت النار على صلب انزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، وأهل بيت آووك، فعبد الله بن عبد المطلب الصلب الذي أخرجه، والبطن الذي حمله آمنة بنت وهب، والحجر الذي كفله فاطمة بنت اسد، واما اهل البيت الذي آووه فأبو طالب[1].

ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ أبو الفضل بن الحسين الحلي الأحدب رحمه الله قراءة عليه سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، قال: أخبرني الشريف أبو القاسم محمد بن محمد بن الجعفري العلوي الحسيني الحائري سنة احدى وسبعين وخمسمائة، قال: أخبرني الشريف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد بن العلوي الحسيني، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن، قال: حدثني والدي أبو نصر أحمد بن شهريار، عن أبي الحسن محمد بن شاذان، عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، قال: حدثنا أبو علي، قال: حدثنا الحسين بن أحمد المالكي، قال: حدثنا أحمد بن هلال، قال: حدثني علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد ان الله يقرؤك السلام ويقول اني قد حرمت النار على صلب أنزلك،

١-الكافي ٤٤٦/١، الامالي للصدوق/٧٠٣، معاني الاخبار للصوق/١٣٧، البحار ١٠٨/١٥ و ١٠٩/٣٥، ينابيع المودة ٣٣١/٢، الموضوعات لابن الجوزي ٢٨٣/١ وقال فيه: ها حيث= =موضوع بلا شك، الفوائد المجموعة ٣٢١/١، وطعن عليه بالوضع، لسان الميزان ٢٤٧/٦ وطعن عليه بالوضع.

وعلى بطن حملك، وحجر كفلك، فقال: يا جبرئيل من تقول ذلك؟ فقال: أما الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب، وأما البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب، عبد مناف بن عبد المطلب هو أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾.

فكيف يحرم الله على هؤلاء وهم به مشركون، وبوحدانيته كافرون، والله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، فتأمل هداك الله هذه الأخبار، فانها دالة على ان القوم لله تعالى عارفون، وبوحدانيته مؤمنون.

أقول: والخبر الأخير الذي نقله قدّس سرّه قد رواه ثقة الاسلام الكليني رحمه الله في الكافي وفي آخره: وأما الحجر الذي كفلك فحجر أبو طالب ثم قال: وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت اسد[2].

وروى الصدوق ﴿عطّر الله مرقده﴾ في كتاب المجالس بسنده فيه إلى الصادق عليه السلام قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله ثم ساق الخبر إلى أن قال: وأما الحجر الذي كفلك فأبو طالب بن عبد المطلب، وفاطمة بنت أسد[3].

ثم قال صاحب الكتاب: ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ أبو الفضل بن الحسين الحلي الأحدب قراءة عليه أيضًا بهذا الاسناد إلى المالكي، عن أحمد

١- النساء/٤٨.

٢- الكافي ٤٤٦/١، ح١، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٣- الامالي/٧٠٤.

بن هلال، عن اسماعيل السراج، عن بعض رجاله انه سمع أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة عليه سيماء الأنبياء، وبهاء الملوك[1].

أقول: وروى ثقة الاسلام قدس سره في الكافي في الصحيح عنه عليه السلام قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة امة واحدة، عليه سماء الأنبياء، وهيبة الملوك[2].

وروى فيه أيضًا بسند آخر عنه عليه السلام قال: ان عبد المطلب أول من قال بالبدا، يبعث يوم القيامة امة واحدة، عليه بهاء الملوك، وسيماء الانبياء[3].

وروى فيه أيضًا بسند آخر عنه عليه السلام قال: يبعث عبد المطلب امة واحدة، عليه بهاء الملوك، وسيماء الانبياء، وذلك أنه أول من قال بالبدا[4].

وروى فيه أيضًا عنه عليه السلام قال: كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لاحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه، فيمنعون من دنى منه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذيه، فاهوى بعضهم اليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني، فان الملك قد أتاه[5].

وروى الفاضل الجليل أبو علي الطبرسي قدس سره في كتاب اعلام الورى عن عكرمة، عن ابن عباس قال: يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا

١- الكافي ٤٤٧/١، ح٢٣ و ح٢٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٢- الكافي ٤٤٧/١، ح٢٢، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٣- الكافي ٤٤٧/١، ح٢٣، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٤- الكافي ٤٤٧/١، ح٢٤، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٥- الكافي ٤٤٨/١، ح٢٦، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

يجلس أحد اجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب، فكان رسول الله ﷺ يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش، فيعظم ذلك اعمامه ويأخذونه ليأخروه، فيقول لهم عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم، دعوا ابني، فوالله ان له لشأنًا عظيمًا، اني أرى سيأتي عليكم وهو سيدكم، اني أرى غرته تسود الناس، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبّله، ويقول: يا أبا طالب ان لهذا الغلام لشانًا عظيمًا، فاحفظه واستمسك به، فانه فرد وحيد، وكن له كالاب، لا يوصل اليه بشيء يكرهه، ثم يحمله على عنقه فيطوف به اسبوعًا، وكان عبد المطلب قد علم انه يكره اللات والعزى فلا يدخله عليها، فلما تمت له ست سنين ماتت امه آمنة بالابواء بين مكة والمدينة، فبقي رسول الله ﷺ يتيمًا لا أب له ولا أم، فازداد له عبد المطلب له رقة وحفظًا، وكانت هذه حاله حتى ادرك عبد المطلب الوفاة، فبعث إلى أبي طالب فجاءه ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت، فصار يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول: يا أبا طالب انظر اليّ تكون حافظًا لهذا الوحيد الذي لم يشم رايحة أبيه ولا شفقة أمه، انظر يا أبا طالب ان يكون من جسدك بمنزلة كبدك، فاني تركت بني كلهم ووصيتك به، لانك من أم أبيه، يا أبا طالب ان ادركت أيامه فاعلم اني كنت من ابصر الناس به، ومن اعلم الناس به، وان استطعت ان تتبعه فافعل، وانصره بيدك ولسانك ومالك، فانه والله سيسود، ويملك ما لا يملك احد من آبائي، يا أبا طالب ما اعلم احدًا من آبائك مات أبوه على حال أبيه، ولا امه على حال امه، فاحفظه لوحدته، هل قبلت وصيتي؟ قال: نعم، قد

قبلت، والله على ذلك شاهد، قال عبد المطلب: فمد يدك اليّ فمدّ يده اليه، فضرب يده على يده ثم قال عبد المطلب: الآن خفت عليّ حركات الموت، ثم لم يزل يقبّله، ويقول أشهد اني لم أقبّل أحدًا من ولدي أطيب ريحًا منك، ولا أحسن وجهًا منك، فمات عبد المطلب وهو ابن ثماني سنين، فضمه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وكان ينام معه حتى بلغ لا يأتمن عليه أحدًا[1].

وقال في كتاب اعلام الورى أيضًا: ومن ذلك حديث سيف بن ذي يزن والرواية بذلك مشهورة عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: لما ظهر سيف بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وفد العرب وأشرافها اليه، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، وأميه بن شمس، وعبد الله بن جذعان، واسد بن خويلد، ووهب بن عبد مناف وغيرهم من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء، وهو في قصر يقال له غمدان، وهو الذي يقول فيه امية بن الصلت شعرًا:

اشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا ... في رأس غمدان دارًا منك محللا

ثم ساق الحديث إلى أن قال: فارسل إلى عبد المطلب فادنى مجلسه.

ثم قال: يا عبد المطلب اني مفضي اليك من سر علمي أمرًا لو كان غيرك لم أبح به، ولكني رأيت معدنه، فليكن عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه، فان الله تعالى بالغ أمره، اني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون الذي

١-اعلام الورى للطبرسي ٦١/١ وما بعدها.

اخترناه لانفسنا، وأخبرناه دون غيرنا خبرًا عظيمًا، وخطيرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة، وفضيلة الممات للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة، فقال عبد المطلب: مثلك أيها الملك قد سر وبر، فما هو فداك أهل الوبر زمرًا بعد زمر؟ فقال: اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الامامة، ولكم الزعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: أبيت اللعن قد أبت بخير ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من اسراره ما ازداد به سرورًا، فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه اسمه محمد، يموت أبوه وامه، ويكفله جده وعمه، وقد ولد سرًا، والله باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم اعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الارض، يكسر الاوثان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: أيها الملك عز جدك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك ساري بافصاح، فقد اوضح لي بعض الايضاح.

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، انك يا عبد المطلب لجده بلا كذب.

قال: فخرّ عبد المطلب ساجدًا.

فقال له: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا امرك، فهل احسست شيئًا مما

ذكرته؟

فقال: كان لي ابن وكنت معجبًا به، وعليه رفيقًا، فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام فسميته محمدًا، مات أبوه وامه، وكفلته أنا وعمه.

فقال له ابن ذي يزن: ان الذي قلت لك كما قلت لك، فاحفظ من ابنك، واحذر عليه اليهود، فانهم اعداؤه، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فاني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة، فيطلبون له الغوايل، وينصبون له الحبايل، وانهم فاعلون ذلك أو ابناءهم بغير شك، ولولا أعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار ملكي، فاني اجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق ان يثرب دار ملكه، فيها استحكام امره، واهل نصرته، وموضع قبره، ولولا اني أخاف فيه الآفات، واحذر عليه العاهات، لاعلنت على حداثة سنّه أمره في هذا الوقت، ولأوطأت اسنان العرب عقبه، ولكني سأصرف ذلك اليك من غير تقصير من معك، ثم امر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد، وبعشر اماء، وبحملتين من البرود، وبمائة من الابل، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوًا عنبرًا، ولعبد المطلب بعشرة بعشرة أضعاف ذلك، وقال: اذا حال الحول فأتني، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول.

قال: فكان عبد المطلب كثيرًا ما يقول: يا معشر قريش لايغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر، فانه إلى نفاد ولكن يغبطني مما يبقى لي

ولعقبي من بعدي ذكره وشرفه، فاذا قيل: وما هو؟ قال: فستعلمنّ ما أقول ولو بعد حين.

وقد روى هذا الحديث الشيخ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي في كتاب دلايل النبوة من طريقين، انتهى كلام ابن شهرآشوب[1]، وسيأتي ان شاء الله تعالى في آخر الجزء الخامس عشر ما يؤيد هذا المقام بأوضح تأييد، وتشييد أركانه باقوم تشييد.

ثم لنرجع إلى كلام صاحب الكتاب قال:

ومن ذلك الحديث الذي نقله الثقات، وتظاهرت به الروايات، وهو قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزاكية، ولاشتهار هذا الحديث وكثرة الطرق التي نرويه بها لم نذكر له إسنادًا[2].

وقد روي عنه بلفظ آخر وهو قوله: لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، حتى اسكنت في صلب عبد الله في رحم آمنة بنت وهب[3].

وروي عنه أيضًا بلفظ آخر وهو قوله عليه السلام: لم يزل الله تعالى ينقلني من اصلاب الطاهرين إلى ارحام الطاهرات حتى أخرجني إلى عالمكم هذا[4].

١- المناقب لإبن شهرآشوب ٢٠/١.

٢- شرح نهج البلاغة ٦٣/٧ و ٦٧/١٤، البحار ١٥٦/٣٥ و ٢٩٩/٧٤.

٣- روح المعاني ١٩٥/٧، ادلة معتقد ابي حنيفة ١١٠/١ و ١١٤/١.

٤- اوائل المقالات للمفيد/٤٦، تصحيح اعتقادات الامامية للمفيد/١٣٩، البحار ١١٧/١٥، مجمع البيان ٩٠/٤ و ٤٢٦/٦، تفسير الصافي ١٣١/٢، تأويل الآيات ٣٩٩/١.

فمن اوضح الدليل على ايمان المشار اليه، شهادة الرسول الصادع بالحق، والناطق بالصدق لهم بالطهارة، وقد اخبر الله تعالى عن الكافرين بالنجاسة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1]، والنجس خلاف الطاهر، فبيّن عليه السلام انهم مؤمنون غير مشركين، لانهم لو كانوا عنده مشركين لما شهد لهم بالطهارة بعد حكم الله عليهم بالنجاسة.

فان قيل: انما اراد صلى الله عليه وآله بالطهارة خلوهم من المناكح الفاسدة التي كانت الجاهلية تستعملها، ولم يرد الطهارة التي هي الايمان.

قلنا: شهادته عليه السلام لهم بالطهارة عامة في الايمان، والمناكح الصحيحة، فمن خصها بأحد الوجهين دون الآخر طولب بالدليل، وأيضًا لو كان عليه السلام أراد ذلك لوجب ان يبينه في حديثه لئلا يقع فيه الابهام انه يشهد لمن سمّاه الله في كتابه نجسًا بالطهارة.

فان احتج المخالف لنا في ايمان آباء النبي صلى الله عليه وآله بما حكاه الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام وأبيه.

قلت: ان ابراهيم عليه السلام انما كان يخاطب بتلك المخاطبة آذر بن ناخور، واما والده فكان اسمه تارخ بن ناخور باجماع اهل العلم، وكان ابوه قد مضى فتزوج عمه آذر بامه ورباه في حجره، وكانت السنة في ذلك العصر وبعده إلى مبعث النبي صلى الله عليه وآله والى وقتنا هذا، ان كل من ربى يتيمًا في حجره سمي ابنًا له، وجعل من رباه أبًا له، ان العرب تسمي العم أبًا، وابن الاخ ابنًا، وقد نطق القرآن

١- التوبة/٢٨.

بذلك وتكلمت العرب.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1]، فجعل اسماعيل أبًا ليعقوب وهو عم يعقوب، لان يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم، واسماعيل بن ابراهيم، وكذلك سبيل ابراهيم عليه السلام فيما اقتصه الله تعالى من دعوته لأبيه، انه كان يخاطب عمه على ما بيناه من جواز تسميته عمه بالأبوه من جهة ان العم يسمى أبًا كما نطق به القرآن، ومن جهة انه كان زوج امه وتربى يتيمًا في حجره.

ومما يدلّ على اسلام آباء النبي صلى الله عليه وآله [قوله تعالى:]

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[2].

فغير جايز ان تنقطع هذه الامة المسلمة من ذرية ابراهيم إلى يوم القيامة، فمن زعم بعد تلاوة هذه الآية من كتاب الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وآله ولد من كفار، فقد زعم ان الامة المسلمة من ذرية اسماعيل قد انقطعت في وقت من الأوقات، ومن زعم أنها انقطعت في وقت من الأوقات، فقد زعم ان دعوة ابراهيم لم تستجب، ومن قال بذلك فما آمن بالله ولا برسوله، ولا عرف حق

١- البقرة/١٣٣.

٢- البقرة/١٢٧- ١٢٨.

أنبيائه، ولا منازل حججه، وكفى بهذا ضلالاً لمن اعتقده، فهذا جميعه دليل على ايمان عبد الله بن عبد المطلب، وآمنة بنت وهب، وعبد المطلب بن هاشم، وأبي طالب بن عبد المطلب ﴿رضي الله عنه﴾، وانما اهل العناد والعدول عن الرشاد يقطعون على ايمان أبي طالب بالكفر، ويرمونه بالشرك للوجه الذي أومأنا اليه ونبهنا عليه، وهو التحامل على ولده امير المؤمنين عليه السلام والمحاولة لاخمال سيد الوصيين، والله متم نوره ولو كره المشركون.

فلما رأيت ذلك اجبت على كثرة الحوادث القاطعة، والهنابث المانعة ان أورد ما أداه سماعي من الاحاديث الشاهدة لأبي طالب بالايمان والاشعار التي صرح فيها بالاسلام، وقصدت القربة إلى الله تعالى بانكار المنكر الشنيع، والقول الفضيع بقلبي ولساني حيث تعذر عليّ انكاره بسيفي وسناني، وها أنا مثبت في هذا الكتاب من الاخبار التي تدل على ايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ ما يمكنني، واشفعها من المقال بما يحضرني، ثم اتبع ذلك بطرف من أشعاره التي رواه المخالفون، ونقلها المؤالفون، واتكلم على ما ينبغي ان يتكلم عليه هنا، واذكر من الاستدلال ما نتجته قريحتي، ومما عثرت مما سبقني اليه مشيختي، واسأل الله الزلفى لديه، والصدق في التوكل عليه، وان يجعل ذلك مجردًا لثوابه، منجيًا من عقابه، فانه عفو غفور، بكل خير جدير.

فصل

اعلم ان الايمان في اللغة التصديق، وسمي المؤمن مؤمنًا، لانه مصدق لله ولرسله، ولا طريق لنا إلى معرفة ايمان احد من المكلفين الاّ من وجهين:

أحدهما: ان نرى المكلف مصدقًا لله تعالى ورسله، مقرًا بجملة المعارف، عاملاً بأحكام الاسلام، فنجري عليه أحكام المؤمنين، ونخرجه من حيّز الكافرين، ويقطع له بالجنة لشرط مطابقة الباطن للظاهر.

والوجه الآخر: ان يخبرنا من قامت الادلة الصحيحة على عصمته بايمان واحد من المكلفين كاخبار النبي صلى الله عليه وآله بايمان سلمان، وعمار، وأبي ذر، ومن ضارعهم، فمن اخبر النبي أو أحد من المعصومين من أهل بيته عليهم السلام بإيمانه عددناه من المؤمنين، وقطعنا له بالجنة بيقين، وهذا أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان رضي الله عنه وارضاه، وجعل الجنة مأواه، اذا تأملت اشعاره، وتدبرت اخباره، وجانبت هواك، ولم تقلد في دينك اباك، قطعت له بالايمان الصحيح، والاسلام الصريح للوجهين اللذين ذكرناهما، وهما اخبار النبي والائمة الصادقين من أهل بيته ﴿صلى الله عليهم أجمعين﴾ بصحة اسلامه، وحقيقة ايمانه على ما تواترت به عنهم الروايات، واسنده اليهم الثقات، واقراره بتوحيد الله تعالى، وصدق رسوله صلى الله عليه وآله على ما تراه في أشعاره، وتقف عليه في أخباره، ولقد يكفينا من الاستدلال على ايمان أبي

طالب ﴿رضي الله عنه﴾ اجماع أهل بيت رسول الله ﷺ وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم على اسلامه، واتفاقهم على ايمانه وان لم يرد عنه من الافعال التي لا يفعلها الاّ المؤمنون، والاقوال التي لا يقولها الاّ المسلمون ما يشهد له بصحة الآلام، وتحقيق الايمان، اذ كان اجماعهم حجة يعتمد عليها، ودلالة يصمد اليها، دلالة لولا خوف الاسهاب، وكراهية الاطناب، لاوردنا منها هاهنا طرفًا شافيًا، لان ذلك بنعمة الله تعالى من لدنا ممكن، غير أنها مستوفاة مبينة في غير موضع، ولان أهل البيت عليهم السلام هم العترة التي خلفها رسول الله ﷺ في أمته حفظة لشرعه، وتراجمة للكتاب الذي انزل عليه حيث يقول ما اجمع عليه نقاد الآثار، ورواة الاخبار اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا، حبلان ممدودان لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، غير أني اضيف إلى اجماعهم استدلالات مختصرة من الاخبار الشاهدة بصحة ايمانه وانبه على معنى ما لعله يخفى على من لم ينعم التعليم في بعض الاخبار التي ارويها، واشفع ذلك بأبيات من اشعاره التي لم يختلف العلماء في روايتها، ولم يرتب اهل النقل في صحتها على ما اخبرتك، وان مر بي بيت يحتاج معناه إلى كشف كشفته، وتكلمت عليه وبينته حسب الجهد، واذكر مختصرًا من أفعاله مع النبي ﷺ وانكماشه في نصرته، وحفظه لاولاده وعترته، واذكر الغرض الذي من اجله كتم اسلامه واخفى ايمانه، واقصد في جميع ذلك الاختصار، كراهية الملل والاضجار، فان ذلك احسم لشغب المعاندين، وآكد في الحجة على المخالفين، وقد سميت كتابي ﴿الحجة على

الذاهب إلى تكفير أبي طالب﴿ع﴾.

فمن الاخبار الدالة على إيمانه المثبتة لاسلامه:

ما أخبرني به الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن اسماعيل القمي بواسطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، قال: أخبرني عبد الله بن عمر الطرابلسي، عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل، عن الشيخ الفقيه أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي رحمه الله، قال: حدثني الحسن بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي قراءة عليه من طريق نقل العامة، قال: حدثنا أبو القاسم منصور بن جعفر بن ملاعب قراءة عليه، قال: حدثني أبو عيسى محمد بن داود بن جندل الجملي، قال: أخبرنا علي بن حرب، قال: حدثنا زيد بن الحباب، قال: اخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن اسحاق بن عبد الله، عن العباس بن عبد المطلب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أترجو لابي طالب؟ فقال: كل خير ارجو من ربي عزّ وجل[1].

فلولا علم النبي صلى الله عليه وآله بايمان عمه أبي طالب ما كان يرجو له الخير لما ذكره الله تعالى من خلود الكفار في النار، وحرمان الله تعالى لهم الخيرات وتأبيدهم في العذاب على وجه الاستحقاق والهوان.

وبالاسناد عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي قال: حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسين بن شاذان القمي، ﴿رضي الله عنه﴾ قال: حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان بن عبد الله النصيبي في داره، قال

١- الغدير ٣٧٣/٧.

جعفر بن محمد العلوي: قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن زياد، قال: حدثنا مفضل بن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان جالسًا في الرحبة والناس حوله فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين انك بالمكان الذي انزلك الله وأبوك معذب في النار، فقال له: مه، فض الله فاك، والذي بعث محمدًا بالحق نبيًا لو شفع ابي في كل مذنب على وجه الارض لشفّعه الله فيهم، أبي معذب بالنار وابنه قسيم الجنة والنار، والذي بعث محمدًا بالحق ان نور أبي طالب ليطفيء أنوار الخلايق إلاّ خمسة أنوار، نور محمد، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ونور ولده من الائمة، لان نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام[1].

وبالاسناد عن الكراجكي ﴿رضي الله عنه﴾، قال: أخبرني شيخي أبو عبد الله الحسين بن عبيدالله بن علي المعروف بابن الواسطي قال: أخبرنا أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثني أبو علي بن همام، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد النيلي الاشعري، قال: حدثنا منجح الخادم مولى بعض الطاهرية بطوس، قال: حدثنا أبان بن محمد قال: كتب إلى الامام الرضي علي بن موسى الرضا عليه السلام جعلت فداك اني شككت في ايمان أبي طالب، قال: فكتب بسم الله الرحمن الرحيم﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾[2]،

١- كنز الفوائد للكراجكي/ ٨٠

٢- النساء/١١٥.

انك ان لم تقر بايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[1].

وأخبرني بنحو من هذا الحديث السيد الامام أبو علي عبد الحميد بن عبد الله التقي العلوي الحسيني النسابة رحمه الله، باسناده إلى الشريف النسابة المحدث أبي علي عمر بن الحسين بن عبد الله بن محمد الصوفي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان الشريف أبو علي هذا يعرف بالموضح وكان ثقة اجماعًا، ويقال له ابن اللبن، وهو كوفي معروف، قال: روى الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه باسناد له ان عبدالعظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضًا فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام عرفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي ان أبي طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب اليه الرضا عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فان شككت في ايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[2].

وبالاسناد إلى الكراجكي عن أبان بن محمد بن يونس بن بنان، عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: يا يونس ما تقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه، قال: كذب اعداء الله، ان أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين،

١- كنز الفوائد/٨٠.

٢- البحار ١١١/٣٥.

والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقًا[1].

وأخبرني بنحو من هذا الحديث الشيخ الفقيه أبو الفضل بن الحسين الحلي الاحدب، قال: أخبرني الشريف أبو الفتح محمد بن محمد بن الجعفرية الحسني، قال: حدثنا الشريف أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن العلوي الحسيني، قال: حدثنا الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن شهريار الخازن، قال: حدثني والدي أبو نصر أحمد بن شهريار الخازن، عن الشيخ أبي الحسن بن شاذان، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قال: حدثنا أبو علي، قال: حدثنا الحسين بن أحمد المكي، قال: حدثنا أحمد بن هلال قال: حدثني علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: انّ الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله، قلت: فبما نزل؟ قال: أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك ان اصحاب الكهف أسروا الايمان، واظهروا الشرك، فاتاهم الله اجرهم مرتين، وان أبا طالب اسر الايمان، واظهر الشرك، فآتاه الله اجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى اتته البشارة بالجنة، ثم قال: كيف يصفه بهذا الملاعين وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد اخرج من مكة، فمالك بها ناصر بعد أبي طالب[2].

١- كنز الفوائد/٨٠.

٢-البحار ١١١/٣٥.

وأخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن ادريس رحمه الله سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، قال: أخبرني الشريف أبو الحسن العريضي رحمه الله، قال: أخبرني الحسين بن طحال المقدادي، عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي، عن الشيخ الصدوق وأبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله، عن رجاله، عن أبي بصير ليث المرادي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ان الناس يقولون ان أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فقال عليه السلام: كذبوا والله، ان ايمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وايمان هذا الخلق في كفة ميزان، لرجح ايمان أبي طالب على ايمانهم، ثم قال: كان والله أمير المؤمنين عليه السلام يأمر ان يحج عن أبي النبي وأمه وعن أبي طالب في حياته، وأوصى في وصيته بالحج عنهم بعد مماته[1].

فهذه الأخبار المختصة بذكر الضحضاح من نار، وما اتي من متخرصات الفتن وروايات أهل الضلال، وموضوعات بني أميه واشباههم، الناصبين العداوة لأهل بيت النبي ﴿صلى الله عليهم أجمعين﴾، وهي أنفسها تدل على ان مفتعلها والمتجري على الله بتخريصها متجاهل غبي جاهل، قليل المعرفة باللغة العربية التي خاطب الله بها عباده وانزل بها كتابه، لان الضحضاح لا يعرف في اللغة الاّ القليل الماء[2]، فحيث عدل به إلى النار ظهر فضيحته، واستبان جهله وتجاهله،

١- البحار ١١٢/٣٥.

٢- مجمع البحرين ٧/٦ وفيه: الضحضاح - بفتح معجمتين وسكون مهملة - ما رقّ من الماء على وجه الارض ما يبلغ الكعبين، تاج العروس ١٨٧/٢ وفيه: الضحضاح الماء اليسير.

وأيضًا فان الامة متفقة على ان الآخرة ليس فيها دار سوى الجنة والنار، فالمؤمن يدخله الله الجنة، والكافر يدخله الله النار، فان كان أبو طالب كافرًا على ما يقوله مخالفنا فما باله يكون في ضحضاح من نار من بين الكفار، ولم تجعل له دار وحده من بين الخلايق، والقرآن متضمن ان الكافر يستحق التأبيد والخلود في النار.

فان قيل: انما جعل في ضحضاح من نار لتربيته للنبي ﷺ، وذبه عنه، وشفقته عليه، ونصره اياه.

قلنا: تربيته النبي ﷺ لله تعالى يستحق في مقابلتها الثواب الدايم، فان كان أبو طالب فعلها، وهو مؤمن فما باله لا يكون في الجنة كغيره من المؤمنين، وان كان فعلها وهو كافر، فانها غير نافعة له، لان الكافر اذا فعل فعلاً لله فيه طاعة لا يستحق عليه ثواب، لانه لم يوقعه لوجهه متقربًا به إلى الله تعالى من حيث انه لم يعرف الله تعالى فيتقرب اليه، فيجب أن يكون عمله غير نافع، فبما استحق أن يكون في ضحضاح من نار، فهو اما مؤمن يستحق الجنة كما نقول، أو كافر يستحق التأبيد في الدرك الأسفل من النار وعلى وجه الاستحقاق والهوان كغيره من الكفار، وهذا لا يقول به مخالفنا.

أقول: ويزيد ما ذكره تأييدًا ان أبا طالب لما كان مشاهدته لمعاجز الرسول ﷺ، وما ظهر له من وقت الحمل به إلى وقت ولادته إلى مدة نشوه، كما اتفقت عليه الروايات، ما ظهر له من المعجزات في جملة تلك الأوقات، ولما نقل من حديثهم المتقدم في تفسير قوله سبحانه ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ

أَحْبَبْتَ﴾[1] الدال على معرفته حقيقة نبوته ﷺ أشد من غيره، ومع هذا كله لم يعترف بها، فان الحجة تكون عليه اعظم، والعذاب عليه لذلك اشد، فان خالف الحق بعد قيام الحجة، ووضوح المحجة، يكون عذابه أشد، كما دلت عليه الادلة العقلية والنقلية، ولا أقل أن يعارض بتربيته ونصرته فيتساقطان، ويصير عذابه كعذاب سائر الكفار من أهل النار.

ثم قال قدس سره: وقد ابطلنا ان يكون في ضحضاح من نار، فلم يبق إلاّ أن يكون في الجنة كما بيّناه، وأيضًا فان هذه الأحاديث المتضمنة ان أبا طالب في ضحضاح من نار اصلها واحد وراويها منفرد، لانها جميعًا تسند إلى المغيرة بن شعبة الثقفي لا يروى احد منها شيئًا سواه، وهو رجل ضنين في حق بني هاشم، متهم فيما يرويه، لانه معروف بعداوتهم، ومشهور ببغضهم، والانحراف عنهم، والمغيرة هو الذي حسّن لعايشة الخروج إلى البصرة حتى كان من أمرها ما كان بغضًا لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو مع بغضه لبني هاشم والانحراف عنهم، رجل فاسق، ثبت فسقه عند الامة، معلوم لوجوه:

منها: انه زنى فأسقط الحد عمر بن الخطاب عنه بتلقين الشاهد الرابع، وقصته مشهورة وحكايته معلومة.

أخبرنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الواعظ بأسانيد مرفوعة إلى عبد الرحمن الفسطاطي، قال: حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا هاشم، قال: حدثنا عتبة بن عبد الرحمن حويشي الجشمي، عن أبيه أبي بكر، قال: لما

١- القصص/٥٦.

عزل عمر بن الخطاب عتبه بن غزوان عن البصرة، وبعث المغيرة بن شعبة، فغزا نيسان ففتحها، وبعث أبا بكر بشيرًا بالفتح، وأقام بالبصرة أميرًا، وقد اتخذت بها المنازل، وكثر بها الناس، وحسنت بها حالهم، ثم رجع ابو بكر إلى البصرة قاصدًا من عند عمر، وكان المغيرة بن شعبة يخرج لهم كل يوم من دار الامارة وسط النهار فيلقاه أبو بكر فيقول أين تذهب أيها الامير؟ فيقول: اليّ حاجة، فيقول حاجة ماذا؟ ان الامير يزار ولا يزور، وكانت امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها ام جميل بنت سبيعة، وكان لها زوج من قومها يقال له الحجاج بن عبيد جارة لأبي بكر، فبينا أبو بكر في غرفة له وعنده اخوه نافع وزياد ورجل آخر يقال له شبيل بن معبد، وكانت غرفة الهلالية بحذاء غرفة أبي بكر قال: فضربت الريح باب غرفة جارة أبي بكر الهلالية ففتحته ونظر القوم فاذا هم بالمغيرة بن شعبة على امرأة ينكحها، فقال أبو بكر لأصحابه الثلاثة: انكم قد ابتليتم فاثبتوا الشهادة، قال: فنظروا حتى اثبتوا، قال: فنزل أبو بكر وجلس حتى مر عليه المغيرة خارجًا من عند المرأة، فقال له: انه كان من امرك ما قد علمت فاعتزلنا، وكتب إلى عمر بن الخطاب الذي كان، فكتب عمر إلى المغيرة والى الشهود جميعًا ان يقدموا عليه، فلما قدموا عليه صفهم ودعا أبا بكر قبلهم فاثبت الشهادة، وذكر انه رآه يدخل الميل في المكحلة، وقال: لكأني أنظر إلى فخذ المرأة، ودعا نافعًا فشهد بمثل شهادة أبي بكر واثبتها، ثم دعا شبيل بن معبد فشهد بمثل شهادة أبي بكر ونافع واثبتها، فقال عمر بن الخطاب: أردى المغيرة الاربعة، ثم دعا زيادًا، فلما اقبل قال عمر: اني

لأرى رجلاً ما كان يشهد اليوم إلاّ بحق، ويروى ان عمر لما رأى زيادًا قال: اني لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته، فقال شبل بن معبد وهو الثالث من الشهود: افتجلد شهود الحق، وتبطل الحق احب اليك يا عمر، فقال عمر لزياد: ما تقول؟ فقال: قد رأيت منظرًا قبيحًا، ونفسًا عاليًا، ولقد رأيته بين فخذي المرأة، ولا أدري هل كان خالطها أم لا، فقال عمر: الله اكبر، فقال المغيرة: الله أكبر، الحمد لرب الفلق، والله لقد كنت علمت اني سأخرج منها سالمًا، فقال له عمر: اسكت فو الله لقد رأوك بمكان سوء، قبح الله مكانًا رأوك فيه، وامر بجلد الشهود الثلاثة، فقال: أنت والله يا عمر جلدتنا ظلمًا، وأنت رددت صاحبنا ان يشهد بمثل شهادتنا، اعلمته هواك فاتبعه، ولو كان تقيًا كان رضى الله والحق عنده آثر من رضاك، فلما جلد أبا بكر قام وقال: اشهد لقد زنى المغيرة، فاراد عمر ان يجلده ثانيًا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ان جلدته رجمت صاحبك، وهذا فقه مليح منه عليه السلام أراد أنه اذا جلده كمل شهادة أربعة، فاذا كملت الشهادة رجم المشهود عليه، القصة بطولها[1].

روي ان المغيرة لما مات وخرج به قومه إلى الجبانة فحين دفنوه وسووا عليه قبره، اقبل راكب من ناحية البر على ناقة حتى مثل على قبره وأنشأ يقول:

من رسم قبـر للمغيرة يعرف ... عليه زواني الجن والانس تعرف

لعمري لئن لاقيت فرعون بعدنا ... وهامان فاعلم ان ذا العرش منصف

١- السقيفة وفدك/٩٣، البحار ٦٤٢/٣٠، مستدرك الحاكم ٤٤٨/٣، السنن الكبرى للبيهقي ٢٣٤/٨.

فكيف يصح اعتقاد مايرويه المغيرة وهذه صفته، ويترك ما اتفق عليه اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين، وشيعتهم الذين هم أهل الرواية ومظان الدراية.

أقول: وقد تقدم اعتراف الشارح بعداوة المغيرة بن شعبة لاهل البيت عليهم السلام بل خروجه من الاسلام في غير مقام، واعترافه بأنه كان زنى بالمرأة، وأنه رجل زناء في الجاهلية والاسلام في اجوبته عن مطاعن عمر[1].

ثم قال صاحب الكتاب: اخبرني الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل باسناده إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي يرفعه إلى داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين، وقد خفت توانيه، فشكوت ذلك اليه فقال: اذا مررت بمكة فطف عن عبدالمطلب طوافًا وصل عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافًا وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافًا وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافًا، وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافًا وصل عنها ركعتين، ثم ادع الله عز وجل ان يرد عليك مالك، ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا، فاذا غريمي واقف يقول حبستني يا داود، تعال فاقبض حقك[2].

واخبرني شيخي أبو عبد الله محمد بن ادريس رحمه الله باسناده إلى الشيخ الصدوق أبي جعفر الطوسي رحمه الله عن رجاله، عن أبي حمزة الثمالي، عن

١- شرح نهج البلاغة ٨/٢٠.

٢- البحار ١١٢/٣٥.

عكرمة، عن ابن عباس قال: أخبرني العباس بن عبد المطلب ان أبا طالب شهد عند الموت ان لا إله إلاّ الله، وان محمدًا رسول الله[1].

وفيه عن الشيخ أبي جعفر عن رجاله، عن حماد، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ما مات أبو طالب حتى اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا[2].

وبه عن حماد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انا لنرى أبا طالب اسلم بكلام الجمل.

قوله عليه السلام: لنرى معناه لنعتقد، لانه يقال: فلان يرى رأي فلان، أي يعتقد اعتقاده، وقوله عليه السلام بكلام الجمل يعني الجمل الذي خاطب النبي صلى الله عليه وآله وقصته مشهورة[3].

أقول: الظاهر ان ما ذكره قدس سره من التفسير لقوله عليه السلام اسلم بكلام الجمل ليس هو المراد هنا، وانما المراد وردت به الرواية على ما رواه ثقة الاسلام ﴿عطر الله مرقده﴾ في الكافي بسنده فيه إلى الصادق عليه السلام قال: اسلم أبو طالب بحساب الجُمل قال: بكل لسان[4].

وروى فيه أيضًا بسنده عنه عليه السلام قال: اسلم أبو طالب بحساب الجمل

١- البحار ١١٣/٣٥.

٢- البحار ١١٣/٣٥.

٣- البحار ٣٥/ ١١٣.

٤- الكافي ٤٤٩/١، ح٣٢، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

وعقد بيده ثلاثًا وستين[1].

وروى الصدوق محمد بن علي بن بابويه ﴿نوّر الله تعالى مضجعه﴾ في كتاب معاني الأخبار بسنده مثله، وزاد فيه ان مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف اسروا الايمان، واظهروا الشرك، فاتاهم الله أجرهم مرتين[2].

وروى فيه أيضًا بسنده إلى القاسم بن الحسين بن روح ﴿قدس الله روحه﴾ انه سأله رجل ما معنى قول العباس للنبي صلى الله عليه وآله ان عمك أبا طالب قد اسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين فقال: عنى بذلك إله أحد جواد، وتفسير ذلك ان الالف واحد، واللام ثلاثون، والهاء خمسة، والالف واحد، والحاء ثمانية، والدال اربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستة، والالف واحد، والدال أربعة، فذلك ثلاث وستون[3].

وقال بعض مشائخنا ﴿رضوان الله عليهم﴾: لعل المراد انه أظهر اسلامه بكلمات كان عددها بحساب الجمل ثلاثة وستين، ففسر ابن روح تلك الكلمات وعددها، انتهى.

ونقل بعض أصحابنا عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب رحمه الله انه روى فيه عن شعبة، عن قتادة من جملة حديث طويل، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دعى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، وقال: يا محمد اني اخرج من الدنيا وما لي

١- الكافي ٤٤٩/١، ح٣٣، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٢- معاني الاخبار/٢٨٦.

٣- معاني الاخبار/٢٨٦.

غمّ إلاّ غمك، إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عم تخاف عليّ أذى الاعادي، ولا تخاف على نفسك غدًا عذاب ربي، فضحك أبو طالب وقال: يا محمد:

ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعقد على ثلاث وستين عقد الخنصر والبنصر، وعقد الابهام على اصبعه الوسطى، واشار بابصعه الوسطى، واشار باصبعه المسبحة يقول: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

ومن الكتاب المذكور في تفسير وكيع، قال: حدثنا سفيان عن منصور، وابراهيم عن أبيه، عن أبي ذر الغفاري، قال: والله الذي لا إله غيره ما مات أبو طالب حتى آمن بلسان الحبشة، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد اتفقه الحبشة؟ قال: يا عم ان الله علمني جميع الكلام، قال: يا محمد اسدن ملصاقا فاطالاها، يعني اشهد مخلصًا لا إله الاّ الله، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ان الله قر عين أبي طالب.

أقول: وحاصل الجمع بين هذه الأخبار ان ابا طالب ﴿رضي الله عنه﴾ قد اسلم بكل لسان، ولكنه لما كان في تقية من اظهار ذلك، فالذي وقع منه وقت الموت كان رموزًا لا يفهمه جميع من حضر، وهو حساب الجُمل أو بلغة الحبشة، وحساب الجُمل هو ما ذكر عن ابن روح ﴿قدس الله روحه﴾، ولكنه وقع بعقد الاصابع كما تضمنه حديث قتادة، وهو مبني على قاعدة وضعها القدماء في مفاصل اصابع اليدين لضبط الاعداد من الواحد إلى عشرة الآف،

ليس هذا موضع ذكرها، لان الغرض هنا هو التنبيه على ان ما ذكره صاحب الكتاب ليس هو المراد في المقام.

ثم قال قدس سره: وأخبرني شيخي أبو عبد الله محمد بن ادريس رحمه الله باسناده إلى الشيخ ابي جعفر الطوسي يرفعه إلى ايوب بن نوح، عن العباس بن عامر القصباني، عن ربيع بن محمد، عن أبي سلام بن أبي حمزة، عن معروف بن خربوذ، عن عامر بن واثلة قال: قال علي عليه السلام: ان أبي حين حضره الموت شهده رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرني فيه بشيء احب اليّ من الدنيا وما فيها[1].

واخبرني شيخي أبو علي عبد الحميد بن التقي الحسيني رحمه الله باسناده عن الشريف النسابة أبي علي الموضح، قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن السكوني، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا ابراهيم بن المنذر، عن عبد العزيز بن عمران، عن ابراهيم بن اسماعيل، عن أبي حبيبة، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله بأبي قحافة يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه، فقال: أردت يا رسول الله ان يأجرني الله، أما والذي بعثك بالحق نبيًا لأنا كنت أشد فرحًا باسلام عمك أبي طالب مني باسلام أبي، التمس بذلك قرة عينك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت[2].

وقد روى هذا الحديث بعينه ابو الفرج الاصفهاني قال: حدثنا بشر،

١- البحار ١١٣/٣٥.

٢- شرح نهج البلاغة ٦٩/١٤.

قال: أخبرنا الكلابي، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: جاء أبو بكر بن ابي قحافة إلى النبي صلى الله عليه وآله وذكر الحديث بطوله.

وبالاسناد عن أبي علي الموضح، أخبرني ابو الحسن محمد بن الحسن العلوي الحسيني، قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى المجدوي، قال: حدثنا احمد بن محمد العطار، قال: حدثنا أبو عمرو حفص بن عمر بن الحرث النمري، قال: حدثنا عمر بن زائدة، عن عبد الله بن أبي صقر، عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمنًا مسلمًا، يكتم ايمانه مخافة على بني هاشم ان تنابذها قريش، قال أبو علي الموضح: ولأمير المؤمنين عليه السلام في أبيه أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ يرثيه بهذه المرثية يقول:

أبا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك اهل الحفاظ	فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه	فقد كنت للطهر من خير عم

فتأمل ما ضمنه أمير المؤمنين عليه السلام ابياته هذه من الدعاء لأبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، فلو كان مات كافرًا لما كان أمير المؤمنين عليه السلام يرثيه بعد موته، ويدعو له بالرضوان من الله تعالى، بل كان يذمه على قبيح فعله، وسالف كفره، كما فعل ابراهيم حيث حكى الله عنه في قوله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ

لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[1].

وبالاسناد عن أبي علي الموضح قال: تواترت الاخبار بهذه الرواية وبغيرها عن علي بن الحسين عليه السلام انه سئل عن أبي طالب أكان مؤمنًا؟ فقال: نعم، فقيل له: ان منا قومًا يزعمون انه كافر، فقال: واعجباه ألا اعجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نهاه الله أن يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك احد ان فاطمة بنت أسد ﴿رضي الله عنها﴾ من المؤمنات السابقات، وأنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾[2].

وأخبرني السيد الصالح النقيب أبو منصور الحسن بن معيّه العلوي الحسيني رحمه الله، قال: أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد الدورستي رحمه الله، عن جده، عن أبيه، عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن خلف بن حماد الاسدي، عن أبي الحسن العبدي، عن الاعمش، عن عباية بن الربعي، عن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وآله بمحضر من قريش ليريهم فضله: يا ابن أخي الله ارسلك؟ قال: نعم، قال: ان للانبياء معجزًا، وخرق عادة، فأرنا آية، قال: ادع تلك الشجرة، وقل لها يقول لك محمد بن عبد الله اقبلي باذن الله، فدعاها فاقبلت حتى

١- التوبة/١١٤.

٢- البحار ١١٥/٣٥.

سجدت بين يديه، ثم امرها بالانصراف فانصرفت، ثم قال أبو طالب: اشهد انك صادق، ثم قال لابنه علي: يا بني الزم ابن عمك[1].

وأخبرني باسناده إلى أبي الفرج الاصفهاني قال: حدثني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن علي بن العمر الكوفي، قال: حدثنا علي بن أحمد بن مسعدة بن صدقة، عن عمه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب وان يدوّن وقال: علموه اولادكم فانه كان على دين الله، وفيه علم كثير[2].

وأخبرني الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن اسماعيل القمي رحمه الله، باسناده إلى الشيخ أبي الفتح الكراجكي، قال: حدثني أبو الحسن ظاهر بن موسى بن جعفر الحسيني، قال: حدثنا أبو القاسم ميمون بن حمزة الحسيني، قال: حدثنا مزاحم بن عبد الوارث البصري، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أيوب الجوهري، قال: حدثنا العباس بن علي، قال: حدثنا علي بن عبد الله الجريشي، قال: حدثنا جعفر بن عبد الواحد بن جعفر، قال: قال لنا العباس بن الفضل، عن اسحاق بن عيسى بن عبد علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قال: سمعت أبي يقول: سمعت المهاجر مولى بني نوفل اليماني يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب بن عبد المطلب يقول:

١- البحار ١١٥/٣٥.

٢- البحار ١١٥/٣٥.

حدثني محمد صلى الله عليه وآله ان ربه بعثه بصلة الرحم، وان يعبد الله، ولا يعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الأمين[1].

وحدثني بهذا الحديث من غير هذا الطريق الشيخ أبو الفتوح نصر بن علي بن منصور الخازن الحائري رحمه الله بمدينة السلام سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال: أخبرني الشيخ أبو القاسم ذاكر بن كامل بن أبي غالب في شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وخمسمائة قراءة عليه قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الحداد، اجازة، قال: أخبرنا أبو نعيم احمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر احمد بن فارس العبدي ببغداد، قال: حدثنا علي بن سراج البرقعيدي بهما، قال: حدثنا جعفر بن عبد الواحد القاضي، قال: قال لنا محمد بن عباد، عن اسحاق بن عيسى، عن مهاجر مولى بني نوفل قال: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: حدثني محمد ان الله امره بصلة الارحام، وان يعبد الله وحده، ولا يعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الأمين[2].

وأخبرني أيضًا بطريق اخرى شيخنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن ادريس رحمه الله باسناده إلى أبي الفرج الاصفهاني قال: حدثني ابو بشر احمد بن ابراهيم، عن هارون بن عيسى الهاشمي، عن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قاضي قضاة البصرة، عن العباس بن الفضل الهاشمي، عن أبيه، قال: سمعت المهاجر مولى بني نوفل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول:

١- البحار ١١٦/٣٥.

٢- البحار ١١٦/٣٥.

حدثني محمد بن عبد الله ان ربه بعثه بصلة الارحام، وان يعبد الله وحده، لا شريك له، لا يعبد سواه، ومحمد الصدوق الأمين[1].

وأخبرني السيد النقيب أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد النقيب الحسيني البصري بمدينة السلام سنة أربع وستمائة[2]، قال: حدثني والدي محمد بن محمد بن زيد النقيب الحسيني البصري، قال: أخبرني تاج الشرف محمد بن محمد بن الفيام المعروف بابن السخطة العلوي الحسيني البصري النقيب، قال: أخبرني الشريف الشيخ الامام العالم أبو الحسن علي بن محمد الصوفي العلوي العمري النسابة الشهير المعروف، قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد البصري، عن أبي الحسن يحيى محمد مفتي المدينة، قال: رأيته بالمدينة سنة ثمانين وثلاثمائة، عن أبيه، عن أبي علي بن همام ﴿رضي الله عنه﴾، عن جعفر بن محمد الفزاري، عن عمران بن معافي، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن محمد بن علي الباقر عليه السلام انه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلمًا مؤمنًا[3].

وشعره في ديوانه يدل على ايمانه، ثم محبته وتربيته، ونصرته، ومعاداة اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، وموالاة أوليائه، وتصديقه اياه فيما جاء به من ربه، وامره

١- البحار ١١٦/٣٥.

٢- أقول: هذا النقيب من الذين روى عنه صاحب الكتاب هنا هو شيخ الشارح الذي روى عنه في غير موضع من هذا الشرح كما نقلناه في مواضع عديدة وهو قرينة على ما قدمناه من ان صاحب الكتاب ما مر للشارح وان هذا الكتاب هو الذى أشار اليه الشارح في كلامه. ﴿منه رحمه الله﴾.

٣- البحار ١١٦/٣٥.

لولديه علي وجعفر بأن يسلما ويؤمنا بما يدعو اليه، وانه خير الخلق، وانه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم، وانه رسول رب العالمين، فثبت بذلك في قلوبهما، فحين دعاهما رسول الله ﷺ اجاباه في الحال، وما تلبثا لما قد قرر أبوهما عندهما من امره، فكانا يتأملان أفعال رسول الله ﷺ فيجدانها أنها كلها حسنة تدعو إلى سداد ورشاد، وحسبك ان كنت منصفًا منه، هذا ان يسمح بمثل علي وجعفر ولديه، وكانا من قلبه بالمنزلة المعروفة المشهورة لما يأخذان به أنفسهما من الطاعة له والشجاعة، وقلة النظير لهما، ان يطيعا رسول الله ﷺ فيما يدعوهما اليه من دين وجهاد، وبذل أنفسهما، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، من غير حاجة اليه، لا في مال، ولا في جاه ولا غيره، لان عشيرته اعدائه، ومال فليس له، فلم يبق الاّ الرغبة فيما جاء به من ربه.

فهذا الحديث مروي عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام، فلقد بيّن فيه حال أبي طالب أحسن تبيين، ونبه على ايمانه اجل تنبيه، ولقد كان هذا الحديث وحده كافيًا في معرفة ايمان أبي طالب اسكنه الله جنته، ومنحه برحمته، لمن كان منصفًا لبيبًا، عاقلاً أديبًا، ولقد كنت سمعت جماعة من أصحابنا مذاكرة يروون عن الائمة الراشدين من آل محمد ﴿صلوات الله عليهم﴾ انهم سئلوا عن قول النبي ﷺ المتفق على روايته، المجمع على صحته، انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، فقالوا: أراد بكافل اليتيم عمه أبو طالب، لانه كفله يتيمًا من أبويه، ولم يزل شفيقًا عليه، فهذه الاخبار التي اقتصرنا على روايتها، وتجنبنا الاطالة في كثرتها، عند رواة الاخبار معروفة، وبين جملة الآثار مشهورة، وهي على ايمان أبي طالب اهدى دليل، والى معرفة اسلامه أوضح سبيل.

فصل

وأمّا ما ذكره المخالفون، ورواه المتحاملون من ان النبي صلى الله عليه وآله كان يحب عمه أبا طالب ﴿رضي الله عنه﴾ ويريد منه ان يؤمن به، وهو لا يجيب إلى ذلك، فانزل الله في شأنه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1]، فانه جهل باسباب النزول، وتحامل على عم الرسول، لان هذه الآية لنزولها عند أهل العلم سبب معروف، وحديث مأثور، وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله ضرب بحربة في خده يوم حنين، فسقط إلى الارض، ثم قام وقد انكسرت رباعيته والدم يسيل على وجهه، فمسح وجهه ثم قال: اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2].

فنحوها إلى أبي طالب تجاهلاً عليه، وتوجيهًا للشبهة اليه، ووقعة حنين كانت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله بثلاث سنين، والهجرة كانت بعد موت أبي طالب بثلاث سنين واربعة أشهر، فيا لله وللمسلمين نزل على النبي صلى الله عليه وآله آية على رأس ست سنين واربعة أشهر من متوفى أبي طالب في قوم مخصوصين، فيجعلونها لابي طالب ليتم لهم ما يريدون من كفره، ويستقيم لهم ما يبغون من شركه، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3].

١- القصص/٥٦.

٢- البحار ١٧٧/٣٥، تأويل مختلف الحديث/١٤٩.

٣- التوبة/٣٢.

وقد روي نزول هذه الآية سبب آخر، وهو ان قومًا كانوا اظهروا الايمان بالنبي ﷺ تأخروا عن هجرته، واقاموا بمكة، واظهروا الكفر والرجوع إلى ما كانوا عليه، فبلغ خبرهم إلى النبي ﷺ والمسلمين، فاختلفوا في تسميتهم بالايمان، فقال فريق من المسلمين هم مؤمنون، وانما الكفر اضطروا اليه، وقال آخرون بل هم كفار وقد كانوا قادرين على الهجرة والاقامة على الايمان، واجتمعوا إلى رسول الله ﷺ وكان اشراف القوم يريدون منه أن يحكم بالايمان لهم لارحام بينهم وبينه، فاحب رسول الله ﷺ أن ينزل ما يوافق محبة الاشراف من قومه ايثارًا لتألفهم، فلما سألوه عن حالهم قال: يأتيني الوحي في ذلك، فانزل الله في ذلك ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] يريد انك لا تحكم وتسمي وتشهد بالايمان لمن أحببت، ولكن الله يحكم له ويسميه اذا كان مستحقًا له[2].

أقول: وقد قدمنا لنزول الآية وجهًا آخر أيضًا ذكره علماء الطرفين، وجميع هذه الوجوه مشتركة في أن النزول انما كان في المدينة، بل اكثرها ظاهر في كونه في آخر عمره ﷺ، فلا يلزم الحمل على أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾.

ثم قال: فهذان السببان قد وردا في نزول الآية، وكلاهما انما كان بعد موت أبي طالب، لانها ان كانت في حنين فوقعة حنين كانت في شهر رمضان

١- القصص/٥٦.

٢- البحار ١٧٧/٣٥.

سنة ثلاث من الهجرة على مابيّناه،[1] وأبو طالب بلا خلاف مات قبل الهجرة، وموته كان السبب في الهجرة، لان الامة روت ان جبرئيل هبط إلى النبي صلى الله عليه وآله ليلة مات أبو طالب فقال له: اخرج من مكة، فما بقى لك بها ناصر بعد أبي طالب، وان كانت نزلت في الذين تأخروا عن النبي صلى الله عليه وآله على ما تقدم القول فيه فهي أيضًا نزلت بعد موت أبي طالب، لأن النبي صلى الله عليه وآله هاجر من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الآخر على رأس ثلاث سنين من متوفى أبي طالب، وأيضًا هذه الآية اذا تأملها المنصف يبين له ان نزولها في أبي طالب باطل من وجوه:

أحدها: انه لا يجوز في حكم الله ان يكره أحد من عباده، ولا يحب له الضلال، كما لا يجوز في حكمته ان يأمر بالضلال، وينهى عن الهدى والرشاد، والآخر انه اذا كان الله تعالى قد أخبر كما في كتابه انه كان يحب عمه أبا طالب في قوله: ﴿انك لاتهدي من أحببت﴾، فقد ثبت ان ابا طالب كان مؤمنًا، لان الله تعالى قد نهى عن حب الكافرين في قوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2]، فمعنى يوادون يحبون، يقال: وددت فلانًا أوده ودًا، اذا احببته، فالنبي صلى الله عليه وآله لا يجوز ان يرتكب ما نهاه عنه من حب الكفار، فثبت ان ابا طالب اذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه بحسب الآية مؤمن على ما ذكرناه.

١- وقعة حنين انما كانت في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة. (المحقق).

٢- المجادلة/٢٢.

والآخر: انه اذ ثبت ان هذه الآية نزلت في أبي طالب فهي دالة على فضل أبي طالب وعلو مرتبته في الايمان والهداية، وذلك ان هداية أبي طالب كانت بالله تعالى دون غيره من خلقه، و هو كان المتولي لها حتى سبق بها الدواعي له، وكان تقديره ان أبا طالب الذي تحبه لم تهده أنت يا محمد بنفسك، بل الله الذي تولى هدايته، فسبقت هدايته الدعوة له، فهذا يوضح ما ذكرناه، ويؤيد ما قلنا من فساد القول بالجبر، وبطلان قول من زعم ان نبي الهدى عليه السلام كان يحب الكافرين مع النهي عن ذلك بالجبر، وبالله التوفيق.

وأما ما رووه أيضًا من ان النبي صلى الله عليه وآله أمر أمير المؤمنين عليه السلام وجعفرًا ﴿رضي الله عنه﴾ عند موت أبي طالب ان لا يأخذا من تركته شيئًا، وأخذها طالب وعقيل من دونهما، لان طالبًا وعقيلاً لم يؤمنا يومئذ، فحديث مصنوع، وكذب موضوع على غير أصل ثابت، وكيف لا وبنو هاشم قد اشتهر عنهم، وعرف من مذهبهم ان المسلم يرث الكافر، وان الكافر لا يرث المسلم، ويقولون ان الكافر اذا خلف وارثين أحدهما كافر، والآخر مسلم يكون ميراثه للمسلم دون الكافر، ولو كان الكافر اعلى درجة من المسلم، ومذهبهم هذا هو الموافق لكتاب الله وسنة نبيه.

أمّا كتاب الله فقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[1]، وقوله ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾[2]، وقوله ﴿لِّلرِّجَالِ

١- النساء/١١.

٢- النساء/١٢.

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[1]، وما شاكل ذلك من آيات المواريث، لان ظواهر هذه الآيات مقتضية ان الكافر كالمسلم في الميراث، فلما اجتمعت الامة على ان الكافر لا يرث المسلم اخرجوه بهذا الدليل الموجب للعلم، وبقي ميراث المسلم للكافر بحسب الظاهر، كميراث المسلم للمسلم.

وأما السنة فاتفاق اهل البيت ﴿صلوات الله عليهم﴾ واجماعهم على ان المسلم يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، واجماعهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ حجة قاطعة، ودلالة فاصلة الادلة، لولا الخروج عما نحن بصدده ذكرناها ها هنا، غير انها مشروحة مبينة في تصانيف أصحابنا، فمن أرادها وقف عليها، وقول النبي صلى الله عليه وآله: الاسلام يعلو ولا يعلى عليه، وقوله عليه السلام: الاسلام يزيد ولاينقص، وما شاكل ذلك.

وأما ما تعلق به المخالف من الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: لا توارث بين أهل ملتين، فأنا أقول بموجبه، والتوارث تفاعل وهو مقتض أن يكون كل يرث صاحبه، واذا ذهبا إلى ان المسلم يرث الكافر دون العكس، فما اثبتنا بينهما توارثًا، ألا ترى ان العرب اذا ضرب زيد عمروًا لا يقولون تضارب زيد وعمرو، واذا ضرب كل واحد منهما صاحبه قالوا تضارب زيد وعمرو، فعلى هذا صح لنا العمل بالخبر المذكور.

وقد روى مخالفونا القول بموافقة أهل البيت عليهم السلام عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ومحمد بن الحنفية ﴿رضي الله عنه﴾، ومحمد بن علي الباقر

١- النساء/٧.

عليهما السلام، ومسروق بن الاجدع، وعبد الله بن معقل، وسعيد بن المسيب، ويحيى بن نعيم، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان.

فثبت ان هذه الأخبار المختلقة الباطلة المفتعلة غير ضائرة لأبي طالب رحمه الله، وانما يعود ضررها ووبالها، وزورها وعتابها على الذين تخرصوها وافتروها، وانتحلوها جرأة على الله، وتهاونًا برسول الله صلى الله عليه وآله، وانها وان جلّدوها في صحايفهم، وقصوها في مجامعهم.

فصل

وأمّا حبّ النبي صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب، وميله اليه، وتحننه عليه، فأبين من فرق الصبح، واوضح من الضحى.

أخبرني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني قراءة عليه سنة أربع وخمسين وخمسمائة قال: أخبرني الشريف النسابة أبو تمام هبة الله بن عبد السميع ابن عبد الصمد الهاشمي العباسي، قال: أخبرنا الشريف أبو عبد الله بن جعفر بن هاشم بن علي بن محمد بن الصوفي، عن جده أبي الحسن علي بن محمد بن الصوفي العلوي العمري النسابة الفاضل المعروف، قال: روى الشريف الفاضل المحدث أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان أبو محمد الشريف يعرف بالزيداني، عن جده يحيى بن الحسن الشريف العالم المناسب المدني، يرفعه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعقيل بن أبي طالب: انا

أحبك يا عقيل حبين، حبًا لك، وحبًا لأبي طالب، لانه كان يحبك[1].

فيا ليت شعري اذا كان النبي ﷺ يحب عقيلاً لحب أبي طالب، فما ظنك بأبي طالب وحبه اياه ﴿رضي الله عنه وارضاه﴾.

ومما اشتهر عن النبي ﷺ من الرقة على عمه أبي طالب والايثار لصلاحه، والحب لفلاحه، ما أخبرني به الشيخ الفقيه أبو الفتح الكراجكي رحمه الله يرفعه قال: أصابت قريش أزمة مهلكة، وسنة مجذبة مهلكة، وكان أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ ذا مال يسير، وعيال كثير، فاصابه ما أصاب قريش من العدم والاضاقة والجهد والفاقة، فعند ذلك دعى رسول الله ﷺ عمه العباس فقال: يا أبا الفضل ان أخاك كثير العيال، مختلّ الحال، ضعيف النهضة والعزمة، وقد نزل به ما نزل من هذه الازمة، وذوو الأرحام احق بالرفد، واولى من حمل الكلّ في ساعة الجهد، فانطلق بنا اليه لنعينه على ما هو عليه، فلنحمل عنه بعض اثقاله، ونخفف عنه من عياله، يأخذ كل واحد منا واحدًا من بنيه، ليسهل بذلك عليه بعض ما هو فيه، فقال العباس: نعم مارأيت، والصواب فيما أتيت، هذا والله الفضل الكريم، والوصل الرحيم، فلقيا ابا طالب وقالا له: انا نريد نحمل عنك بعض الحال، فادفع الينا من اولادك من يخف به عنك الاثقال، فقال أبو طالب: اذا تركتما لي عقيلاً وطالبًا فافعلا ما شئتما، فاخذ العباس جعفرًا، وأخذ رسول الله ﷺ عليًا، فانتجبه لنفسه، واصطفاه لمهم أمره، وعول عليه في سره

١- البحار ١١٨/٣٥.

وجهره، وهو مسارع لمرضاته، موفق للسّداد في جميع حالاته[1].

وقد روي من طريق آخر ان العباس اخذ جعفرًا، واخذ حمزة طالبًا، واخذ رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عليًا.

وروي من طريق اخرى ان أبا طالب قال للنبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ والعباس حين سألاه ذلك: اذا خليتماني عقيلاً فخذا من شئتما، ولم يذكر طالبًا،[2] كل ذلك قد روي.

وأما القصة فمتفق عليها، فانظر إلى هذه الرقة من النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ على أبي طالب، والحب والشفقة عليه، وقد وصف الله المؤمنين بالشدة على الكفار حيث يقول: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، وقال عز من قائل ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[4]، والنبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أفضل المؤمنين وسيد الأولين والآخرين، فكيف يجوز لمسلم أن يصف أبا طالب بالكفر ويرميه بالشرك، وقد اشتهر عن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ الميل اليه والانعطاف عليه، فمن قطع على أبي طالب بالكفر فقد وصف النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بما لا يجوز عليه، ونسبه إلى ما لا يجوز ان ينسب اليه من الحب للكافرين، والميل إلى الجاحدين.

فان قيل: انما كان النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يحبه ويحنو عليه، لقرب رحمه منه،

١- البحار ١١٨/٣٥.

٢- البحار ١١٩/٣٥.

٣- الفتح/٢٩.

٤- المائدة/٥٤.

وتربيته له.

قلنا: تحريم المودة للكافرين عام يتناول القرباء، كما يتناول البعداء، فلا يجوز تخصيصه بقوم دون قوم الاّ بدليل، وما إلى الدليل من سبيل.

أقول: بل صرحت الآية المتقدمة بالاقرباء على التفصيل لقوله عز شأنه ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1].

فصل

أخبرنا الشيخ عبد الحميد بن التقي الحسيني، باسناده إلى الشريف النسابة الفاضل أبي الحسن علي بن محمد بن الصوفي العلوي العمري رحمه الله، قال:حدثني أبو الحسين علي بن دانيال البصري رحمه الله، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن سعيد الآملي، قال: حدثنا أبو علي الارجاني شيخ ورد الينا البصرة كثير الحفظ، قال: حدثنا أبو العباس المبرد قال: حديث ان ابا طالب بن عبدالمطلب خطب لرسول الله صلى الله عليه وآله في تزويجه خديجة بنت خويلد فقال: الحمد لله.

أقول: ثم ساق الخطبة إلى آخرها كما قدمنا نقله عن الشارح، ثم قال قدس سره: فانظر إلى ما تضمنته هذه الخطبة من العصبية لسيد البشر صلى الله عليه وآله، والمدح له، والمعرفة بفضله، والاعتراف بأن له عليه السلام خطبًا جليلاً، وثناء شايعًا، فيا ليت شعري ما الذي يبعثه على الكفر بعد معرفة خطبه الجليل، وثنائه الشايع، وهو من اولي الالباب الذين أتاهم الله فصل الخطاب.

١- المجادلة/٢٢.

باب

نذكر فيه طرفًا من أشعاره الدالة على إيمانه، وجملة من افعاله المحققة لاسلامه، وما اشبه ذلك من نصره لنبي الله، ومنابذته لاعداء الله، فمن ذلك مارواه ابان، والاموي، والواقدي وغيرهم من حملة الآثار، ورواة الاشعار من قوله ﴿رضي الله عنه﴾ يحذر قريشًا الحرب، وينعى عليهم توازرهم على تكذيب النبي ﷺ، وينبههم على صحة نبوته ومودتهم، ويؤذنهم بنصرة عترته شعرًا:

ألا من لهمّ آخر الليل معتم ... طواني وأخرى النجم لم يتقحم

تواني وقد نامت عيون كثيرة ... وسامر اخرى سامر لم ينوم

لأحلام اقوام ارادوا محمدًا ... بظلم ومن لا يتقي البغي يظلم

سعوا سفهًا واقتادهم سوء امرهم ... على قائل من رأيهم غير محكم

رجاء امور لم ينالوا انتظامها ... ولو حشدوا في كل بدو وموسم

يرجون منا خطة دون نيلها

إلى آخر الآيات المتقدمة في كلام الشارح وزاد بعدها:

وهذي معاذير وتقدمة لكم ... لئلا تكون الحرب قبل التقدم

ثم قال رحمه الله: أفلا يرى ذو اللب إلى جزالة هذا الشعر وقوته، وجد قايله ﴿رضي الله عنه﴾، وتشميره في نصر النبي ﷺ والشهادة له بالنبوة،

والاقرار بما جاء من عند الله، فنعتبر أم على قلوب اقفالها، ولما سمع المشركون هذا القول من أبي طالب واشباهه، واراد قيام بني هاشم معه في نصره سعوا بينهم، واجتمعوا وقالوا ننافي بني هاشم، ونكتب صحيفة، ونودعها الكعبة، ان لا نبايعهم، ولا نشاريهم، ولا نحدثهم ولا نستخدمهم، ولا نجمع معهم، ولا نقضي لهم حاجة، ولا نقضيها منهم، ولا نقتبسهم نارًا، حتى يسلموا الينا محمدًا، ويخلوا بيننا وبينه أو ينتهي عن تسفيه آبائنا، وتضليل آلهتنا، واجمع كفار أهل مكة على ذلك، وعلم أبو طالب بهذه الحال، فقال يستلطفهم، ويحذرهم الحرب، وقطيعة الرحم، ويضرب لهم المثل بناقة صالح، ويذكر أمر الصحيفة:

ألا ابلغا عني على ذات بينها ... لويًا وخصا من لوي بني كعب

الأبيات المتقدمة في كلام الشارح إلى قوله:

واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ثم قال رحمه الله: انظر إلى هذا الاقرار الصريح من أبي طالب رحمه الله بأن محمّدًا نبي كموسى خط في أول الكتب، فهذا البيت يدل على ايمانه من وجوه:

منها: ايمانه بنبوة محمد صلى الله عليه وآله.

ومنها: ايمانه بكتب الله تعالى التي لا يعرفها إلاّ المؤمنون.

ومنها: معرفته بموسى بن عمران عليه السلام وقوله:

ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

يريد بالنبوة منه والاختيار، وهذا الشعر اذا تأمله المنصف رآه محض الاقرار بالنبوة والاعتراف بالرسالة.

وأما الصحيفة التي كتبتها قريش بالقطيعة، فان الله تعالى ارسل عليها دابة من الارض فأكلت ما كان فيها من قطيعة وعقوق، وأبقت ما كان فيها من اسمك اللهم، فاعلم جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله بحالها، واعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أبا طالب، ان الله تعالى قد محى ما في الصحيفة من فجور وعقوق، ولم يبق فيها إلاّ ما كان من اسمك اللهم، فجاء أبو طالب بذلك فرحًا إلى قريش، فقال: ان الله قد محى ما في الصحيفة من فجور وعقوق، فقالوا: ان كان ما تقوله زورًا وتمويهًا قد انبأك به محمد ليضل قومه قال: اذاً أُشايعكم في بعض شأنكم، فمضوا ومضى معهم إلى الكعبة، فوجدوها قد محيت إلاّ ما كان فيها من اسمك اللهم، فقالوا: هذا سحر محمد، وزادهم طغيانًا ونفورًا، فقال أبو طالب رحمه الله يذكر الصحيفة ويهجوا الذين سعوا فيها، وقرروا أمرها:

ارقت وقد تصوبت النجوم

الأبيات، وقد قدمناها، ثم قال: وهي قصيدة اسقطنا منها اسطرًا كراهية الطول، وقال أيضًا:

أمـن اربـع أقـوين بعـد القـدايم | أقمـن بمـدحاة الريـاح الرمـايم
تنالـك عينـي بالبكـاء وخلتنـي | تبرقعت دمعي يوم بين الصرايم
وكيف بكائي في طلول وقد مضت | لها حقب مذ فارقت ام عاصم
عقاربـة حلـت سـولان حلـة | فيتبع او حلت بهضب الصرايم
فدعها فقد شطت بها غربة النوى | وشعب أشث الحي غير ملايم
وبلّغ على الشحناء افناء غالب | لويًا وتيمًا عند أصر العزايم
ألـم تعلمـوا ان القطيعـة مـأثم | وامـر بـلاء قـائم غيـر حـازم
وان سبيل الرشد يعرف في غد | وان نعـيم اليـوم لـيس بـدائم

فقوله: ان سبيل الرشد يعرف في غد، يريد في يوم القيامة، وقوله: وان نعيم اليوم ليس بدائم، يريد نعيم الدنيا ليس بدايم، وان نعيم الآخرة دائم، وهذا اذا تأمله منصف رآه اقرارًا صريحًا من أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ بجميع ما جاء به النبي ﷺ من القيامة والبعث والنشور والعقاب وغير ذلك من أمور الآخرة، ألا ترى إلى قوله ان القطيعة مأثم، والاثم هو ما يجازى عليه في الآخرة.

وقد روي ان رجلاً من قريش يقال له أمية بن خلف الجمحي جاء إلى النبي ﷺ بعظم نخر فسحقه في وجهه، وقال: انك تزعم يا محمد ان هذا العظم يعود حيًا تكذيبًا لما جاء به الرسول ﷺ، فانزل الله فيه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ

مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، وأبو طالب قد صرح في هذه الأبيات وغيرها بالاقرار بالبعث بخلاف ما عند القوم.

نرجع إلى القصيدة:

فلا تسفهوا أحلامكم في محمد

الأبيات المتقدمة، وزاد فيها بعد قوله قطف اللحى والجماجم

ولم تصر الاموات منكم ملاحمًا   تحوم عليها الطير بعد ملاحم

وندعو بارحام اواصر بيننا   وقد قطع الارحام وقع الصوارم

ونسموا بخيل بعد خيل يحثها   الى الروع اولاد الكماة القماقم

احلتم بانا مسلمون محمدًا

إلى آخر ما تقدم، ثم زاد عليه أيضًا:

تطوف به جرثومة هاشمية   تدافع عنه كل عات وظالم

ثمّ قال: ألا ترى يا ذا الحلم الرزين، والعقل المكين إلى هذا الاقرار بالنبوة وتوحيد الرب جلت عظمته في قوله اتاه الوحي من عند ربه، ومن أين يعرف الكفار الوحي، ثم يقول في هذه الأبيات فمن قال لا يقرع بها سن نادم، يريد من لا يقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله يندم إذا شاهد عذاب الله تعالى، وقوله

١- يس/٧٨-٧٩.

محبٌّ في العباد مسوم، يريد أنه ﴿صلوات الله عليه وآله﴾ موسوم بخاتم النبوة الذي كان بين كتفيه، وقل ما ذكره احد من الشعراء المسلمين، وذكر قريشًا إلى الاسلام، ويذكر النبي ﷺ:

وآمنـــوا بنبـــي لا أبًـا لكـــم ذي خاتم صاغه الرحمن مختوم

ومن ذلك قول عبد الله بن الزبعرى للنبي ﷺ حين اسلم بعد العداوة والمباينة، والمضاغنة والمكاشفة:

وعليـك مـن نـور الإلـه دلالـة وجـه اغـر وخاتـم مختـوم

فهل فوق هذا الاقرار اقرار، وبعد هذا الايمان ايمان، وهل يسع مسلم أن يسمع هذا الاقرار بنبوة محمد المختار من أحد من الكفار، ولا يجري عليه أحكام المسلمين، ويخرجه من جملة الكافرين، ولو لم يكن في الاسلام ذا بلاء عظيم، وعناء جسيم.

وقال أيضًا: يذكر أمر الصحيفة للمستعتب:

ألا من لهمّ آخر الليل منصب وشعب العصا من قومك المتشعب

أربعًا من لوي ابن غالب متى ما تزاحمها الصحيحة تجرب

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما تحير غائب القوم منجب

محى الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب

فاصبح ما قالوا من الامر باطلاً ومن يختلق ماليس بالحق يكذب

فامسى ابن عبد الله فينا مصدقًا على سخط من قومه غير معتب

وهل يكون اقرار بالرسالة وايمان بالنبوة ابلغ من قوله:

فامسى ابن عبد الله فينا مصدقًا على سخط من قومه غير معتب

ولكن العناد يمنع من اتباع الحق، ويصد عن قول الصدق.

فلاتحسبونا مسلمين محمدًا لدي عسرة منا ولا لتقرب
ستمنعه فينا يد هاشمية ومركبها في الناس من خير مركب
فلا والذي تحدي اليه قلايص لادراك نسك من منى والمحصب
نفارقه حتى نصرع حوله وما بال تكذيب النبي المقرب
وكفرًا اليكم من فضول حلومكم ولا تذهبوا في رأيكم كل مذهب

فيا سبحان الله من يكون بمنزلة أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ من البصيرة في الامور والعقل الغزير، ويعلم ان محمدًا ﷺ نبي مقرب، ويقر له بذلك في شعره، كيف يقدر منه أن يكفر به، ان هذا هو العناد العادل عن الرشاد، وشعر أبي طالب حشره الله مع ذريته، واسكنه بحبوحة جنته في أمر الصحيفة كثير لا يبلغ مداه، ولا يحصر منتهاه، وانما اثبتنا منه نبذة وجيزة، وابياتًا قليلة كراهية الاطناب، إلى أن قال: وقال أبو طالب ينعى على قريش المقطعة ويحذرهم الحرب شعرًا:

تطـــاول ليلـــي لامـــر نـــصب — ودمـع كمـسح الـسقاء الـسرب

للعـــب قـــصي باحلامهـــا — وهـل يرجـع الحلـم بعـد اللعـب

وقـــالوا لاحمـــد انـــت امـــرءٌ — خلـوق الحـديث ضـعيف النسب

وان كـــان احمـــد قـــد جـــاءهم — بـصدق ولـم يـأتهم بالكـذب

ونفـــي قـــصي مـــن هاشـــم — كنفـي الطهـاة لطـف الحطـب

علـــى ان اخوانـنـــا وازروا — بنـي هاشـم وبنـي المطلـب

فيـــا لقـــصي ألـــم تخبـــروا — بمـا قـد خـلا مـن شـؤون العـرب

ورمـــتم باحمـــد مـــا رمـــتم — علـى الاصـرات وقـرب النـسب

فانا ومن حج من راكب

إلى آخر الابيات المتقدمة ثم قال: ألا ترى إلى تشميره في عداوة المشركين، وقوله وان كان أحمد جائهم بصدق ولم يأتهم بالكذب، فكيف يكون الاسلام، وبماذا يعرف الايمان، وهل بين قول هذا وبين قول المسلم اشهد أن لا إله الاّ الله، واشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ فرق عند الذي ينهى النفس عن الهوى، ويتنكب سبيل الردى.

وقال أبو طالب رحمه الله يعاتب قومًا من عشيرته، ويحذرهم وبال عداوتهم، ويذكر امر النبي ﷺ وعترته:

ألا ابلغـا عنـي لويـًا رسالـة — بحق ومـا تغني رسالـة مرسل

الأبيات المتقدمة إلى آخرها وزاد بعدها:

بايمان شم من ذوابة هاشم   مغاوير بالاخطار في كل محفل

وقال أبو طالب رحمه الله في مثل ذلك شعرًا:

خذوا حظكم من سلمنا ان حربنا   اذا ضرمت للحرب نار تسعر

فانا واياكم على كل حالة   لمثلان بل انتم إلى الصلح افقر

وكان عثمان بن مظعون الجمحي ﴿رضي الله عنه﴾ ممن شرح الله صدره للايمان، ووفقه للاسلام، فكان يقف في مجامع قريش وانديتهم ويعظهم، ويأمرهم باتباع النبي صلى الله عليه وآله وتصديقه، ويحذرهم من النار وعذاب الآخرة، فوثب عليه سفهاء منهم، ففقئوا عينه، فنهض أبو طالب في أمره، واخذ بحقه وقال في ذلك شعرًا:

امن تذكر دهر غير مأمون

الابيات المتقدمة إلى آخرها.

ثمّ قال: انظر يا ذا اللب والنهى، والعقل والحجى إلى اقراره بالكتاب، وأنه منزل عجيب، كما قال الله تعالى حاكيًا عن مؤمني الجن حين سمعوا القرآن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[1].

١- الجن/١.

وقوله: على من كموسى أو كذي النون، سبحان الله من أين يعرف الجاهلي موسى عليه السلام؟ ومن أين يعرف الكتاب المنزل؟ وهل مؤمن بالله ورسله وكتبه من يشرك به، ان هذا إلاّ هوى قاهر، وعناد ظاهر، ثم ما كفى أبو طالب صريح الاقرار، ومحض الايمان حتى حث المشركين على اتباعه والايمان به، ثم كيف قدر منه أن يخبر في شعره انه يضرب المشركين بمرهفات، كأن الملح خالطها حتى يؤمنوا بالكتاب المنزل، ولا يؤمن هو به، ان هذا لهو المحال الذي لا يخفى على ربات الحجال، وان شعره اذا تأملته، وكلامه اذا تبينته لاشد على المشركين من القرآن العظيم.

وأخبرني الشيخ الفقيه شاذان رحمه الله باسناده إلى [أبي] الفتح الكراجكي رحمه الله يرفعه ان ابا جهل بن هشام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ومعه حجر يريد ان يرميه به اذا سجد، فرفع ابو جهل يده فيبست على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له اشياعه من المشركين أجننت قال: لا ولكن رأيت بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه، فقال في ذلك أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾:

أفيقوا بني عمنا وانتهوا	عن الغي في بعض ذا المنطق
وإلاّ فاني اذًا خايف	بوايق في داركم تلتقي
تكون لغابركم عبرة	ورب المغارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم	ثمود وعاد ومن ذا بقي
غداة اتتهم بها صرصر	وناقة ذي ا لعرش اذ تستقي

فحـــل علـــيهم بهـــا ســـخطة   مـــن الله فـــي ضـــربة الازرق
غـــداة يعـــض بعرقوبهــــا   حـــسام مـــن الهنـــد ذو رونـــق

واعجب من ذاك في امركم

إلى آخر ما تقدم من الأبيات.

ثم قال: فهل يكون على ايمان أبي طالب رحمه الله اوضح من هـذه الابيـات، وانه اعرب بها عن ايمانه بـالله تعـالى ورسـوله، لمـا ضـمنها مـن الاعتـراف بـالله تعالى وآياته، وتصديقه بالمعجزات التي اظهرهـا الله لنبيـه، واخبـاره عـن النبـي صلى الله عليه وآله بأنه صابر صادق متقي، ثم يضرب للكفار الأمثال بناقة صـالح، ويـضيفها إلى الله تعالى في قولـه وناقة ذي العرش، ألا ترى ما احسن بما يظهر الله ايمانه، ويبين اسلامه حيث لا يضرب للكافرين مثل النبي صلى الله عليه وآله الاّ بامثـال مـن تقدمـه من النبيين والمرسلين عليهم السلام، وفـي هـذا مقنـع لمـن اهتـدى، ونهـى الـنفس عـن الهوى.

ولقد حكى الشيخ أبو الحسن علي بن أبي المجد الـواعظ الواسـطي بهـا في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة حكايـة مطبوعـة أوجبـت الحـال ايرادها في هذا المكان قال: حدثني والد أبو المجـد الـواعظ قـال: كنـت أروي ابيات أبي طالب هذه القافية، وانشد قولـه بكف الذي قام في جنبه إلى الـصابن الصادق المتقي، فرأيت في نومي ذات ليلة رسول الله صلى الله عليه وآله جالسًا على كرسي وإلى جانبه شيخ عليه من البهـاء مـا يأخـذ بمجـامع القلـب، فـدنوت مـن النبـي

ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فردّ علي السلام، ثم اشار إلى الشيخ وقال: ادن من عمي فسلم عليه، فقلت: أي اعمامك هذا يا رسول الله؟ فقال: هذا عمي أبو طالب فدنوت منه وسلمت عليه، ثم قلت له: يا عم رسول الله اني اروي ابياتك القافية واحب أن تسمعها مني، فقال: هاتها فانشدته اياها إلى أن بلغت فيها بكف الذي قام في جنبه إلى الصابن الصادق المتقي، فقال: انما قلت انا إلى الصابر الصادق المتقي - بالراء- ولم أقل - بالنون- ثم استيقظت وكتبت في الصحيفة التي عندي في هذه الأبيات ما جرى أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ بين يدي رسول الله ﷺ انه قال إلى الصابر الصادق المتقي.

وروى لي رجل من أهل خراسان اجتمعت به هناك في بعض شهور سنة تسع وتسعين وخمسمائة باسناد إلى المأمون انه كان يقول: اسلم والله ابو طالب وهو قوله: نصرنا الرسول، البيت.

وقد تقدم، وبعد هذا البيت، أدب واحمي، إلى آخر ما تقدم أيضًا.

ثم قال: وروى الواقدي، ثم نقل تعذيب قريش لمن اسلم منهم، ومهاجرة جعفر وبعض المسلمين إلى النجاشي ملك الحبشة، ومضي عمرو بن العاص ليكيدهم هناك، وأبيات ارسلها ابو طالب يمدح بها النجاشي إلى أن قال: ثم كتب اليه يدعوه إلى الاسلام، ويحثه على اتباع النبي ﷺ:

تعلم مليك الحبش ان محمدًا	وزير لموسى والمسيح بن مريم
اتى بالهدى مثل الذي أتيا به	فكل بحمد الله يهدي ويعصم
وانكم تتلونه في كتابكم	بصدق حديث لا حديث المترجم

فــلا تجعلـــوا لله نـــدًا واســـلموا فـــان طريـــق الحـــق لـــيس بمظلـــم
وأنـــت بمـــا يأتيـــك منـــا عـــصابة لقـــصدك ألا يرجعـــوا بـــالتكرم

فانظر أيها المنصف اللبيب، الحازم الأديب، إلى هذه الشهادة لمحمد ﷺ بأنه وزير لموسى والمسيح عليهما السلام، وانه اتى بمثل الذي أتيا به، فهذا ايمان محض بالنبيين عليهم السلام، واعتراف بما جاؤا به من الهدى، فكل بأمر الله يهدي ويعصم، أي كل من محمد وموسى وعيسى ﴿عليهم الصلاة والسلام﴾ يهدي ويعصم، وقوله للنجاشي انكم تتلونه في كتابكم يريد الانجيل، لان ذكر النبي ﷺ فيه، وكان النجاشي على دين النصرانية، فهل فوق هذا تصديق أو أعظم منه تحقيق، ثم يقول للنجاشي: فلا تجعلوا لله اندادًا واسلموا، أليس هذا أمر صريح منه بالتوحيد لله تعالى، والاسلام الذي جاء به ابن أخيه عليه السلام، ثم يقول: وان طريق الحق ليس بمظلم، وانه واضح، وهو سديد عاقل، كيف يختار الضلال، نعوذ بالله من اتباع الهوى، المورد لظى النار، الموجب لغضب الجبار.

وأخبرني السيد أبو علي عبد الحميد بن التقي رحمه الله باسناده إلى الشريف الموضح يرفعه قال: كان أبو طالب يحث ابنه عليًا، ويحضه على نصر النبي ﷺ، وقال علي عليه السلام: قال لي أبي: الزم ابن عمك فانك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل، ثم قال لي:

ان الوثيقـــة فـــي لـــزوم محمـــد فاشـــدد بـــصحبته علـــي يداكـــا

فصل

وأمّا دفاع أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ودعائه لاهل بيته إلى تصديقه ونصره، واجتهاده في شأنه وامره، فأبين من الآلة عند ذي الفطنة والنباهة.

أخبرني الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رَحِمَهُ اللهُ باسناده إلى الشيخ أبي الفتح الكراجكي رَحِمَهُ اللهُ قال: حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الاودي، قال: حدثنا عمر بن محمد بن سيف بالبصرة سنة سبع وستين وثلاثمائة، قال: حدثنا محمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن ضوء بن صلصال بن الدلهمس بن جبل بن جندل، قال: حدثني أبي ضوء بن صلصال، عن أبيه صلصال بن الدلهمس قال: كنت انصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مع أبي طالب قبل اسلامي فاني يومًا لجالس بالقرب من منزل أبي طالب، اذ خرج اليّ أبو طالب شبيهًا بالملهوف فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبي وعليًا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقلت: ما رأيتهما مذ جلست، فقال: قم بنا في الطلب له، فلست آمن قريشًا ان تكون اغتالتهما، قال: فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قُلته، فاذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعلي عن يمينه، وهما قائمان بازاء عين الشمس يركعان ويسجدان، قال: فقال أبو طالب لجعفر ابنه: صل جناح ابن عمك، فقام إلى جنب علي، فأحس بهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فتقدمهما، فاقبلوا على امرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم اقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول ان عليًا وجعفرًا ثقتي، الابيات

المتقدمة[1].

ثم قال: وأخبرني السيد أبو عبد الحميد بن التقي الحسيني رحمه الله باسناده إلى أبي علي الموضح يرفعه إلى عمران بن الحصين الخزاعي رحمه الله قال: كان والله اسلام جعفر عليه السلام بأمر أبيه، وذلك أنه مر أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي، وعلي عليه السلام عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك، فجاء جعفر فصلى مع النبي صلى الله عليه وآله، فلما قضى صلاته قال له النبي صلى الله عليه وآله: يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، ان الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة، فأنشأ أبو طالب ﴿رضوان الله عليه﴾ يقول: ان عليًا وجعفرًا ثقتي، البيتان الأوّلان وبعدهما:

ان ابا معتب اسلمنا ... ليس ابو معتب بذي حدب

والله ما أخذل النبي ولا ... يخذله من بني ذو حسب

حتى ترون الرؤوس طائحة ... منا ومنكم هناك بالقضب

نحن وهذا النبي اسرته ... نضرب عنه الاعداء كالشهب

ان نلتموه بكل جمعكم ... فنحن في الناس آلم العرب

وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي المحدث البغدادي، وكان ممن يرى كفر أبي طالب ويعتقده بواسط العراق سنة احدى وتسعين وخمسمائة باسناده إلى الواقدي قال: كان أبو طالب لا

١- شرح الاخبار ٥٤٩/٣، كنز الفوائد/١٢٤، البحار ١٢٠/٣٥.

يغيب صباح النبي ﷺ ومساءه، ويحرسه من اعدائه، ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم قصده ولم يره، وجاء المساء ولم يره، واصبح فطلبه في مضانه فلم يجده، فلزم احشائه وقال: واولداه، وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه فقال لهم: ان محمدًا قد فقدته في امسنا ويومنا هذا، ولا اظن الاّ أن قريشًا قد اغتالته وكادته، وقد بقى هذا الوجه ما جئته وبعيدًا ان يكون فيه، واختار من عبيده عشرون رجلاً فقال: امضوا واعدوا سكاكينًا، وليمضي كل رجل منكم وليجلس إلى جنب سيد من سادات قريش، فان أتيت ومحمد معي فلا تحدثوا أمرًا، وكونوا على رسلكم حتى اقف عليكم، وان جئت وما محمد معي، فليضرب كل رجل منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش، فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتى رضوها، ومضى أبو طالب في الوجه الذي اراده ومعه رهط من قومه، فوجده في أسفل مكة قائمًا يصلي إلى جنب صخرة، فوقع عليه وقبّله واخذ بيده، وقال: يا ابن أخ قد كدت ان تأتي على قومك، سر معي، فاخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي ﷺ قالوا: هذا ابو طالب قد جاء بمحمد، ان له لشأنًا، فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده: ابرزوا ما في أيديكم، فابرز كل واحد ما في يده، فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: ما ترون، اني طلبت محمدًا فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فامرت هؤلاء ان يجلسوا إلى حيث ترون، وقلت لهم ان جئت وما معي محمد، فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه، ولا

يستأذني فيه ولو كان هاشميًا، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ قال: أي ورب هذه، واومأ إلى الكعبة، فقال له مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك، قال: هو ذاك ومضى به وهو يرتجز ويقول:

اذهب بني فما عليك غضاضة   اذهب وقر بذاك منك عيونا

والله لن يصلوا اليك، الابيات المتقدمة بغير البيت الثاني منها، قال: فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والاستعطاف، وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت اليهم[1].

وحدثني شيخنا عميد الرؤساء بن أيوب اللغوي، قال: اراني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني النسابة في نسخة عتيقة ضمن كتاب الكامل للمبرد بعد ذكره لأبي طالب في بعض الأبواب، واسلم أبو طالب، وحسن اسلامه، وصدق ر سول الله في كلمته، وله شأن عجيب لا يحتمله اهل بغداد، فمما صدق به رسول الله صلى الله عليه وآله اذهب بني فما عليك غضاضة، وذكر الأبيات.

فصل

ومما رواه نقلة الآثار، ورواة الاخبار من فعل النبي صلى الله عليه وآله عند موت عمه أبي طالب رحمه الله، وقوله اللذان يشهدان بصحة اسلامه، وحقيقة ايمانه ما أخبرني

١- البحار ١٢٣/٣٥.

به مشائخي أبو عبد الله محمد بن ادريس، وأبو الفضل شاذان بن جبرئيل، وأبو المعز محمد بن علي العريفي ﴿رضي الله عنهم﴾ باسانيدهم إلى الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله يرفعه قال: لما مات أبو طالب رحمه الله أتى أمير المؤمنين عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله فآذنه بموته، فتوجع توجعًا عظيمًا، وحزن حزنًا شديدًا، الحديث. كما تقدم في كلام الشارح.

ثم قال: أخبرني الشيخان أبو عبد الله محمد بن ادريس، وابو الفضل شاذان بن جبرئيل ﴿رحمهما الله﴾ بالاسناد إلى أبي الفرج الاصفهاني، قال: حدثنا أبو بشر، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن حماد، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثني أبي قال: سئل أبو الجهم بن حذيفة اصلّى النبي صلى الله عليه وآله على أبي طالب؟ فقال: وأين الصلاة يومئذ، انما فرضت الصلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وامر بالقيام بامره، وحضر جنازته، وشهد له العباس وأبو بكر بالايمان، واشهد على صدقهما، لانه كان يكتم ايمانه، ولو عاش إلى ظهور الاسلام لأظهر ايمانه[1].

وذكر الشريف النسابة العلوي العمري المعروف بالموضح باسناده ان ابا طالب لما مات ما كانت الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه ولا على خديجة، وانما اجتازت جنازة ابي طالب والنبي صلى الله عليه وآله وعلي و جعفر وحمزة جلوس، فقاموا وشيعوا جنازته واستغفروا له، فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا واقاربنا المشركين، ظنًا منهم ان ابا طالب مات مشركًا، لانه كان يكتم ايمانه،

١- البحار ١٢٧/٣٥.

فنفى الله عن أبي طالب الشرك ونزه نبيه والثلاثة المذكورين عن الخطأ في قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾[1]، فمن قال بكفر ابي طالب فقد حكم على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالخطأ، والله قد نزهه عنه في أقواله وافعاله، ولو كان ابو طالب مات كافرًا لما آلم النبي بعد الموت، ولا اثنى عليه، ووالى بين الدعاء له بالخير، بل كان تبرأ منه، وتبعه بالذم والتوبيخ على قبيح ما كان من الخلاف له في دينه، لان ذلك كان فرضه الذي فرضه الله تعالى عليه بقوله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2]، وقال عزّ وجلّ:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[3]،

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[4]، وكذلك يجب على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ان يفعل ذلك بأموات الكافرين.

١- التوبة/١١٣.

٢- التوبة/٨٤.

٣- التوبة/١١٣.

٤- التوبة/١١٤.

فصل

وأخبرني السيد السعيد أبو علي عبد الحميد بن التقي النسابة باسناده إلى الشريف أبي علي الموضح يرفعه قال: لما ادخلت قريش بني هاشم الشعب فكان رسول الله ﷺ اذا أخذ مضجعه، جاء أبو طالب فانهضه من فراشه، وانام عليًا ابنه مكانه، الحديث كما تقدم مع الأبيات، الاّ أنه زاد هنا في أبيات أبي طالب وخطابه لعلي عليه السلام وبيتًا في آخرها وهو قوله:

كل حي وان تملى بعيش ... آخذ من حبالها بنصيب

ثم قال: وأخبرنا الشيخ أبو عبد الله رحمه الله باسناده إلى أبي الفرج الاصفهاني قال: كان أبو بشير يقول: كان علي عليه السلام لا يرى احد يسب النبي ﷺ الاّ وثب عليه، وكان في كل يوم يجيء إلى أبيه مضروبًا مشجوجًا، فقال في ذلك أبو طالب: اصبرن يا بني فالصبر احجى الأبيات.

وقال أبو طالب يأمر أخاه حمزة بن عبد المطلب ﴿رضي الله عنه﴾ بالاسلام، ويحضه على نصر نبي الهدى ﷺ فصبرًا أبا يعلى على دين أحمد، الابيات المتقدمة كملاً.

ثم قال: لم يكفه ﴿رضي الله عنه﴾ امره لاخيه بالصبر على عداوة قريش والنصر للنبي ﷺ حتى يأمره باظهار الدين، والاجتهاد في حياطته، والدفاع عن بيضته، ثم يشهد لأخيه حمزة ﴿رضي الله عنهما﴾ ان محمدًا ﷺ أتى بالدين من عند ربه بصدق وحق، ثم يحذره الكفر في قوله لا تكن حمز

كافرًا، ثم يقول: قد سرني ان قلت انك مؤمن، افتراه ليسر لأخيه بالايمان، ويختار لنفسه الكفر الموجب لغضب الجبار، والخلود في النار، وهل يتصور مثل هذا من ذوي عقل.

وأخبرني شيخنا أبو عبد الله رحمه الله باسناده إلى أبي الفرج الاصفهاني، قال: أخبرني أبو بشر، قال: أخبرنا محمد بن هارون، عن أبي حفص، عن عمه، قال: قال الشعبي: لما عقدت قريش في القبايل بالموسم، وزعموا انه ساحر، قال أبو طالب رحمه الله:

زعمت قريش ان احمد ساحر كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم
ما زلت اعرفه بصدق حديثه وهو الامين على الحرايب والحرم

ليت شعري اذا كان ما زال يعرفه بصدق الحديث، ما الذي يدعوه إلى تكذيبه، اخذ الله بحقه من الذين يفترون عليه، وينسبون الكفر اليه.

وأخبرني شيخنا أبو عبد الله رحمه الله باسناده إلى أبي الفرج الاصفهاني، قال: أخبرنا أبو بشر، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي، وعبدالكريم الزعفراني، قال: أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي، عن الحسن بن مبارك، عن اسيد بن القاسم، عن محمد بن اسحاق، قال: قال أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ شعرًا:

قل لمن كان من كنانة في العز واهل النداء واهل الفعال
قد اتاكم من المليك رسول فاقبلوه بصالح الاعمال

وانـــصروا احمـــدًا فـــان مـــن الله ردئًـــــا عليـــــه غيـــــر مـــــدال

فاعتبروا اقراره بالمليك جلت عظمته، واعترافه بان محمدًا رسوله، وقال ﵀ يمدح النبي ﷺ ويشهد برسالته ويقر بنبوته:

انـــت النبـــــي مـحـمــــــد قــــــــرم اغـــر مــــسـود

الابيات الاّ انه زاد هنا فيها بعد قوله: وانا الشجاع العربد

شــــم قمـاقـــمــه غـيــــوث وبـحــــــار مـجـــد تــزبــــــد

ثم قال: من تدبر هذا القول ووعاه على حقيقة ايمان، قابله لشهادته للنبي ﷺ بالصدق وقول الصواب، وفي ذلك كفاية لاولي الالباب.

وقال أبو طالب ﵀ يأمر النبي ﷺ باظهار دعوته، ودعاء الناس إلى الإقرار بالرسالة:

لا يمنعنـك مـن حـق تقـوم بــه أيد تـصول ولا اضعاف اصوات

فـان كفـك كفـي ان منيـت بــه ودون نفسك نفسي فـي الملمات

وقال أبو طالب ﵀ يمدح النبي ﷺ، ويذكره بما هو أهله:

اذا قيـل مــن خيــر هـــذا الــورى قبـــــيلاً واكـــــرمهم اســــــرة

انـــــاف بعبــــد منـــــاف أب وفـــــضله هاشــــم ذي الغــــرة

وقد حل مجد بني هاشم مكان النعايم والنشرة
وخير بني هاشم احمد رسول الاله على فترة

هذا القول منه ﴿رضي الله عنه﴾، مطابق لقوله تعالى ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾، فان لم يكن في قوله شهادة بالنبوة، فليس في ظاهر الآية شهادة، وفي هذا لمن اعتقده غاية الضلال، وعظيم الوبال.

وأخبرني السيد النقيب ابو جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد العلوي الحسيني البصري بمدينة السلام في شهر رمضان سنة أربع وستمائة قال: أخبرني والدي أبو طالب محمد بن محمد بن ابي زيد البصري النقيب، قال: أخبرني تاج الشرف المعروف بابن السخطة العلوي الحسيني البصري، قال: أخبرني السيد العالم النسابة الثقة أبو الحسن علي بن محمد بن الصوفي العلوي العمري رحمه الله، قال: أنشدني أبو عبد الله صفية الهاشمي معلمي رحمه الله بالبصرة لابي طالب شعرًا:

لقد اكرم الله النبي محمدًا واكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وأخبرني المشيخة ﴿رضوان الله عليهم﴾ أبو عبد الله محمد بن ادريس، وأبو الفضل شاذان بن جبرئيل، وأبو العز محمد بن علي الفويقي باسانيدهم إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله يرفعه ان أبا طالب ﴿رضي الله

عنه﴾ لما أراد الخروج إلى بصرى الشام ترك رسول الله ﷺ اشفاقًا عليه، ولم يعمل على استصحابه، فلما ركب تعلق رسول الله ﷺ بزمام ناقته وبكى وناشده في اخراجه معه، فرّق له أبو طالب واجابه إلى استصحابه، فلما خرج معه ﷺ ظللته الغمامة، ولقيه بحير الراهب، واخبره بنبوته، وذكر له البشارة في الكتب الاولى به، وحمل له ولاصحابه الطعام، وحث أبا طالب على الرجوع به إلى أهله وقال: اني اخاف عليه من اليهود فانهم اعدائه، وقصته مشهورة، وفي كتب العلماء مسطورة، فقال أبو طالب في ذلك هذه الأبيات:

ان ابن آمنة النبي محمد ... عندي بمنزلة من الاولاد
لما تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالارفاد
فارفض من عيني دمع دارف ... مثل الجمان مفرد الافراد
راعيت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصية الاجداد
وامرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت انجاد
حتى اذا ما القوم بصرى عاينوا ... لاقوا على شرف من المرصاد
حبرًا فاخبرهم حديثًا صادقًا ... عنه ورد معاشر الحساد

أقول: ونقل هذه الأبيات في كتاب اعلام الورى، عن محمد بن اسحاق الذي تقدم نقل الشارح عنه حيث قال قُدِّسَ سِرُّه بعد نقل سفر أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ وخبر بحير الراهب ما لفظه: وفي ذلك يقول أبو طالب في قصيدته الدالية، أوردها محمد بن اسحاق ثم ساق الابيات إلى قوله مصاليت

أنجاد[1].

قال بعده:

ســـاروا لابعـــد طيـــة معلومـــة ولقـــد تباعـــد طيـــة المرتـــاد

ثمّ ساق الباقي، وقال بعده:

قومًـا يهـودًا قـد رأوا مـا قـد رأى ظـــل الغمـــام وعـــز ذى الاكبـــاد

ســـاروا لقتـــل محمـــد فنهـــاهم عنـــه واجهـــد احـــسن الاجهـــاد

ثمّ قال صاحب الكتاب: فاما قوله حفظت فيه وصية الأجداد، فـان ابـي معد بن فخار بـن احمـد العلـوي رحمه الله حـدثني قـال: أخبرنـي النقيـب أبـو يعلـى محمد بن علي بن حمزة العلوي الحسيني رحمه الله، وهو يومئذ نقيب علينـا بالحـاير المقدس على ساكنه السلام باسناد له إلى الواقدي، قال: لما تـوفى عبـد الله بـن عبد المطلب، والنبي صلى الله عليه وآله طفل يرضع يكفله جده عبد المطلب ثمـان سـنين، ثم احتضر للموت فدعا ابنه ابا طالب وقال: يا بني تسلم ابن اخيك منـي، فانـت شيخ قومك، وعاقلهم، ومن اجد فيه الحجى دونهم، وهذا الغلام قد تحدثت به الكهان، وقـد روينـا فـي الأخبـار أنـه يظهـر مـن تهامـة نبـي كـريم، وروي فيـه علامات وجدتها فيه، فاكرم مثواه واحفظه من اليهود، فانهم اعـداءه، ومـن هنـا قال وحفظت فيه وصية الاجداد.

١- إعلام الورى للطبرسي ٦٨/١.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في استصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقصة بحير الراهب من قصيدة:

ألـم ترنـي مـن بعـد هـمّ هممتـه ... بفرقـة خيـر الوالـدين كـرام

باحمـد لمـا ان شـددت مطيتـي ... برحـل وقـد ودعتـه بـسلام

بكى حزنًا والعيس قد قلصت بنا ... ونـاوش بـالكفين فـضل زمـام

ذكـرت أبـاه ثـم رقرقـت عبـرة ... تفيض على الخدين ذات سجام

وقلـت لـه رح راشـدًا فـي عمومـة ... يواسـين فـي البأسـاء غيـر لئـام

فلمـا هبطنـا ارض بـصرى بـشروا ... لنـا فـوق دور ينظـرون جـسام

وجـاء بحيـر عنـد ذلـك حاسـرًا ... لنـا بـشراب طيـب وطعـام

وقـال اجمعـوا اصـحابكم بطعامنـا ... كثيـرًا عليـه اليـوم غيـر حـرام

فلمـا رآه مقـبلاً نحـو داره ... يوفيـه حـر الـشمس ظـل عمـام

حنـا رأسـه شـبه الـسجود وضـمه ... الـى نحـره والـصدر أي ضـمام

فاقبـل رهـط يطلبـون الـذي رأى ... بحيـر مـن الاعـلام وسـط خيـام

فـذلك مـن اعلامـه وبيانـه ... ولـيس نهـار واضـح كظـلام

وقال من قصيدة:

وما برحوا حتى رأوا من محمد ... احاديث تجلو غـم كـل فـؤاد

ولما اشتد اذاء ابي جهل بن هشام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال أبو طالب لـه متهـددًا، وبالحرب مستوعدًا، ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولدينه محققًا:

صـدق ابـن آمنـة النبـي محمـد	فتميـزوا غيظًـا بـه وتقطعـوا
ان ابـن آمنـة النبـي محمـدًا	سـيقوم بـالحق الجلـي ويـصدع
فـاربع أبـا جهـل علـى ظلـع فمـا	زالـت جـدودك تـستحف وتظلـع
سـترى بعينـك ان رأيـت قتالـه	وعنـاده مـن امـره مـا تـسمع

لله در ابي طالب رحمه الله كأنه اوحي اليه ما يكون من أمر عدو الله ابي جهل اذا جد في عناد النبي صلى الله عليه وآله وقتاله حتى اراه الله بعينه يوم بدر ما وعده أبو طالب من تعفير خده، وإتعاس جده، ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون.

وأخبرني شيخنا ابو عبد الله رحمه الله باسناده إلى أبي الفرج الاصفهاني يرفعه قال: لما رأى أبو طالب من قومه ما يسره من جدهم معه وجدهم عليه مدحهم، وذكر قديمهم، وذكر النبي صلى الله عليه وآله وقال:

اذا اجتمعـت يومًـا قـريش	فعبـد منـاف سـرها وصـميمها
وان حـصلت اشـراف عبـد منافهـا	ففـي هاشـم اشـرافها وقـديمها
وفـيهم نبـي الله اعنـي محمـدًا	هو المصطفى مـن سرها وكريمهـا
تـداعت قـريش غثهـا وسـمينها	علينا فلـم تظفـر وطاشـت حلومهـا
وكنـا قـديمًا لانقـر ظلامـة	اذا مـا انثنـوا صـغر الخـدود نقيمهـا

فصل

وأمّا اشعار أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ المتضمّنة لاقراره بالتوحيد لله

المجيد تقدست اسماؤه، وتعالى كبرياؤه، فهي مسطورة في كتب العلماء وتعاليق الادباء منها قوله:

مليك الناس ليس له شريك ... هو الجبار والمبدي المعيد
ومن فوق السماء له بحق ... ومن تحت السماء له عبيد

فانظر كيف اقر لله تعالى في هذين البيتين بالتوحيد، وخلع الانداد، وانه يعيد بعد الابتداء، وينشيء خلقه نشأة اخرى، وبمثل قوله هذا فارق المسلمون الجاهلية، وباينوهم فيما كانوا عليه من خلاف التوحيد وقوله:

يا شاهد الله عليّ فاشهد ... آمنت بالواحد رب احمد
من ضلّ في الدين ... فانني مهتدي

وقوله:

لاتيأسن اذا ما ضقت من فرج ... يأتي به الله في الراحات والدلج
فما تجرع كأس الصبر معتصم ... بالله الاّ لقاه الله بالفرج

فصل

واعلم انك اذا اعتبرت جميع ماورد من أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ من النظم والنثر والخطب والسجع، رأيته مباينًا لما يصدر عن الجاهلية، الذين لم يهتدوا إلى الاسلام، ولم يعرفوا الايمان، وفي بعض ما أوردناه في كتابنا هذا

كفاية لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، وهذه الابيات اوردها من قصيدة أبي طالب المعروفة المشهورة المدونة المسطورة التي أولها:

ولما رأيت القوم لا ودّ عندهم وقد قطعوا كل العرى والحمايل

ومنها:

أعوذ برب البيت من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل

الأبيات المتقدمة، ثم قال: ومنها يخاطب قريشًا:

فلولا حذاري ان أجيء بسبة تبث على اشياخنا في المحافل

لداستكم منا رجال اعزة اذا جردوا ايمانهم بالمناصل

رجال كرام غير ميل عواور كمثل سيوف في أكف الصياقل

وضرب ترى الفتيان فيه كأنهم اسود ضراء عند لجم الاماثل

رددناهم حتى تبدد جمعهم وندفع عنا كل باغ وجاهل

هذا جميعه جواب قوله فلولا حذاري ان أجيء بسبة، لانهم كانوا يؤذون النبي ﷺ، وكان أبو طالب ﴿رضي الله عنه﴾ ينهاهم ولا ينتهون، فخشى ان يحاربهم ويدوسهم كما وصف، وهم آل الله واهل حرمه، وسكان بيته، فيكون ذلك سببًا إلى سبه، لان مكة لم يكن سل بها سيف الاّ فاجر.

وأخبرني الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمه الله باسناده إلى

محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله ثم ساق سنده إلى ابن عباس انه سأله رجل، فقال: يابن عم ر سول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلمًا؟ فقال: كيف لم يكن مسلمًا وهو القائل:

ألم تعلموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولايعبأ بقول الاباطل

ان ابا طالب مثله مثل اصحاب الكهف أسروا الايمان، واظهروا الشرك، فاتاهم الله اجرهم مرتين.

فصل

ولما حضرت ابا طالب الوفاة دعا اولاده واخوته، واحلافه وعشيرته، واكد عليهم الوصاة بنصر النبي صلى الله عليه وآله وموازرته، وبذل النفوس دون مهجته، وانشأ يقول:

أوصي بنصر نبي الخير موقعه ابني عليًا وشيخ القوم عباسا

وحمزه الاسد الحامي حقيقته وجعفرًا ان تذودا دونه الناسا

كونوا فداء لكم امي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس اتراسا

هذا القول منه خاتمة امره، مطابق لما قدم في سالف عمره.

ولقد أخبرني الشيخ أبو عبد الله رحمه الله، عن الشريف أبي الحسن العريضي رحمه الله، عن الحسين بن طحال المقدادي، عن الحسن بن محمد بن الحسن

الطوسي، عن والده الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وعن رجاله، عن الحسن بن جمهور العمي البصري يرفعه قال: أنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبي سلمى:

قد تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

فقال عمر: ما رأيت جاهليًا أعلم بالحكمة من زهير، ولو قلت ان شعره شعر مؤمن يدخل الجنة لاقراره بالبعث والنشور، لقلت حقًا.

فيا لله وللمسلمين، ألا ترى اللبيب أن من العجب العجيب أن عمر بن الخطاب يسمع بيتي شعر لزهير في أحدهما ذكر الحساب، فيقطع له بالجنة ولا يرتاب مع شهادته عليه انه جاهلي لم يدرك الاسلام، ولم يعرف الايمان، وهذا أبو طالب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة او يزيد عليه، يتضمن جميعه الاقرار بالرسول ﷺ، والتصديق له والحث على اتباعه، والتوحيد لله تعالى، وذكر المعاد والحساب، وأهل العصبية الباطلة، والحمية الفاسدة يجعلونه من الكفار الخالدين في النار.

وأعلم أن بني أمية واشياعهم كانوا يبذلون على التناقص بآل الرسول عليهم السلام البدر، ويخلعون الخلع، ويعاقبون من يروي مناقبهم، ويذكر فضايلهم بأشد العقاب واليم العذاب حتى صار الغوغاء من العوام، وأهل الجهل من الأنام، اذا سب آل الرسول ﴿صلى الله عليه وعليهم﴾ لا يستوحشون، بل يرون

أنهم بذلك إلى الله يتقربون، فلهذا الوجه وما شاكله ذهب اخدان الجهالة، واهل الحيرة والضلالة إلى تكفير ابي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ عم الرسول، صاحب المقامات التي بها ثبت الاسلام، وعز الايمان على ما قررناه وبيناه.

أقول: قد تقدم في الجزء الحادي عشر في شرح قوله ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سايل في أحاديث البدع، انتهى.

وفي أول الجزء الرابع في شرح قوله ومن كلام له عليه السلام لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم إلى آخره.

ما فيه مزيد بيان لصحة هذا الكلام، ودلالة واضحة على ان جميع هذه الاخبار التي رويت في كفر أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ كلها مما تقربت به علماء السوء للاموية، واخترعوه لهم تقربًا اليهم، ومما نقله الشارح في الموضوع الثاني عن شيخه أبي جعفر الاسكافي ان معاوية وضع قومًا من الصحابة، وقومًا من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما ارضاه، منهم ابو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير، ثم نقل جملة من أخبارهم منها قول رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس وعلي عليه السلام وقد رآهما مقبلان يا عايشة ان هذان يموتان على غير ديني، ومنها عن عايشة أيضًا انه قال لها: ان سرك ان تنظرين إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، قالت: فنظرت فاذا العباس وعلي بن أبي طالب.

ثم نقل أيضًا عن شيخه انه روي ان معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة

ألف درهم حتى يروي ان هذه الآية نزلت في علي عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[1]،

وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2]، فلم يقبل، فبذل اليه مائتي ألف، فلم يقبله، فبذل اليه اربعمائة ألف، فقبل، وروى ذلك[3].

وحينئذ فاذا بلغ من عداوتهم له عليه السلام مع ان مناقبه وفضائله قد طبقت الخافقين ما ذكرناه، فكيف يستنكر قذف أبيه بالكفر، ورميه به، وانه قد مات عليه، وهو محل شبهة حيث انه كان مظهرًا لذلك.

وبالجملة فان من رجع إلى الموضعين المذكورين، وتأمل ما اشتملا عليه لا يشك ولا يستريب في كون الأخبار المشار إليها من مخترعات زمن الاموية، وتدليسات تلك الامة الغوية، واعجب من ذلك توقف الشارح هنا بعد ما شرحه في الموضعين المذكورين، ولكن ليس يعجب من عناده وضلاله من عرف حقيقة حاله.

ثم قال صاحب الكتاب:

١- البقرة/٢٠٤.

٢- البقرة/٢٠٧.

٣- البحار ٢١٥/٣٣.

فصل

نذكر فيه السبب الذي من أجله كتم أبو طالب اسلامه واخفى ايمانه.

اعلم ان السبب الذي دعى أبا طالب إلى كتمان ايمانه، انه كان سيد قريش غير مدافع، ورئيسها غير منازع، وكانوا له ينقادون ولامره يطيعون، وهم على ذلك بالله كافرون، وللاصنام يعبدون، فلما اظهر الله دينه، وابتعث نبيه، شمّر أبو طالب في نصرته، وتقرير دعوته، وهو برسالته من المؤمنين، وببعثته من الموقنين، وهو مع ذلك كاتم لايمانه، ساتر لاسلامه، لانه لم يكن قادرًا على القيام بنصر النبي صلى الله عليه وآله وتمهيد الامور له بنفسه خاصة من دون أهل بيته، واصحابه وعشيرته واحلافه، وكانوا على منهاج قريش في الكفر، وكان أبو طالب لا يأمن اذا اظهر ايمانه، وافشى اسلامه لقريش على طاعته والانقياد لسيادته، ليتمكن من نصرة النبي، واقامة حرمته، والاخذ بحقه، واعزاز كلمته، ان تتمالى قريش عليه، ويخذله حليفه وناصره، ويسلمه حميمه وصاحبه، فيؤدي فعله ذلك إلى فساد قاعدة النبي صلى الله عليه وآله، والتعزيز له، فكتم ايمانه استدامة لقريش على طاعته، والانقياد لسيادته، ليتمكن من نصرة النبي صلى الله عليه وآله واقامة حرمته، والاخذ بحقه، واعزاز كلمته، ولهذا السبب كان أبو طالب رحمه الله يخالط قريشًا، ويعاشرهم، ويحضر معهم ناديهم، ويقسم بآلهتهم، وهو مع ذلك يشوب هذه الافعال بتصديق النبي صلى الله عليه وآله، والحث على اتباعه، فلو انه نابذ قريشًا واهل مكة، وقام بمناظرتهم كانوا كلهم يدًا عليه وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه كان يوادعهم، ويظهر انه معهم حتى تمت الرسالة، وانتشرت الكلمة، وشاعت

الدعوة، ووضح الحق، وكثر المسلمون، وصاروا عصبة أولي بأس ونجدة، وشاع ذكره في الآفاق، وجاءت الوفود، وعلم من لم يعلم بحاله، وعرفت اليهود مبعثه، ولذلك لما قبض أبو طالب اتفق المسلمون على ان جبرئيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك: ان قومك قد عزموا على أن يبيتوك وقد مات ناصرك، فاخرج عنهم، وأمره بالمهاجرة، وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطًا مع ما سمعوه من شعره وتوحيده وتصديقه النبي صلى الله عليه وآله، ولم يمكنهم قتله والمنابذة له، لان قومه من بني هاشم واخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف، واحلافهم ومواليهم واتباعهم كافرهم ومؤمنهم كانوا معه، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة، ولذلك قال أبو لهب لما سمع قريشًا يتحدثون في شأنه دعوا عنكم هذا الشيخ، فانه مغرم بابن أخيه، والله لا يقتل حتى يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتى يقتل بنو هاشم، ولا يقتل بنو هاشم، حتى تقتل بنو عبد مناف، ولا يقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء، فامسكوا عنه والاّ قمنا معه، فخاف القوم أن يفعلوا فكفوا، فلما سمع أبو طالب مقالته طمع في نصره، فقال يستعطفه:

عجبت لحلم يا ابن شيبة عازب	واحلام اقوام لديك سخاف
يقولون ساع من اراد محمدًا	بسوء وقم في امره بخلاف
اضاميم اما حاسد ذو جناية	وأما قريب منك غير مصاف
فلا يركبن الدهر منه ذمامة	وأنت امرء من خير عبد مناف
تذود العدا من ذروة هاشمية	ايلافهم في الناس خير ايلاف

فـــان لـــه قربـــى اليـــك قريبـــة ولـيس بـذي حلـف ولا بمـصاف

ولكنـه مـن هاشـم فـي صميمها الـى انجـم فـوق النجـوم سـوافي

فان غـضبت فيه قـريش فقـل لها بنـي عمنـا مـا قـومكم بـضعاف

أقول: وقد نقل الشارح هذه الأبيات عن محمد بن اسحاق، وزاد فيها بعد قوله عبد مناف:

ولا تتركنـه مـا حييـت لمعظـم وكـن رجـلاً ذا نجـدة وعفـاف

وزاد بعد قولـه: إلى ابحر فوق البحور طوافي:

وزاحم جميع الناس عنه وكـن لـه وزيرًا على الاعداء غيـر منـاف

وزاد فيها ايضًا بعد تمام الابيات المتقدمة:

فمـا بـالكم تغـشون منـه ظلامـة ومـا بـال احقـاد هنـاك خـوافي

فمـا قومنـا بـالقوم يخـشون ظلمنـا ولا نحـن فيمـا سـاءهم بخفـاف

ولكننـا اهـل الحفـايظ والنهـى وغــر ببطحــاء المــشاعر وافـي

ثم نقل قطعة اخرى من شعره مخاطبًا لابي لهـب، ثـم قـال: فـانظر إلـى استعطافه ابي لهب ما احزم قاتله وما احسن توصـله، لان ابا طالـب ﴿رضي الله عنه﴾ ما قال قطعة مـن الـشعر طويلـة أو قـصيرة الاّ وشـهد فيهـا لمحمـد ﷺ

بالرسالة، واقر له بالنبوة، فكيف عرى هاتين القطعتين من ذلك حيث خاطب بهما ابا لهب، وذلك لما يعلمه من انحرافه عن النبي صلى الله عليه وآله، واصراره على عداوته، وانما استعطفه بالرحم والقرابة صناعة منه رحمه الله، ولاجل ان يكف اذى ابي جهل عن النبي صلى الله عليه وآله، ويخذله عن مساعدة كفار قريش، لان ابا طالب لو قال لابي لهب كيف تخذل النبي الصادق، وقد انزل الله عليه كتابًا من عنده وما شاكل ذلك لاغراه بعداوته، وبعثه على خصومته، ولذلك ما يزال يخادع قريشًا ليتم له مرامه، ويستوسق مراده.

اخبرني السيد عبد الحميد بن النقي الحسيني رحمه الله باسناده إلى الاصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: مر رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا جزورًا وكانوا يسمونها الفهيرة، ويجعلونها على النصب فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب ولا يسلم علينا، أيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه، فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي: انا افعل، فاخذ الفرث والدم، فانتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجد، فملأ ثيابه ولحيته، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه فقال: يا عم من انا؟ فقال: ولم يا ابن أخ؟ فقص عليه القصة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالابطح، فنادى في قومه يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف، فاقبلوا اليه من كل مكان، فقال: كم انتم؟ قالوا: نحن اربعون، قال: خذوا سلاحكم، وانطلق بهم حتى انتهى، فلما رأت قريش أبا طالب ارادت ان تتفرق، فقال لهم ورب الكعبة لا يقوم منكم احد الاّ جللته بالسيف، ثم أتى إلى شجرة كانت بالابطح فضربها

ثلاث ضربات فقطع منها ثلاثة أبهار، ثم قال: يا محمد سألت من أنت، ثم أنشأ يقول: وأومأ بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله:

أنت النبي محمد قرم اغر مسود

حتى اتى على آخر الأبيات المتقدمة، ثم قال: يا محمّد ايهم الفاعل بك؟ فأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبعرى، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى ادماها، ثم امر بالفرث والدم، فامر على رؤوس الملأ كلهم، ثم قال: يا ابن أخ ارضيت، ثم قال: سألت من أنت، [أنت] محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم عليه السلام، ثم قال: انت والله اشرفهم حسبًا، وارفعهم منصبًا، يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل، انا الذي تعرفوني[1].

وروي من طريق آخر انه عليه السلام لما رمي بالسلا جاءت ابنته فاطمة عليها السلام فاماطته عنه بيدها، ثم جاءت إلى أبي طالب رحمه الله فقالت: يا عم ما حسب أبي فيكم؟ قال: يا بنية، ابوك فينا السيد المطاع، العزيز الكريم، فما شأنك؟ فاخبرته بصنيع القوم، ففعل ما فعل بالسادات من قريش، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل رضيت يا ابن الاخ، ثم اتى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنية هذا حسب أبيك فينا[2].

فهذا الحديث يدلّ على امور:

منها: رياسة ابي طالب على الجماعة، وعظم محله فيهم، وكونه ممن

١- البحار ١٢٥/٣٥، نور البراهين ٤٠٤/١.

٢- البحار ١٢٧/٣٥.

تجب طاعته عندهم، ويجوز امره عليهم.

ومنها: شدة غضبه لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، وحميته لدينه حتى بلغ من ذلك مما لا يستطيعه احد قبله، ولا ناله احد بعده، ولولا ما قدمنا من كونه معهم كاتمًا لدينه لما نال هذه الحالة العظيمة التي بها وبما قدمناه من اخواتها اعز الله دينه، وعصم رسوله، ولو كان ابو طالب لم يؤاخذهم على تلطيخ رسول الله صلى الله عليه وآله بالسلا لاجترأوا عليه، وتطاولوا إلى قتله عليه السلام.

وروى الواقدي وغيره من ارباب الرواية، واهل الدراية ان قريشًا اجتمعوا في ناديهم، وقالوا ألا ترون ما قد حدث علينا من محمد بن عبد الله، من تسفيه احلامنا، وتضليل آبائنا، وسب آلهتنا، والله لا نصبر على ذلك، فقوموا بنا إلى أبي طالب، فاما ينهاه عنا، أو يبعده عن ارضنا، أو يخلي بيننا وبينه، فقد افسد علينا سفهائنا، يخدعهم ويمنيهم انه سيظهر امره، فنهضوا جميعًا يقدمهم أبو جهل بن هشام المخزومي، وابو سفيان بن حرب، واخذوا عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فلما حضروا عند أبي طالب قالوا له: انك على رأينا، وقولك قولنا، وقد جئناك نشكوا اليك ابن أخيك، وذكروا له قصتهم وما قصدوه، وقالوا له: اما ان تنهه والاّ خل بيننا وبينه، وقد جئناك بعمارة بن الوليد أبهر فتى في قريش، واكمله وارجحه، خذه اليك يكن لك عقله، وادفع الينا محمدًا، فانما هو رجل برجل، يعنون لو قتل رجل منا، ما كان لك الاّ قاتله تقتله، قال: ولا شسع نعل محمد، فقال مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان حليفًا لابي طالب: قد انصفك قومك، وقصدوا التخلص منك، فقال له ابو طالب: لا والله ما

انصفوني، اعطيهم ولدي يقتلونه، وآخذ ولدهم فاغذوه، ولكنك يا مطعم قد ازمعت على خلافي، ونقض عهدي، فقال له مطعم: كلا يا ابا طالب، والله ما يخامرني شيء مما ذكرت، واني على ما تؤثر، قال أبو جهل بن هشام: ما جواب ما جئناك فيه وشكوناه من ابن أخيك، قال: سأنهاه عن ذلك فانصرفوا[1].

فتأمل قول أبي طالب سأنهاه عن ذلك، فانه حسن صناعة منه، ومخادعة للقوم، لانه قصد بذلك تفريق جماعتهم، واختلاف كلمتهم، ليتخاذلوا، ويدفع بالحال من يوم إلى يوم، فلولا انه مداخل لقريش في جملة امورهم وكونه يخفي اسلامه عنهم لما قصدوه وشكوا اليه، بل كانوا يقاتلونه وينابذونه، ولما اشتكوا اليه وقالوا له انك على رأينا، وكذلك لما كان عثمان بن مظعون ﴿رضي الله عنه﴾، وقف بباب الكعبة يعظ الناس ان يعبدوا الاصنام، فوثب عليه فتية من قريش فضربوه، فوقعت ضربة احدهم على عينه ففقأها، فبلغ ابا طالب ذلك فغضب له غضبا شديدًا، وقام في أمره وفقأ عين الذي فقأ عينه، وقد كانوا اجتمعوا إلى أبي طالب وناشدوه أن يدعها، ويؤدون الدية، فأقسم لهم اني لا ارضى حتى اقلع عين الذي قلع عينه، فلولا ما أخبرتك من مخالطته لهم، واخفاء دينه عنهم، لما قدر على مثل الافعال التي قام بها الدين، وادحضت كلمة الكافرين، ثم لم يزل اهل الايمان وذو البصاير، كالأنبياء عليهم السلام والصالحين يكتمون ايمانهم من قومهم وعشايرهم لاقتضاء المصلحة، كمؤمن

---

١ - البحار ١٢٥/٣٥، المناقب لابن هرآشوب ٥٤/١، تاريخ الطبري ٦٧/٢، البداية والنهاية ٦٣/٣، سيرة النبي لابن هشام ١٧٢/١، عيون الاثر لابن سيد الناس ١٣٣/١، السيرة النبوية لابن كثير ٤٧٥/١.

آل فرعون الذي قص الله تعالى قصته في كتابه فقال عز وجل:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[1]، فان كان أبو طالب بكتمان ايمانه واخفاء اسلامه كفر، فكذلك هذا الذي سماه الله في كتابه مؤمنًا، ثم شهد عليه انه يكتم ايمانه قد كفر بكتمان ايمانه، وهذا مؤمن آل فرعون كانت حاله مع قومه كحال ابي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ مع قريش، لانه كان يخفي عنهم حاله، ويدخل معهم بيوت متعبداتهم، ويقسم بمعبودهم، ويأكل من مأكولهم، ويشرب من مشروبهم حتى تم له ما كان يستره من توحيد الله تعالى، ولم يعلموا بحاله حتى جاءهم موسى عليه السلام فقال: أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله، ثم قدّم لهم فان يك كاذبًا فعليه كذبه حتى يخفي عليهم موضع عنايته به، ولم يقل لهم وهو صادق، وانما قال وان يك صادقًا تلطيفًا بهم، كما كان ابو طالب يتلطف قومه، فقبلوا منه، وكان فرعون قد عزم على قتل موسى عليه السلام وشايعه قومه على ذلك، وكان الرجل المؤمن مرضيًا عندهم، يرجعون إلى رأيه، ويسمعون قوله، فدفع عن موسى القتل بوجه لطيف، ولو كان مظهرًا لايمانه لما اطاعوه، ولا قبلوا منه، بل كانوا يعادونه ويقتلونه، وهكذا كان حال أبي طالب مع قريش حذو النعل بالنعل، يدعو بدعائهم، ويحضر مجامعهم، ويقسم

١- غافر/٢٨.

بمعبودهم، وكان سيدهم الذي يصمدون اليه، وعميدهم الذي يعولون عليه، وكان أوفى مرتبة من مؤمن آل فرعون، لانه صدق النبي ﷺ في خطبه وأشعاره، وكشف امره واعلن بصحة نبوته، وخاصم قومه وكاشفهم ونابذهم، ولذلك اجتمعوا على نفيه إلى الشعب هو وجماعته، فصبروا معه وعامتهم مشركون للاصنام يعبدون، وهكذا كان حال ابراهيم الخليل عليه السلام في ابتداء شأنه يخادع قومه على الايمان.

ثم شرح ذلك إلى ان قال: ومثل ذلك في القرآن المجيد، والسير والآثار، كثير لا يبلغ أمده، ولايحصى عدده، كصنع اصحاب الكهف، وكتمانهم ايمانهم من قومهم حتى تمكنوا من مطلوبهم، وقصتهم مشهورة.

وقد روي عن الائمة عليهم السلام ومواليهم ان حال أبي طالب كحال اصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون.

ومن ذلك ما اخبرني به الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمه الله يرفعه إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله قال: حدثنا ابو الحسن محمد بن القاسم المفسر، قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد، عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل يذكر فيه ان الله تعالى أوحى إلى رسول الله ﷺ اني قد ايدتك بشيعتين، شيعة تنصرك سرًا، وشيعة تنصرك علانية، فاما التي تنصرك سرًا فسيدهم وافضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية، فسيدهم وافضلهم ابنه علي بن أبي طالب[1].

١- الجواهر السنية/٢١٩، الغدير ٣٩٥/٧.

قال: وقال: ان أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم ايمانه، ثم اشار إلى الاحاديث المتقدمة في ان أبا طالب ﴿رضي الله عنه﴾ كأصحاب الكهف.

ثم قال: ولقد حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الحسين اصلح الله شأنه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال: حدثني الشيخ سلار بن حبيش البغدادي رحمه الله، وقد رأيت سلار هذا وكان رجلاً صالحًا، قال: حدثني الامير أبو الفوارس بن الصيغي الشاعر المعروف بالحيص بيص قال: حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة، ومعي يومئذ جماعة من الاماثل واهل العلم، وكان في جملتهم الشيخ أبو محمد بن الخشاب النحوي اللغوي، والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وغيرهم، فجرى حديث شعر أبي طالب بن عبد المطلب، فقال الوزير: ما احسن شعره لو كان صدر عن ايمان، فقلت: والله لأجيبن الجواب قربة إلى الله، فقلت: يا مولانا ومن أين لك أنه لم يصدر عن ايمان؟ فقال: لو كان صادرًا عن ايمان لكان أظهره ولم يخفه، فقلت: لو كان اظهره لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله ناصر، قال: فسكت ولم يحر جوابًا، وكان لي رسوم فقطعها، وكانت لي فيه مدايح مسودات فغسلتهما جميعًا[1].

انتهى ما أردنا نقله من الكتاب المشار اليه ملخصًا حذر التطويل، وانما اطلنا الكلام بنقل ما نقلناه في المقام ليظهر لك بذلك عناد الشارح الضال، ومزيد توغله في الضلال الذي يتمدح في غير موضع بولاية أمير المؤمنين

١- البحار ١٣٥/٣٥.

عليه السلام بل يدعي كما سيأتي ان شاء الله تعالى نقله عنه بان المراد بالشيعة الذين وردت الاخبار بمدحهم وفضلهم، انما هو جماعة المعتزلة مثله ومثل اصحابه التفضيلية، وهو كما ترى في هذا المقام مع وقوفه على هذا الكتاب، وما فيه من الاخبار والاشعار، والآثار الساطعة اللامعة بايمان أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ يتوقف في ايمانه، ويتعلل بتلك الاخبار الاموية التي لا يشك العارف الخبير المطلع على السير، ولا سيما ما صرح به في شرحه هذا من الموضعين المشار اليهما آنفًا في كونها من مخترعات زمن الاموية، مع ما عرفت من حاله في عثمان وطلحة والزبير، وتعصبه لهم، كما قدمناه في صدر الكلام استنادًا إلى تلك الادلة الواهية التي كشفنا ما فيها، أولم تبلغ هذه الأخبار، والآثار والاشعار المستفيضة من الطرفين، والمنقولة من رواة الفريقين مبلغ تلك المزخرفات التي اعتمد عليها، والترهات التي ركن اليها، ولكن الحمية والعصبية، وتقليد الاسلاف قد صار لهم جبلة وطبيعة ألفوا بها أي ايلاف، وكفى في ضلاله واستحقاقه لغضب الجبار ما تقدم روايته عن الرضا عليه السلام في هذا المضمار من الخبرين الدالين على ان من لم يقر بايمان أبي طالب، وشك فيه كان مصيره إلى النار.

ثمّ أقول: ومن الأخبار الدالة على إيمان آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله زيادة على ما تقدم ماروواه شيخنا الصدق ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب المجالس، ورواه أيضًا في كتاب روضة الواعظين بالاسناد إلى الليث بن سعد، قال: قلت لكعب وهو عند معاوية: كيف تجدون صفة مولد النبي صلى الله عليه وآله؟ وهل تجدون لعترته

فضلاً؟ فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هواه فاجرى الله على لسانه فقال: هات يا أبا اسحاق ما عندك، فقال كعب: اني قرأت اثنين وسبعين كتابًا كلها انزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلها، ووجدت في كلها ذكر مولده، ثم ساق الحديث إلى أن قال: وما ضرب على آدمي حجب الجنة، غير مريم وآمنة ام محمد ﷺ، وما وكلت الملائكة بانثى حملت غير مريم، وآمنة ام احمد، ثم ساق الحديث بطوله[1].

ولاريب ان هذه الكرامات وكونها عديلة مريم التي اصطفاها الله تعالى لا تكون لكافرة.

فان قيل: ان ذلك انما هو لكرامة النبي ﷺ.

قلنا: ايمانها أيضًا انما هو لكرامته ﷺ، فان هذا النور الذي خلقه الله تعالى كما عرفت قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام، وشرفه وعظمه حتى انه ما خلق العالم بأسره الاّ لاجله لا يودعه في صلب مشرك، ولا بطن مشركة.

ومن الأخبار أيضًا مارواه أبو عمرو الزاهد من علماء القوم في كتابه المسمى بكتاب اليواقيت وهو من جلايل كتب الأحاديث عندهم ان النبي ﷺ قال: يا علي لم أزل أنا وأنت نركض في الاصلاب الطاهرة المطهرة، والارحام الحافظة المحفوظة، من ظهر آدم إلى بطن حواء ﴿صلى الله عليهما﴾، والى ظهر عبد الله وبطن آمنة، وظهر ابي طالب وبطن فاطمة، لم

١- البحار ٢٦١/١٥، الامالي/٦٩٨، روضة الواعظين/٦٧، حلية الابرار ٢٥/١.

تدنسنا الجاهلية بارجاسها في بغيها وسفاحها[1].

وقال صلى الله عليه وآله: نقلنا من الاطهار الطاهرة إلى الارحام الزكية[2].

وقال: جعفر بن محمد عليهما السلام وهو احد رواة هذا الحديث وكفى بذلك لهما شرفًا وفخرًا وسؤددًا، انتهى.

والتقريب في هذه الأخبار ماقدمناه في صدر الحديث ونظائرها.

قال في المقام في الفصل الثالث في شرح القصة في غزاة بدر، ثم ساق الكلام إلى ان قال: قال الواقدي: ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله صام يومًا أو يومين ثم نادى مناديه، يامعشر العصاة اني مفطر، فافطروا، وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك افطروا فلم يفعلوا[3].

قلت: هذا هو سر النبوة وخاصتها اذا تأمل المتأملون ذلك، وهو ان يبلغ بهم حبه وطاعته وقبول قوله على ان يكلفهم مايشق عليهم، فيمتثلوه امتثالاً صادرًا عن حب شديد، وحرص عظيم على الطاعة حتى انه لينسخه عنهم، ويسقط وجوبه عليهم فيكرهون ذلك، ولايسقطونه عن أنفسهم الاّ بعد الانكار التام، وهذا احسن من المعجزات الخارقة للعادات، بل هذا بعينه معجزة خارقة للعادة، أقوى وأوكد من شق البحر، وقلب العصا حية، ثم ساق الكلام في شرح القصة إلى أن قال: قال الواقدي: وكان عليه السلام يحدث فيقول اتى جبرئيل النبي

١- الصراط المستقيم ٣٤١/١.

٢- شرح نهج البلاغة ٦٣/٧ و ٦٧/١٤، البحار ١٥٦/٣٥ و ٢٩٩/٧٤.

٣- شرح نهج البلاغة ١١١/١٤.

ﷺ يوم بدر فخيّره في الاسرى أن يضرب اعناقهم أو يأخذ منهم الفداء، ويستشهد من المسلمين في قابل عدتهم، فدعاهم رسول الله ﷺ، وقال: هذا جبرئيل يخيركم في الأسارى بين أن تضرب اعناقهم، أو يؤخذ منهم الفدية، ويستشهد منكم قابلاً عدتهم، قالوا: بل نأخذ الفدية، ويستشهد منا من يدخل الجنة، فقبل منهم الفداء، وقتل من المسلمين قابلاً عدتهم بأحد[1].

قلت: لو كان هذا الحديث صحيحًا لما عوتبوا، فقيل لهم:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾[2]، ثم قال: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، لانه اذا كان خيرهم، فقد اباحهم اخذ الفداء، واخبرهم بانه حسن، فلا يجوز فيما بعد ان ينكره عليهم، ويقول انه قبيح.

قال الواقدي: فلما حبس الاسرى، وجعل عليهم شقران مولى رسول الله ﷺ طمعوا في الحياة، فقالوا: لو بعثنا إلى أبي بكر، فانه اوصل قريش لارحامنا، فبعثوا إلى أبي بكر، فقالوا: يا أبا بكر ان فينا الآباء والابناء، والاخوان، والعمومة، وبنى العم، وابعدنا قريب، كلم صاحبك فليمنّ علينا أو ليفادنا، فقال: نعم، ان شاء الله تعالى لا ألوكم خيرًا، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ قالوا:

١- شرح نهج البلاغة ١١١/١٤.

٢- الأنفال/٦٧.

٣- الأنفال/٦٨.

وابعثوا إلى عمر بن الخطاب، فانه من قد علمتم، ولاأمن ان يفسد عليكم، لعله يكف عنكم، فارسلوا اليه فجائهم، فقالوا له مثل ما قالوا لابي بكر، فقال: لا ألوكم شرًا، ثم انصرف إلى النبي ﷺ فوجد أبا بكر عنده والناس حوله، وابو بكر يليّنه ويغشاه، ويقول: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قومك، فيهم الآباء والابناء، والعمومة، والاخوان، وبنو العم، وابعدهم منك قريب، فامنن عليهم منّ الله عليك أو فادهم قوة للمسلمين، فلعل الله يقبل بقلوبهم عليك، ثم قام وتنحى، وسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه، فجاء عمر فجلس إلى أبي بكر، فقال: يا رسول الله هم اعداء الله، كذّبوك وقاتلوك، واخرجوك، اضرب رقابهم، فهم رؤوس الكفر، وائمة الضلال، يوطيء الله بهم الاسلام، ويذل بهم الشرك، فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه، وعاد أبو بكر إلى مقصده الاول، وقال مثل قوله الاول، فسكت عنه ولم يجبه، وقام ناحية، فقام عمر فجلس مجلسه، وقال مثل قوله الاول، فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه، وقام ناحية وجلس، وعاد أبو بكر وكلّمه مثل كلامه الاول، فلم يجبه، ثم تنحى، فجاء عمر وكلمه بمثل كلامه الاول، فلم يجبه، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل قبته، فمكث فيها ساعة ثم خرج، والناس يخوضون في شأنهم، يقول بعض القول ما قال أبوبكر، وآخرون يقولون القول ما قال عمر، فلما خرج قال للناس: ما تقولون في صاحبيكم هذين، دعوهما فان لهما مثلاً، مثل أبي بكر كميكائيل في الملائكة، ينزل برضاء الله، وعفوه على عباده، ومثله في الأنبياء كمثل ابراهيم، كان ألين على قومه من العسل، أوقد له قومه النّار وطرحوه فيها، فما زاد على ان قال

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وكعيسى إذ يقول ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، ومثل عمر في الملائكة جبرئيل، ينزل بالسخط من الله، والنقمة على اعداء الله، ومثله في الأنبياء كمثل نوح، كان اشد على قومه من الحجارة إذ يقول: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[4]، فدعى عليهم دعوة اغرق بها الارض جميعًا، ومثل موسى اذ يقول: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[5]، وان بكم عيلة فلا يفوتنكم رجل من هؤلاء الاّ بعد أداء أو ضربة عنق، إلى ان قال: فقبل الفداء، ثم قال بعد: لو نزل العذاب يوم بدر لما نجى منه الاّ عمر، كان يقول اقتل ولا تأخذ الفداء، وكان سعد بن معاذ يقول اقتل ولا تقبل الفداء[6].

قلت: عندي في هذا كلام أما في أصل الحديث فلأن فيه ان رسول الله

١- الأنبياء/٦٧.

٢- إبراهيم/٣٦.

٣- المائدة/١١٨.

٤- نوح/٢٦.

٥- يونس/٨٨.

٦- شرح نهج البلاغة ١١٢/١٤ وما بعدها.

ﷺ قال ومثله كمثل عيسى، اذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[1]،وهذه الآية من المائدة انزلت في آخر عمره ﷺ، ولم ينزل بعدها الاّ سورة براءة، وبدر كانت في السنة الثانية من الهجرة، فكيف هذا الاّ ان يكون قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ﴾[2]، الآيات قد كانت نزلت قبل بدر، إما بمكة أو بالمدينة قبل بدر، فلما جمع عثمان القرآن ضمها إلى سورة المائدة، فلعله كان كذلك، فينبغي أن ينظر في هذا، فهو مشكل.

وأما الحديث الذي فيه لو نزل العذاب ما نجى منه الاّ عمر، فالواقدي وغيره من المحدثين اتفقوا على ان سعد بن معاذ كان يقول ما قال عمر، بل هو المبتديء بذلك الرأي ورسول الله ﷺ في العريش، والمشركون لم ينفض جمعهم كل ذلك الانفضاض، فكيف خص عمر بالنجاة وحده دون سعد، ويمكن أن يقال انه كان شديد التأليب والتحريض عليهم، وكثير الالحاح على رسول الله ﷺ في أمرهم، فنسب ذلك الرأي اليه لاشتهاره به وان اشركه فيه غيره، ثم ساق الكلام إلى ان قال في منصرف رسول الله ﷺ من بدر فصلى العصر ببدر، ثم راح فمر بالاثل قبل غروب الشمس فنزل به وبات، وقال: من رجل يحفظنا الليلة، فامسك القوم، فقام رجل، فقال: من أنت؟ قال ذكوان بن عبد قيس، قال: اجلس، ثم اعاد القول ثانية، فقام رجل، فقال: من أنت؟ قال: ابن عبد قيس، فقال: اجلس، ثم سكت ساعة واعاد القول ثالثًا فقام رجل، فقال:

١- المائدة/١١٨.

٢- المائدة/١١٦.

من أنت؟ قال: أبو سبع، فسكت، ثم مكث ساعة، فقال: قوموا ثلاثتكم، فقام ذكوان بن عبد قيس وحده، فقال: وأين أصحابك؟ قال: يا رسول الله انا الذي كنت أجيبك الليلة، فقال رسول الله ﷺ: احفظنا يحفظك الله، فبات ذكوان يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل فارتحل، ثم ساق الكلام إلى ان قال: نقلاً عن محمد بن اسحاق في كتابه كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى حين نزل رسول الله ﷺ زوج ابنته فاصيب في الاسرى يوم بدر، فلما بعث اهل مكة في فداء اساراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، وكان فيما بعثت به قلادة كانت أمها خديجة دخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها، وتردوا عليها ما بعثت به فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله نفديك بانفسنا واموالنا، فردوا عليها ما بعثت به، واطلقوا لها ابا العاص من غير فداء[1].

قلت: قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي هذا الخبر فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد، إنما كان يقتضي التكرم والاحسان ان يطيب قلب فاطمة عليها السلام بفدك، ويستوهب لها من المسلمين، أفتقصر منزلتها عند رسول الله ﷺ عن منزلة زينب اختها، وهي سيدة نساء العالمين، هذا اذا لم يثبت لها حق الاّ بالنحلة لا بالارث[2].

١- شرح نهج البلاغة ١٨٩/١٤ – ١٩٠.

٢- شرح نهج البلاغة ١٩٠/١٤.

قلت له: فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقًا من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم.

فقال: وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقًا من حقوق المسلمين وقد اخذه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة، والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك.

فقال: ما قلت وهلا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرًا فدفعه إلى فاطمة، انما قلت هلا استنزل المسلمين عنه، واستوهبه منهم لها، كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله فداء أبي العاص، أتراه لو قال هذه بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النخلات، اتطيبون عنها نفسًا، أكانوا منعوها ذلك.

فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا، قال: أنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكرم، وان كان ما اتياه حسنًا في الدين.

ثم نقل عن محمد بن اسحاق ارسال أبي العاص بعد اطلاقه زينب إلى النبي صلى الله عليه وآله في المدينة بصحبة أخيه كنانة بن الربيع، وخروج كنانة بها من مكة نهارًا، وخروج جماعة من قريش لاجل منعها عن المسير إلى المدينة وردها إلى مكة، قال: فكان اول من سبق اليها هبار بن الاسود، ونافع بن عبد قيس، فروّعها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً، فلما رجعت طرحت ما فى بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دمًا وهي في الهودج، فلذلك

اباح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دم هبار بن الاسود[1].

قلت: وهذا الخبر أيضًا قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال: اذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبار بن الاسود لانه روّع زينب فألقت ما في بطنها، فظاهر الحال انه لو كان حيًا لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت ما في بطنها.

قلت: أروي عنك ما يقول قوم ان فاطمة روعت فألقت المحسن؟

فقال: لا تروه عني، ولاترو عني بطلانه، فاني متوقف في هذا الموضع لتعارض الاخبار عندي فيه، انتهى[2].

أقول: الكلام على هذه المقالة يقع في مواضع:

أحدها: قوله بعد نقله عن الواقدي منع النبي صلى الله عليه وآله الناس عن الصيام في شهر رمضان حيث كانوا في سفر، ومخاطبته لهم بسمة العصيان له، ان هذا سر النبوة وخاصتها إلى آخره.

فان فيه: ان هذا انما هو سر النفاق الموجب للعصيان والشقاق، ولكنه أراد أن يمهد هنا عذرًا لامامه ابن الخطاب الذي هو اول عاص بعد سماع ذلك الخطاب، بمثل هذه الترهات والمزخرفات التي لا تروج الاّ على ذوي الأذناب، ومن شابههم في هذا الباب، فانه اذا كانت الاحكام الشرعية من وجوب وتحريم ونحوهما توقيفية من الشارع المطاع، و ليس للعقول فيها مسرح الاّ الانقياد والاتباع، فمن أين جاز لاولئك المخالفة والمكابرة، وهم من

١- شرح نهج البلاغة ١٩٢/١٤.

٢- شرح نهج البلاغة ١٩٣/١٤.

جملة الأتباع حتى وسمهم بسمة العصيان، الموجب للخروج من ربقة الايمان، وكيف مع هذا يصح جعل هذه المخالفة منقبة لهم، وفضيلة يمدحهم بها، بل يجعلها من امهات الفضايل، وليت شعري أين كان هذا الحرص الشديد على طاعته، والمحبة الشديدة له ﷺ في يوم احد وحنين حين يفرون عنه في معركة الحرب، ويسلمونه إلى العدو، ولم يبق معه الاّ من هو عديل نفسه، ثم أين تلك المحبة والحرص على الطاعة في رد اوامره عليه في غير موضح، من ابن الخطاب، ومن تبعه من الاصحاب، ولاسيما في يوم الامر بكتابة ذلك الكتاب، وما واجهوه به من قبيح ذلك الخطاب، وامثال ذلك مما قدمناه في مثالبهم، مما لا شك فيه بين الفريقين ولا ارتياب.

ثم انه لايخفى على ان في كلامه هذا تمهيد عذر أيضًا لإمامه ابن الخطاب في مخالفته في متعه الحج، أحلها رسول الله ﷺ، وحرمها عمر حيث احتج عمر كما تقدم نقله على تحريمها بأنه كره للناس ان يخرجوا إلى الحج ورؤوسهم تقطر من نسائهم، فانه انما أخذ بحكم رسول الله ﷺ الأول، ولم يرض بالثاني، وهو فسخ الاحرام والاحلال منه، وجعله عمرة ثم الاهلال بالحج الاّ من حيث حبه الشديد، وحرصه العظيم على الطاعة المتضمنة للمشقة.

وأنت خبير بأنه بمقتضى هذه المزخرفات ينبغي له أن لا يقصر الصلاة في السفر، ويخالف مذهب امامه أبي حنيفة القائل بوجوب التقصير كالشيعة، لان المفروض منها اربع ركعات، وانما خففت في السفر رخصة، ولا ريب ان

المشقة في الأربع اشد، فيجب عليه بمقتضى ما ذكر اختيارها، يستحق المدح بما ذكره، ثم ان ظاهر كلامه المزخرف، واعتذاره المزين من قوله انه لينسخه، ويسقط وجوبه انه ﷺ يحرم الصوم في السفر، وانما اسقط الوجوب خاصة مع بقاء المشروعية، وهو مذهب الفقهاء الاربعة اولي البدع المهيعة، فانهم اتفقوا على التخيير في السفر بين الصوم وعدمه، خلافًا على الله ورسوله، وهذا الحديث الذي نقله كما ترى ينادي عليهم بالعصيان، الموجب لغضب الملك المنان.

ومثله مارواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن جابر بن عبد الله ان النبي ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعى بقدح من ماء فرفعه، ثم نظر الناس، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة[1].

وهما كما ترى نص في التحريم، ومثله مارواه البخاري عن جابر أيضًا عنه ﷺ قال: ليس من البر الصيام في السفر[2].

والآية الشريفة صريحة في ذلك حيث قال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[3].

وأما ما اجاب به بعضهم من ان تقدير الآية فعدة من ايام أُخر ان افطر،

١- صحيح مسلم ١٤١/٣، السنن الكبرى ٢٤١/٤.

٢- صحيح البخاري ٢٣٨/٢.

٣- البقرة/١٨٤.

فيرده ما ذكره ابن حزم الاندلسي المالكي احد مشاهير علماء القوم في كتاب المحلى حيث قال: ان هذه الآية محكمة باجماع اهل الاسلام لا منسوخة ولا مخصوصة، فصح ان الله تعالى لم يفرض صوم شهر رمضان الاّ على من شهده، ولا فرض على المريض والمسافر الا اياماً أُخر غير رمضان، وهذا نص جلي لا حيلة فيه ولا يجوز القول بان معنى ذلك ان افطر فيه، لانها موضوعة بلا برهان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقال أيضاً في ردّ احتجاجهم بقوله سبحانه ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2] ما لفظه: لقد أتى كبيرة من الكباير، وكذب كذبًا فاحشًا من احتج بها في اباحة الصوم في السفر، لأنه حرف كلام الله عن موضعه، نعوذ بالله من مثل هذا، وهذا عار لا يرضى به محقق، لان نص الآية:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3]، وانما نزلت هذه الآية في حال الصوم المنسوخ، وذلك انه كان الحكم في أول نزول صوم رمضان ان من شاء صامه، ومن شاء افطر، واطعم مكان كل يوم مسكينًا، وكان الصوم افضل، هذا نص الآية، وليس

١- البقرة/١١١.

٢- البقرة/١٨٤.

٣- البقرة/١٨٣-١٨٤.

للسفر فيها مدخل في الافطار في السفر أيضًا، فكيف استجازوا هذه الطامة، انتهى.

وأشار بهذه الآية إلى قوله: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وهو عجز الآية، والآية المنسوخة بتمامها بناء على قوله، هي قوله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ إلى آخر الآية، فانه نقل انه لما كان الصيام ثقيلاً عليهم في صدر الاسلام، لعدم الاعتياد عليه، خيروا بينه وبين الافطار والفدية مع افضلية الصيام، ثم نسخ ذلك بقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1]، وبما شرحناه في هذا المجال من تحريم الصوم على المسافر بمقتضى الآية والاخبار يظهر لك ما في كلام الشارح الضال، وما زخرفه من الاختلال.

وثانيها: قوله بعد نقل حديث الواقدي الذي عن علي عليه السلام في التخيير من أخذ الفدية، قلت لو كان هذا صحيحًا إلى آخره.

فان فيه زيادة على ما قدمنا تحقيقه في هذا المقام في بعض الأجزاء المتقدمة ان اخبارهم في هذا المقام ظاهرة الاختلاف، بينة الاعتساف، غير منطبقة على الآية عند الناظر بعين الانصاف، وهو أوضح دليل على الكذب فيها، والزيادة والنقصان، كما هي سجيتهم في جميع المقامات وعادتهم، وذلك فان الخبر المذكور مع الخبر الذي بعده المشتمل على مراجعة أبي بكر وعمر له صلى الله عليه وآله وتشبيههما بالملائكة والانبياء، وقول الرسول صلى الله عليه وآله في آخر الخبر ان

١- البقرة/١٨٥.

بكم عيلة لا يفوتكم احد من هؤلاء الاّ بفداء أو ضربة عنق، صريحان في كون الاصحاب ليس لهم تقصير في أخذ الفدية، يستحقون عليه التوبيخ واللوم، ونزول العذاب، فان الحديث الاول صرح بان جبرئيل خيرهم في ذلك، والحديث الثاني صرح أيضًا بان النبي ﷺ خيرهم، وقال ان بكم عيلة، أي حاجة إلى الفدية، والخبر الذي نقلوه في هذا المقام كما قدمنا نقله الدال على دخول عمر على النبي ﷺ وهو مع ابي بكر يبكيان، فسألهما عمر عن سبب بكائهما، فقال له النبي ﷺ: ابكي على اصحابك، واخذهم الفداء، ولقد عرض عليّ عذابهم ادنى من هذه الشجرة، والخبر الذي رووه لو نزل العذاب ما نجى منه الاّ عمر يدلان على ان التقصير في أخذ الفدية كان من الصحابة، وأيضًا فهذان الخبران الاخيران مختلفان، فان مفهوم الخبر الاول ان بكائه ﷺ انما هو على الاصحاب خاصة، واستحقاق العذاب انما توجه اليهم لقوله عرض عليّ عذابهم إلى آخره.

والخبر الثاني الدال على استثناء عمر خاصة، يدل على دخول الرسول ﷺ في جملة المستحقين للعذاب، فما هذا التناقض في هذه الأخبار، والتدافع والاضطراب الشاهد عليها بالاختراع والابتداع، والحق في ذلك ان جملة مارواه القوم من حديث تشبيه ابي بكر وعمر بالملائكة والأنبياء، وحديث البكاء على نزول العذاب على الاصحاب، وحديث لو نزل العذاب ما نجى منه الاّ عمر كله من مخترعات القوم كما هي عادتهم المعروفة وسجيتهم المألوفة.

وأما بالنسبة إلى ما دلت الآية فالأقرب في ذلك أحد أمرين:

الأوّل: ما قدمناه في الموضع المشار اليه آنفًا من ان يتوجه التوبيخ في الآية إلى امر آخر غير اخذ الفدية، حسبما قدمناه ثمة.

أو إلى أخذ الفدية حسبما تضمنته رواية علي بن ابراهيم قُدِّسَ سِرُّهُ المتقدمة، من انه لما قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذينك الرجلين من الاسرى خافت الانصار أن يقتل اسراهم، فتفوتهم الفدية، فطلبوا اليه أن يقبل منهم الفدية، فنزلت الآية توبيخًا لهم، ثم اطلق لهم اخذ الفدية بالشرط المذكور، وهو ان يقتل منهم العدد المذكور ثمة، وعلى هذا أيضًا يمكن تطبيق رواية الواقدي الاولى التي زعم الشارح ان الآية تنافيها، بانه لما نزلت الآية بالتوبيخ لهم على كلامهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بان لا يقتل الاسرى وتأخذ الفدية، وتضمنت الاطلاق لهم في أخذ الفدية، نزل جبرئيل بالتخيير لهم على الشرط المذكور، وهذا بحمد الله ظاهر مستقيم لاخفاء فيه الاّ على ذي ذهن سقيم، وفهم عقيم، وقد تقدم أيضًا أن الرواية المذكورة قد نقلها ابن حجر في شرح البخاري عن الترمذي، والنسائي، وابن حيان، انهم رووها بسند صحيح عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك نقلها أمين الاسلام أبو علي الطبرسي قُدِّسَ سِرُّهُ في كتاب مجمع البيان، عن عبيده السلماني عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وأما ما ذكره من الاشكال في رواية الواقدي الثانية بقوله قلت عندي في هذا الكلام، اما في أصل الحديث، فلأن فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال فمثله كمثل عيسى إلى آخره.

فهو مؤيد لما قلناه، ومؤكد لما ادعيناه من الكذب في اخبارهم والبهتان، للحرص على التنويه بشأن خلفائهم، كما هي عادتهم في جملة الازمان.

وما اعتذر به الشارح عن ذلك، فهو عذر متهافت لا يعتمد عليه، وتخرص بارد لا يلتفت اليه، لانه لو تم هذا الاحتمال، وجاز القول في القرآن بأمثال هذا المقال لما بقى وثوق للاعتماد عليه في الاستدلال، ولاسيما في معرفة الناسخ والمنسوخ، فان جملة من الأحكام التي تضمنتها سورة المائدة، مخالفة لبعض الآيات المتقدمة في النزول عليها، وقد جعلوها ناسخة لما تقدمها لتأخرها، وكانت السورة عندهم انما تعرف بنزول البسملة، وكل ما اتى بعدها يضم إلى تلك السورة حتى تنزل بسملة اخرى، وهكذا، ففتح باب هذا الاحتمال يؤدي إلى غاية الاشكال، ورد هذا الخبر اهون من التزام هذا الضرر، الذي يحصل به فساد الشريعة عند ذوي العقول والفكر.

وأما ما ذكره في حديث لو نزل العذاب ما نجى منه الاّ عمر من ان سعد بن معاذ كان أيضًا يقول بقول عمر، بل هو المبتديء بذلك.

فالجواب عنه ان القوم لا اعتناء لهم بشأن سعد بن معاذ، ليكذبوا له ويخترعوا له الاخبار والمناقب، ويكيدوا بها خصمه، ويرفعوا بها منزلته.

واما جواب الشارح وعذره عن ذلك فهو كلام متحير مبهوت، أو متغير مسبوت، وذلك فان الكلام في النجاة من العذاب لو نزل كما دل عليه الخبر، كيف خص به عمر مع ان سعدًا شريكه في ذلك، الموجب للسلامة من العذاب لا في نسبة ذلك الرأي إلى شخص دون آخر، ولا ريب انه اذا كان سعد بن

معاذ لم يرض بأخذ الفداء والعذاب انما توجه بمقتضى خبرهم إلى من أراد الفداء، وطمع فيه، فبمقتضى ذلك يجب ان يستثنى في الخبر، كما استثني عمر والاّ كان عذابه لو نزل العذاب، وعتابه الذي حصل، ظلمًا محضًا، وليس محل الكلام فيمن نسب اليه ذلك الرأي كما ضل فيه رأيه وفكره، وبدا فيه خدعه ومكره.

وثالثها: ما ذكره من نداء رسول الله ﷺ ثلاث مرات في تلك الليلة في قيام رجل يحرسهم، ولم يقم اليه سوى ذلك الرجل الذي شبه نفسه عليه بثلاثة رجال، وعدم قيام احد من القوم لامتثال امره غير ذلك الرجل مع هذا التكرار منه ﷺ، فهو مؤيد لما شرحناه في المقدمة من قبح سلوك اولئك الصحابة معه ﷺ وعدم توفية حقه من وجوب الطاعة، والتعظيم له والاجلال، والقيام بواجب امره والامتثال، ولو في مثل هذه الامور السهلة التي يقوم بها اقل الرجال، ومعاملته ﷺ لهم بالاغضاء عن زلاتهم، والصبر على هفواتهم، و التكرم والحلم في جل حالاتهم، وهو مصداق الآية المتقدمة ثمة:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1]، فلذا عفى ﷺ هنا وصفح، وكذا في غير هذا الموضع من مواضع مخالفاتهم، كما تبين في غير مقام.

ومن هذا القبيل مارواه الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند حذيفة بن اليمان، عن زيد بن زيد قال: كنا عند حذيفة، فقال ر جل: لو

١- آل عمران/١٥٩.

ادركت رسول الله ﷺ قاتلت معه فأبليت، فقال حذيفة بن اليمان: انت كنت تفعل معه ذلك، لقد رأينا مع رسول الله ﷺ ليلة الاحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا، فلم يجبه احد، ثم قال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة، فلم يجبه احد منا، فقال: قم يا حذيفة، قال: فلم أجد بدًا اذ دعاني باسمي إلى أن أقوم، فقال: اذهب فأتني بخبر القوم، الخبر.

فانظر إلى هذا التكاسل والتخاذل عن اطاعته ﷺ، واجابة اوامره مع ما وعد به من تمثيل امره، بانه معه في الجنة التي تبذل في تحصيلها الارواح والمهج في الجهاد، ويصبرون لاجلها على الطعن والجلاد، والامر هنا اقل واحقر، ثم انظر إلى حلمه وصبره على عصيانهم، ومقابلة ذلك بالتغافل عنهم والسكوت، لما يعلمه من احوالهم التي لا تنتظم الاّ بالصفح عن هفواتهم، والتجاوز عن زلاتهم، وهو مصداق الآية المذكورة، ومصداق قوله سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ورابعها: ما نقله عن شيخه النقيب في قصة فداء زينب بنت رسول الله ﷺ بقوله بعد نقل الخبر، قلت قرأت على النقيب إلى آخر الكلام في هذا المقام، فان فيه أنهم لو كانوا من ذوي العقول والافهام، الواقفين على مراضي الملك العلام فضلاً عن أن يكون من العلماء الاعلام، لم يشكوا، ولم يرتابوا في أن سلوك اولئك الاقوام معها عليها السلام تلك السلوك التي كدرت خاطرها، واسهرت

١- القلم/٤.

ناظرها، واسالت دمعتها، واطالت اشجانها، واضرمت نيران احزانها، وامرضتها وارمضتها حتى أوصت بان لا يحضروا دفنها ولا جنازتها، ولا الصلاة عليها مع ماروي في حقها من التبجيل والاعظام عند الله سبحانه، مما عرفته في غير مقام، قد خرجوا به عن جادة الايمان، وخالفوا به محكم القرآن، ولا اظهر من الامر بمودتها عليها السلام، لكونها من ذوي القربى، بل اقربهم الذين اوجب الله تعالى مودتهم، وجعلها أجر الرسالة، فجميع تلك السلوك القبيحة التي سلكوها معها كانت موجبة للمودة، ومؤدية لتلك الفريضة أو هي على طرف العكس والنقيض.

وأما ما نقله عن قاضي القضاة من أن ما اتياه حسن في الدين، فهو حق النسبة إلى دينه الذي هو دين الملحدين، فان نسبة فاطمة عليها السلام التي طهرها الله عزّ وجل في كتابه من الذنوب والمعاصي إلى الخروج من الدين بالمنازعة في فدك، وكذا بعلها أمير المؤمنين عليه السلام، اذ من المعلوم أنها لم تخرج وتنازع الاّ باذنه، بل قد ورد في رواياتهم كما سيأتي ان شاء الله تعالى قريبًا انه من جملة شهودها، لا يقع الاّ من كافر بالله ورسوله، وسيأتي في كلامه عليه السلام في هذا الكتاب ما هو صريح في هذا الباب، ويأتي أيضًا موافقة هذا الضال المرتاب في تفسيره لكلامه عليه السلام بما يقشع غشاوة الارتياب، ولكن القوم قد غطت على ابصار بصائرهم غشاوة الحمية والعصبية، فذهب الله بنورهم، وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

وخامسها: ما نقله من حديث ترويع زينب حتى طرحت ما في بطنها،

ونقل كلام شيخه النقيب في ذلك، فان فيه:

أولاً: ما يدل على الرد على ما تقدم فيه من دعواه ان حديث الاسقاط من متفردات الشيعة، وانه لم يروه محدثوهم، وهذا شيخه ينقل عنه هنا التوقف لتعارض الاخبار عنده.

وثانيًا: انه مع الاغماض عن حديث الاسقاط فالترويع بالاحراق لمنزلها ﴿صلوات الله عليها﴾ مما لا مجال لانكاره، والترويع بدخول بيتها عليها واخراج ابن عمها قهرًا، وقوده ملببًا مهانًا، وخروجها خلفه باكية شاكية، في مجمع الخلايق وعلى رؤوس الاشهاد، كما تقدم في أخبار السقيفة، مما لا مجال لدفعه، أرأيت ان جميع ذلك كان مما يسوءه ويؤذيه، أو يسره ويرضيه، لابد من الاول، اذ لا معدل عنه ولا محول، واذا ساءه وآذاه، فهل هو يسوء الله عز وجل ويؤذيه، أم لا، لابد أيضًا من الاول، وبذلك يظهر لك ما في كلام الشارح الضال من العمى أوالتعامي عن الطريق الواضحة، حيث انه قصر الترويع على الاسقاط خاصة، وعمى عن هذه الامور المروية في اخبارهم مع ما في دلالتها على الترويع من نهاية الظهور، فيا اعمى الله ابصار بصائر هؤلاء الاقوام، الذين هم اضل عن الانعام في استمرارهم على الباطل إلى يوم القيام، كل ذلك في رضى أبي بكر وعمر، اللذين جعلوهما لله سبحانه كالانداد ألا إنها لا تعمى الابصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، هذا آخر الكلام على ما يتعلق بالجزء الرابع عشر من الشرح، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

قال في المقام من الجزء الخامس عشر: القول فيمن ثبت من المسلمين مع النبي ﷺ يوم احد، قال الواقدي: حدثني موسى بن يعقوب، عن عمته، عن أمها، عن المقداد قال: لما تصاف القوم، ثم ساق الكلام في الحرب وانكشاف المسلمين عن رسول الله ﷺ إلى ان قال: وكانت العصابة التي ثبتت مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، وسبعة من الانصار، فاما المهاجرون فعلي، عليه السلام وأبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ثم عد سبعة من الأنصار.

ثم قال: قال الواقدي: وبايعه على الموت يومئذ ثمانية، ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار، فأما المهاجرون فعلي عليه السلام، وطلحة، والزبير، وأما الأنصار فأبو دجانة، والحرث بن الصمت، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف قال: ولم يقتل منهم ذلك اليوم احد، وأما باقي المسلمين ففروا ورسول الله ﷺ يدعوهم في أخراهم حتى انتهى من انتهى إلى قريب من المهراس[1].

قلت: قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا؟ مع اتفاق الرواة كافة على ان عثمان لم يثبت، فالواقدي ذكر انه لم يثبت، وأما محمد بن اسحاق والبلاذري فجعلاه مع من ثبت ولم يفر[2]، اتفقوا كلهم على ان ضرار بن

١- شرح نهج البلاغة ١٥/١٩ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ١٥/٢٠.

الخطاب الفهري قرع رأسه بالرمح، وقال: انها نعمة مشكورة يا ابن الخطاب، اني آليت أن لا اقتل رجلاً من قريش[1].

روى ذلك محمد بن اسحاق وغيره ولم يختلفوا في ذلك، وانما اختلفوا هل قرعه بالرمح، وهو فار هارب، أم مقدم ثابت، والذين رووا أنه قرعه بالرمح وهو هارب لم يقل أحد منهم انه هرب حين هرب عثمان، ولا إلى الجهة التي فر اليها عثمان، وانما هرب معتصمًا بالجبل، وهذا ليس عيب ولا ذنب، لان المسلمين الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وآله اعتصموا بالجبل كلهم، واصعدوا فيه، ولكن تبقى الفرق بين من اصعد في الجبل في آخر الامر، ومن اصعد فيه والحرب لم تضع اوزارها، فان كان عمر اصعد فيه آخر الامر، فكل المسلمين هكذا صنعوا حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وان كان ذلك والحرب قائمة بعد فقد فر، واتفقت الرواية من أهل الحديث ان أبا بكر لم يفر يومئذ، وان لم يكن نقل عنه قتل، والثبوت جهاد، وفيه وحده كفاية.

وأما ما رواه الشيعة فانهم يروون انه لم يثبت الاّ علي عليه السلام، وطلحة والزبير، وابو دجانة، وسهل بن حنيف، وعاصم بن ثابت، وفيهم من يروي انه ثبت معه اربعة عشر رجلاً من المهاجرين والانصار، ولايعدون أبا بكر وعمر منهم.

وروى كثير من اصحاب الحديث ان عثمان جاء بعد ثلاثة أيام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فسأله إلى أين انتهيت؟ فقال: إلى الاعوص، فقال: لقد ذهبت

١- شرح نهج البلاغة ٢٠/١٥ وما بعدها.

بها عريضة[1].

إلى أن قال: واحتج من روى ان عمر فر يوم أُحد بما روي انه جاءته امرأة في أيام خلافته تطلب بردًا من برود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر تطلب بردًا أيضًا، فأعطى المرأة ورد ابنته، فقيل له في ذلك، فقال: ان أبا هذه ثبت يوم أُحد، ولم يفر، وان أبا هذه فر يوم أُحد ولم يثبت[2].

وروى الواقدي قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن أبي بكر بن عبد الله قال: كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام يقول لقد رأيتني، ورأيت عمر بن الخطاب حين حال المسلمون وانهزموا يوم أُحد وما معه أحد، وأنا في كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحد غيري، وخشيت أن اغريت به من معي ان يصمدوا له، فنظرت اليه وهو متوجه إلى الشعب.

قلت: يجوز أن يكون هذا حقًا، ولا خلاف انه توجه إلى الشعب تاركًا للحرب، لكن يجوز ان يكون ذلك في آخر الأمر، لما يئس المسلمون من النصر، فكلهم توجهوا نحو الشعب حينئذ، وأيضًا فان خالدًا متهمًا في حق عمر لما كان بينه وبينه من الشحناء، فليس بمنكر من خالد أن ينفي عليه حركاته، ومما يؤكد صحة الخبر وكون خالد عف عن قتل عمر يومئذ ما هو معلوم من حال النسب بينهما من قبل الام، فان ام حنتمه بنت هاشم بن المغيرة، وخالد هو ابن الوليد بن المغيرة، فام عمر ابنة عم خالد لُحًا، والرحم تعطف.

١- شرح نهج البلاغة ٢٠/١٥ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٢/١٥.

وحضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الامامية رَحِمَهُ الله في داره بدرب الدواب في بغداد في سنة ثمان وستمائة وقاريء يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدثني ابن أبي سبرة، عن خالد بن رباح، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد قال: سمعت محمد بن سلمة يقول: سمعت أُذناي وأبصرت عيناي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول يوم أُحد، وقد انكشف الناس إلى الجبل، وهو يدعوهم، وهم لا يلوون عليه، سمعته يقول: اليّ يا فلان اليّ يا فلان، انا رسول الله، فما عرج عليه واحد منهما، ومضيا، فاشار ابن معد اليّ، أي اسمع؟ فقلت: وما في هذه؟ قال: هذه كناية عنهما.

فقلت: ويجوز ان لايكون عنهما، لعله عن غيرهما، قال: ليس في الصحابة من يحتشم، ويستحى من ذكره بالفرار، وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية الاّ هما، قلت له: هذا ممنوع، قال: دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف انه ما عنى الواقدي غيرهما، وانه لو كان غيرهما لذكره صريحًا، وبان في وجهه التنكر من مخالفتي له.

وروى الواقدي قال: لما صاح ابليس ان محمدًا قتل، تفرق الناس، فمنهم من ورد المدينة، قال الواقدي: وكان ممن ولى عمر، وعثمان، والحارث بن أبي حاطب، وعد جماعة، وقال: حتى بلغوا الشقرة، ولقيتهم أم ايمن تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم هاك المغزل، فاغزل به، وهلم سيفك[1].

واحتج أيضًا من قال بفرار عمر بماروواه الواقدي في كتاب المغازي في

١- شرح نهج البلاغة ٢٤/١٥ وما بعدها.

قصة الحديبية قال: قال عمر يومئذ: يا رسول الله ألم تكن حدثتنا انك ستدخل الحرم، وتأخذ مفتاح الكعبة، وتعرف مع المعرفين، وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحر؟ فقال رسول الله ﷺ: اقلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا، قال: انكم ستدخلونه، وآخذ المفتاح، واحلق رأسي ورؤسكم ببطن مكة، واعرف مع المعرفين، ثم اقبل على عمر فقال: انسيتم يوم أُحد، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وانا أدعوكم في اخراكم، أنسيتم يوم الاحزاب، اذ جاؤكم من فوقكم، ومن اسفل منكم، واذ زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر، أنسيتم يوم كذا، وجعل يذكرهم اموراً، فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، أنت يا رسول الله اعلم بالله منا.

إلى أن قال: قال الواقدي: حدثني موسى بن محمد بن ابراهيم، عن أبيه قال: لما صاح الشيطان ان محمداً قد قتل يحزنهم بذلك، تفرقوا في كل وجه، وجعل الناس يمرون على النبي لا يهوي عليه احد منهم، ورسول الله ﷺ يدعوهم في اخراهم حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس، فتوجه رسول الله ﷺ يريد أصحابه في الشعب، وأصحابه في الجبل أوزاع يذكرون مقتل من قتل منهم، ويذكرون ما جاءهم عن رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فكنت أول من عرفه وعليه المغفر، فجعلت أصيح وأنا في الشعب، هذا رسول الله حيًا سويًا، فجعل يوميء اليّ بيده على فيه، أي اسكت.

ثم قال: قال الواقدي: ثم ان قومًا من قريش صعدوا الجبل، إلى ان قال نقلاً عن رافع بن خديج: وندبنا رسول الله ﷺ، وحضّنا على القتال، والله

لكأني انظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربين[1].

قال الواقدي: فكان عمر يحدث يقول لما صاح الشيطان قتل محمدًا، أقبلت أرقى إلى الجبل كأني أروبة، فانتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[2]، وابو سفيان في سفح الجبل.

إلى أن قال: قلت: سألت ابن النجار المحدث عن هذا الموضع فقلت له: تأمل قصة أُحد يدل على ان المسلمين كانت الدولة لهم باديء الحال، ثم صارت عليهم، وصاح الشيطان قتل محمد، فانهزم اكثرهم، ثم ثاب اكثر المنهزمين إلى النبي ﷺ، فحاربوا دونه حربًا كثيرًا، وطالت مدتها حتى صار آخر النهار، ثم أُصعدوا في الجبل يعتصمون به، واصعد رسول الله ﷺ معهم، فتحاجز الفريقان حينئذ، وهذا هو الذي يدل عليه تأمل قصة أُحد الاّ أن بعض الروايات التي ذكرها الواقدي تقتضي غير ذلك، نحو روايته في هذا الباب ان رسول الله ﷺ لما صاح الشيطان ان محمدًا قتل كان ينادي المسلمين فلا يعرجون عليه، وانما يصعدون، فانه توجه نحو الجبل فانتهى اليهم، وهم أوزاع يتذاكرون مقتل من قتل منهم، وهذه الرواية تدل على انه اصعد ﷺ في الجبل من أول الحرب حيث صياح الشيطان كان حال كرور خالد بن الوليد بالخيل من وراء المسلمين، لما غشيهم وهم مشتغلون بالنهب واختلط الناس، فكيف هذا؟

١- شرح نهج البلاغة ٢٦/١٥.

٢- آل عمران/١٤٤.

فقال: ان الشيطان صاح قتل محمد دفعتين، دفعة في أول الحرب، ودفعة في آخر الحرب، لما تصرم النهار، وغشيت الكتايب رسول الله ﷺ، وقد قل ناصروه، واكلتهم الحرب، فلم يبق معه الاّ نفر يسير لا يبلغون عشرة، وهذه كانت أصعب واشد من الاولى، وفيها اعتصم بالجبل، ولم يعتصم في صرخة الشيطان الاولى، بل ثبت وحامى عنه اصحابه، ولقد لقي في الأولى مشقة عظيمة، ولكنه لم يفارق عرصة الحرب، وانما فارقها وعلم انه لم يبق له وجه مقام في الصرخة الثانية.

فقلت له: أفكان القوم مختلطين في الصرخة الثانية حتى يصرخ الشيطان قتل محمد؟

قال: نعم، كان المشركون قد احاطوا بالنبي ﷺ وممن بقي معه من اصحابه، فاختلط المسلمون بهم، وصاروا مغمورين بينهم لقلتهم بالنسبة اليهم، وظن قوم من المشركين انهم قد قتلوا النبي ﷺ، لانهم فقدوا وجهه وصوته، فنادى الشيطان قتل محمد، ولم يكن قتل، ولكن اشتبهت صورته وظنوه قتل، واكثر من حامى عنه في تلك الحال علي عليه السلام، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، وحاما هو عن نفسه ﷺ، وكانت قريش تظنه واحدًا من المسلمين، ولو عرفوه بعينه في تلك الصورة لكان الامر صعبًا جدًا، ولكن الله عصمه منهم بان أزاغ أبصارهم عنه، فلم يزل هؤلاء الثلاثة يجالدون دونه، وهو يقرب من الجبل حتى اصعد من فم الشعب إلى تدريج هناك في الجبل، ورقى في ذلك التدريج صاعدًا حتى صار في اعلى الجبل، وتبعه النفر الثلاثة فلحقوا به،

انتهى[1].

أقول: ما حاوله هنا من دفع عار الفرار عن إماميه أبي بكر وعمر، مدفوع أشد الدفع، وممنوع أشد المنع:

أمّا أولاً: فلما اعترف به في قصايده التي امتدح بها أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال في بعضها مشيرًا إلى أبي بكر حيث اعان جيش النبي صلى الله عليه وآله في واقعة حنين وقال: لن نغلب من كثرة ما صورته:

واعجب انسان من القوم كثرة	فلن يغن شيئًا ثم هرول مدبرًا
وضاقت عليه الارض من بعد رحبها	وللنص حكم لا يدافع بالمرا
وليس بنكر في حنين فراره	وفي أُحد قد فر خوفًا وخيبرا
رويدك ان المجد حلو لطاعم	غريب فان مارسته ذقت ممقرا
وما كل من رام المعالي تحملت	مناكبه عنها الركام الكهنورا
تنح عن العليا يسحب ذيلها	امام تردى بالعلا وتأزرا

الى آخر الابيات، ولولا شهرة نسبة هذه القصايد اليه على وجه لا يمكن دفعه لأمكن منع ذلك وتكذيبه، فان كلامه في هذا الشرح على غاية المباينة، لما ذكر فيها كما في هذا الموضع، وكما في حديث الصلاة حيث ادعى هنا لابي بكر أنه صلى قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بالناس صلوات كثيرة، مع تصريحه في قصايده بأنها صلاة واحدة، وقد عزل عن اتمامها، فقال: ولا عن صلاة أمّ

١- شرح نهج البلاغة ٢٧/١٥ وما بعدها.

فيها فأخرا، ونحو ذلك من تعصباته ومجادلاته.

والظاهر ان السبب في ذلك كما ذكره شارح قصايده كون وقوع هذه القصايد في أول امره ومبدأ شبابه، وهذا الشرح كان بعد مزيد تعصبه وتعمقه في الضلال.

وبالجملة فانهم ليس لهم دين مستقر يعتمد عليه، ولا اصل ثابت يلجأ اليه، بل يدورون مدارالاهوية والاطماع، التي جبلت عليها اكثر الطباع، ويجعلون دينهم تبعًا للسلاطين في أكثر الاصقاع.

وممن ساعد على فرار أبي بكر وعمر في واقعة أُحد الشيخ أبو جعفر الاسكافي في كتاب نقض العثمانية، كما تقدم نقله عنه في رده على الجاحظ حيث قال في قصة أُحد: ولم يبق معه الاّ أربعة علي عليه السلام، والزبير، وطلحة وأبو دجانة، فقاتل ورمى بالنبل إلى آخره، إلى أن قال: وثبت يوم حنين في تسعة من أهله، ورهطه الادنين، وقد فر المسلمون كلهم، والنفر التسعة محدقون به، العباس آخذ بحكمة بغلته، وعلي بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول رسول الله صلى الله عليه وآله يمينًا وشمالاً، وقد انهزم المهاجرون والانصار إلى آخر كلامه.

وظاهر كلام الشارح اتفاق اهل السنة على ثبوت أبي بكر وعدم فراره، وانه لم ينكره الاّ الشيعة، وهذا احد مشايخه يعترف بذلك.

وأما ثانيًا: فلما دلت عليه جملة من أخباره التي نقلها في المقام، وان غمض طرفه عنها ونام، فمن ذلك مارواه في الجزء المتقدم حيث بدأ بشرح القصة فيه فقال: قال الواقدي: بينا عمر بن الخطاب في رهط من المسلمين

قعود، اذ مر بهم انس بن النضر عم أنس بن مالك فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم قام فجالد بسيفه حتى قتل، فانها تدل على انه ممن فر في صيحة ابليس التي تفرق فيها الناس عنه، وهي صريحة في فراره[1].

ومنها: قول الواقدي وبايعه على الموت يومئذ ثمانية من المهاجرين، وهم علي وطلحة، والزبير، وخمسة من الانصار، واما باقي المسلمين ففروا، والرسول يدعوهم في اخراهم إلى آخره، وهي كما ترى صريحة في فرار الرجلين.

ومنها: رواية المرأة صاحبة البرد، المتضمنة لاعترافه على نفسه بالفرار، الموجب للعار والنار، وشيعته يدافعون عنه بالانكار.

ومنها: حديث خالد، وقوله ورأيت عمر متوجهًا إلى الشعب.

وما اعتذر به عنه من انه يجوز أن يكون في آخر الامر، باطل مردود بأن ظاهر كلام خالد وقوله انه في كتيبة خشناء، ان فرار عمر كان في أول الامر، وهو لما دخل خالد في تلك الكتيبة الخشناء على المسلمين من الشعب بعد ان صارت الدائرة على المشركين فصارت الدائرة بدخوله في تلك الكتيبة على المسلمين من ظهورهم للمشركين، وفر المسلمون عن النبي ﷺ، وفيها صاح الشيطان، واما جوابه بان خالدًا متهم في حق عمر، فيكفي في رده ما ذكره من المؤيد لصحة الخبر.

١- شرح نهج البلاغة ٢٧٦/١٤.

ومنها: ما نقله عن السيد محمد بن معد العلوي، فانه هو الظاهر من ذلك الكلام، وان جادل فيه كما هي عادته في غير مقام، ومثله أيضًا ما نقله الواقدي عن رافع بن خديج من قوله ثم ندبنا رسول الله ﷺ، وحضنا على القتال، والله لكأني انظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربين، فان هذه الكناية والتحاشي عن التصريح باسميهما، انما هي في أبي بكر وعمر، حمية وعصبية لهما، كما لا يخفى على ذوي العقول والفكر.

ومنها: رواية الواقدي انه لما صاح ابليس ان محمدًا قتل تفرق الناس، قال: وكان ممن تولى عمر وعثمان إلى آخره، وهو صريح في كون فرار عمر في وقت فرار عثمان، وهو من اول الامر وقت صيحة ابليس.

ورواية الواقدي أيضًا قول رسول الله ﷺ لعمر وغيره انسيتم يوم أُحد إلى آخره.

فهذه الروايات كلها كما ترى دالة على الفرار صريحًا في أكثرها بالنسبة إلى الرجلين في بعض، والى الثاني في بعض، وأما رواية الواقدي ان عمر قال لما صاح الشيطان: قتل محمدًا قبلت أرقى في الجبل فانتهيت إلى النبي ﷺ الدالة على فرار النبي ﷺ إلى الجبل قبل عمر، فهي كذب محض لا شك فيه، وذلك لانه لا يخلو أما أن يكون صيحة الشيطان بذلك وقعت مرة واحدة، كما عليه أكثر المحدثين وناقلي القضية، أو يكون مرتين، كما نقله عن ابن النجار المحدث، وعلى الاول فصيحة الشيطان كانت في دخول خالد، ووقوع الدائرة على المسلمين ولا خلاف في ان رسول الله ﷺ كان ثابتًا في معركة

الحرب في اولئك النفر الذين بقوا معه، وجميع المسلمين فروا عنه، وهو يدعوهم في اخراهم، كما تضمنته الآية، وعلى الثاني فان مقتضى ما شرحه ابن النجار في كلامه ان صرخة الشيطان الثانية كان النبي ﷺ في ملحمة القتال، وانه انما تخلص للخروج بعد مدة من صرخة الشيطان شيئًا فشيئًا، بعد قتاله بنفسه ومن معه، فكيف يدعي عمر أو يدعي اصحابه له انه لما صاح الشيطان اقبل إلى الجبل وقد سبقه النبي ﷺ، ولكن القوم لحيرتهم واضطراب افكارهم، لايدرون ما يقولون، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.

وبما شرحناه يظهر لك ما في كلام الشارح الضال من التعصب والحمية لاماميه بانكار فرار الاول، وترديده المردود في حق عمر، ونقل الخلاف في انه ثبت أو فر، و قوله انه لم يقل أحد أنه فر حين هرب عثمان.

يرده ما نقله عن الواقدي من قوله، وكان ممن تولى عمر وعثمان، وفلان وفلان، فانه يدل على ان فرارهما كان في وقت واحد مع من عطف عليهما، وهو وقت انقضاض الناس، وان اختلفت الجهة التي فروا اليها.

وبالجملة فرار ائمتهم واضح لا يتطرق اليه الانكار، متفق عليه نقلة الاخبار، وان تستروا عنه في موضع أو قابلوا بالانكار، ظهر في آخر كالشمس التي لا تقبل الاستتار.

وأما ما ذكره في نسب عمر، وان امه حنتمة بنت هشام بن المغيرة، فيرده ما ذكره النسابون المتقدمون كالكلبي وابي مخنف وغيرهما، وعليه دلت الاخبار عن الائمة الاطهار من ان حنتمه انما هي بنت الخطاب من صهاك،

ولكن صهاك لما ولدتها القتها في احشام مكة، فالتقطها هشام بن المغيرة فرباها، ومن عادة العرب ان كل من ربى يتيمًا في حجره نسب اليه، كما اشتهر في زيد بن حارثة، ونسبته إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فلما كبرت حنتمة خطبها الخطاب منه من غير علم له بكونها بنته أو مع العلم، فتزوجها فاولدها عمر الطيب الطاهر.

قال في المقام: واعلم ان هذه الكلمات التي ذكرها الرضي رَحِمَهُٱللَّهُ ملتقطة من كتابه الذي كتبه جوابًا عن كتاب معاوية الناقد اليه مع أبي مسلم الخولاني، وقد ذكره اهل السير في كتبهم، روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين، ثم نقل صورة كتاب معاوية، وفيه بعد ذكره الخلفاء الثلاثة، فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشرز، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء، وابطاءك عن الخلفاء، تقاد إلى كل منهم، كما تقاد الفحل المخشوش حتى تبايع وانت كاره، إلى آخر الكتاب المتضمن لطلبه قتلة عثمان[1].

إلى ان قال: فلما قدم ابو مسلم الخولاني على علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بهذا الكتاب، قام فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: أما بعد فانك قد قمت بأمر وليته، والله ما احب انه لغيرك ان اعطيت الحق من نفسك، ان عثمان قتل مسلمًا محرمًا، مظلومًا، فادفع الينا قتلته، وانت أميرنا، فان خالفك احد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجة، فقال له علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: اغدوا عليّ غدًا فخذ جواب كتابك، فانصرف ثم انصرف من غد ليأخذ جواب

١- شرح نهج البلاة ٧٣/١٥.

كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد ونادوا كلنا قتل عثمان، واكثروا من النداء بذلك، واذن لأبي مسلم فدخل فدفع اليه علي عليه السلام جواب كتابه، فقال ابو مسلم: رأيت قومًا لك معهم أمر، قال: وما ذاك؟ قال: بلغ القوم انك تريد تدفع الينا قتلة عثمان، فضجوا واجتمعوا، ولبسوا السلاح، وزعموا انهم كلهم قتلة عثمان، فقال علي عليه السلام: والله ما اردت أن ادفعهم اليكم طرفة عين قط، ولقد ضربت هذا الامر انفه وعينه، فما رأيته ينبغي لي أن ادفعهم اليك ولا إلى غيرك، وكان جواب كتاب علي عليه السلام، ثم نقل الكتاب بطوله وفيه، وذكرت حسدي الخلفاء، وابطائي عنهم، وبغي عليهم، فاما البغي فمعاذ الله أن يكون، واما الابطاء عنهم والكراهة لامرهم فلست اعتذر إلى الناس من ذلك، ان الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله قالت قريش منا امير، وقالت الانصار منا امير، فقالت قريش منا محمد فنحن احق بالامر، فعرفت ذلك الانصار فسلمت لهم الولاية والسلطان، فاذا استحقوها بمحمد دون الانصار، فانا أولى الناس بمحمد أحق به منهم والاّ فان الانصار اعظم العرب فيها نصيبًا، فلا ادري اصحابي سلموا من ان يكونوا حتى أخذوا الانصار، والانصار ظلموا، بل عرفت ان حقي هو المأخوذ، وقد تركته لهم، تجاوز الله عنهم، إلى ان قال عليه السلام في الكتاب المذكور: وقد كان ابوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر، فقال: انت أحق بمقام محمد، وأولى الناس بهذا الامر، وانا زعيم لك بذلك على من خالفك عليه، أبسط يدك أبايعك، فلم افعل، وانت تعلم ان أباك قد كان قال ذلك واراده حتى كنت أنا الذي أبيت لقرب

عهد الناس بالكفر، مخافة الفرقة بين اهل الاسلام، فأبوك كان اعرف بحقي منك إلى آخره، انتهى[1].

أقول: الكلام هنا يقع في مواضع:

احدها: بما تضمنه كلامه من قوله فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد، ونادوا كلنا قتلة عثمان، فان فيه:

أولاً: دلالة على ما قدمنا ذكره في غير موضع ولاسيما في الفايدة الثامنة من الفوايد الملحقة بالمقدمة من ان افتراق الناس إلى هذه الفرقتين، شيعة وهم القائلون بامامة علي عليه السلام وتقديمه على غيره، والبراءة ممن تقدمه، وسنة وهم القائلون بصحة امامة من تقدم عليه، كان من ذلك الوقت، لا كما يدعيه بعض متخذلغة أهل السنة من ان هذا الاختلاف انما وقع أخيرًا اختراعًا من الشيعة والاّ فلا وجود له في عصر امير المؤمنين عليه السلام، وبه يتأكد ما أوضحناه في الفائدة المشار اليها من حقية مذهب الشيعة الامامية، وبطلان مذهب اهل السنة.

وثانيًا: ان اتفاق هذا الجم الغفير على قتل عثمان، وقد تقدم ان عددهم كان أربعة آلاف ما بين مباشر، ومساعد وراش، وساع ومعاضد، أدل دليل عل كفر عثمان، واستحقاقه لما نزل به من الهوان، وخروجه عن جادة الايمان، كما تكرر في كلام عمار بن ياسر ﴿رضي الله عنه﴾ في غير مقام حتى انه كما تقدم كان يتأسف على عدم اخراجه من قبره وحرقه بالنار، والاّ فمثل هذا الجم الغفير الذي فيه جملة من صلحاء الصحابة واجلائهم المتفق بين القوم على

١- شرح نهج البلاغة ١٥/ ٧٥ – ٧٨.

جلالتهم وفضلهم، ولاسيما طلحة والزبير اللذين هما بزعم القوم من اهل الجنة، وكانا هما على عثمان رأس الفتنة والمحنة، لا يتفقون على أمر محرم، ولاسيما قتل رجل مؤمن مع ما سمعوه وعرفوه في القرآن العزيز من التوعد على ذلك، والتهديد بالتخليد في النار ذات العذاب الشديد، وما سمعوه في حق عثمان من تلك الأخبار الدالة على فضائله ومناقبه، ولاسيما خبر العشرة المبشرة، ثم يصرون على ذلك مدة حياتهم، وينادون به على رؤوس الاشهاد في غير مقام.

وثالثًا: انه من الظاهر البيّن الظهور بين العموم الذي لا يداخله القصور ان الشيعة لا تقدم على هذا الفعل، وتصر عليه هذا الاصرار، وتجاهر بالنداء به هذا الاجهار الاّ لما علموه من امامهم، وقدوتهم في جميع الاحكام، ومقتداهم في كل حلال وحرام، من الرضا بذلك، والتصويب لهم في سلوك تلك المسالك، والاّ فليسوا له بشيعه على التحقيق.

وثانيها: جوابه عليه السلام لمعاوية فيما ذكره من حسده للخلفاء الثلاثة، وبغيه عليهم، وقوله عليه السلام اما البغي فمعاذ الله، واما الابطاء عنهم والكراهة لامرهم فلا اعتذر إلى الناس من ذلك، فان فيه كما ترى ردًا لما ادعاه الشارح الضال في غير مقام، من انه عليه السلام قد رضي بخلافه الثلاثة، وسلم لهم وانقاد، وان نازع في اول الامر، لكن لما ظهرت له المصلحة في تقدمهم، وان بخلافتهم حفظ الاسلام دون خلافته عليه السلام رضى وسلم، وهذا كلامه لمعاوية كما ترى في أيام خلافته عليه السلام، فمتى رضى بخلافته، ومتى ظهرت له تلك المصلحة الموجبة

لرضاه، وهو يصرح هنا بانه لا يعتذر للناس من كراهته لخلافتهم، ثم شرح عليه السلام اعتدائهم عليه، وتقدمهم لاخذ حقه من غير وجه يقتضيه، سوى مجرد حب الملك والرياسة على الناس، لا لامر سوى ذلك، كما ذكره اتباع الوسواس الخناس، فأين تلك المصلحة التي ادعاها ذلك الضال.

وأما قوله عليه السلام بعد ذلك، ولقد تركته لهم، تجاوز الله عنهم، فهو من قبيل المجاراة وارخاء العنان، فان معاوية كثيرًا ما يلتقط عليه سقطاته، وطعنه في الخلفاء المتقدمين فينعاه عليه عند اطغام اهل الشام، وامثالهم من اولئك الذين هم اضل من الانعام، فيكتب له ويعرض بالخلفاء المتقدمين، لعلمه ببغضه لهم، وحنقه عليهم، فلعله يتكلم فيهم بكلام يجعله عليه حجة عند اولئك، وكان عليه السلام يعرف ذلك ويتخذ رخصة في اجوبته من الوقيعة فيهم، بما يكون مستمسكًا له، وان طعن فيهم بنوع ما من الطعن أردفه بما يزيل الدخل به عليه.

ومن كلامه عليه السلام في الكتاب المذكور مما طوينا نقله في الأصل مما هو من هذا القبيل حيث ان معاوية ذكر في كتابه ان الله اجتبى لرسوله من المسلمين أعوانًا، ايده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام، فكان افضلهم في الاسلام الخليفة الاول، ثم من بعده خليفة الخليفة، ثم الخليفة المظلوم عثمان، فكلهم حسدت إلى آخره، فكتب عليه السلام في جواب هذا الكلام من كتابه، وذكرت ان الله اجتبى له من المسلمين اعوانًا، أيده الله بهم، فكانوا بمنازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام، فكان افضلهم كما

زعمت في الاسلام، وانصحهم لله الخليفة الاول، وخليفة الخليفة، ولعمري مكانهما في الاسلام لعظيم، وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد، فرحمهما الله، وجزاهما ما عملا، وذكرت ان عثمان كان في الفضل ثالثًا، فان يك عثمان محسنًا، فسيجزيه الله باحسانه، وان يك مسيئًا فسيلقى ربًا غفورًا، لا يتعاظمه ذنب ان يغفره، فانظر إلى تخلصه عليه السلام من كيد معاوية ومكره باحسن التخلص، ثم قال عليه السلام في الاشارة إلى بلائه في الاسلام، المعلوم ذلك عند الخاص والعام، وانه هو المخصوص بذلك دون غيره من الانام، ردًا على معاوية فيما ادعاه لخلفائه في المقام، ولعمري اني لارجو اذا اعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام، ونصيحتهم لله ولرسول الله، ان نصيبنا في ذلك الاوفر، فان محمدًا صلى الله عليه وآله لما دعى إلى الايمان بالله إلى آخره، وفيه شرح ما لقيه عليه السلام في بدو الدعوة من قريش، كما تقدم نقل بعضه في صدر المقالة الأولى.

وثالثها: قول معاوية وابطاؤك عن الخلفاء، تقاد كما يقاد الجمل المخشوش، وليس في كتابه عليه السلام هنا جواب هذه الفقرة، وانما وقع جوابها في جواب الكتاب الذي ارسله معاوية مع أبي أُمامة الباهلي، وهذا مذكور بعد هذا الموضع، وصورته: وقلت اني اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت، وان تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلومًا ما لم يكن شاكًا في دينه، ولامرتابًا بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك، إلى آخره، فانظر إلى ما في جوابه عليه السلام عن هذه

الفقرة بما هو صريح في غصب حقه، وظلم اولئك المتقدمين له عليه السلام، وانه انما بايع وانقاد لهم كرها وجبرًا، وهذا الشارح قد نقل ذلك في الموضع المشار اليه وتجاوزه، ولم يتعرض إلى شرح هذه الفقرة كما هي عادته في امثال ذلك.

ورابعها: قوله عليه السلام لمعاوية وقد كان أبوك اتاني حين ولى الناس ابا بكر إلى آخره.

فانه مطابق لما تقدم في غير موضع من أخبار السقيفة من اتيان ابي سفيان اليه عليه السلام، واذعانه لبيعته، وتعهده كما ذكره عليه السلام بانقياد جميع الناس له، وانه زعيم له بذلك، وهو شيخ قريش ورئيسها المطاع، وفيه كما ترى رد على هذا الشارح الضال فيما هذر به في غير مقام من العذر لخلفائه في تقدمهم، بانهم علموا ان قريشًا لا تطيعه ولا تنقاد اليه، وانه يحصل بخلافته عليه السلام ثلم في الاسلام، وهذا كما ترى شيخ قريش، وسيدها المطاع فيها على ما ينقله عليه السلام أول الملازمين اشد الملازمة له في البيعة، والناكثين عن بيعة أبي بكر، بل الموقعين فيه كما تقدم اشد الوقيعة، بقوله ارضيتم يا بني عبد مناف ان يلي عليكم الرذل أبو فصيل، وانه لم يمنعه عليه السلام عن اجابته، والدخول في الامر الاّ خوف ارتداد اولئك القوم الذين قاموا في غصب حقه وقعدوا، وبنوا فيه وشيدوا، ورجوعهم عن الاسلام بكليته، والعود في حافرتهم، لانه يعلم انهم انما دخلوا في هذا الدين، واظهروا الاسلام بين المسلمين للتوصل إلى هذا المقام، فلو فاتهم اظهروا الرجوع إلى ما خرجوا منه، وبارتدادهم يرتد جملة اولئك المنافقين من قريش وغيرهم، ويرجعون في حافرتهم، وقد انفتق في

الاسلام بموته ﷺ، وحدث ما حدث من تلك العظائم، فتق عظيم بارتداد جملة من العرب، وطوائف القبايل ممن سمع ذلك، كما شرحناه آنفًا، فلم يسعه عليه السلام الاّ الصبر والاغضاء، وكف الحرب والرضا، لان ذلك اهون الشرين، واليه يشير قوله عليه السلام هنا لقرب عهد الناس بالكفر إلى آخره.

قال الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية ايضًا، وكيف انت صانع اذا انكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا، إلى آخره.

ووقفت له عليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى، ثم ذكر الكتاب، ومن جملته، وقد اسهبت في ذكر عثمان، ولعمري ما قتله غيرك، ولا خذله سواك، ولقد تربصت به الدوائر، وتمنيت له الاماني، طمعًا فيما ظهر منك، ودل عليه فعلك، واني لأرجو ان الحقك به على اعظم من ذنبه، واكبر من خطيئته، وانا ابن عبدالمطلب إلى آخره.

ثمّ قال: واعلم ان هذه الخطبة قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفين على وجه يقتضي ان ما ذكره الرضي رحمه الله منها قد ضم اليه بعض خطبة اخرى، لان غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه عليه السلام، والذي ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، ثم ساق كلامه عليه السلام، إلى أن قال عليه السلام: ولست من ائمة هذه الامة، ولا من رعاتها.

واعلم ان هذا الامر لو كان إلى الناس أو بايديهم لحسدوناه، ولامتنوا به علينا، ولكنه قضاء ممن منحناه، واختصنا به على لسان نبيه الصادق المصدق، لا افلح من شك بعد العرفان والبيّنة، ربّنا احكم بيننا وبين عدونا بالحق، وأنت خير

الحاكمين، انتهى[1].

أقول: انظر إلى قوله عليه السلام في حق عثمان في ضمن خطابه لمعاوية، وإني لارجو ان الحقك به على اعظم من ذنبه، واكبر من خطيئته من الاشارة إلى ان قتل عثمان انما كان لذنبه وخطيئته، الموجبين لذلك، وانه مستحق للقتل بسببهما، وان معاوية لما كان ذنبه أعظم، وخطيئته اكبر، كان استحقاقه للقتل أشد وأوجب.

ثم انظر إلى قوله عليه السلام في الكتاب الآخر، واعلم ان هذا الامر لو كان إلى الناس إلى آخره.

مما يدل صريحًا، وينطق فصيحًا بان امر الامامة ليس مرجوعًا إلى اختيار الناس يختارون لها من يريدون، ويقدمون فيها من يعتمدون، بل انما هو إلى الله عز وجلّ يختار له من يريد، ممن يعلم اهليته لذلك، كما قال سبحانه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[2]، وفي قوله عليه السلام لحسدوناه اشارة إلى من اغتصبه منه عليه السلام، فانما حمله على ذلك الحسد الذي قد ملأ منه الجوف والجسد، ومن بايعه من الناس في خلافته، فقد امتن عليه، لانهم لا يرونه اهلاً لذلك الاّ ببيعتهم له، وصفقهم على يده، وتقديمهم اياه، بخلاف من يعرف انه صاحب الامر المنصوص عليه من الله ورسوله، فانه يوجب على نفسه اتباعه، ويرى ان المنة لله سبحانه ولرسوله وله عليه السلام في هدايته لذلك وتوفيقه،

١- شرح نهج البلاغة ٨٦/١٥.

١- القصص/٦٨.

وفي قوله عليه السلام واختصنا به على لسان نبيه، اشارة بل تصريح بالنص عليه من الله سبحانه على لسان نبيه، وهذا الشارح الضال كما هي عادته في أمثال هذا المجال ينقل ذلك، ويغمض عينه عما فيه، كأنه قد كحلت بميل العمى أماقيه.

ثم انظر إلى كلامه عليه السلام على اثر هذا الكلام من قوله، لا أفلح من شك بعد العرفان والبينة، وقوله ربنا احكم إلى آخره.

مما هو بحسب الظاهر لمعاوية، والمراد به بقرينة ما قبله كل من اغتصب حقه، ونازعه فيه من المتقدمين.

قال الأصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى أمير من امراء جيشه، وقد أمرت عليكما وعلى من هو في حيزكما مالك بن الحارث الاشتر إلى آخره.

وهو مالك بن الحارث بن عبد يعوق، ثم ساق نسبه إلى ان قال: وكان فارسًا شجاعًا، رئيسًا من اكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، وقال فيه بعد موته: رحم الله مالكًا، فقد كان لي مالكًا كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولما قنت علي عليه السلام على خمسة ولعنهم، وهم معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو الاعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن ارطاة، قنت معاوية على خمسة، وهم علي، والحسن، والحسين، وعبد الله بن العباس، والاشتر، ولعنهم، إلى أن قال: وقد روى المحدثون حديثًا يدل على فضيلة عظيمة للاشتر رحمه الله، وهي شهادة قاطعة من النبي صلى الله عليه وآله بأنه مؤمن، روى الحديث أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في حرف الجيم، في باب جندب، قال أبو عمرو: لما حضرت ابا ذر الوفاة، وهو بالربذة، بكت زوجته

ام ذر، قالت: فقال لي: ما يبكيك؟ فقالت: ما لي لا ابكي وأنت تموت بفلاة من الارض، وليس عندي ثوب يسعك كفنًا، ولا بد لي من القيام بجهازك، فقال: ابشري ولا تبكي، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر انا فيهم: ليموتن احدكم بفلاة من الارض، يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من اولئك النفر احد الاّ وقد مات في قرية وجماعة، وانا لا اشك ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فانظري الطريق، قالت ام ذر: فقلت: قد ذهب الحاج، وانقطع الطريق، فقال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت اذهب إلى الكثيب، فاصعد فانظر ثم ارجع اليه فامرضه، فبينا وهو على هذه الحالة اذا أنا برجال على ركابهم، كأنهم الرخم تخب بهم ر واحلهم، فاسرعوا اليّ حتى وقفوا عليّ، فقالوا: يا امة الله ما لك؟ فقلت: امرء من المسلمين يموت تكفنونه، قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، ففدوه بآبائهم وامهاتهم، واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه، فقال لهم: ابشروا فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر انا فيهم: ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض فتشهده عصابة من المؤمنين، وليس من اولئك احد الاّ وقد مات في قرية وجماعة، والله ما كذبت، ولا كذبت، ولو عندي ثوبًا يسعني كفنًا لي أو لامرأتي لم اكفن الاّ في ثوب لي أو لها، واني انشدكم الله ان لا يكفني رجل منكم كان أميرًا، أو عرّيفًا، أو بريدًا، أو نقيبًا، قالت: وليس في اولئك النفر أحد الاّ وقد قارف بعض ما قال الاّ فتى من الانصار. قال له: انا اكفنك يا عم في ردائي هذا، وفي ثوبين معي في عيبتي من غزل امي، فقال أبو ذر: أنت تكفني، فمات، فكفنه الانصاري، وغسله

في النفر الذين حضروه، وقاموا عليه، ودفنوه في نفر كلهم يمان[1].

قال أبو عمر بن عبدالبر قبل أن يروى هذا الحديث في أول باب جندب، كان النفر الذين حضروا موت ابي ذر بالربذة مصادفة جماعة منهم حجر بن الادبر، ومالك بن الحارث الاشتر[2].

قلت: حجر بن الادبر، هو حجر بن عدي الذي قتله معاوية، وهو من اعلام الشيعة وعظمائها، وانما الاشتر فهو اشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة، وقرأ كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوهاب بن سكينة المحدث، وانا حاضر، فلما انتهى القاريء إلى هذا الخبر، قال استاذي عمر بن عبد الله الدباس وكنت احضر معه سماع الحديث: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد الاّ بعض ما كان حجر والاشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدمه، فاشار اليه الشيخ بالسكوت فسكت، انتهى[3].

أقول: لينظر اولوا العقول والافهام إلى هؤلاء العلماء الاعلام المعدودين في أرباب اولى النقض والابرام، وما يوردونه في أمثال هذا المجال، مما يشهد عليهم بالحيرة والضلال، والحجة الواضحة في يدي الملك المتعال، ثم يتجاوزونه، ويغمضون الطرف عما فيه، ومع هذا يسبون الشيعة ويبرءون منهم لوقيعتهم في اولئك الخلفاء واتباعهم، وهم الذين فتحوا لهم الباب، وكشفوا

١- الاستيعاب ٧٦/٢.

٢- شرح نهج البلاغة ٩٩/١٥ وما بعدها.

٣- شرح نهج البلاغة ١٠٠/١٥ وما بعدها.

الحجاب، كما في هذا الموضع وامثاله مما تقدم، وسيأتي كل ذلك مما حملهم عليه الحمية والعصبية، وما قالوه في ذلك المذهب من الرياسات الدنيوية عند ملوكهم ورعاعهم، وانقياد الناس لهم بذلك، وكثرة اتباعهم، فيغمضون العين عن الحق بعد ظهوره، وسطوع نوره، ويصرون على الباطل، ويمشون في حالك ديجوره، ايثارًا لهذه العاجلة على الآجلة.

ثم انظر أيضًا إلى عد الشارح الضال مالك الاشتر، وعدي بن حجر ﴿رضي الله عنهما﴾ من اعاظم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، والى قول استاذه بما كان يعتقدانه في عثمان ومن تقدمه من بطلان امامتهم، وتضليلهم وتكفيرهم، كما هو مذهب الشيعة قديمًا وحديثًا، وهو أوضح واضح في ان ذلك مذهب امامهم الذي تبعوه واقتدوا به، وفيه تأييد لما قدمناه في الفائدة الثانية من الفوائد الملحقة بالمقدمة، وسيأتيك من هذا الشارح الضال الذي لايستحيي من المناقضة في الأقوال، دعوى ان المراد بالشيعة انما هو من قال بتفضيل علي عليه السلام على الخلفاء المتقدمين دون من قدّمه عليه السلام عليهم في الخلافة، وانكر خلافتهم، وطعن فيهم، وادعى ان المراد بالشيعة التي وردت النصوص من الطرفين بمدحهم، وانهم من اهل الجنة، انما هم المعتزلة القائلين بتفضيله عليه السلام، وهذا كلامه هنا مما ينقض قوله هناك، اف له من ضال تايه في حيرة الضلال.

قال الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابًا عن كتاب منه، وأما طلبك الشام، فاني لم اكن لأعطيك اليوم ما منعتك الامس، واما قولك انا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب،

ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريع كاللصيق. ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل.

فان قلت: فما معنى قوله ولا الصريح كاللصيق؟ وهل كان في نسب معاوية شبهة ليقول هذا؟

قلت: كلا انه لم يقصد ذلك، وانما اراد الصريح بالاسلام، واللصيق في الاسلام، فالصريح فيه مؤمن، اسلم اعتقادًا واخلاصًا، واللصيق فيه من اسلم تحت السيف أو رغبة في الدنيا، وقد صرح بذلك فقال: كنتم ممن دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة، انتهى[1].

أقول: ما ذكره هنا من عدم حمل كلامه عليه السلام على الطعن في نسب معاوية، لا يخلو اما ان يريد به ان نسب معاوية ليس فيه طعن ولا شبهة حتى انه عليه السلام قصد الطعن عليه بذلك، فيجب حمل كلامه عليه السلام على معنى آخر، وهو ما ذكره، وهذا هو الظاهر من عبارته أو انه يسلم ان نسب معاوية مطعون فيه ومحل شبهة، لكنه عليه السلام لم يرد ذلك، بل انما اراد ما ذكره، وعلى كلا الاحتمالين فكلامه ظاهر الفساد.

أمّا أوّلاً: فلما تقدم منه من تصريحه بذلك، ونقله عن الزمخشري في كتاب ربيع الابرار، وقد تقدم ذلك في شرح قوله، ومن خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معاوية على البلاد من آخر الجزء الاول، وبذلك أيضًا صرح به جملة من علمائهم فضلاً عن علماء الشيعة، كما

١- شرح نهج البلاغ ١١٩/١٥.

تقدم نقله في مطاعن معاوية من المقدمة.

وأمّا ثانيًا: فان المتبادر من اللفظ المذكور، انما هو باعتبار النسب، وعليه يدل ظاهر كلامه، لان قوله وهل كان في نسب معاوية شبهة ليقول هذا، فانه يشعر بان هذا القول لا يرمى به أحد الاّ اذا كان في نسبه شبهة، ويدل على ذلك ما قاله ابن الاثير في النهاية في حديث الحاطب اني كنت امرء ملصقًا في قريش، الملصق هو الرجل المقيم في الحي، وليس منهم بنسب، انتهى[1].

وما ذكره بعض الافاضل الشارحين حيث قال: والصريح الرجل خالص النسب، واللصيق المدعى الملصق بغير أبيه، ويؤيده ايضًا ما ذكره في القاموس حيث قال: صرح نسبه ككرم، خلص، وهو صريح[2].

وحينئذ فمقابلته باللصيق يقتضي الحمل على اللصق في النسب بغير ابيه، وحينئذ فاذا كان اللفظ ظاهرًا في هذا المعنى، فما الموجب للخروج عنه، والحال ان الرجل كذلك، كما ذكره جملة من العلماء الاعلام، سيما مع فساد ما تمحله كما سيظهر ذلك ان شاء الله تعالى في المقام.

وأمّا ثالثًا: فلأن ما تكلفه من المعنى متهافت ساقط، وذلك لان الاسلام ليس الاّ عبارة عن اظهار الشهادتين، مع عدم انكار ما علم من الدين ضرورة، والايمان هو ذلك مع التصديق والاعتقاد، وحينئذ فقوله ان الصريح فيه من اسلم اعتقادًا أو اخلاصًا، واللصيق من اسلم تحت السيف، يعني خوفًا وتقية أو

١- النهاية لابن الاثير ٢٤٩/٤ (لصق).

٢- القاموس المحيط ٢٣٣/١ ، فصل الصاد (صرح).

رغبة في الدنيا إلى آخره، ان يراد به بما يرجع إلى الايمان في الاسلام والنفاق فيه، كما هو الظاهر، وفيه ان هذا المعنى قد صرح به عليه السلام في قوله ولا المؤمن كالمدغل، أي المنافق، لان المدغل هو من اشتمل باطنه على فساد، ومؤمنًا من حيث النفاق، وأما ان يراد به ما يرجع إلى الايمان خاصة لكن يفرق فيه بين ما كان عن رغبة واختيار، أو جبر وقهر، وفيه مع بعده غاية البعد ان هذا المعنى قد فهم من قوله ولا المهاجر كالطليق، فان المراد منه ان ليس من اسلم رغبة في الاسلام، ودخل في هذا الدين حبًا له، وهاجر اليه، كالطليق الذي ليس اسلامه ودخوله في الدين الاّ بعد الاسرة، والغلبة والقهر، وبالجملة فبطلان كلامه اظهر من ان يحتاج إلى بيان عند ذوي الافهام والاذهان.

قال الاصل، وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف، إلى أن قال عليه السلام: وانما جعلت القيام بذلك إلى بني فاطمة ابتغاء وجه الله، وقربة إلى رسول الله، وتكريمًا لحرمته، وتشريفًا لوصلته إلى آخره.

الى ان قال بعد كلام في المقام: ثم بيّن لماذا خصها بالولاية، فقال: انما فعلت ذلك لشرفهما برسول الله صلى الله عليه وآله، فتقربت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأن جعلت لسبطيه هذه الرياسة، وفي هذا رمز وازراء بمن صرف الامر عن اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للامر، أي كان الاليق بالمسلمين والاولى ان يجعلوا الرياسة بعده لاهله قربة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريمًا لحرمته وطاعته، وانفة لقدره عليه السلام ان تكون ذريته سوقة تليهم الاجانب، ومن ليس من شجرته واصله، ألا ترى ان هيبة النبوة والرياسة في صدور الناس اعظم اذا كان

السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس الناس للنبوة اذا كان السلطان الاعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام.

أقول: انظر إلى كلام هذا الشارح الضال، وما نطق به في هذا المقال، مما يرده ما قدمه في غير مجال، فانه قد اعتذر في غير موضع مما تقدم عن خلفائه في تقدمهم على علي عليه السلام، مع كونه عليه السلام هو الافضل والاحق لمصلحة رعاية الاسلام، لفساده بولايته عليه السلام لو ولي الخلافة، وخالف هو وأصحابه المعقول والمنقول في القول بتقديم المفضول كما صدر به خطبة كتابه، فقال: وقدم المفضول على الفاضل لمصلحة اقتضاها التكليف، وحينئذ فان كان ما ذكره صحيحًا، فكيف ينطبق عليه كلامه هنا؟ وكيف يكون الاولى والاليق بالمسلمين ان يجعلوا الرياسة بعده صلى الله عليه وآله لاهله قربة اليه، وولايتهم انما يترتب عليها فساد الاسلام.

ثم انظر إلى قوله وانفة لقدره، وان تكون ذريته سوقه إلى آخره، وهذا من جملة ما طعنا به عليه سابقًا، من انا لم نر من اثر تلك المصلحة التي ادعاها في تقدم ائمته الاّ وقوع السيف في رقاب اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فى جميع الاقطار، واهانتهم واستذلالهم، وتجريعهم المصايب على ممر الادوار من الاموية، ومن بعدهم من كل غادر كفار، وقد اعترف به هنا على رغم انفه.

وبالجملة فان هذا الضال قد اوقع نفسه في ورطة بتعرضه لشرح هذا الكتاب المستطاب، فاضطرب في النقص من مضايقه أي اضطراب، كما

اوضحناه في جملة من مباحث هذا الكتاب.

قال الاصل، ومن هذا العهد فانه لا سواء امام الهدى، وامام الردى، وولي النبي، وعدو النبي، لقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ان لا اخاف على امتي مؤمنًا ولا مشركًا، اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه، واما المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكني اخاف عليكم كل منافق الجنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون[1].

الاشارة بامام الهدى إلى نفسه، وبامام الردى إلى معاوية، وسماه امامًا كما سمى الله اهل الضلال ائمة قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2]، ثم وصفه بصفة اخرى، وهو انه عدو النبي، لقوله صلى الله عليه وآله وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، وأول الخبر وليك وليي، ووليي ولي الله، وتمامه مشهور، ولان دلايل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه ومن افعاله، وقد قال أصحابنا في هذا المعنى اشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصًا من كتب شيخنا أبي عبد الله، ومن كتب الشيخين أبي جعفر الاسكافي، وأبي القاسم البلخي، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم.

ثم قال عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اني لا أخاف على امتي مؤمنًا ولا مشركًا، أي ولا مشركًا يظهر الشرك يقمعه الله باظهار شركه، ويخذله ويصرف قلوب الناس عن اتباعه، لانهم ينفرون منه لاظهاره كلمه الكفر، فلا تطمئن

١- شرح نهج البلاغة ١٧٠/١٥، نهج البلاغة

٢- القصص/٤١.

قلوبهم اليه، ولا تسكن نفوسهم إلى مقالته، ولكني اخاف على امتي المنافق، يسر الكفر والضلال، ويظهر الايمان والافعال الصالحة، ويكون مع ذلك ذا لسن وفصاحة، يقول بلسانه ما تعرفون صوابه، ويفعل سرًا ما تنكرونه لو اطلعتم عليه، وذلك ان من هذه صفته لتسكن نفوس الناس اليه، لان الانسان انما يحكم بالظاهر فيقلده الناس فيضلهم، ويوقعهم في المفاسد.

ومن الكتب المستحسنة الكتاب الذي كتبه المعتضد بالله أبو العباس احمد بن الموفق أبي احمد طلحة بن المتوكل على الله في سنة اربع وثمانين ومائتين، ووزيره حينئذ عبيد الله بن سليمان، وانا اذكره مختصرًا من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وامر بانشاء كتاب يقرأ على الناس، فخوفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامة، وانه لا يأمن ان تكون فتنة، فلم يلتفت اليه، فكان اول شيء بدأ به المعتضد من ذلك التقدم إلى العامة بلزوم اعمالهم، وترك الاجتماع والعصبية، ومنع القصاص من القعود على الطرقات، وانشأ هذا الكتاب، وعملت منه نسخ قريت بالجامعين من مدينة السلام في الأرباع والمحال والاسواق في يوم الاربعاء لست بقين منها، ومنع اهل الحلق في الفتيا من القعود في المسجدين، ونودي في المسجد الجامع ينهي عن الاجتماع على قاص أو غيره، ومنع القصاص، وأهل الحلق من القعود، ونودي ان الذمة قد برئت ممن اجتمع من الناس في مناظره أو جدل، وتقدم إلى الشُراب الذين يسقون الماء في

الجامعين ان لا يترحموا على معاوية، ولا يذكروه، وكانت عادتهم جارية بالترحم عليه، وتحدث الناس ان الكتاب الذي قد امر المعتضد بانشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب، فلم يقرأ، وقيل: ان عبيد الله بن سليمان صرفه عن قراءته، وانه احضر يوسف بن يعقوب القاضي وامره ان يعمل الحيلة في ابطال ما عزم عليه المعتضد، فمضى يوسف فكلم المعتضد في ذلك، وقال اني اخاف ان تضطرب العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة، فقال: ان تحركت العامة أو نطقت وضعت السيف فيها، فقال: يا أمير المؤمنين ما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون في كل ناحية، ويميل اليهم خلق كثير لقرابتهم من رسول الله ﷺ، وما في هذا الكتاب من اطرائهم، واذا سمع الناس هذا كانوا اليهم اميل، وكانوا هم أبسط ألسنة، واثبت حجة منهم اليوم، فامسك المعتضد، ولم يرد عليه جوابًا، ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء[1].

ثم نقل الشارح الكتاب بطوله، وهو مشتمل على ما ورد في ذم بني أمية عمومًا من الآيات والروايات، وفي أبي سفيان ومعاوية خصوصًا من الروايات التي قدمناها دالة على كفرهما، وقد تركنا نقله رومًا للاختصار، ومن احب الوقوف عليه فليرجع اليه.

أقول: أما ما ذكره من حمل امام الردى على معاوية خاصة ففيه ان سوق الكلام ظاهرًا وان كان مع معاوية، لكن ذلك لا يقتضي الاختصاص بمعاوية،

١- شرح نهج البلاغة ١٥/١٧٠ وما بعدها.

ونحن نفصل لك الكلام في كل فقرة، ونبين شمولها لائمته الاعلام.

فأما قوله عليه السلام ولا سواء امام الهدى، وامام الردى، فانه يقتضي ان الامام في الامة لا يخرج عن احد هذين الفردين، ومن المعلوم من كلماته وذمه عليه السلام لاولئك المتقدمين، وتظلمه منهم، وتألمه وطعنه فيهم في غير مقام من خطبته الشقشقية وغيرها، كما تقدم بسطه وايضاحه، واعتراف الشارح بذلك في جملة من المواضع ان اولئك ليسوا من الفرد الاول، بل من الثاني بلا اشكال.

وأما قوله عليه السلام ولا سواء ولي النبي، وعدو النبي بالتقريب الذي ذكره الشارح من ان عدوه عليه السلام عدو النبي صلى الله عليه وآله، فانا قد اوضحنا فيما تقدم من مطاعن القوم عداوة الخلفاء الثلاثة له عليه السلام، وشرحه الشارح في أخبار السقيفة والشورى من كتاب السقيفة للجوهري وغيره، ويعضدها شكاياته عليه السلام وتظلماته الممتدة إلى ايام خلافته، وأيضًا فانه بمقتضى حديثه الذي ذكره وهو قوله وليك وليي، وعدوك عدوي، انحصار الناس له عليه السلام في الولي والعدو، وليس المراد بالولي الاّ التابع المتوالي به، والمعاضد الناصر له، ومن المعلوم ان القوم لم يقع منهم الاّ ضد ذلك، فيتعين الثاني البتة.

وأما قوله عليه السلام وقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله اني لا اخاف إلى آخر الكلام، مما يدل على ان خوفه صلى الله عليه وآله انما هو من المنافق الذي يظهر التدين بالاسلام، ويدس نفاقه في الدين، فلا اظهر منه في امامه ابن الخطاب، كما كشفنا عنه نقاب الخفاء والحجاب في مطاعنه بنقل كلام صاحب كتاب الملل والنحل فارجع اليه، ولم يكن في القوم له شبيه في الشيطنة، باظهار الاعمال الصالحة،

والزهد في الدنيا والاعراض عن لذاتها، وشدة التصلب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما نقله الشارح عنه في الجزء الثاني عشر حتى انه افرد له هذا الجزء من كتابه مشتملاً على خطبه، ومواعظه، ورسائله، وسيرته، وسياسته، وزهده، وتقشفه، وهو مع ذلك يشوب هذه الاحوال بالطعن في الدين، فيحلل ويحرّم، ويرد على الله ورسوله، ويخبط الشريعة بقياساته واجتهاداته، لانه لما وفر على الناس الاموال امن منهم المعاكسة والمناقضة في هذه الاحوال، فتارة تراه يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام في بعض القضايا النازلة به، وتارة يصد عنه ويخبطها بجهله، وتارة يمنع من القياس في الدين، وتارة يعمل به، ويكتب به إلى عماله، وتارة يزعم بين الناس انه لا يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله لئلا يخالف به، وتارة ينادي على رؤوس الاشهاد متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وانا محرمهما ومعاقب على فعلهما، وتارة يقول في علي عليه السلام لو وليهم لحملهم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم، وتارة يتعلل عن استحقاقه لها بان فيه دعابة أو لحبه بني عبد المطلب، أو ان النبوة والخلافة لا تجتمع في بيت، وتارة يقول ان آذيت هذا مشيرًا إلى علي عليه السلام فقد آذيت صاحب هذا القبر، يعني النبي صلى الله عليه وآله، وتارة يفعل به تلك الأفعال المخيفة في يوم السقيفة إلى غير ذلك من احواله المتعارضة، واقواله المتناقضة، وافعاله المتباغضة، وكل ذلك اذا تأمله المنصف المتدين، يعلم انه انما صدر عن النفاق الذي جبل عليه، ومن اعظم نفاقه في الدين الذي هو اظهر ظاهر عند المتأمل المكين، ما شرحناه سابقًا من مزيد اختصاصه بمعاوية من بين كافه عماله، أوطأه رقاب الناس

وقلده الشام، ولم يقر عاملاً من عماله مدة حياته على عمله غير معاوية، وقد كان عنده بالمنزلة العليا، كما قدمنا بيانه، هذا مما سمع في حقه من الاخبار الدالة على كفره، كما قدمنا نبذة منها في مطاعنه، ومن ذلك يظهر ان معاوية انما هو جذوة من ذلك الضرام، وفرع من فروع اولئك الائمة الاعلام، الذين قد وطئوا له الطريق، ووسعوا له المضيق، كما أنبأ عنه كتابه إلى محمد بن أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾، وكتاب ابنه يزيد ﴿لعنه الله﴾ إلى عبد الله بن عمر.

وأما ما حكاه عن الطبري في قضية الكتاب الذي كتبه المعتضد بلعن معاوية، وتقدم المعتضد إلى الناس بما شرحه، ففيه اوضح دلالة، واصرح مقالة على كفر القوم، واصرارهم على الضلال من ذلك اليوم، فانه لا ابلغ ولا اشنع، ولا اظهر ولا افضع مما وقع من معاوية ﴿لعنه الله﴾ في حق اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، من السب لهم على رؤوس المنابر ثمانين سنة، زيادة على حربه لامامه، وقتل الوف من المؤمنين مع ما ورد في أخبارهم وكتبهم من الاخبار التي تقدمت مصرحة بكفره، ومع هذا فكيف بلغ بهم التعصب له بما حكاه في هذا المقام عن العلماء منهم والعوام، فاذا كانت هذه حالهم في مثل هذه الامور الظاهرة، وتعصبهم على الباطل، ومكابرتهم باظهر مكابرة، وقد عرفت مما شرحه الشارح آنفًا ما وقع منهم في زمن معاوية، ودولة الاموية من اختراع الاخبار لهم، وتزوير الاكاذيب، بما يهوونه طمعًا في تلك الزخارف الدنيوية، فكيف يبقى لعاقل وثوق بدينهم، وكيف يروم هذا الشارح الضال اقامة الحجة على الشيعة برواياتهم واخبارهم، وابطال مذهب الائمة بترهاتهم واكاذيبهم، ما

هذا الاّ قلة انصاف، وعدم تقوى وعفاف، ولا يخفى ان اصرارهم سلفًا وخلفًا على حب معاوية وبني أمية لا يجتمع مع حب أهل البيت عليهم السلام، لما تقدم من الادلة العقلية والنقلية كتابًا وسنة على انه لا يجتمع حب احد وحب عدوه في قلب واحد، وكما انا نجزم من أنفسنا وبالرجوع إلى وجداننا ببغض اعداء أهل البيت حيث انا من المتحققين بولائهم وحبهم، كذلك نجزم لما ذكرناه ببغض مخالفينا لاهل البيت عليهم السلام لتحققهم بولاية اعدائهم ومحبتهم، وبغض أهل البيت عليهم السلام على صفحات وجوههم ظاهر، وفي فلتات كلامهم، وخطرات أقلامهم متظافر، وان انكروه بمجرد اللسان، تحاشيًا عن الرمي بالكفر والنصب، الذي يتبرأ منه كل انسان.

تأييد سديد

وفي المقام حكاية لطيفة يناسب ذكرها، ومنقبة شريفة يجب سطرها، نقل صاحب كتاب الاربعين عن الاربعين في فضايل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خاتمة الكتاب المذكور باسناد يرفعه إلى أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي قال: وكتبه باملائه قال: كنت بصور سنة نيف وخمسين وثلاثمائة عند أبي علي محمد بن علي المستأمن، وانما لقب بذلك لانه استأمن عسكر القرامطة إلى صاحب السلطان بالشام وهو على حماية البلد، فجاء القاضي أبو القاسم بن الريان، وكان شابًا أديبًا، فاضلاً جليلاً، واسع المال، عظيم الثروة، ليلاً فأستاذن عليه، فاذن له، فلما دخل عليه قال له: ايها الامير قد حدث الليلة أمر ما

لنا بمثله عهد، وهو ان في البلد رجلاً ضريرًا يقوم كل ليلة في الثلث الاخير، ويطوف في البلد ويقول بأعلى صوته يا غافلين اذكروا الله، يا مذنبين استغفرو الله، يا مبغضي معاوية عليكم لعنة الله، وان دايتي التي ربتني كانت لها عادة ان تنتبه على صوته، فجاءتني الليلة وايقظتني، وقالت لي: كنت نائمة فرأيت في منامي كأن الناس يهرعون إلى المسجد الجامع، فسألت عن السبب، فقالوا: رسول الله صلى الله عليه وآله هناك، فتوجهت إلى المسجد الجامع ودخلته، ورأيت النبي صلى الله عليه وآله على المنبر، وبين يديه رجل واقف، وعن يمينه وعن يساره غلامان واقفان، والناس يسلمون عليه، ويرد عليهم، حتى رأيت الضرير الذي يطوف بالبلد، ويذكر ويقول كذا وكذا، واعاد ما يقوله، فدخل وسلم، فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله حتى عاوده ثلاثًا، فاعرض عنه النبي، فقال الرجل الواقف: يا رسول الله رجل من امتك ضرير، يحفظ القرآن، ويسلّم عليك، فلم حرمته الرد عليه، فقال: يا أبا الحسن هذا يلعنك، ويلعن ولديك منذ ثلاثين سنة، فالتفت الرجل الواقف، فقال: يا قنبر، فاذا برجل قد بدر، فقال: اصفعه فصفعه على وجهه، ثم انتبهت فلم اسمع له صوتًا، وهذا هو الوقت الذي جرت عادته فيه الصياح والتذكير.

قال أبو الفرج: فقلت: أيها الامير تنفذ من يعرف خبره، فانفذ في الحال قاصدًا ليخبرنا عن امره، فجاءنا يعرّفنا ان امرأته قد ذكرت له أنه عرض له هذه الليلة حكاك شديد في قفاه، فمنعه من الطواف والتذكير، فقلت لابي علي المستأمن: أيها الامير هذه آية نحب ان نشاهدها، فركبنا وقد بقيت من الليل

بقيه يسيرة، وجئنا إلى دار الضرير، فوجدناه نائمًا على وجهه يخور، فسألنا زوجته عن حاله، فقالت: انتبه وحك هذا الموضع، واشار إلى قفاه، وكان قد ظهر فيه مثل العدسة، وقد اتسعت الآن وانتفخت وتشققت، وهو الآن كما تشاهدونه يخور ولا يعقل، فانصرفنا وتركناه، فلما اصبحنا هلك، فركب اهل صور على تشييع جنازته وتعظيمه.

قال أبو الفرج: فاتفق اني لما وردت إلى باب عضد الدولة بالموصل سنة ثمان وستين وثلاثمائة لزمت دار خازنه ابي نصر خورشيد بن يزديار، وكان يجتمع فيها كل يوم خلق كثير من طبقات الناس، فحدثت بهذه الحكاية جماعة في دار أبي نصر منهم القاضي أبو علي التنوخي، وأبو القاسم الحسين بن محمد الجبائي، وأبو اسحاق الفهمي، وأبو طرخان وغيرهم، فكلهم ردّوا عليّ، واستبعدوا ما حكيته على اشنع وجه غير القاضي التنوخي، فانه جوزه وسنده، وحكى ما يضاهيه، ثم مضت على هذا مدة يسيرة، فحضرت دار أبي نصر على هذه العادة، فاتفق حضور أكثر الجماعة، فلما استقر بي المجلس سلم عليّ فتى شاب لا اعرفه، فقال: انا ابن ابي القاسم الريان قاضي صور، فبدأت واقسمت عليه بالله يمينًا مكررة، مؤكدة مغلظة، محرجة الاّ صدق فيما اسأله عنه، فقال: نعم هو ذاك، فبدأ وحدثهم مثل ما حدثتهم، فتعجبوا من ذلك واستطرفوه.

أقول: انظر إلى هؤلاء العلماء الاعلام فيما حكي عنهم في هذه الحكاية من ردهم واستبعادهم ما نقله أبو الفرج المذكور في حق رجل من خواص

محبي معاوية واوليائه مع تصريحه في الحكاية نقلاً عن النبيﷺ بان ذلك الرجل كان يسب عليًا وابنيه عليهم السلام مدة ثلاثين سنة، ومع هذا كذّبوا الناقل واستبعدوا ما حكاه على اشنع وجه، كل ذلك تعصب لمعاوية حتى منّ الله تعالى بحضور ابن القاضي المشار اليه، فصرف به عن ذلك الرجل ما جنوه عليه، وهذه الحكاية كما ترى مؤيدة لما ذكرناه من أنه لا يجتمع حبهم عليهم السلام، وحب اعدائهم في قلب واحد.

وقد نقل الديلمي قدس سره في كتاب ارشاد القلوب نظير هذه الحكاية أيضًا قال:

روي ان الشاعر البيضا وفد على بعض الملوك، وكان يفد عليه في كل سنة، فوجده في الصيد، ووجد وزيره حاضرًا، فكتب الوزير إلى الملك يخبره بقدوم الشاعر، فأمره ان يسكنه في بعض دوره، فاسكنه في داره، وكان على باب الدار غرفة، وكان البيضا يبات ليله فيها، ولها مطلع إلى الدرب، وكان في البلد حارس، وكان عليه ان يخرج في كل ليلة بعد نصف الليل فيصيح بأعلى صوته، يا غافلين اذكروا الله، على مبغضي معاوية لعنة الله، وكان البيضا الشاعر ينزعج بصوته، فاتفق في بعض الليالي ان الشاعر رأى في منامه ان النبي ﷺ قد جاء هو، وعلي بن أبي طالب إلى تلك الدرب، فوجد الحارس، فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام اصفعه بيدك، فانه يسبك، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام بين كتفيه، فانتبه الشاعر منزعجًا من المنام، ثم انتظر الصوت الذي كان يسمعه من الحارس كل ليلة، فلم يسمعه، فعجب من ذلك، ثم سمع صياحًا ورجالاً قد

اقبلوا إلى دار الحارس، فسألهم الخبر، فقالوا: ان الحارس قد ضرب بين كتفيه ضربة بقدر الكف فتشققت، فهي تمنعه القرار، فلم يكن وقت الصبح الاّ وقد مات، وشاهده بذلك الحال أربعون نفسًا، انتهى[1].

قال الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية، وهو من محاسن الكتب، اما بعد: فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وآله لدينه، وتأييده اياه بمن ايده من أصحابه، فقد خبأ لنا الدهر منك عجبًا، وطفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر، وزعمت ان افضل الناس في الاسلام فلان وفلان، فذكرت امرًا ان تم اعتزلك كله، وان نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

إلى ان قال عليه السلام: ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة ربك فحدث، ان قومًا استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا، قيل سيّد الشهداء، وخصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، او لا ترى انّ قومًا قطعت ايديهم فى سبيل لله، ولكلّ فضل حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار فى الجنّة، وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء لنفسه، لذكر ذاكر فضائل جمة، تعرفها قلوب

١- البحار ٩/٤٢ وما بعدها.

المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فانا صنايع ربّنا، والناس بعد صنايع لنا، لم يمنعنا قديم عز لنا، وعادي طولنا ان خلطناكم بانفسنا، فنكحنا وانكحنا فعل الاكفاء، ولستم هناك، وانى يكون ذلك كذلك، ومنا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ومنكم المكذّب، ومنّا اسد الله، ومنكم اسد الاحلاف، ومنا سيدا شباب اهل الجنة، ومنكم صبية النار، ومنّا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب، في كثير مما لنا عليكم، فاسلامنا ما قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا، وهو قوله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فنحن مرة اولوا القربى، وتارة اولي الطاعة، ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فلجوا عليهم، فان يكن الفلج، فالحق لنا دونكم، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم، وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلّهم بغيت، فان يكن ذلك كذلك، فليس الجناية عليك، فتكون المعذرة اليك.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقلت اني اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، فوالله لقد أردت ان تذم فمدحت، وان تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن

١- الأنفال/٧٥.

٢- آل عمران/٦٨.

يكون مظلومًا، ما لم يكن شاكًّا في دينه، ولا مرتابًا بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها، ثم ذكرت ما كان من امري، وامر عثمان فلك ان تخاطب عن هذه، إلى آخره[1].

سألت النقيب فقلت: ارى هذا الجواب منطبقًا على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى علي عليه السلام، فان كان هذا هو الجواب، فالجواب الذي ذكره ارباب السيرة، واورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين اذًا صحيح، وان كان ذاك الجواب، فهذا الجواب اذن غير صحيح ولا ثابت.

فقال لي: بل كلاهما ثابت مروي، وكلاهما كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أمرني ان اكتب ما يمليه عليّ، فكتبته، قال رحمه الله: كان معاوية يتسقط عليًا عليه السلام، وينعى عليه ما عسى يذكره من حال أبي بكر وعمر، وانهما غصباه حقه، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه، والرسالة يبعثها، يطلب غرته، لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر، إما مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام، ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوب زعمها، فقد غمضه عندهم بانه قتل عثمان أو مالىء على قتله، وانه قتل طلحة والزبير، واسر عايشة، واراق دماء اهل البصرة، وبقيت خصلة واحدة، وهو ان يثبت عندهم أنه يبرأ من أبي بكر وعمر، وينسبهما إلى الظلم، ومخالفة الرسول في أمر الخلافة، وأنهما وثبا عليه، وغصباه اياه، وكانت تكون الطامة الكبرى، وليست مقتصرة على فساد اهل الشام عليه، بل اهل العراق الذين هم جنده وبطانته وانصاره،

١- شرح نهج البلاغة ١٨١/١٥ وما بعدها.

لانهم كانوا يعتقدون امامة الشيخين الاّ القليل الشاذ من خواص الشيعة، فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد ان يغضبه عليه السلام، ويخرجه اذا رأى ذكر أبي بكر، وأنه أفضل المسلمين إلى ان يوهن خطه في الجواب بكلمة، تقتضى طعنًا في أبي بكر وعمر، فكان الجواب مجمجمًا، غير بيّن، ليس فيه تصريح بالتظليم لهما، ولا تصريح ببراءتهما، فتارة يترحم عليهما، وتارة يقول اخذا حقي، وقد تركته لهما.

فأشار عمرو بن العاص على معاوية ان يكتب كتابًا ثانيًا يتعلقان به في تقبيح حاله، وتهجين مذهبه، وقال له عمرو: ان عليًا رجل ترق يتاه، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر فاكتب، فكتب معاوية كتابًا نفذه اليه مع أبي امامة الباهلي ونسخة الكتاب، ثم ذكر صورة كتاب معاوية.

ثم قال: قال النقيب أبو جعفر: فلما وصل هذا الكتاب إلى علي عليه السلام مع أبي امامة الباهلي، كلم أبا امامة بنحو ما كلم به أبا مسلم الخولاني وكتب معه هذا الجواب.

قال النقيب: في كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش، لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم، وليس في ذلك هذه اللفظة، وانما فيه حسدت الخلفاء، وبغيت عليهم، عرفنا ذلك من نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء.

قال: وانما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين، والمشهور عندهم كتاب ابي مسلم، فيجعلون هذه اللفظة فيه، والصحيح أنها في كتاب ابي امامة، ألا

تراها عادت في الجواب، ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه، انتهى كلام النقيب أبي جعفر[1].

ونحن الآن مبتدئون في شرح الفاظ الجواب المذكور، ثم ساق الكلام إلى أن قال: ثم قال عليه السلام: وما للطلقاء، وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين، وترتيب درجاتهم، هذا الكلام ينقض ما يقول من يطعن في السلف، فان أمير المؤمنين عليه السلام انكر على معاوية تعرضه للمفاضلة بين اعلام المهاجرين، ولم يذكر معاوية الاّ المفاضلة بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر، بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام بانهما من المهاجرين، ومن ذوي الدرجات، والطبقات التي تشتبه الحال بينه وبينهما في أي الرجال منهم افضل، فان قدر معاوية يصغر من ان يدخل نفسه في مثل ذلك، شهادة قاطعة على علو شأنهما.

إلى أن قال: قوله عليه السلام فدع عنك من مالت به الرمية، يقال للصيد، يرمي هذه الرمية، وهي فعلية بمعنى مفعولة، والمعنى دع ذكر من مال إلى الدنيا ومالت به، أي امالته اليها.

فان قلت: وهل هذا إلاّ اشارة إلى أبي بكر وعمر.

قلت: ينبغي أن ينزه امير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، وتصرف هذه الكلمة إلى عثمان، لان معاوية ذكره في كتابه، وقد اوردناه، واذا انصف الانسان من نفسه علم انه عليه السلام لم يذكرهما بما يذكر به عثمان، فان الحال بينه وبين عثمان

١- شرح نهج البلاغة ١٨٧/١٥ وما قبلها.

كانت مضطربة جدًا، انتهى[1].

أقول: في هذا المقام فوايد:

الأولى: دلالة ما نقله عن شيخه النقيب، وجمد عليه على ما هو المطلوب لنا، والمراد من اثبات ظلم أبي بكر وعمر له عليه السلام، وتعديهما عليه في غصب حقه، وعداوته لهما، وانه كان يبرأ منهما، ومن امامتهما، اذ لا معنى لكون معاوية يطلب غرته في التفوه بالطعن في أبي بكر وعمر، والجهر بذلك، ويجدعه ويستخفه بتقريظ أبي بكر وعمر إلاّ لعلمه وتيقنه بانطواء سريرته عليه السلام على بغضهما وعداوتهما، لما رآه معاوية وشافهه يومئذ من تلك الأحوال الدالة على صدق هذا المقال، وإلاّ فلا معنى لذلك مع قوله عليه السلام بامامتهما، ورضاه بخلافتهما اذا كانت امامتهما عنده صحيحة، ومناقبهما وفضائلهما التي رويت فيهما ثابتة عنده صريحة، وهذا بحمد الله سبحانه ظاهر لكل ذي فطنة سليمة، وقريحة قويمة، وفيه حينئذ رد على هذا الشارح الضال الذي يدعي انه رضى بامامتهما، وصحح خلافتهما، وانقاد لهما طوعًا واختيارًا، لا كرهًا وجبرًا.

الثانية: دلالته على انه عليه السلام كان يظهر التقية في الطعن في خلافة المتقدمين، ولا يجهر بذلك بين عامة الناس خوفًا من الانتقاض في أمره والانعكاس، ولان جل عسكره كانوا يعتقدون صحة امامتهم، ويدينون الله تعالى بولايتهم، وانما ينظرونه عليه السلام بعين التبعية لهم، وانه من رعيتهم، والاقل وهم خواص شيعته على خلاف ذلك، لانهم لا يثبتون امامة لاحد سواه،

١- شرح نهج البلاغة ١٨٨/١٥ – ١٩١.

ويطعنون على من تقدمه في هذا المقام، وهو مؤيد ما ذكرناه في الفائدة الثامنة من الفوائد الملحقة بالمقدمة من انقسام الناس في ذلك الوقت إلى هذين القسمين، فكيف استجاز هذا الشارح الضال الذي يعترف بصحة هذا المقال، مع قوله بتعظيم علي عليه السلام وتفضيله، كما يزعمه انه عليه السلام مع الحق، والحق معه في جميع الاحوال من أقوال وأفعال، ان يخرج عن شيعته ويخالفهم، ويطعن في رواياتهم واخبارهم، بانها من طرق الشيعة، فلا يعتمد عليها، ولا يوثق بها، قاتله الله من ضال ما اضلّه، وعن طريق الحق ما اغواه وأزله.

الثالثة: دلالته على ان ما يوجد في كلامه عليه السلام من مدح اولئك الخلفاء والثناء عليهم، فانما خرج مخرج المخادعة والتقية، تأليفًا لقلوب تلك الامة الضالة الغوية من رعيته وغيرهم، وحينئذ فلا يصح ان يتمسك به في صحة خلافتهم وامامتهم، أو الحكم بعدالتهم، والترضي عنهم، كما زعمه الشارح الضال الجهول، الذي كأنه لا يفهم ما يقول، ولاسيما في هذا الموضع حيث قال كما عرفت بعد نقل كلام شيخه النقيب في تفسير قوله عليه السلام وما للطلقاء، إلى آخره، هذا الكلام ينقض ما يقول من يطعن في السلف، انتهى.

فانه اشبه شيء بكلام السكران، الفاقد للعقل والجنان، فانه اذا كان بمقتضى ما شرحه شيخه النقيب ان معاوية كان يحتال عليه في مكاتباته ويغضبه، باطراء أبي بكر وعمر، وانه عليه السلام كان يحاذر من الطعن فيهما، فتارة يجعل الجواب مجمجمًا، وتارة يمدحهما ويثني عليهما، فكيف يصح التمسك بمدحه لهما وثنائه عليهما، والحال ان سببه معلوم مما ذكر، وقرينة المقام

واضحة في ذلك، وقد تقدم في كتابه عليه السلام الذي اجاب به كتاب معاوية الوارد على يد أبي مسلم الخولاني ما هو اوضح مستندًا له في هذا المقام لو صح الاستناد إلى مثل هذا الكلام، وهو قوله عليه السلام ولعمري مكانهما من الاسلام لعظيم، وان المصاب بهما لجرح في الاسلام، فرحمهما الله، وجزاهما ما عملا، فكيف عدل عن التعلق بهذا الكلام الصريح في فضلهما، ولم يتعلق به ولا لمّ به، ولا أشار اليه ثمة، وتعلق هنا بهذا الكلام المجمل، فان كان عدوله عن ذلك لما صرح به شيخه في ذلك الكلام بخصوصه، بقوله فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم إلى آخره، حيث انه يدل على ان ذلك المدح انما خرج مخرج المقابلة لمعاوية، بخلاف مقصوده الذي اراده من اغتصابه عليه السلام، ليقدح في أبي بكر وعمر، ليتخذه حجة عليه، وهو عليه السلام قد عرف ذلك، فعدل إلى مدحهما لئلا يحصل له المدخل عليه، فالحال في المقامين واحد، كما لا يخفى.

وبالجملة فكلامه عليه السلام انما خرج مخرج المخادعة لمعاوية، والمجاراة له، والمماشاة على ما يدعيه من انه على تقدير صحة ما ذكرت، فما أنت وهذا الامر، وكيف لا وكلماته عليه السلام في هذا الكتاب تصريحًا وتلويحًا، كما تقدم ويأتي متواترة بالذم لهما، والطعن فيهما، ما لا تبلغ هذه الكلمة مع تسليم دلالتهما على ما ذكره إلى معارضة بعض ما ذكرناه من تلك الكلمات، ولكن هذا الضال لما تكدرت منه بمطاعن ائمته المعيشة، صار كالغريق يتشبث بكل حشيشة.

الرابعة: قوله في تفسير قوله عليه السلام فدع عنك من مالت به الرمية، من

قولـه فان قلت وهل هذا إلاّ اشارة إلـى أبـي بكـر وعمـر، ثـم جوابـه عـن ذلـك بصرف هذا الكلام إلى عثمان، فانه مجرد زور وبهتان، حمله عليه ضيق الخناق في هـذا المكـان، وذلـك لان الكـلام كمـا لا يخفـى علـى مـن راجـع الكتـاب المذكور، انما خرج مخرج الرد لمعاوية في زعمه تفضيل ابي بكر وعمر عليه، فانه بعد ان انكر على معاوية بدخوله في هذا الباب، وولوجه فـي التفـضيل بـين المهاجرين من الاصحاب، بقوله وما للطلقاء إلـى آخـر، مـا يـدخل فـي حيـزه، ذكر عليه السلام في بيان فضلهم وما خصهم الله تعالى به دون غيرهم، بقولـه ألا تـرى غير مخبر لك، ولكن بنعمة ربك فحدث، ثم سـاق حـديث حمـزة ﴿رضـي الله عنه﴾، وما خصه الله تعالى به من الكرامة على غيـره مـن الـشهداء، ثـم حـديث أخيه جعفـر ﴿رضـي الله عنـه﴾، ومـا خـصه الله تعـالى بـه، ثـم اشـار إلـى نفـسه الشريفة، بقوله ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه إلى آخره.

ثم ذكر هذه الكلمة على اثر هذا الكلام، فأين ذكر عثمـان هنـا، وصـدر الكلام الذي انصبّ عليه هذا المقال، انما هو في أبـي بكـر وعمـر، وأي مجـال لاحتمال عثمان في هذا المكان، لولا الضلال الذي اتصف به والعدوان.

وأمّا قولـه فـي تعليـل صـرف الكـلام إلـى عثمـان، ان معاويـة ذكـره فـي كتابه، فجوابه نعم ان معاوية قد ذكره في كتابه، ولكن أمير المـؤمنين عليه السلام قـد اجاب عنه بعد تمام الكلام في رد ما ادعاه معاوية من تفضيل أبـي بكـر وعمـر عليه، بقوله ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان، فلك ان تخاطب عن هذه، وهو كما ترى متأخر عن هذا الكلام في المقام، ولا ربط له به ولا التئام.

وأمّا قوله واذا انصف الانسان من نفسه إلى آخره.

ففيه: انه لا يعرف من الانصاف إلاّ لفظه دون معناه، لما ارتكبه في هذا الشرح، بل الجرح من الاعتساف بمتابعة ضلاله وهواه، وكيف لا وعثمان انما هو فرع من فروع ذينك المتقدمين، وجذوة من ضرامهما بغير مين.

وثانيًا: ان الذم والطعن الذي اشتمل عليه كلامه عليه السلام في خطبه وكتبه، ونثره وشعره، وملأ الكتب والطوامير، انما توجه لذينك الرجلين، اللذين هما الاصل في تسلط عثمان ومعاوية واتباعهما من فراعنة الاموية، وبني العباس، بل الاصل في كل فساد والاساس، واليه أيضًا لمح عليه السلام هنا بقوله في جواب قول معاوية، انه يقاد كما يقاد الجمل المخشوش، بعد ان ذكر انه لا غضاضة على المسلم في ان يكون مظلومًا، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، أي حجتي هذه على كوني مظلومًا في أخذي لبيعة غيري، لست أنت المقصود بها، اذ لست من هذا الامر في شيء لتخاطب به، بل انما المقصود بها غيرك، وهم الذين ظلموه وقهروه على البيعة، والشارح الضال قد ترك التعرض لهذه الفقرة.

وثالثًا: ان تعلله في ذلك باضطراب الحال بينه وبين عثمان، فيه أنه ليس ذلك مقصورًا عليه عليه السلام، بل جميع الصحابة قد اضطرب حالهم معه لما تعدى الحدود الشرعية، وخالف الاوامر الالهية حتى رموه بعد قتله على مزبلة، ليكون عبرة لكل البرية.

ورابعًا: ان هذه الكلمة موجبة لنقض الامامة والخلافة، فتوجهها إلى عثمان دون الاولين مع قوله بصحة امامته وخلافته رد على نفسه، وان لم تكن

موجبة لذلك، فأي موجب له إلى تنزيه اولئك عنها مع ما نقله عنه عليه السلام سابقًا من التظلم والتألم، والشكاية إلى الله تعالى، بأن يعديه عليهما، وحمله جميع ذلك على تلك المحامل الباردة، فليكن سبيل هذه سبيل تلك الالفاظ الكثيرة المستفيضة.

الخامسة: قوله عليه السلام في الكتاب المذكور، فانا صنايع ربنا، والناس بعد صنايع لنا، وهذا الكلام من تتمة كلامه عليه السلام في الرد على معاوية فيما ادعاه من تفضيل أبي بكر وعمر عليه.

قال الشارح في شرح هذه الفقرة: هذا كلام عظيم، عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني، وصنيعة الملك، من يصطفيه الملك، ويرفع قدره، يقول ليس لاحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنايعنا، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت، وباطنه انهم عبيد الله، وان الناس عبيدهم، انتهى[1].

أقول: اذا كان هذا مقتضى كلامه عليه السلام وهو مع الحق والحق معه، فهو اظهر شاهد على ضلاله، وضلالة ائمته، وكل من تبعهم قبله وبعده، اذ لا معنى لكون الناس صنايع لهم باعتبار المعنى الظاهري الذي هو عبارة عن كونهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه إلاّ أن من اتبعهم واقتدى بهم في أقوالهم وافعالهم نجى، ووصل إلى الله تعالى وقرب منه، واستحق الثواب الدائم، ومن

١- شرح نهج البلاغة ١٩٤/١٥.

خالفهم، ولم يقتد بهم فضلاً عن أن يغضبهم ويغصبهم، ويؤذيهم، فهو هالك لا محالة، وهذا المعنى بعينه مدلول حديث التمسك بالثقلين كتاب الله، والعترة الطاهرة المنجي من الوقوع في الضلال، وحديث السفينة المنجي من الغرق، لانهم اذا كانوا هم الواسطة بين الله تعالى وبين الناس، وهم الطريق اليه فلا يصل إلى الله سبحانه احد إلاّ بايصالهم الذي هو عبارة عن اتباعهم والاقتداء، وحينئذ فأي دليل اظهر في ضلال من حاد [عن] متابعتهم عليهم السلام من هذا الضال واصحابه، وائمته ومن تابعهم اظهر من ذلك باعترافه، وان رجعنا إلى المعنى الباطني صاروا في ظلمات بعضها فوق بعض، لانهم كلهم من ائمته، ومن دونهم عبيد لهم عليهم السلام، والعبد اذا خرج عن طاعة سيده، استحق العقاب والعذاب، فكيف اذا آذاه وظلمه، وتجرأ عليه، تضاعف عذابه اضعافًا مضاعفًا، انظر إلى ما ينسبه هذا الضال على نفسه في أمثال هذا المجال.

ثم انه لا يخفى ما في قوله عليه السلام فانا صنايع ربنا، والناس بعد صنايع لنا على اثر قوله، فدع عنك من مالت به الرمية من الظهور في كونه عليه السلام علة لما تقدمه.

السادسة: قوله عليه السلام في الكتاب المذكور، وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا، إلى آخره.

وهذا الموضع مما غمض الشارح عينه عنه في شرحه الكتاب المذكور، لما فيه من الاحتجاج على امامته عليه السلام، وبيان ذلك انه عليه السلام احتج على انه صاحب الإمامة والخلافة دون من تقدمه فيها بأدلة ثلاثة:

الأول: قوله سبحانه ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1]، وجه الاستدلال انه عليه السلام من اخص اولي الارحام بالرسول صلى الله عليه وآله، وكل من كان كذلك، فهو القائم مقامه الاحق بمكانه مع كمال استعداده لذلك، اما الصغرى فظاهره، وأما الكبرى فللآية المذكورة.

الثاني: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[2]، وجه التقريب انه عليه السلام كان أقرب الخلق إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وآله، وأول من آمن به وصدقه، وأخذ منه الحكمة والعلوم، وكل من كان كذلك فهو أولى بخلافته والقيام مقامه، فظهر انه عليه السلام أولى برسول الله صلى الله عليه وآله وأحق بمنصبه، تارة من جهة قرابته، وتارة من جهة طاعته واتباعه له، وفي استدلاله عليه السلام بهذين الدليلين على حقيته بالامامة وأولويته بالخلافة رد على الشارح وأصحابه، وساير أهل السنة الذين يجعلونها بالاختيار من خمسة أو واحد أو الاجماع من أهل الحل والعقد، فانه لو كان مدار صحة الامامة وثبوتها لأحد انما يتحقق بذلك، ولا مدخل لغيره فيه، لم يتم استدلاله عليه السلام على اولويته واحقيته بالآيتين المذكورتين، ولعله لهذا غمض الشارح هنا منه العين، ولكن ترهاته ومزخرفاته التي نشأت من الطبع على قلبه والرين، أوسع واكثر من ان تضيق عليه في البين.

وقد ذكر سليم بن قيس ﴿رضي الله عنه﴾ في كتابه في جوابه عليه السلام لبعض كتب معاوية استدلاله عليه السلام بالآيتين المذكورتين حيث قال عليه السلام في

١- الأنفال/٧٥.

٢- آل عمران/٦٨.

أثناء الكتاب: ألا ونحن آل ابراهيم المحسودون، حسدنا كما حسد آباؤنا من قبلنا، سنة ومثلاً، قال الله: وآل ابراهيم وآل لوط وآل عمران وآل يعقوب وآل موسى وآل هارون وآل داود، فنحن آل نبينا محمد صلى الله عليه وآله، ألم تعلم يا معاوية ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبي والذين آمنوا، ونحن اولوا الأرحام قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1] **إلى** آخره، وهو كما ترى جار على ماذكره هنا.

الثالث: قوله عليه السلام ولما احتج المهاجرون على الانصار إلى قوله فالانصار على دعواهم، وهو الزام لهم بما يوجب خروجهم عن استحقاق الخلافة وأهليتها، فانه ان كان ما فلجوا به الانصار من حديث الاقربية بالرسول صلى الله عليه وآله حقًا، فالحق له عليه السلام دونهم، والاّ فالانصار على دعواهم، وفي هذا أيضًا من الدلالة على نفي كون طريق الامامة الاختيار أو الاجماع بما في سابقيه، لان ابا بكر انما فلح الانصار بالقرابة، وانما سلموا له المقادة بذلك، فيكون هو الطريق اليها، كما هو ظاهر كظهور السما إلاّ على من رمى الله تعالى بصر بصيرته بالعمى.

قال في المقام في شرح جاهلية بني هاشم، وما كان لهم فيها من المآثر التي لا يزاحمهم فيها مزاحم نقلاً من كتاب انساب قريش للزبير بن بكار، قال الزبير: وحدثني عبد الله بن معاذ، عن معمر، عن ابن شهاب، قال: ان أول ما

١- الأحزاب/٦.

ذكر عن عبد المطلب ان قريشًا خرجت فارة من الحرم خوفًا من اصحاب الفيل، وعبد المطلب يومئذ غلام شاب، فقال: لا والله لا اخرج من حرم الله ابغي العز فى غيره، فجلس في البيت واجلت قريش عنه، فقال شعرًا:

ألا همّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لا تطلبن صليبهم ومحالهم ابدًا محالك

فلم يزل ثابتًا في الحرم حتى أهلك الله أصحاب الفيل، فرجعت قريش وقد عظم فيهم لنصرته وتعظيمه محارم الله عزّ وجل، فبينما هو على ذلك، وكان اكبر ولده وهو الحارث بن عبد المطلب قد بلغ الحلم أُتي عبدالمطلب في المنام، فقيل له: احفر زمزم، خبية الشيخ الأعظم، فاستيقظ، فقال: اللهم بيّن لي، فأري في المنام مرة أخرى، أحفر يكتم بين الفرث والدم في مبحث الغراب في قرية النمل، مستقبلة الانصاب الحمر، فقام عبدالمطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سمي له من الآيات، فنحرت بقرة فافلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى اتى عليها الموت في المسجد في موضع زمزم، فاحتمل لحمها من مكانها، واقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث، فبحث عن قرية النمل، فقام عبد المطلب يحفرها فجاءته قريش فقالت له: ما هذا تصنع، إنا لم نكن نراك بالجهل، لم تحفر في مسجدنا؟ فقال عبد المطلب: اني لحافر هذا البئر، ومجاهد من صدني عنها، فطفق يحفر هو وابنه الحارث، وليس له يومئذ غيره، فيسفه عليهما ناس من قريش فينازعونهما ويقاتلونهما،

وتناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من عريق نسبه وصدقه، واجتهاده في دينهم يومئذ حتى اذا اتعبه الحفر، واشتد عليه الاذى نذر ان وفّى له عشرة من الولد أن ينحر احدهم، ثم حفر فادرك سيوفًا دفنت في زمزم حين دفنت، فلما رأت قريش انه قد ادرك السيوف، قالت: يا عبد المطلب اخذنا مما وجدت، فقال عبدالمطلب: بل هذه السيوف لبيت الله، ثم حفر حتى انبط الماء، فحفرها إلى القرار ثم بحرها حتى لا تنزف، ثم بنى عليها حوضًا، فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض، فيشرب منه الحاج، ويكسره قوم حسدة له من قريش بالليل، فيصلحه عبد المطلب حين يصبح، فلما اكثروا فساده دعا عبد المطلب ربّه فأري، فقيل له: قل اللهم لا احلها لمغتسل، وهي لشارب حل وبل، ثم كفيتهم، فقام عبد المطلب حتى اختلفت قريش في المسجد فنادى بالذي أري، ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه عليه احد من قريش الاّ رمي في جسده بداء حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته.

إلى أن قال: وروى الزبير، ثم ساق سنده وحديثه إلى ان قال فيه: ثم اري عبد المطلب في المنام ان احفر زمزم ولا تثرب ولا تندم، تروي الحجيج الاعظم، ثم اري مرة اخرى ان احفر الرواء، اعطيتها على رغم الاعداء، ثم أري مرة اخرى ان احفر المظنونة ظني بها عن الناس لا عنك، ان احفر يكتم بين الفرث والدم، عند الانصاب الحمر في قرية النمل، فاصبح يحفر حيث اري، فطفقت قريش يستهزؤن به حتى اذا بدا عن الطي وجد فيها غزالاً من ذهب، وحلية سيف، فضرب عليها بالسهام فخرج سهم البيت، فكان اول من حلى به

الكعبة، ثم ساق الشارح الكلام إلى ان قال: فأما ما تفجر الماء من تحت اخفاف بعير عبد المطلب في الأرض الجرز، فقد ذكره محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة قال: لما انبط عبدالمطلب الماء في زمزم حسدته قريش، فقالت له: يا عبدالمطلب إنها بئر أبينا اسماعيل عليه السلام، وان لنا فيها حقًا، فأشركنا معك، قال: ما أنا بفاعل، ان هذا الامر لي خصصت به دونكم، واعطيته من بينكم، قالوا له: فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم حكمًا احاكمكم اليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم، قال: نعم، وكانت باشراف الشام، فركب عبد المطلب في نفر من بني عبد مناف، وخرج من كل قبيلة من قبايل قريش قوم، والارض اذ ذاك مفاوز حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فقد ما كان مع عبد المطلب وبنى أبيه من الماء، فعطشوا عطشًا شديدًا، فاستسقوا قومهم فابوا أن يسقوهم، فقالوا: نحن بمفازة ونخشى على أنفسنا مثل الذي أصابكم، فلما رأى عبد المطلب صنع القوم، وخاف على نفسه واصحابه، قال لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: ما رأينا إلاّ تبع لرأيك، فمرنا بما احببت، قال: فإني ارى ان يحفر كل رجل منا حفيرة لنفسه بما معه الآن من القوة، فكلما مات رجل دفنه اصحابه في حفرته.

إلى ان قال: ثم ان عبد المطلب قال لأصاحبه: والله ان القائنا بايدينا إلى الموت لا نضرب في الارض فنطلب الماء لعجز، قوموا فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض الارض، ارتحلوا، فارتحلوا ومن معهم من قبايل ينظرون اليهم وما هم صانعون، فتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجر من

تحت خفها عين ماء عذب، فكبّر عبد المطلب وكبّر اصحابه، ثم نزل فشرب وشرب اصحابه، واستقوا حتى ملأوا اسقيتهم، ثم دعى القبايل من قريش وقال لهم: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا، فجاؤوا وشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قضى الله لك علينا، والله لا نخاصمك في زمزم ابدًا، ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، هو سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدًا، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم، انتهى[1].

أقول: ما نقله هنا من الكرامات المذكورة، والمناقب المأثورة لعبدالمطلب ﴿رضي الله عنه﴾ وجعل الجنة مثواه، دليل واضح قاطع، وبرهان لايح ساطع، على انه من الأولياء المقربين، فضلاً عن أن يكون من سائر المؤمنين الموحدين ما بين ان يوحى اليه في النوم، كما يوحى إلى الأنبياء عليهم السلام، وبين أن ينفجر الماء من تحت اخفاف ناقته في تلك الفلاة القفراء، ولا ريب ان العقل السليم، والذهن القويم، لا يجوز ان يجري الله تعالى امثال هذه المناقب للكافرين به والمشركين، المستوجبين منه لمزيد العذاب المهين في أسفل السافلين.

فان قيل: ان ذلك انما كان لشرف النبي صلى الله عليه وآله حيث كان في صلبه.

قلنا: ونحن انما قلنا بايمانه لذلك، فان كرامته صلى الله عليه وآله على الله تعالى وعلو منزلته لديه، يأبى ان يودعه في اصلاب الكافرين به، والمتخذين له الانداد والاضداد، المستوجبين منه سبحانه لمزيد البعاد والابعاد، ولا ريب ان هذا النور

١- شرح نهج البلاغة ١٥/ ٢٢٨ – ٢٢٩.

الالهي، والكنز الرباني، لا يخرج من ظهور اولئك الانبياء من آدم وشيث، ونوح، وابراهيم واسماعيل، ونحوهم إلاّ إلى ظهور طاهرة من الشرك والكفر بالله، ألا ترى أنه اتفقت الرواية، ونقلة السير والاخبار على أن آذر الذي صرح القرآن العزيز في غير آية بأنه كان ابًا لابراهيم، انما كان عمه، وانما سمي ابًا مجازًا، وانما أبوه تارخ اجلالاً لمنزلته عليه السلام من ان يكون أبوه كافرًا مشركًا بالله تعالى، فكرامته صلى الله عليه وآله وشرفه، كما اقتضى حصول هذه الكرامات المتفق عليها لجده ﴿رضي الله عنه﴾ اقتضى أيضًا ايمانه بالله سبحانه، وخلع الانداد، بل نقول ان اقتضائه لهذه الكرامات فرع ومرتب على الايمان، فانه اقتضى اولاً الايمان بالله تعالى، واقتضى استحقاقه بسبب الايمان لهذه الكرامات، فجرت له، والاصل في جميع ذلك أُبوته للنبي صلى الله عليه وآله، وحمله له في صلبه، ومما يؤكد ما ذكرناه ما نقله الشارح في المقام عن شيخه ابي عثمان الجاحظ في مفاخرات قريش حيث قال: ان شيخنا ابا عثمان قال، ثم ساق كلامه، إلى ان قال في نقله عنه: وقد اعطى الله عبد المطلب في زمانه وما جرى على يديه، واظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلاّ لنبي مرسل، وان في كلامه لابرهة صاحب الفيل، وتوعده اياه برب الكعبة، وتحقيق قوله من الله تعالى ونصره، فحبس الفيل وقتل اصحابه بالطير الابابيل وحجارة السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول، لأعجب البرهانات، وأسنى الكرامات.

إلى ان قال: ولو شئنا أن نذكر ما اعطى الله عبد المطلب من تفجر العيون وينابيع الماء من تحت كلكل بعيرة واخفافه بالارض القسي، وبما اعطي من

المساهمة عند المقارعة من الامور العجيبة، والخصال البائنة لقلنا، إلى آخر كلامه[1].

ومما روي أيضًا في قصة اصحاب الفيل مؤكدًا لما ذكرناه، ما نقل من حديث الابل التي اخذها اصحاب ابرهة صاحب الفيل، فمضى عبدالمطلب ﴿رضي الله عنه﴾ في طلب ارجاع تلك الابل، فلما رآه ابرهة اجله واعظمه، وظن انه قادم عليه لطلب كفه عن التعرض للبيت والسعي في هدمه، فلما ذكر امر الابل عجب منه أتم العجب، فقال: اني لاعجب منك على ما أنت عليه من السيادة والوقار، والشرف والفخار، تلتمس في هذا الأمر الحقير، ولا تسألني في معبدكم، وبيت ربكم، فاني جئت لهدمه ونقضه، ولو سألتني فيه لاجبتك وقبلت سؤالك، فقال: ان هذه الابل مالي فسألت فيها، وأما البيت فله رب يحميه ويمنع عنه ان لا يوصل اليه بسوء، فامر له بالابل، وانصرف عنه، فانظر إلى هذا الايمان بالله سبحانه، وشدة اليقين بالوثوق بمنع الله تعالى عن بيته مع انه قد شفعه فيه، وقال ان طلبت اليّ ذلك اجبتك اليه، ولكنه ﴿رضي الله عنه﴾ اعرض عن الشفاعة، لعلمه بنزول العذاب على ذلك الجيش.

وقد روي في الخبر المذكور انه ارسل بعض ولده في وقت ما هموا بالزحف إلى البيت الحرام، لينظر على جبل أبي قبيس، فقال: انظر يا بني ما ترى يأتي من قبل البحر، فنزل سريعًا، وقال: ياسيد البطحاء، رأيت سحابًا من قبل البحر مستقلاً يرتفع تارة، وينخفض اخرى، فنادى عبد المطلب يا معشر

١- شرح نهج البلاغة ٢٠٢/١٥.

قريش ادخلوا بيوتكم، فقد أتاكم الله بالنصر من عنده، فأقبلت طير أبابيل، وفي منقار كل طير منها حجر، وفي رجليه حجران، الخبر رواه الشيخ أبو الفتح الكراجكي في كتاب كنز الفوايد عن الصادق عليه السلام[1].

هذا ما تعلق به الكلام على كلام الشارح من الجزء الخامس عشر من اجزاء شرحه المذكور، ويتلوه ان شاء الله تعالى الكلام في الجزء السادس عشر، والحمد لله حق حمده[2]، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قال الاصل، ومن وصيته عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها اليه عند انصرافه من صفين إلى آخره.

الى أن قال: وروى المدايني، قال: لقى عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال له: يا حسن زعمت ان الدين لا يقوم إلاّ بك وبأبيك، فقد رأيت الله اقامه بمعاوية، حفظه رأسًا بعد ميله، وبينًا بعد خفائه، أفرضي الله بقتل عثمان، أو من الحق ان تطوف بالبيت كما يدور الحمار بالطحن وعليك ثياب كغرقى البيض، وأنت قاتل عثمان، والله انه لألم للشعث، واسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك.

فقال الحسن عليه السلام: ان لاهل النار لعلامات يعرفون بها، الحاد لاولياء الله، وموالاة لاعداء الله، والله لتعلم ان عليًا لم يرتب في الدين، ولم يشك في الله ساعة، ولا طرفة عين قط، وايم الله لتنتهين يا ابن ام عمرو أو لانفدن حضنيك

١- كنز الفوائد/٨٢.

٢- في نسخة (ح) والحمد لله وحده.

بنوافذ أشد من القعضبية، فاياك والتهجم عليّ، فاني من قد عرفت لست بضعيف الغمرة، ولا هش المشاشة، ولا مري المأكلة، واني من قريش كواسطة القلادة، يعرف حسبي، ولا أدعى لغير أبي، وأنت من تعلم، وتعلم الناس تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزارها الأمهم حسبًا، واعظمهم لؤمًا، فاياك عني، فانك رجس، ونحن اهل بيت الطهارة، اذهب الله عنا الرجس، وطهرنا تطهيرًا، فافحم عمرو وانصرف كئيبًا.

أقول: قد تقدم في مطاعن الصحابة عند ذكر عمرو بن العاص في مواضع اخر بما هو مثل هذا الخبر في الدلالة على فساد نسب عمرو بن العاص، الابتر وابن الابتر، وانه ابن زنا، وبذلك صرح جملة من علماء القوم كما قدمناه، ومن ذلك نشأ نصبه وعداوته لاهل بيت النبوة عليهم السلام، كما استفاضت به اخبار الفريقين، واتفق عليه رواة الطرفين، من انه لا يحبهم عليهم السلام إلاّ من طاب مولده، ولا يبغضهم الاّ ابن زنا، قد خبث مولده، وقد اعترف الشارح في غير موضع بكفره، وكفر جملة من امثاله، ونقل ذلك عن اصحابه ومع هذا تراه وأمثاله بمحل من الجلالة عند علماء القوم، وقد أكثر البخاري في صحيحه من الرواية عنه وأمثاله من المشهورين الظاهرين بعداوة اهل البيت عليهم السلام، فلم يمنعهم ولم يقدح ذلك في عدالتهم، والاعتماد على رواياتهم، ومع ذلك يزعمون انهم يحبون أهل البيت عليهم السلام، فانظر إلى هؤلاء المعدودين في عداد العلماء الاعلام، بل المدعين انهم الأولى باسم الايمان والاسلام، كيف بلغ بهم التعصب على اهل بيت نبيهم عليهم السلام مع ما رووه، واعترفوا به من حقهم من الاخبار التي

تقدمت في غير مقام، واعجب من ذلك اتخاذهم لها حجة على الشيعة في مقام البحث والخصام، كما عرفته من هذا الشارح وأمثاله إلاّ أنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قال في المقام نقلاً عن أبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني في ذكر خلافة الحسن عليه السلام: قال: وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الازدي، من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الاّ هو، اما بعد: فان الله جل جلاله بعث محمدًا صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين، وكافة للناس أجمعين، لينذر من كان حيًا، ويحق القول على الكافرين، فبلّغ رسالات الله، وقام بامر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان، وبعد ان أظهر الله به الحق، ومحق به الشرك، وخص به قريشًا، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾[1]، فلما توفي تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش نحن قبيلته واسرته واوليائه، ولا يحل لكم ان تنازعوا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب ان القول ما قالت قريش، وان الحجة في ذلك لهم على من نازعهم امر محمد، فأنعمت لهم واسلمت اليهم، ثم حاججنا نحن قريش بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها، لانهم اخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف و الاحتجاج، فلما صرنا اهل بيت محمد وأوليائه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعدونا واستدلوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا، والعنت منهم لنا، فالموعد الله، وهو

١- الزخرف/٤٤.

الولي الحميد النصير، ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا، وسلطان نبينا، وان كانوا ذوي فضيلة وسابقة للاسلام، وامسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين ان يجد المنافقون والاحزاب في ذلك مغمزاً بنا، ويكون لهم بذلك سببًا إلى ما ارادوا من افساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على امر لست من اهله، إلى آخر الكتاب.

ثم قال: فكتب اليه معاوية من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي، سلام عليك، إلى أن قال: وذكرت وفاة النبي ﷺ وتنازع المسلمين الامر بعده، وتغلبهم على ابيك، فصرخت بتهمة أبي بكر وأبي عبيدة وحواري رسول الله ﷺ، وصلحاء المهاجرين والانصار، فكرهت ذلك لك انك امرء عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء ولا اللئيم، وانا احب لك القول السديد، والذكر الجميل، ان هذه الامة لما اختلفت بينها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم ولا قرابتكم من نبيكم، ولا مكانكم في الاسلام، فرأت الامة ان تخرج عن هذا الامر لقريش لمكانها من نبيها، ورأى صلحاء الناس من قريش والانصار وغيرهم من ساير الناس وعوامهم ان يولوا هذا الامر من قريش أقدمها اسلامًا، واعلمها بالله، واحبها له، واقواها على أمر الله، فاختاروا أبا بكر، وكان رأي ذوي الدين والفضل، والناظرين للامة فاوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا متهمين، ولا فيما اتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون ان فيكم من يعنى عناءه، ويقوم مقامه، أو يذب عن حريم الاسلام ذبه، ما عدلوا بالامر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم علموا في ذلك مارأوه صلاحًا

للاسلام واهله، والله يجزيهم عن الاسلام واهله خيرًا، وقد فهمت الذي دعوتني من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليه أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فلو علمت انك اضبط مني للرعية، واحرص على هذه الامة، واحسن سياسة، وأقوى على جمع الاموال، واكيد للعدو لاجبتك إلى ما دعوتني اليه، ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمت اني أقوى منك ولاية، واقدم منك بهذه الامة تجربة، واكبر منك سنًا، وأنت أحق أن تجيبني إلى هذه التي سألتني، فادخل في طاعتي فلك الامر من بعدي، إلى آخره[1].

أقول: الكلام يتعلق بهذه المقالة في مواضع:

الأوّل: دلالة كلام الحسن عليه السلام على ما دل عليه كلام أبيه عليه السلام كما تقدم في غير موضع من تظليم المتقدمين، وغصبهم حقهم عليهم السلام وعلى مثل ذلك دل كلام ابن عباس في أجوبته لعمر المتقدمة في الجزء الثاني عشر، ودلالة كلامه عليه السلام هنا موافقة لكلام أبيه ﴿صلوات الله عليه﴾ فيما تقدم من أنهم انما كفوا عن الحرب مع القوم في ذلك اليوم حياطة على الاسلام، وبالجملة فكلمة أهل البيت متفقة على ذلك من أول الأمر إلى جميع الأوقات الممتدة بهم، فلو كان الأمر كما يموه به هذا الشارح الضال تارة من كون ذلك وقع من أمير المؤمنين في أول الامر، ثم لما ظهرت له المصلحة في تقدمهم رضا واطاع، وتارة انه انما تظلم للعدول عن الاولى والاحق الذي لا يستلزم طعنًا في خلافتهم، ولا الخروج عن نهج الصواب والحق، لم يتم هذا الكلام

١- شرح نهج البلاغة ١٦/ ٣٣ – ٣٦.

والتظلم الممتد إلى هذه الايام، كما هو واضح لذوي البصاير والافهام.

الثاني: قوله عليه السلام هنا في المتقدمين فان كانوا ذوي فضيلة وسابقة، فانه خرج مخرج كلام أبيه، كما اوضحناه قريبًا من التأليف لمن كان معه يومئذ من أهل السنة المعتقدين لصحة امامة الاولين.

الثالث: ما وقع في كلام معاوية في تعليل تقديم قريش لابي بكر على علي عليه السلام، والتستر عن غصبهم لحقه ﴿صلوات الله عليه﴾ من انه احمى للحوزة، واقوم بهذا الامر واعرف بالسياسة، واقدم في السن، ومثل هذا قد تقدم في كلام أبي عبيدة بن الجراح لعلي عليه السلام لما ساموه البيعة، وهو عليه السلام يمتنع عن ذلك، نقلاً من كتاب السقيفة للجوهري في الجزء السادس في شرح قوله ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الانصار إلى آخره، حيث قال في الخبر: فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن انك حدث السن، وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر الاّ أقوى على هذا الامر منك، واشد احتمالاً له، واطلاعًا به، فسلم له هذا الامر وارض به، إلى آخره[1].

أقول: وهذه حجة القوم في ذلك اليوم في تقديمهم لأبي بكر، فلو كان ما هدر به هذا الشارح الضال لهم من العذر بانهم انما تقدموا في هذا الامر على علي عليه السلام نظرًا لمصلحة الاسلام حيث انه بولايته عليه السلام يحصل فيه الفساد، لان الناس لا تطيعه، ولا تنقاد اليه صحيحًا وواقعًا في تلك الأيام، لكان ذلك شفاء

١- شرح نهج البلاغة ١١/٦.

لداء معاوية، وبرد لغليل صدره، واقوى واظهر لحجته على الحسن عليه السلام في جوابه مما ذكره، فينبغي أن يكتب اليه حينئذ انك قد علمت وعلمت كافة المهاجرين والانصار ان خلافة أبيك انما توجب نقض الاسلام وانثلامه وانهدامه، بل زواله وانعدامه، واولئك الخلفاء انما تقدموا رعاية لمصلحة الاسلام ومحافظة عليه من التزعزع بولاية أبيك والانهدام، فكيف تطعن في تقدمهم وتنسبهم إلى الظلم والتعدي، وحيث لم ير مثل معاوية وأبي عبيدة اللذين هما حاضري الوقت والمشيدين لتلك البيعة، والخبيرين بما وقع وصار يومئذ، والحريصين على اظهر حجة يكون لهم في تقديم أبي بكر، احتجوا بشيء من هذا الكلام ولألموا به، علمنا يقينًا انه من تخرصات هذا الضال واصحابه الدالة على تعصبهم على الباطل.

الرابع: ان هذا الكلام من معاوية وترقيه لاخذ الخلافة من جملة الآثار المترتبة على مسارعة أبي بكر وعمر إلى السقيفة وفعلهم بالناس، ولاسيما باهل البيت عليهم السلام تلك الأفعال المخيفة، وهذا من جملة آثار تلك المصلحة التي ادعاها هذا الضال واصحابه في تقدم خلفائهم مع قولهم بكفر معاوية، ومن تبعه من مردة بني أمية حيث ان معاوية كما ترى احتج على الحسن عليه السلام مع اعترافه بفضله كما ذكره في كتابه بمثل ما احتجت به قريش لابي بكر في تقديمهم له، كما يفصح به قوله، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم انتم عليها وأبو بكر إلى آخره.

ومثله كتابه إلى محمد بن أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾ المتقدم، وكتاب

ابنه يزيد ﴿لعنه الله﴾ إلى عبد الله بن عمر، كما تقدم ايضًا، هذا من جملة مصلحة تقدم ائمته وخلفائه وامثال ذلك من تجريد السيف في رقاب أهل البيت وشيعتهم، وطردهم وتشريدهم في أطراف الارض، وتغير كلّ سنة الله تعالى وفرض بالقياسات والآراء والاهوية الممتدة في الطول والعرض، وتوارث الخلافة بين أرجاس الاموية وبني العباس ذوي الفجور والخمور، ومن تلبس بعدهم بذلك اللباس، ولله در من قال:

لو سلموا لولاة الامر امرهم ... ما سل بينهم في الأرض سيفان

قال الاصل، لا خير في معين مهين، ولا في صديق ظنين، إلى أن قال عليه السلام: لا تتخذن عدو صديقك صديقًا، فتعادي صديقك، إلى آخره.

إلى ان قال بعد كلام في المقام: وسادسها: قوله لا تتخذن عدو صديقك صديقًا، فتعادي صديقك، قد قال الناس في هذا فاكثروا، قال بعضهم:

اذا صافى صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانقطع الكلام

وقال آخر:

صديق صديقي داخل في صداقتي ... وخصم صديقي ليس لي بصديق

وقال آخر:

تود عدوي ثم تزعم انني ... صديقك ان الرأي منك لعازب

الى أن قال: وكنت كاتبًا بديوان الخلافة، والوزير حينئذ نصرالدين أبو الازهر احمد بن الناقب رحمه الله، فوصل إلى حضرة الديوان في سنة اثنين وثلاثين وستمائة محمد بن محمد أمير البحرين على البر، ثم وصل بعده الهرمزي صاحب هرمز في دجلة في المراكب البحرية، وهرمز هذه فرضة في البحر بحر عمان، وامتلأت بغداد من عرب محمد بن محمد واصحاب الهرمزي، وكانت تلك الأيام أيام غراء زاهرة، لما افاء المستنصر من عطاياه، والوفود تردهم من اقطار الارض على أبواب ديوانه، فكتبت يوم دخول الهرمزي إلى الوزير ابياتًا سنحت على البديهة، وانا متشاغل بما أنا فيه من مهام الخدمة، فكان لا يزال يذكرها وينشرها ويستحسنها:

يا أحمد بن محمد انت الذي	علقت يداه بانفس الاعلاق
ما املت بغداد قبلك أن يرى	ابدًا ملوك البحر في الاسواق
ولهوا عليها غيره وتنافسوا	شغفًا بها كتنافس العشاق
وغدت صلاتك في رقاب سراتهم	ونداك كالاطواق في الاعناق
بسديد رأيك أصبحت جمحاتهم	وتألفوا من بعد طول شقاق
لله همة ماجد لم تعتلق	بسجيل آراء ولا احداق
جلب السلاهب من اوال وبعدها	جلب المراكب من جزيرة واق
لا زال في ظل الخليفة ماله	فان وسؤدده المعظم باقي

انتهى[1].

١- شرح نهج البلاغة ١٦/ ١٠٥ – ١٠٩.

أقول: لا يخفى ان ما ذكره الشارح الضال من الاشعار الدالة على ما دل عليه كلامه عليه السلام، وقوله لا تتخذن عدو صديقك صديقًا من الامور الحقة التي لا يداخلها الشك والريب مع تأيده بالادلة العقلية والنقلية، كتابًا وسنة، قال الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1] الآية، فاشترط سبحانه في الايمان به وبرسوله، معاداة اعدائهما، والبراءة منهم، لان المحادة هي المخالفة الناشئة من العداوة، وعلى ذلك بنيت كلمة الشهادة التي بها يقع الاسلام، وهي قولنا لا اله الاّ الله المتضمنة لاثبات التوحيد له عز وجل مع نفي الشريك، ولهذا أيضًا وجب على كل من خرج من الشرك، ودخل في دين الاسلام البراءة من كل دين سواه، ومن كل من ادعى النبوة غيره صلى الله عليه وآله، ويجري القول مثله في الامامة التي هي تابعة لها، ومتفرعة عليها، فكل من قال بامامة امير المؤمنين عليه السلام، وجب عليه البراءة من كل من ادعى الامامة سواه، كما استفاضت به اخبار أهل البيت عليهم السلام، وقد قدمنا شطرًا منها في شرح قوله عليه السلام اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم من الجزء الرابع، فان هذه الفريضة الثالثة تابعة لتلك الفريضتين المتقدمتين لايذانها بكفر من جهلها مثل تلك الاثنتين، كما دل عليه حديث من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، أي ميتة كفر، بل قد عرفت سابقًا مما حققناه ان مظهر تلك الفريضتين هو هذه الفريضة لجعله صلى الله عليه وآله حب علي عليه السلام هو الكاشف عن الايمان بالله ورسوله، وبغضه كاشف عن الكفر بهما، فقال: لا

١- المجادلة/٢٢.

يحبه الاّ مؤمن، ولا يبغضه الاّ منافق[1]، وان المنافقين في زمانه صلى الله عليه وآله انما يعرفون ببغض علي عليه السلام، ويعضد ذلك اخبار كونه عليه السلام قسيم الجنة والنار[2]، وانه لا يجوز الصراط الاّ من جاء بجواز منه[3]، ومثل ذلك الحديث القدسي وهو قوله عز وجل لأدخلن الجنة من اطاع عليًا وان عصاني، ولادخلن النار من عصى عليًا وان اطاعني.

واذا ثبت بما ذكرنا انه لا يجتمع حب أحد مع حب عدوه، ثبت ان كل من احب احدًا من اعداء أهل البيت عليهم السلام، فهو مبغض لهم، وان لم ينطق بالبغض بلسانه، وانما يحصل مظهر بغضهم عليهم السلام في بغض شيعتهم المتمسكين بولايتهم، لقول الصادق عليه السلام انك لا تجد احدًا يقول انا ابغض محمدًا وآل محمد، وانما يبغضونكم، لانكم شيعتنا وتتولونا[4].

وأنت قد عرفت من المباحث السابقة تلزمهم بحب أعداء أهل البيت عليهم السلام مع اعترافهم بعداوتهم، وعرفت من هذا الشارح في غير موضع المجادلة عن عداوة ائمته المتقدمين، وسترها بالترهات الباردة والتأويلات الشاردة، وقد وقفت قديمًا للشافعي على بيتين من هذا المعنى اردفتهما بالجواب حيث قال:

لو شق قلبي لرأوا وسطه	خطان قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب	وحب أهل البيت في جانب

١- المسترشد للطبري/٤٥٧.

٢- عيون اخبار الرضا ٣٠/١.

٣- تفضيل أمير المؤمنين/٣٠.

٤- علل الشرايع ٦٠١/٢.

فقلت في الجواب:

كـذبت فـي دعـواك ياشـافعي ... ولعنـة الله علـى الكـاذب
بـل حـب اشـياخك فـي جانـب ... وبغـض اهـل البيـت فـي جانـب
عبـدتم الجبـت وطاغوتـه ... دون الالـه الواحـد الواجـب
فالعـدل والتوحيـد فـي معـزل ... عـن معـشر النـصاب يـا ناصـبي
قـدمتم العجـل مـع الـسامري ... علـى الأميـر ابـن أبـي طالـب
محـضتم بـالود اعدائـه ... من جالبي الحرب ومن غاصب
وتـدعون الحـبّ مـا هكـذا ... فعـل اللبيـب الحـازم الـصائب
قـد قـرروا فـي الحـب شـرطًا لـه ... ان تـبغض المـبغض للـصاحب
وشـاهدي القـرآن فـي لا تجـد ... اكـرم بـه مـن نيـر ثاقـب
وكلمـة التوحيـد ان لـم تكـن ... عـن الطريـق الحـق بالناكـب
وانـتم قررتمـوا ضـابطًا ... لتـدفعوا العيـب مـن العائـب
باننـا نـسكت عمـا جـرى ... مـن الخـلاف الـسابق الـذاهب
ونحمل الكل على محمـل الخيـر ... لنحـضى برضـا الواهـب
تبًـا لعقـل عـن طريـق الهـدى ... اصـبح فـي تيـه الهـوى عـازب

وأما ما ذكره بقوله كنت كاتبًا بديوان الخلافة، فهـو ممـا اشـار اليـه فـي كتاب مجمع الآداب في مجمع الالباب في ترجمة الشارح التي قدمنا نقلها في خطبة الكتاب حيث قال: خدم في الولايات الديوانية، والخدم السلطانية، وهـذا

ديدن علمائهم، وطريقة فضلائهم في التكالب على حب الدنيا الدنية، ومطامعها المنغصة الوبية، والتقرب إلى سلاطين الجور، والخدمة لهم لنيل الرياسات الدنيوية، كما كانت اسلاف علمائهم، وطريقة فضلائهم وقضاتهم عليه في الدولة الاموية، ومع ذلك يعدون انفسهم في عداد الصلحاء الاتقياء، والبررة الاولياء.

نقل شيخنا البهائي رحمه الله في كتاب الكشكول، عن تفسير النيسابوري في تفسير قوله ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1] والآية في سورة الزمر مالفظه: كان أبو الفتح المنتهي قد برع في الفقه، وتقدم عند القوم، وحصل له مال كثير، ودخل بغداد، وفوض اليه تدريس النظامية، وادركه الموت بهمدان، فلما دنت وفاته قال لأصحابه اخرجوا، فخرجوا، فطفق يلطم في وجهه يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، ويقول: يا أبا الفتح ضيعت العمر في طلب الدنيا، وتحصيل الجاه والمال، والتردد إلى أبواب السلاطين وينشد:

عجبت لاهل العلم كيف تغافلوا   يجرون ثوب الحرص عند المهالك

يدورون حول الظالمين كأنهم   يطوفون حول البيت وقت المناسك

إلى هنا لفظ النيسابوري.

ومن أحب الاطلاع على صحة ما قلناه من كون جل علمائهم وفضلائهم

١- الزمر/٥٦.

على ما ذكرنا، فليرجع إلى كتب السير والتواريخ مثل تاريخ ابن خلكان وغيره.

قال الاصل، وأرديت جيلاً من الناس كثيرًا، خدعتهم بغيك، انتهى[1].

بعد نقل مراسلات بين علي عليه السلام ومعاوية جرت بينهما مكاتبات ترددت من كل منهما إلى الآخر.

قلت: واعجب واطرب ما جاء به الدهر، وان كان عجائبه وبدايعه جمة، ان يفضي امر علي عليه السلام إلى أن يصير معاويه ندًا له ونظيرًا، يتعارضان بالكتاب والجواب، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول علي عليه السلام بكلمة الاّ قال له مثلها، واخشن مساءة منها، فليت محمدًا صلى الله عليه وآله كان مشاهدًا لذلك، ليرى عيانًا لا خبرًا ان الدعوة التي قام بها، وقاسى اعظم الشقاق في تحملها، وكابد الأهوال في الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لما مهد دولتها، وشيد اركانها، وملأ الآفاق بها، حصلت صفوًا عفوًا لاعدائه الذين كذبوه لما دعى اليها، واخرجوه من اوطانه لما خص عليها، وأدموا وجهه، وقتلوا عمه واهله، فكأنه كان يسعى لهم، ويذأب لاجلهم، كما قال أبو سفيان في أيام عثمان وقد مر بقبر حمزة فضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة ان الامر الذي اجتلدنا بالسيف عليه أمسى في يد غلماننا اليوم، يتلعبون به، ثم آل الامر إلى أن يفاخر معاوية عليًا، كما يتفاخر الاكفاء والنظراء، بيت:

إذا عير الطائي بالبخل مادر	وقرع قسًا بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس انت خفية	وكاثرت الشهب الحصى والجنادل

١- شرح نهج البلاغة ١٦/١٣٢.

فيـا مــوت زر ان الحيــاة ذميمــة ويا نفس جـدي ان دهـرك هـازل[1]

أقول: فيـه أولاً: أنـه لا عجـب مـن معاويـة بعـد اعترافـه بكفـره وإلحـاده وزندقته ولداده في ان يخاصم عليًا عليه السلام، ويراده بالجواب، وينصب له الحـرب طلبًـا للملـك والرياسـة فـي هـذا البـاب، وانمـا العجـب العجاب مـن امامـه ابـن الخطاب لو تأمل بعين الحـق والـصواب، الـذي وطـأ لمعاويـة وأمثالـه الرقـاب، وذلل له الصعاب، وملّكه نواصي العباد، واقطعه اعظم اقطار البلاد، وكان عنـده بالمحل الاعلى والمكان والاسنى من الود والاتحاد، كما تقدم شرحه سابقًا مع ما سمع في حقه من الرسول صلى الله عليه وآله ما يدل على كفره والحاده، وتبعه على ذلك عثمان فشيد على ذلك البنيان، ورفع الاركان، وجعله منه بأوفى مكان.

وثانيًا: انه انما جرأ معاوية على ذلك ما تقدم به أبو بكر وعمـر واتباعهمـا مـن الاهانـة لـه عليه السلام والاذلال، والاسـتحقار والاذى والـصغار، فكـسروا بـذلك ناموسه، واعلنوا ضره وبؤسه، كما ينادي به كتاب معاوية لمحمد بـن أبـي بكـر ﴿رضي الله عنه﴾، وجواب معاوية للحسن عليه السلام المتقدم قريبًـا حتـى بلـغ الامـر فـي الـشورى زيـادة علـى مـا تقـدم فـي الأول ان حكـم عمـر فـي دمـه عليه السلام عبدالرحمن بن عوف، فامره بقتله ان امتنع من البيعة لمن يختاره، ويـدل علـى ذلك باوضح دلالة ما تقـدم مـن قـول علـي عليه السلام لعبـد الله بـن عمـر فـي قـضية الشورى في شرح قولـه، ومن كلام له في وقـت الـشورى ان يـسرع احـد قبلـي

١- شرح نهج البلاغة ١٣٦/١٦.

إلى آخره، من الجزء التاسع حيث قال عليه السلام بعد انصرافه من الشورى، وقد بويع عثمان: والله لا ينيب هؤلاء إلى الحق الاّ بالسيف، وعبدالله بن عمر داخل اليهم قد سمع الكلام كله، فدخل وقال: يا أبا الحسن أتريد ان تضرب بعضهم ببعض؟ فقال: اسكت ويحك فوالله لولا أبوك، وما ركب مني قديمًا وحديثًا ما نازعني ابن عفان ولا ابن عوف، فقام عبد الله وخرج، وقد اعترف الشارح و جملة من علمائهم كما مر نقله بان امر الشورى، وما فعله عمر من التدبير فيها من التدمير كان أصل فتنة الجمل وصفين وكل فتنة، وبقيت إلى يوم الدين على ان معاوية كان يرى نفسه اشرف وارفع قدر ومنزلة من ابي بكر وعمر، وازكى حسبًا، وأوفى نسبًا، لانه ابن سيد قريش في وقته، ومن آل عبد مناف، وأهل الحكم والرياسة دون ذينك الرجلين الرذلين، اللذين هما من ارذل طوايف قريش، كما قدمنا بيانه سابقًا، ويؤيده هنا ما رواه الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين قال عبد الله بن عمر: دخلت على حفصة ونوساتها تنطف، قلت: قد كان من امر الناس ما تبين، فلم يجعل لي من الامر شيء، فقالت: ألحق بهم انهم ينتظرونك، واخشى ان يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال: من أراد أن يتكلّم في هذا الامر فليطلع لنا قرنه، فنحن أحق منه ومن أبيه، قال الحميدي وأراد عبدالله بن عمر ان يجيب معاوية، فامسك عن الجواب[1].

وحينئذ لما رأى معاوية ماجرى منهما من تلك الأفعال الشنيعة، والمناكر

١- المصنف للصنعاني ٤٨٣/٥.

الفضيعة، ورأى موافقة جل الناس يومئذ لهما، ورأى صبر علي عليه السلام، وتجرعه غصص المهالك مع ما يراه في نفسه من الشرف والرفعة على اولئك، اطمعه ذلك في سلوك تلك المسالك، وجرأه على نيل الخلافة ما مهده له عمر من تلك المدارك.

وثالثًا: انه يعجب هنا من مجاراة معاوية له عليه السلام في الجواب ومرادته بالكتاب، ولا يعجب من اماميه أبي بكر وابن الخطاب، ومن تبعهما من اولئك الاصحاب في قصدهم لاحراق بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وسوقهم لابن عمه العزيز عليه، والمقرب من بين الناس اليه، يستغيث فلا يغاث، ويستجير فلا يجار، ويستصرخ بالاحياء والاموات، ويشير إلى قبر ابن عمه قائلاً يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، كما اعترف بجميع ذلك مما تقدم، وخروج ابنته العزيزة عليه التي هي بضعة منه، واحب الناس اليه، وسيدة نساء العالمين خلفه عليه السلام صارخة باكية بين جملة الخلايق من نساء ورجال، وابتزاز ارثها ونحلتها حتى خاصمت وجادلت، واحتجت وناضلت، فرجعت بالخيبة والحسرة، والوجد والحزن، هذا كله مما اعترف به في شرحه ونقله، وما نقله غيره من ضربها عليها السلام واسقاط جنينها من بطنها، وارادتهم قتل علي عليه السلام كما تقدم جميع ذلك مشروح، وهذا كله لا يصير عنده محلاً للعجب، ولا قادحًا في ايمان اماميه أبي بكر وعمر، ولا مخلاً بعدالتهما، وانما يتعجب من مراجعة معاوية له عليه السلام في المجاوبة بالكتب، أرأيت أيها الضال لو ان عيني الرسول صلى الله عليه وآله كانت ناظرة لهذه الاحوال التي تذوب لها صم الجبال، ويرى هؤلاء

الاعزاء عليه الذين هم ثمرة قلبه، وفلذة كبده، ومزاج مائه، يجرعون هذه الغصص والنوائب، ويسقون كؤوس هذه العلاقم والمصائب، ويسامون الخسف والذل والهوان التي تشد لها العصايب، هل يكون على أبي بكر وعمر من الراضين أو الساخطين، ولكن هذا الضال بل اضل الضالين لا يميز بين الغث والسمين، ولا بين من شابت ناصيته ومفارقه في عبادة الاحجار والاصنام حتى اظهر في آخر عمره الاسلام، من غير علم بما عليه باطنه في ذلك المقام، وبين من كان قد اغتذى بثدي النبوة طفلاً ويافعًا، وربي في رياض الرسالة جانيًا ورائعًا على انه أيضًا ليس العجب عندنا من عمر وأبي بكر فيما فعلاه لاعتقادنا فيهما ما يعتقد هو وأصحابه في معاوية حذو النعل بالنعل من الكفر والنفاق، وان كشفه معه تمام الكشف لما انتظمت له الآفاق ووقع عليه الاتفاق، بل العجب منه ومن اصحابه الذين يعدون أنفسهم في عداد العلماء الاعلام، وهم عند التأمل في أحوالهم كما كشفنا عنه في هذا الكتاب نقاب الابهام، اضل من البهايم والانعام، وكيف كان فلا ريب ان هذا الامر الذي تعجب منه في المقام من جملة آثار تلك المصلحة التي اعتذر بها في تقدم ائمته الاعلام على علي عليه السلام كما لا يخفى على ذوي الألباب والافهام.

قال الاصل، ومن كتاب له عليه السلام في ذكر جيش انفذة إلى بعض الاعداء، وهو جواب كتاب كتبه اليه اخوه عقيل بن أبي طالب، فسرحت اليه جيشًا كثيفًا من المسلمين، إلى ان قال عليه السلام: فدع عنك قريشًا وتراكضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحم في التيه، فانهم قد اجمعوا على حربي

لما اجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، فجزيت قريش عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن عمي، إلى آخره.

قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر بسر ابن ارطاة واغارته على اليمن، إلى ان قال: قوله فدع عنك قريشًا إلى قوله على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا الكلام حق، فان قريشًا اجمعت على حربه منذ يوم بويع بغضًا له، وحسدًا وحقدًا عليه، فاتفقوا كلهم على شقاقه وحربه، كما كانت حالهم في ابتداء الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، لم تخرم حاله من حاله شيئًا الاّ أن ذاك عصمه الله من القتل فمات موتًا طبيعيًا، وهذا اغتاله انسان فقتله، فجزت قريشًا عني الجواري فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي، هذه كلمة تجري مجرى القتل، يقول لمن يسيء اليك، وتدعو عليه، جزتك عني الجوازي، يقول جزيت قريش عني بما صنعت بي كل خصلة، بي نكبة او شدة أو مصيبة أو حاجة، أي جعل الله هذه الدواهي كلها جزاء قريش بما صنعت بي، وسلطان ابن أمي يعني به الخلافة، وابن امه هو رسول الله صلى الله عليه وآله، لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عايد بن مخزوم، ام عبد الله وأبي طالب، انتهى[1].

أقول: لا يخفى عليك ان ما يظهر من كلامه من تخصيص حمل الشكاية من التظلم والدعاء على قريش في هذا الكلام بمن حاربه ونازعه بعد خلافته عليه السلام خلف من القول، وهو جار على عادته في صرف الالفاظ عن ظواهرها المتبادرة متى لزم منها القدح في ائمته المتقدمين تعصبًا لهم، ولتصحيح

١- شرح نهج البلاغة ١٥١/١٦ وما بعدها.

امامتهم، وذلك لان هذا الكتاب الذي كتبه لاخيه وان كان في أيام خلافته لكن هذه الالفاظ التي تأولها هنا قد وقعت منه عليه السلام باعتراف الشارح الضال في الشورى تارة وفي يوم السقيفة تارة، وقد تقدم في بعض مقالات الجزء التاسع قوله عليه السلام وقد قال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص، فقلت: بل انتم والله احرص وابعد، وانا احق واقرب، وانما طلبت حقًا لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كأنه لا يدري ما يجيبني، اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم قدري ومنزلتي، واجمعوا على منازعتي امرًا هو لي، ثم قالوا ألا ان في الحق ان يأخذه، وفي الحق ان يتركه.

وقد اعترف الشارح ثمة بان هذا الكلام كان يوم الشورى، وان القائل كان سعد بن أبي وقاص، ونقل عن الامامية ان ذلك كان يوم السقيفة، وان القائل له أبو عبيدة بن الجراح، وتقدم أيضًا في بعض مقالات الجزء الحادي عشر قوله عليه السلام اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم، فقد قطعوا رحمي، واكفأوا انائي، واجمعوا على منازعتي حقًا كنت أولى به من غيري، وقالوا ألا ان في الحقّ ان نأخذه، وفي الحق أن نمنعه، فاصبر مغمومًا، أو أمت متاسفًا، فنظرت فاذا ليس رائد ولا داب، ولا مساعد الاّ أهل بيتي، فظننت بهم عن المنية إلى آخره.

وقد اعترف الشارح في هذا الموضع بان ذلك في يوم السقيفة بعد ان

نقل عن اصحابه حمل ذلك على يوم الشورى، كراهية لزوم الطعن في عاقدي بيعة السقيفة، ومحافظة على قاعدة الخلافة واساسها، وناظرهم في ذلك، ثم شقشق بترهاته الباردة، وتأويلاته الشاردة، كما قدمنا جميع ذلك، وأوضحنا مافيه من المهالك.

وحينئذ فالمراد من قريش في جميع هذا المواضع هم الجميع الذين اولهم واساسهم أبو بكر وعمر الحافرين لتلك الحفرة، لا خصوص من نازعه بعد خلافته، وكيف لا وقد عرفت في غير مقام ان حرب الجمل وصفين، انما هو فرع من فروع ذلك الداء الدفين، ومعاوية وطلحة وعايشة والزبير، انما هم من السائرين على اثر تلك العير.

لا يقال: ان قوله عليه السلام قد اجمعوا على حربي كما اجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله يوجب الحمل على ما ذكره الشارح، فان أبا بكر وعمر وأيضًا [غيرهما] فانهم لم يحاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله.

لانا نقول يرده أولاً: انه لا يلزم من هذا اللفظ وقوع الحرب بالفعل، بل يكفي في صدقه ولو بالقوة، فالمراد منه من رام الحرب واستعد له واراده، ولا ريب انه لو حارب في الخلافة من اغتصبها منه يوم السقيفة لحاربوه وقاتلوه، ولكنهم انما كفوا عنه لما استسلم لهم وانقاد بأيديهم، وصار اذل لهم من الحذاء، وهذا لا يمنع من اجراء اسم الحربي عليهم، كما ان الكافر الحربي اذا أعطى ما يرضيه وقوبل بما يطلبه، وكف عن الحرب لذلك لا يمنع من اجراء حكم الحربي، وتسميته حربيًا، فكذا، وقد تقدم في أخبار الشورى وبيعة عثمان

انهم بعد ان بايعوا عثمان، وامتنع علي عليه السلام مشوا اليه وهددوه بالحرب ان لم يبايع، وهو مؤيد لما ذكرناه.

وثانيًا: ان عدم حرب أبي بكر وعمر لرسول الله صلى الله عليه وآله لا ينافي كلامه عليه السلام في الحمل عليها وارادته لهما، فان طلحة والزبير وعايشة لم يحاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله اتفاقًا مع كونهم باعتراف الشارح مرادين من هذا الكلام، ووجهه ان اثبات حكم للمجموع لا يشترط فيه ثبوته لكل فرد فرد، بل يكفي اتصاف الاغلب الاكثر مع رضى الباقين.

وثالثًا: ان قوله عليه السلام هنا قد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي انما ينطبق مثل كلماته المتقدمة أولاً وبالذات على من غصبه الخلافة أولاً، ومن تابعهم وشايعهم، وجرى ما اسسوه في القرون الاخيرة ثانيًا وبالعرض، فان سلب سلطان ابن عمه التي هي الخلافة كما اعترف به، انما وقع من أبي بكر وعمر وعثمان خاصة، وأما الذين حاربوه وقت خلافته عليه السلام وان صدق عليهم انهم قطعوا رحمه بعداوتهم له الاّ أنهم لم يسلبوه الخلافة، وان كانوا قد راموا بحربهم له عليه السلام سلبها، فلو كانوا هم المرادين كما يدعيه هذا الضال لكان الانسب ان يقول وارادوا ان يسلبوني سلطان ابن أمي، وبالجملة فكلامه هنا جار على عادته الموصوفة، وشنشنته المعروفة.

قال الاصل، ومن كلام له عليه السلام إلى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وذهب بحقه، وضرب الجور سرادقه على البر والفاجر، والمقيم

والظاعن، فلا معروف يستراح اليه، ولا منكر يتناهى عنه، اما بعد فقد بعثت اليكم عبدًا من عباد الله لا ينام ايام الخوف، إلى ان قال عليه السلام: فانه سيف من سيوف الله، لا كليل الظنة، ولا نائي عن الضريبة، فان امركم تنفروا فانفروا، وان امركم تقيموا فاقيموا، ولا يحجم ولا يؤخر، ولا يقدم الاّ عن امري، إلى آخره[1].

هذا الفصل يشكل على تأويله، لانّ اهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، واذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام انهم غضبوا لله حين عصي في الأرض، فهذه شهادة على عثمان بالعصيان واتيان المنكر، ويمكن ان يقال وان كان متعسفًا ان الله تعالى عصي في الأرض، لا من عثمان، بل من ولاته وامرائه وأهله، وذهب بينهم بحق الله، وضرب الجور سرادقة بولايتهم وامرتهم على البر والفاجر، والمقيم والظاعن، فشاع المنكر، وفقد المعروف.

يبقى ان يقال: هب ان الأمر كما تأولت فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ماذا آل أمرهم؟ اليس آل الامر إلى انهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا عثمان، فلا تعدوا حالهم أمرين: أما ان يكونوا اطاعوا الله في قتله، فيكون عثمان عاصيًا مستحقًا للقتل، أو يكونوا اسخطوا الله بقتله، فعثمان اذن على حق، وهم العصاة الفساق، فكيف يجوز أن يجلهم ويخاطبهم بخطاب الصالحين.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بانهم غضبوا لله وجاؤا من مصر، وانكروا على عثمان تأميره الامراء الفساق، وحصروه في داره طلبًا ان يدفع اليهم مروان

١- شرح نهج البلاغة ١٥٥/١٦.

ليحبسوه ويؤدبوه على ما كتبه في أمرهم، فلما حصر طمع مبغضوه واعداؤه من أهل المدينة وغيرها، وصار معظم الناس عليه إلبًا، وقلّ عدد المصريين بالنسبة إلى من اجتمع من الناس على حصره، ومطالبته بخلع نفسه، وتسليم مروان وغيره من بني أمية اليهم، وعزل عماله والاستبدال بهم، ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه لكن قومًا منهم ومن غيرهم تسوروا داره فرماهم بعض عبيده بالسهام، فجرح بعضهم، فقادت الضرورة إلى النزول والاحاطة به، فتسرع اليه واحد منهم فقتله، ثم ان ذلك القاتل قتل في ذلك الوقت، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وشرحناه، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه ان يفسق الباقون، لانهم ما انكروا الاّ المنكر، واما القتل فلم يقع منهم ولا راموه ولا ارادوه، فجاز ان يقال انهم غضبوا لله، وان يثني عليهم ويمدحهم، إلى ان قال: قوله فانه سيف من الله، هذا لقب خالد بن الوليد، واختلف فيمن لقبه به، فقيل لقبه رسول الله صلى الله عليه وآله، والصحيح انه لقبه به أبو بكر لقتاله اهل الردة، وقتله مسيلمة، انتهى[1].

أقول: انظر إلى احوال هذا الضال في أمثال هذه المواضع، وما يبدو منه من التأويلات التي تمجها المسامع، والتمحلات التي لا يخفى بطلانها على كل سامع، أما اولاً: فان انكاره في صدر الكلام العصيان من عثمان، واتيانه المنكر، وتأويل ذلك بالارجاع إلى امرائه وولاته، ستر للشمس بالراح، الذي لا يزيد صاحبه الاّ الخجل والافتضاح، وكيف لا وهو يقول في آخر كلامه هنا ان اهل مصر ما انكروا الاّ المنكر، وقد تقدم منه في شرح الخطبة الشقشقية في شرح

١- شرح نهج البلاغة ١٥٦/١٦ وما بعدها.

قولـه إلى ان قام ثالث القوم إلى آخره، بعد عد جملة من مناكير عثمان وافعاله، الدالة على الجور والطغيان ما لفظه: والذي نقول نحن أنها وان كانت احداثًا الاّ أنها لم تبلغ المبلغ الذي يستباح به دمه، وقد كان الواجب عليهم ان يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه لها، ولا يعجلوا بقتله، انتهى.

وقال في شرح قولـه، ومـن كـلام لـه لمـا عزمـوا علـى بيعـة عثمـان، لقـد علمتم اني احق بها ما لفظه أيـضًا: ولـيس يقـول أصـحابنا انـه لـم يكـن سـاخطًا أفعال عثمان، ولكنهم يقولون انه وان سـخطها وكرهـا الاّ أنـه لـم يكـن مبيحًـا لدمه، انتهى.

ولا ريب ان ما يوجب خلعه من الخلافة، وما يسخطه عليه السلام ويكون عنده مكروهًا، انما هي امور موجبة لظلمه وفسقه، وتعديـه الحـدود الـشرعية، وعـدم استحقاق الامامة، وان لم تكن موجبة للقتـل بزعمـه، فكيـف ينكـر هنـا ظلمـه، واتيانه المنكر، ويتأول ذلك بالارجاع إلى امرائه وولاته.

وأمّا ثانيًا: فان امرائه وعماله انما هم جداول تلك العـين الجاريـة، فبطيـب مائها تطيب مياههم، وبخبثه تكون خبيثة آسـية، وفـي المثـل المـشهور يـستدل على الرجل بقرينه وجليسه.

وأما ثالثًا: فلما نقله فيما قدمنا ذكره من قول جمع مـن فـضلاء الـصحابة، ولاسيما من بينهم عمار بن ياسر، وابو ذر الغفاري، وابن مـسعود، ومحمـد بـن أبي بكر الذي باشر قتله على رواية أو أعان وساعد على اخرى، وامثالهم ممـن لا يطعن في حق احد منهم طاعن من أهل السنة بكفـر عثمـان، واسـتحقاقه لمـا

نزل به من البلاء والهوان، وقد تقدم أيضًا قريبًا ما نقله من حديث الاستيعاب في موت أبي ذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحضور الاشتر، وحجر بن عدي ونحوهما من قتلة عثمان تكفينه ﴿رضي الله عنه وعنهم﴾ وتجهيزه ودفنه، وبشارة أبي ذر لهم بانهم من أهل الجنة، وقول شيخه عمر بن عبد الله الدباس لتقل الشيعة بعد هذا ما قالت إلى آخره، ولم اره تكلم في شيء من تلك المواضع الصريحة في ظلم عثمان، بل كفره واستحقاقه لما نزل به بكلمة واحدة، ولو اجاب عن شيء منها ولو بشيء من ترهاته ومزخرفاته التي يهدر في غير مكان، فكيف اضطرب عقله في هذا المكان.

وأما رابعًا: فان اعترافه على نفسه بالتعسف في تأويله، اوضح دليل لنا فيما ادعيناه عليه من الجمود على الضلال، والتنكب عن ولاية الآل، المنجية من الاهوال فلا هو كأهل السنة الذين يخفون امثال هذا الكلام لئلا يحصل لهم به الالزام في مقام الخصام، ولا كالشيعة الذين يدورون مدار الحق النير الاعلام في كل مقام، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وأما خامسًا: فان حاصل كلامه ان عثمان لم يحصل منه ما يستوجب به القتل، وان حصل منه ما يوجب خلعه من الخلافة، والانكار عليه من الظلم والمناكير التي لا اقل من ان تنافي العدالة وتوجب الفسق، وهذا كاف لنا في اقامة الحجة عليه، فانه متى ثبت فسقه وجب بطلان امامته، بل كونه من أهل النار بمقتضى قواعدهم لعدم معلومية التوبه منه، بل المقام انما يشهد بالاصرار إلى ان صار إلى البوار.

فان قيل: ان هذه المناكير ليست من الكبائر، بل هي من الصغاير المكفرة.

قلنا فيه: مع الاغماض عن المناقشة في هذه الدعوى، انه لاخلاف ان الصغيرة تكون كبيرة بالاصرار عليها لما صح عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند الفريقين، انه لا صغيرة مع الاصرار، كما لا كبيرة مع الاستغفار.

وأما سادسًا: فان نسبته هنا الكتاب الذي في قتل المصريين إلى مروان ومدافعته بذلك عن القدح به في عثمان، جار على عادته من دعاوى الزور والبهتان متى ضاق عليه الخناق في المكان والاّ فكتب السير صريحة في كون الكتاب وإن كان بخط مروان الاّ أنه مختوم بخاتم عثمان، والبعير بعيره، والرسول رسوله، بل ذكر هذا الشارح الضال في الموضع المشار اليه من شرح الخطبة الشقشقية بعد تعداده جملة من أحداث عثمان ما لفظه: وختم ذلك ما وجدوه في كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين إلى آخره.

قال الاصل، ومن كتاب له إلى عمرو بن العاص فانك جعلت دينك تبعًا لدنيا امرء ظاهر غيه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، إلى آخره[1].

كلما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ فيهما فهو الحق الصريح بعينه، لم يحمله بغضه لهما، وغيظه منهما إلى ان بالغ فيما ذمهما به كما يبالغ الفصحاء عند سورة الغضب، وتدفق الالفاظ على الالسنة، ولا ريب عند احد من الفضلاء ذوي الانصاف ان عمروًا جعل دينه تبعا لدنيا معاوية، وانه ما بايعه وتابعه الاّ على جعالة جعلها له، وضمان يكفل له بايصاله اليه، وهي ولاية مصر مؤجلة، وقطعة وافرة من المال

١- شرح نهج البلاغة ١٦/١٦٠.

معجلة، ولولديه وغلمانه ما ملأ أعينهم، فأما قولـه فـي معاويـة ظـاهر غيـه، فـلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه، وكل باغ عاد، واما مهتوك ستره، فانـه كـان كثيـر الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسُمّار، ومعاوية لم يتوقر ويلزم قانون الرياسة الاّ منذ خرج على أمير المؤمنين عليه السلام، واحتاج إلى الناموس والسكينة والاّ فقـد كان في أيام عثمان شديد التهتك، موسومًا بكل قبيح، وكان في زمن عمر يستر نفسه قليلاً خوفًا منه الاّ أنه كان يلبس الحرير والديباج والوشـي، وكـان حينئـذ شابًا عنده ترف الصبي، واشر الشبيبة، وسكر السلطان والامرة، ونقل الناس عنـه في كتب السير انه كان يشرب الخمر في سر، وقيل: انه لم يشرب، ولا خـلاف انه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه أيضًا، وأما قولـه يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم يختلطه، فالامر كذلك، لانه لم يكن في مجلسه الاّ شتم بني هاشم، وقذفهم والتعريض بذكر الاسلام والطعـن عليـه وان اظهـر الانتمـاء اليه، انتهى[1].

أقول: ما ذكره في معاوية من هذا التهتك في الدين، مـضافًا إلـى مـا ورد فيه من الأخبار الدالة على كفره وضلاله، وما ستلقى الامة منه فـي ولايتـه، هـل كان قد خفي على عمـر وعثمـان، ام كـان ظـاهرًا لهمـا رأي العيـان لا جـائز ان يحمل على الاولى البتة، لشيوع الاخبار الدالـة علـى كفـره إلـى هـذه الازمـان، فكيف يخفى على اولئك في ذلك الزمان، ولمـا ذكـره هنـا، ويؤيـده أيـضًا بمـا تقدم نقله عن كتاب الاستيعاب لابن عبد البر من تلقـي معاويـة لعمـر لمـا قـدم

١- شرح نهج البلاغة ١٦/١٦٠ وما بعدها.

الشام، وهو في موكب عظيم بهذا اللباس والزي الذي ذكره هنا حتى قال له عمر لما رآه كذلك: هذا كسرى العرب تشجيعًا له على ما هو عليه[1]، فيتعين الثاني البتة، وهو اظهر شاهد على مشاركتهما له في الكفر والنفاق الذي طعن به الشارح هنا عليه، وان لم يتظاهرا به كتظاهر معاوية الذي وقع عليه الاتفاق، اذ لا ريب انه يجب في الوالي على المسلمين العدالة، لانه محكم في دمائهم وفروجهم، واموالهم، واداء فروضهم، والقيام بالعدل، وعدم الظلم والجور، وهذا باعتراف الشارح ليس في معاوية، فتوليتهما له والحال هذه لا وجه له الاّ ما ذكرناه، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2]، أي خالفهما وشاقهما، ولو لم يستدل على نفاق ذينك الرجلين الاّ بهذا لكان اظهر دليل في البين، ولكن القوم قد غطى على ابصار بصايرهم الطبع والرين، ويزيد ذلك تأييدًا مخالفة عمر لسيرته مع جميع عماله في حق معاوية، كما تقدم ذكره في الجزء الثاني عشر التي من جملتها انه اذا ولى عاملاً كتب عليه كتابًا، واشهد جماعة من المسلمين انه لا يركب برذونًا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يأكل نقيًا، ولا يغلق بابه دون حاجات الناس، ومن ظهر منه خلاف ذلك بعد ولايته عزله، ومعاوية كما ترى على خلاف جميع عدة الشروط، ومع ذلك اقره مدة حياته لم يستبدل به، وكان عنده بالمحل الاعلى والمنزل الاسنى حتى ذم يومًا بمحضره فقال: دعونا من

١- تاريخ دمشق ١١٤/٥٩، اسد الغابة ٣٨٦/٤، سير اعلام النبلاء ١٣٤/٣.

٢- المجادلة/٢٢.

ذكر فتى قريش، رواه في الاستيعاب[1]، فهل لجميع ذلك وجه غير ما ذكرناه او سبب غير ما سطرناه، فيا لله ما أعمى قلب هذا الشارح الضال، واصحابه التائهين في أودية الضلال، كيف يذم معاوية بما ذكره مع انجراره بالآخرة إلى ائمته المتقدمين، فلا هم كأهل السنة الذين يتعصّبون لمعاوية وبني أمية لئلا يقعون في هذا المحذور، ولا هم ممن ينظر بعين الحق فيفرق بين نور الطور، وظلمه الديجور.

قال الاصل، ومن كتاب له إلى عثمان بن حنيف الانصاري وكان عامله على البصرة، وقد بلغه انه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى اليها، اما بعد: يا ابن حنيف، قد بلغني ان رجلاً من اهل البصرة دعاك إلى مأدبة فاسرعت اليها، إلى ان قال عليه السلام: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما اظلته السماء، فشحت نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، إلى آخره[2]، بعد كلام في المقام.

يقول لا مال لي، ولا اقتنيت فيما مضى مالاً، وانما كانت في أيدينا فدك، فشحت عليها نفوس قوم، اي بخلت، وسخت عنها نفوس آخرين، أي سامحت واغضت، وليس يعني هنا بالسخاء إلاّ هذا لا السخاء الحقيقي، لانه عليه السلام واهله لم يسخوا بفدك الاّ غصبًا وقسرًا، وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدم، وهو يعني الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: ونعم الحكم

١- الاستيعاب ١٤١٨/٣، باب معاوية.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٠٥/١٦ وما بعدها.

الله، الحاكم، وهذا كلام شاك متظلم، انتهى.

أقول: انظر إلى ما يقع من هذا الشارح المتجاهل أو الجهول مما يشهد على ائمته بالجور والظلم لاهل بيت الرسول، ثم يمضي ويغمض عينه عنه كأنه لا يعقل ما يقول، فانه اذا كان كلامه عليه السلام صريحًا في أنه لم يسمحوا بفدك الاّ غصبًا وقهرًا، وانه شاك إلى الله تعالى، ومتظلم اليه سبحانه من اولئك القوم الغاصبين، وهو عليه السلام مع الحق والحق معه في كلما يعقل ويقول، كما هو متفق عليه بين الفريقين، ومسلم عند الخصمين، فأي دليل يراد في المقام على ظلم أبي بكر وعمر، وغصبهما فدك منهم عليهم السلام أوضح وأظهر من هذا الكلام، وأعجب من ذلك قوله فيما سيأتي ان شاء الله تعالى في آخر البحث بعد نقل ما وقع بين المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ وقاضي القضاة في هذه المسألة ما هذا لفظه: وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم، ولا يعلم حقيقة ما كان، والى الله ترجع الامور، انتهى.

وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان ما فيه من الوهن والقصور، وهذه حال هذا الضال اذا اعوزه الجواب ولو بترهاته المتكررة منه في أمثال هذا المجال.

قال في المقام: واعلم اننا نتكلم في شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول:

الفصل الأول: فيما في الحديث والسير من امر فدك، والفصل الثاني: في هل النبي يورّث أم لا؟ والفصل الثالث: في ان فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة.

أمّا الفصل الأوّل: فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه اهل

الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم، لانا مشترطون على أنفسنا أن لا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في السقيفة وفدك، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقيب وفاة النبي ﷺ، وأبو بكر هذا عالم محدث، كثير الأدب، ثقة ورع، اثنوا عليه المحدثون، ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته.

قال أبو بكر: حدثنا أبو زيد عمرو بن شبة، ثم ساق سنده إلى محمد بن اسحاق، عن الزهري: قال: لقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دمائهم، ويسيّرهم، ففعل، فسمع ذلك اهل فدك وكانوا على مثل ذلك، وكانت للنبي ﷺ لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

قال أبو بكر: روى محمد بن اسحاق أيضًا ان رسول الله ﷺ لما فرغ من خيبر، قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فصالحوه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، وكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة له، لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[1].

قال: وقد روي انه صالحهم عليها كلها، الله أعلم أي الأمرين كان.

قال: وكان مالك بن انس يحدث عن عبدالله بن أبي بكر بن عمر بن حزم أنه صالحهم على النصف، فلم يزل الامر كذلك حتى اخرجهم عمر بن الخطاب واجلاهم بعد ان عوضهم عن النصف الذي كان لهم عوضًا من ابل

١- شرح نهج البلاغة ٢٠٩/١٦ وما بعدها.

وغيرها، وقال غير مالك بن أنس لما أجلاهم بعث من يقوّم الاموال أبا الهيثم بن التيهان، وعروة بن عمرو، وحباب بن صخر، وزيد بن ثابت، فقوّموا ارض فدك ونخلها، فاخذها عمر ودفع قيمة النصف الذي لهم، وكان مبلغ ذلك خمسين ألف درهم، أعطاهم اياها من مال أتاه من العراق، واجلاهم إلى الشام.

قال أبو بكر: فحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن الحسين بن صالح بن حي، قال: حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت علي بن أبي طالب قال: وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، قال أبوبكر: وحدثني عثمان بن عمران الفجعي، عن نايل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه، عن عبدالله بن حسن بن الحسن قالوا جميعًا: لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها، واقبلت في لمّة من حفدتها ونسائها، تطأ في ذويلها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر، وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء، وقال بعضهم: قبطية، وقالوا: قبطية - بالكسر والضم - ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلاً حتى سكتوا من فورتهم، ثم قالت:

ابتديء بمن هو أولى بالحمد، والطول والمجد، الحمد لله ما أنعم، والشكر بما ألهم، وذكر خطبة طويلة جدًا، قال في آخرها: فاتقوا الله حق تقاته،

واطيعوه فيما أمركم به، فانّما يخشى الله من عباده العلماء، واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي من في السماوات والأرض اليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته، ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبته، ونحن ورثة أنبيائه، ثم قالت: أنا فاطمة بنت محمد، أقول عودًا على بدء، وما أقول ذلك سرفًا ولا شططًا، فاسمعوا باسماع واعية، وقلوب راعية، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، فإن تعزوه تجدوه ابي دون آابائكم، واخا ابن عمي دون رجالكم، ثم ذكرت طويلاً سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني.

تقول في آخره: أنتم الآن تزعمون أن لا أرث لي، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، ايهًا معاشر المسلمين، أبتز ارث أبي، أبى الله أن ترث يابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئًا فريًا، فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم.

قال: ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدك ابناء وهنبثة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
ابدت رجال لنا فحوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا	لما فقدت وكل الارض مغتصب

١- التوبة/١٢٨.

قال: فلم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ، ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت: يا معشر البقية، واعضاد الملة، وحصنة الاسلام، ما هذه الفترة عن نصرتى، والونية عن معونتي، والغميزة في حقي، والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله ﷺ يقول: المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم، الآن مات رسول الله ﷺ، أمتم دينه، ها أن موته لعمري خطب جليل، استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، واظلمت الأرض له، وخشعت الجبال، واكدت الآمال، وضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة، واديلت المصونة، وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها فقال:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1].

ايهًا بني قيله اهتضمت تراث أبي، وأنتم بمرأى مني ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار، باديتم العرب، وبادهتم الأمور، وكافحتم البهم، حتى دارت بكم رحى الاسلام ودرحلبه، وخبت نيران الحرب وسكنة فورة الشرك، وهدامت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، أفتأخرتم بعد الاقدام، ونكصتم بعد الشدة، وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم، قال تعالى:

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ

١- آل عمران/١٤٤.

ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[1].

ألا وقد أرى أن قد اخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذي وعيتهم، ودسعتهم الذي سوغتم ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2].

ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة، وضعف البقر، فدونكموها فاحتقبوها مديدة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بنار الله الموقدة تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تعملون، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[3].

قال: وحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم، قال: لما كلمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلمته به، حمد أبو بكر الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله، ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا عملت الاّ بامره، وان الرايد لا يكذب أهله، وقد قلت فابلغت، وأغلظت فاهجرت، غفر الله لنا ولك، أما بعد: فاني دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وآله ودابته وخفاه إلى علي، وأما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنا معاشر الانبياء لا نورث ذهبًا ولا فضة، ولا عقارًا ولا دارًا، ولكنا نورّث الايمان والحكمة،

١- التوبة/١٢.

٢- إبراهيم/٨.

٣- الشعراء/٢٢٧.

والعلم والسنة، فقد عملت بما أمرني، ونصحت له، وماتوفيقي الاّ بالله عليه توكّلت، واليه انيب[1].

قال أبو بكر: وروى هشام بن محمد، عن أبيه، قال: قالت فاطمة لأبي بكر: ان ام أيمن تشهد ان رسول الله ﷺ اعطاني فدك، فقال لها: يابنة رسول الله، والله ما خلق الله أحب اليّ من رسول الله أبيك، ولوددت ان السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لان تفتقر عايشة أحب اليّ من ان تفتقري، أتراني اعطي الاحمر والاسود حقه، واظلمك حقك، وأنت بنت رسول الله، ان هذا المال لم يكن للنبي، ﷺ، وانما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل به النبي الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه.

قالت: والله لا كلمتك أبدًا، قال: والله لا هجرتك ابدًا، قالت: والله لادعونّ الله عليك، قال: والله لادعونّ الله لك.

فلما حضرتها الوفاة أوصت ان لا يصلي عليها، فدفنت ليلاً وصلّى عليها العباس، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنان وسبعون ليلة[2].

قال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالاسناد الأول، قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها صعد المنبر فقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة، أين كانت هذه الأماني في

١- شرح نهج البلاغة ٢١١/١٦ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢١٤/١٦ وما بعدها.

عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، انما هو ثعالة شهدت ذنبه، مرب لكل فتنة، هو الذي يقول كروّها جذعة بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها اليها البغي، الا أني لو اشاء ان أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت، ثم التفت إلى الانصار فقال:

قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، واحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا أني لست باسطًا يدًا ولا لسانًا على من لم يستحق ذلك، ثم نزل، فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها[1].

قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له بمن يعرض قال: بل يصرح، قلت: لو صرح لم سألتك فضحك، وقال بعلي بن أبي طالب قلت: هذا كله لعلي!؟ قال: نعم انه الملك يابني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بقول علي عليه السلام فخاف من اضطراب الأمر عليه، فنهاهم، فسألته عن غريبه، فقال: أما الرعة بالتخفيف، أي الاستماع والاصغاء، والقالة القول، وثعالة اسم الثعلب علم غير منصرف، مثل ذوالة للذئب، وشهيده ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدعي الاّ بعضه وجزء منه، واصله مثل، قالوا: ان الثعلب أراد أن يغري الاسد بالذئب، فقال: انه قد أكل الشاة التي قد كنت أعددتها لنفسك، وكنت حاضرًا، قال: فمن يشهد لك بذلك، فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب، ومرب أرب

١- شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٤ - ٢١٥.

لازم بالمكان، وكروّها جذعة أعيدوها إلى الحال الاولى، يعني الفتنة والهرج، وأم طحال امرأة بغية في الجاهلية يضرب بها المثل يقال: ازنى من ام طحال[1].

أقول: الكلام هنا يقع في موارد:

الأوّل: قوله انا نتكلم في شرح هذه الكلمات إلى آخره فان فيه انه كان الاولى بشأنه، والاحق بنقصانه ان لا ينقل ما نقله بما هو شاهد عليه بضلاله ونقصان ايمانه.

أما أولاً: فلأنه اذا اعترف بكون علي عليه السلام ادعى فدكًا كما تقدم في المقالة الاولى، وادعى انها اخذت منهم، كما اعترف ثمة، وعلي عليه السلام عنده مع الحق والحق معه، فأي ثمرة في التطويل بهذه الأخبار المختلطة المتناقضة، والأقوال المتهافتة المتباغضة.

وأما ثانيًا: فلأن جملة من أخباره التي أوردها انما تشهد على خليفته وامامه بالعار والشنار، ولكن أبى الله تعالى الاّ أن يظهر فضايح خلفائه على لسانه، والطعن فيهم بعامل سنانه، والعجب منهم بعد نشر هذه الفضايح، ورواية هذه القبايح، واعتراف جملة من علمائهم بها كما قدمناه في فصول المطاعن، وسيظهر لك مثله هنا، كيف يذمون الشيعة، ويبرؤن منهم، ويطعنون عليهم بالبراءة من اولئك المتقدمين، وتضليلهم وتفسيقهم بين العالمين، وكيف لهم بالجمع بين مارووه من هذه الروايات ونحوهما في حق خلفائهم الدالة على ظلمهم لاهل البيت عليهم السلام واغتصابهم واذاهم، وبين مارووه في حق أهل البيت

١- شرح نهج البلاغة ٢١٥/١٦ وما بعدها.

عليهم السلام من دلالة نصوص الكتاب على طهارتهم، ووجوب محبتهم، وأنهم على الحق والحق معهم، وان حبهم ايمان وبغضهم كفر، وانهم احد الثقلين المأمور بالتمسك بهما للنجاة من الضلال، وأنهم كسفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلف عنها غرق، وأمثال ذلك مما قدمنا نقله في المقدمة، ولكنهم ممن قد ذهب الله بنورهم، وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

الثاني: قوله أنه شرط على نفسه أن لا يروي من كتب الشيعة، وانما يروي ما نقله محدثوا أهل السنة، فان فيه أولاً: أنه اذا كان لا يحصل بما ترويه الشيعة، لأنه لا يقوم حجة على أهل السنة، فكيف يروم الزام الشيعة في غير موضع مما تقدم روايات أهل السنة، فانه إذا كان ما انفرد به الخصم لا يكون حجة على خصمه، فينبغي أن يكون هذه قاعدة جارية في الطرفين، ومعمول عليها من الجانبين.

وثانيًا: انّ الشيعة بحمد الله تعالى لكونهم على الحق الواضح المبين، قد اوضح الله تعالى لهم الحجة على السنة المخالفين، كما سيظهر لك من اخباره المنقولة، وليته كان مع نقله لهذه الأخبار يميز فيها بين الغث والسمين، والعاطل والثمين، ويجري فيها على جادة الانصاف، ويتجنب الضلال والاغتساف، ولكنه يغمض عينه عما اشتملت عليه من المناكر الظاهرة، عارًا وشنارًا، المعلنة بالقدح في ائمته جهارًا، فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارًا.

الثالث: ما دلّ عليه حديث الزهري، وحديث محمد بن اسحاق من أن فدك كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، مناف لما دل

عليه حديث هشام بن محمد عن أبيه من انّ أبا بكر قال في جواب فاطمة عليها السلام: ان هذا المال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله، وانما كان مالاً من أموال المسلمين.

فأي الروايتين عند القوم أصح، وأيهما في المقام أصرح، والمنقول المستفيض عن أبي بكر انه انما رد فاطمة عليها السلام بحديث انا معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، وهو مؤذن بكونه يوافق على ان فدك للنبي صلى الله عليه وآله في حياته، فعلى ما يحمل الحديث الأخير، أهو ناش من حيرة أبي بكر واضطرابه في الجواب، أم من حيرة اصحابه في الاعتذار عنه بما يدفع عنه الارتياب، فيروون له ما يوجب توسيع الدائرة في الاعذار، وكفى بذلك عارًا على ذلك العار.

الرابع: ما نقله من حديث خطبة فاطمة عليها السلام وما كلمت به أبا بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار، مما يوجب العار واستحقاق النار، كما لا يخفى على ذوي البصائر والأفكار.

وقد نقل هذه الخطبة صاحب كتاب كشف الغمة قدس سره في الكتاب المذكور، وقال: نقلتها من كتاب السقيفة عن عمرو بن شنبة تأليف أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري من نسخة قديمة، مقروة على مؤلفها المذكور، قرأت عليه في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من عدة طرق ان فاطمة عليها السلام لما بلغها اجماع أبي بكر على منعها، ثم ساق الخطبة بطولها ولم يختصرها كما فعل الشارح هنا، وفيها بعد قولها عليها السلام وأنتم تزعمون ان لا أرث لي، افعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراءكم ظهريًا، يقول

الله جل ثناؤه ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1] مع ما اقتص من خبر يحيى وزكريا إذ قال ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[3]، فزعمتم ان لاحظ لي في آية، أفحكم الله بآية اخرج أبي منها، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي ﷺ، أفحكم الجاهلية تبغون إلى آخر ما ذكره الشارح.

وما أدري ما الحامل للشارح على حذف ذلك من البين، وعدم نقله، فان الناقل المذكور ثقة معتمد بين الخاصة والعامة، ولعله لما في الآيات من وضوح الاستدلال، والرد لما انتحله أبو بكر واوليائه والإبطال، وظهور مخالفتهم لكتاب الله العزيز، فان جملة من علمائهم قد ناقشوا في الاستدلال بهذه الآيات في المقام، وتأولوها بالحمل على وراثة العلم دون المال، وكلامها ﴿صلوات الله عليها﴾ أصرح حجة ودليلاً في هذا المجال[4].

١- النمل/١٦.

٢- مريم/٦.

٣- النساء/١١.

٤- أقول: ان بعض النصاب لما ضاق عليهم الخناق مما في هذه الخطبة، ولم يمكن انكارها لمزيد اشهارها زادوا في آخرها ما ربما يندفع به ما فيها من العار كما عادتهم في امثال ذلك لما اشرنا اليه في هذا الكتاب في غير موضع، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر، فنقل شيخنا المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب البحار عن أبي الفضل احمد بن أبي طاهر في كتاب بلاغات النساء هذه الخطبة وفي آخر ما جملة اعتذار أبي بكر لها لما صورته: يا بنت رسول الله انت عين الحجة، ومنطق الرسالة، لا يدلى=

وكيف كان فنقول: ان فيما نقله الشارح هنا من الخطبة المذكورة فوائد:

منها: مادلت عليه صريحًا من تصريحها عليها السلام بكفر اولئك الغاصبين والمساعدين لهم، والخاذلين، وارتدادهم عن الدين، وحينئذ فنقول: لا يخلو اما ان تكون فاطمة عليها السلام عند هذا الشارح وأصحابه صادقة في ذلك أو كاذبة، ويرد الثاني ما اعترف به القوم من نزول آية التطهير في حقها ومن معها من أهل بيتها عليهم السلام، ويؤيده أيضًا ان جملة من خصومنا لم يقدروا ان يحكموا بكذبها في دعوى فدك، وانما التجأوا إلى أن مجرد الحكم بصدقها لا يقتضي تسليم ما ادعته لها، والحكم لها به بغير بينه، وقاسوها بالنبي صلى الله عليه وآله لو ادعى على ذمي، فانه لا يحكم له الاّ بالبينة، وحينئذ فيثبت الأول، واذا ثبت صدقها عليها السلام في نسبتهم إلى الكفر والارتداد ثبت المطلوب والمراد، لانّ الرواية من طرقهم بطرق متعددة كما عرفت، فأي دليل يريد أهل السنة من الامامية على صحة ما يذهبون اليه ويدعونه على كفر ائمتهم، وبطلان مذهبهم أوضح من ذلك، وكيف عميت عين هذا الشارح الضال، وجملة من نقل هذه الخطبة عن هذا الالزام الوارد على كل حال، ولم لا أجاب هنا عن ذلك كما هي عادته اذا مر به حديث يتضمن القدح في ائمته ولو بأباطيله وزخاريفه التي يكررها في غير

=بجوابك، ولا ادفعك عن صوابك، ولكن هذا ابو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقدت، وانبأني بما اخذت وتركت، قالت: فان يكن ذلك فصبرًا، له الحق، والحمد لله اليه الخلق، انتهى. فانظر إلى هؤلاء وما يتخوصونه في أخبارهم من الاكاذيب عند الوقوع في ضيق الالزام، والعجز عن الجري في ميزان الخصام، وهذه الخطبة قد نقلها الخاص والعام، ولم يتجرى عليها احد بزيادة ولا نقصان سوى هذا الفاجر المهان، والله يعلم احوالهم في أخبارهم في غير مكان، والله العالم. ﴿منه﴾.

مقام.

ومنها: ان مادلت عليه من تظلمها عليها السلام وتألمها، وبكائها وانشادها الشعر المذكور الذي يتفطر له صم الصخور، ولم يلن له قلب ذلك العاصي الكفور، هو أحد ما كان يبكي له الرسول صلى الله عليه وآله إذا جرت هذه المصايب على خاطره في أيام حياته، وجاشت في صدره لما يعلم مما يحل بهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ بعد فقده ومماته، كما دلت عليه الأخبار المتقدمة في شرح قوله أما انه سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب البلعوم، إلى آخره، من الجزء الرابع التي منها انه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام وعلي نائم فذهبت تنبهه، فقال: دعيه، فرب سهر له بعدي طويل، ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة، فبكت فاطمة عليها السلام الحديث[1].

وكذلك حديث الحدائق المذكور ثمة المتضمن لوضعه رأسه على رأس علي ﴿صلوات الله عليهما وآلهما﴾ وبكائه طويلاً، فسئل عن ذلك، فقال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدونني، الحديث[2].

ومنها: ان هذا من جملة نتايج تلك المصلحة التي ينوه بها الشارح الضال لائمته في تقدمهم في الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام، مانقله من كلام أبي بكر في جواب فاطمة عليها السلام بعد تمام كلامها، وقوله انه ما عدا رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عمل في أخذه فدك الاّ بما سمعه منه، فان فيه من التزوير والتمويه

1- مستدرك سفينة البحار ٣٨٣/٧.

2- مناقب أمير المؤمنين للكوفي ٣٣١/١ وما بعدها.

ما لا يخفى على الحاذق النبيه.

أما أولاً: فانه كيف يجوّز العقل السليم أن يخص أبا بكر بهذا الحكم دون أهل بيته الذين هم ورثته، مع علمه بأن له ورثة ومالاً مورثًا، وان الأرث حكم شرعي قد جرت به سنته، ونزل به كتابه، ومع هذا يعلم انّ هذا الحكم لا يجري في حقه، وانه مستثنى من هذا الحكم الكلي والضابط الجلي، لا يخبر ورثته بذلك، بل يتركهم على جهلهم، وما هو الاّ اغواءِ لهم، واغراء بالباطل، وهو طلب ما ليس لهم شرعًا، الموجبة للعقوبة عند الله تعالى، ولا ريب ان هذا غير معهود من سيرته في سائر رعيته، وشفقته على امته فضلاً عن اولئك الذين هم اعز الناس عليه، ويؤكد ذلك ما جاء به كتابه من قوله سبحانه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، فكيف لم ينذر هؤلاء الذين هم أقرب الأقربين اليه من الوقوع في النار، والتعرض لسخط الجبار بظلمهم لجملة المسلمين، واخذهم ما ليس لهم، وقوله سبحانه﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2]، فكيف يرسله الله تعالى إلى جملة الناس بأن يقوا أنفسهم وأهليهم النار، باجتناب معاصي العزيز الجبار، وهو النازل بذلك الكتاب، أولى واحق من سارح إلى ذلك واجاب.

وثانيًا: ما اتفقوا عليه في حق علي عليه السلام من أنه باب مدينة علمه، وخزينة اسراره، وانه لايؤخذ علومه صلى الله عليه وآله الاّ منه عليه السلام، وان من أخذ العلم من غير

١- الشعراء/٢١٤.

٢- التحريم/٦.

ذلك الباب كان كمن تسور المدينة، وكان سارقًا بلا ارتياب، وقد استفاض في كلامه عليه السلام كما تقدم جملة منه في هذا الكتاب، واعترف به هذا الشارح المرتاب أنه قد افضى اليه الرسول صلى الله عليه وآله جميع العلوم والملاحم والوقايع إلى آخر الدهر، ولاسيما بما سيمر على رأسه من بعده صلى الله عليه وآله، فكيف يجوز مع جميع ذلك ان يخفي عنه هذا الحكم المتعلق به بخصوصه، وانما يسديه إلى أبي بكر، ما هذه الاّ خرافات وترهات لا يؤمن بها الاّ من عدم الايمان بالله ورسوله.

وثالثًا: ان دفعه آلته صلى الله عليه وآله وحذاه ودابته إلى علي عليه السلام مع روايته إنا معاشر الأنبياء لا نورث، كما هو المستفيض نقله عنه، فان عدّ هنا تلك الأفراد من الذهب والفضة، والدار والعقار، الاّ أنّ الظاهر بقرينة الاستدراك، ولكنا نورث الايمان إلى آخره.

ان ذلك انما هو على جهة التمثيل لا الحصر، تناقض ظاهر لا يخفى على العاجز القاصر فضلاً عن الخبير الماهر، فانه إذا كان ما تركه مالاً للمسلمين فلم دفعه إلى علي عليه السلام بدون اذنهم.

ورابعًا: انه قد تقدم في المقدمة في الكلام في هذا المقام رواية الواقدي، ورواية سيد الحفاظ ابن مردويه انه لما نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، واعطاها فدك، فكيف الجمع بين ما دل عليه الخبران المذكوران، وبين دعوى أبي بكر هنا، انه ما عدى رأي رسول الله صلى الله عليه وآله.

١- الإسراء/٢٦.

وخامسًا: أنه كيف مكّن أزواج النبي ﷺ من التصرف في حجراتهن بغير خلاف، ولم يحكم فيها بأنها صدقة كما حكم به على فاطمة عليها السلام، إذ من المتفق عليه ان الحجرات ماله ﷺ في حياته، فالانتقال بغير الميراث يحتاج إلى دليل وبينة تقوم به، ولم ينقله ناقل، فكيف صار حديثه الذي رواه مختصًا بفاطمة عليها السلام دون سائر الورثة في حجراتهن، ولا ريب أنه اظهر ظاهر في انّ ما فعله بفاطمة عليها السلام، انما هو مجرد بغض وعداوة لأهل البيت النبوة ﴿صلوات الله عليهم﴾.

وما نقله من خطبة أبي بكر وتعريضه، بل تصريحه بذم أمير المؤمنين عليه السلام، والطعن عليه بهذا الكلام الذي لا يخرج الاّ ممن خرج عن ربقة الاسلام، وأي عداوة تبلغ إلى أزيد من هذا الكلام، فاذا كان كلام علي عليه السلام فيهم ما تقدم لك في غير موضع، مما يؤذن بتضليلهم وتفسيقهم، وتعديهم الحدود الشرعية، وكلامهم فيه عليه السلام زيادة على ما فعلوه به من الاهانة والاذلال، ما سمعت في هذا المقام، فكيف يدعي هذا الضال حب علي عليه السلام، ويتمدح بذلك مع قوله بصحة خلافتهم وامامتهم، وقد قدم قريبًا انه لا يجتمع محبة الحبيب، وحب عدوه في قلب واحد، ونقل فيه الاشعار المتعددة، وأوضحناه بالادلة العقلية والنقلية، تبًا له من ضال ما أضله، ثم أين ما يذكره في غير مقام مما تقدم من أن عليًا عندنا هو الافضل والاحق بالخلافة، وأن حكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ، ولولا رضاه بخلافة اولئك الخلفاء، لتبرأنا منهم كما تبرأنا ممن عاداه وخالفه، لانه قد ثبت عندنا أنه على الحق والحق معه، وان

تقدمهم عليه لم ينقص شيئًا من فضله، وأمثال ذلك من مزخرفاته المتقدمة، ويغمض عينيه هنا عن كلام أبي بكر في حقه عليه السلام، هذا الكلام القبيح، وتقبيحه له عليه السلام أشد التقبيح، ويتجاهل في معرفة من أريد بهذا الكلام، كأنه قد عمى بصر بصيرته عن الفتنة التي في هذا المقام حتى يسأل عنه شيخه النقيب، وما أدري أي مزية لهم في مدحه، والاطراء عليه بما ذكروه بجهلهم وضلالهم، وتبليغه مرتبة النبي صلى الله عليه وآله في الفضل والكمال، عدا النبوة اختص بها، مع تصحيحهم خلافة أبي بكر وأصحابه الموجبة لجعله عليه السلام سوقة ورعية لهم، يسقونه كؤوس المحن والمصاب، كما سمعت هنا وتقدم في أخبار الشورى والسقيفة.

وأما ما نقله عن شيخه النقيب في خطاب ابي بكر للأنصار لانهم هتفوا بقول علي عليه السلام، فخاف من اضطراب الأمر عليه، واجمل الكلام في ذلك، فنحن نذكر ذلك على ما ذكره صاحب كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وآله قال بعد نقل كلام فاطمة عليها السلام لأبي بكر وانشادها الأبيات المتقدمة في خطاب أبيها صلى الله عليه وآله ما لفظه: فابكت والله من كان حاضرًا في المسجد حتى صار كأنه اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فبلغ ذلك الانصار، فكتبوا إلى أبي بكر هذه الأبيات:

عدلت ابا بكر على كل ملحد ... وجرت على آل النبي محمّد

واغنيت مع تيم عديًا وزهرة ... وافقرت عزًا من سلالة احمد

لاسرع ما بدّلتم ونكثتُم ... عهودكم يا قوم بعد التوكد

افي فدك شك بان محمدًا ... حباها به من دون تيم بمشهد

علي وسلمان ومقداد بعده — وجندب مع عمار في وسط مسجد
ونحن شهود يوم نلقى محمّدًا — بظلمك اولاد النبي محمّد

ثم أقول: العجب من هذا الشارح وتطويله في هذا الشرح بنقل القصص والحكايات والحروب، ولاسيما ما نقل في الجزء الثاني عشر الذي جعله مستقلاً في نقل أحوال عمر وخطبه وأخباره، ومواعظه وسيرته، ثم يطوي البحث هنا عن نقل صدر خطبة فاطمة عليها السلام ويختصرها مع ما في ذلك، مما يدل على أنها كما قيل مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من ارج الرسالة، وتنازعني نفسي إلاّ أن انقله في المقام، وان طال به زمام الكلام رغمًا على أنف الشارح الضال، وامثاله من التائهين في أودية الضلال، ونقلت ذلك من كتاب كشف الغمة ما صورته:

ابتدئ بحمد من هو أولى بالحمد، والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء اسداها، واحسان منن أولاها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن المجاراة مزيدها، وتفاوت عن الادراك أمدها، واستتب الشكر بفضائلها، واستحذى الخلق بانزالها، واستحمد الخلائق باجزالها، وامر بالندب إلى امثالها، واشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنع من الابصار رؤيته، ومن الالسن صفته، ومن الاوهام الاحاطة به، أبدع الاشياء لا من شيء كان قبله، انشاها بلا

احتذاء مثلة، وسماها بغير فائدة زادته الاّ اظهارًا لقدرته، وتعبدًا لبريته، واعدادًا لأهل دعوته، ثم جعل الثواب لأهل طاعته، ووضع العذاب لأهل معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته، واشهد أن أبي محمد بن عبد الله عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله، واصطفاه قبل أن يبتعثه، وسماه قبل أن يستجيبه، إذ الخلايق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مضمونة، ومنها بالعدم مقرونة، علمًا منه بمآيل الامور، واحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة منه بمواقع المقدور، ابتعثه ايمانًا لعلمه، وعزيمة على امضاء حكمه، وانفاذًا لمقادير حتمه، فرأى رسول الله ﷺ الأمم عابدة لأوثانها، عكفًا على نيرانها، منكرة لله مع عرفانها، فانار الله بأبي ﷺ ظلمها، وفرج عن القلوب بهمها، وجلا عن الابصار غممها، ثم قبضه الله قبض رأفة واختيار، رغبة لمحمد ﷺ عن تعب هذه الدار، موضوعًا عنه اعباء الاوزار، محفوفًا بالملائكة الابرار، ورضوان الرب الغفار، وجوار الملك الجبار، فصلى الله على أمينه بالوحي، وخيرته من الخلق، ورضيه ورحمة الله وبركاته.

ثم قالت: وأنتم عباد الله نصب امره ونهيه، وحملة كتاب الله ووحيه، وامناء الله على أنفسكم، وبلغاءه إلى الامم حولكم، لله فيكم عهد قدمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله بيّنة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان فيها منجلية ظواهره، نديمًا للبرية اسماعه، قائدًا إلى الرضوان اتباعه، ومؤديًا إلى النّجاة اشياعه، فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومواعظه المكرورة، ومحارمه المحذورة، وأحكامه الكافية، وبيناته الجالية، وجمله الشافية، وشرايعه

المتكوبة، ورخصه الموهوبة، ففرض الله الايمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا لكم من الكبر، والزكاة تزييدًا لكم في الرزق، والصيام تبيينًا للاخلاص، والحج تشييدًا للدين، العدل تنسقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملة، وامامتنا لمًا للفرقة، والجهاد عزًا إلى الاسلام، والصبر معونة للاستيجاب، والامر بالمعروف مصلحة للعامة، والبر بالوالدين وقاية من السخط، وصلة الارحام منسأة في العمر، ومنماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجابًا من اللعنة، والانهاء عن شرب الخمور تنزيهًا من الرجس، ومجانبة السرقة ايجابًا للعفة، والتنزه عن اكل أموال الايتام، والاستيثار بفيئهم اجارة من الظلم، والعدل في الأحكام ايناسًا للرعية، والتبري من صفة الشرك اخلاصًا للربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، إلى آخر ما تقدم في كلامه مع ما يأتي في كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في الفصل الآتي باختلاف بما في بعض الالفاظ، ثم قال قدس سره بعد نقلها بتمامها: فهذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة، وكانت النسخة مع قدمها مغلوطة فحققتها من مواضع اخر. انتهى[1].

أقول: ولعل الحامل للشارح على ترك صدر الخطبة ما تضمنته من قولها عليها السلام وطاعتنا نظامًا للملة، وامامتنا لمًا للفرقة، الدال صريحًا على ثبوت النص على امامتهم، وهو يهرب عن النص ويفر منه، كما عرفت من كلامه فيما تقدم فراره من الاسد.

١- كشف الغمة ١٠٨/٢ وما بعدها.

تذييل جليل فيه ايضاح وتفصيل

أقول: ان نفسي تنازعني، وتأبى عليّ إلاّ أن اذكر هذه الخطبة الشريفة بتمامها من طريق الخاصة، وأتعرض لذكر شرحها بما ذكره بعض مشائخنا ﴿عطر الله مراقدهم وأعلى في الفردوس مقاعدهم﴾ تقربًا إلى قائلتها ﴿صلوات الله عليها﴾.

فأقول: قد روى هذه الخطبة جملة من مشائخ الخاصة والعامة، ومنهم أحمد بن أبي طالب الطبرسي قُدِّسَ سِرُّهُ في كتاب الاحتجاج مرسلاً قال:

روى عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه عليهم السلام أنه لما اجمع أبو بكر على منع فاطمة فدك، وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلما امسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء اسداها، وتمام منن أولاها، جمّ عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الادراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى امثالها، واشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن

الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وذراها بمشيئته من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها إلاّ تثبيتًا لحكمته، وتنبيهًا على طاعته، واظهارًا لقدرته، وتعبدًا لبريته، واعزازًا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة منه لهم إلى جنته، وأشهد أن أبي محمدًا ﷺ عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلايق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله تعالى بمآيل الامور، واحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى اتمامًا لامره، وعزيمة على امضاء حكمه، وانفاذًا لمقادير حتمه، فرأى الامم فرقًا في اديانها، عكّفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد ﷺ ظلامها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الابصار غممها، وقام في الناس بالهداية، وانقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله اليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وايثار، محمد ﷺ عن تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الابرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينه على الوحي وصفيه، وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: انتم عباد الله نصب امره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وامناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الامم، زعمتم حق لله فيكم، عهد قدمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور

الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، ومنكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به اشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة اسماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضايله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرايعه المكتوبة، فجعل الله الايمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتًا في الاخلاص، والحج تشييدًا للاسلام، والعدل تنسيقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملة، وامامتنا أمانًا من ا لفرقة، والجهاد عزًا للاسلام، والصبر معونة على استيجاب الاجر، والامر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الارحام منماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهًا عن الرجس، واجتناب القذف حجابًا عن اللعنة، وترك السرقة ايجابًا للعفة، وحرم الله الشرك اخلاصًا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فانه انما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت: أيها الناس اعلموا أني فاطمة، وأبي محمد ﷺ، أقول عودًا وبدأ، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل شططًا، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي اليه ﷺ، فبلّغ الرسالة، صادعًا بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضاربًا بثبجهم، آخذًا باكظامهم، داعيًا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الاصنام، وينكس الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تعرى الليل عن صبحه، واسفر الحق عن محضه، ونطق

زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، واغلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الاخلاص في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطأ الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، اذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذوبان العرب، ومردة اهل الكتاب، كلما اوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، او نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف اخاه في لهواتها، فلا ينكفأ حتى يطأ صماخها باخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودًا في ذات الله، مجتهدًا في امر الله، قريبًا من رسول الله ﷺ، سيد أولياء الله، مشمرًا ناصحًا، مجدًا كادحًا، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون، فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الاخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون عند القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى اصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الاقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافًا، واخمشكم فالفاكم غضابًا، فوسمتم غير أبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وان جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم، وكيف بكم، وانى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، اموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، واعلامه باهرة، وزواجره لايحه، واوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، ارغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون،

بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الاسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلاّ ريث ان تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، واطفاء أنوار الدين الجلي، واخماد سنن النبي الصفي، تسيرون حسوًا في ارتقاء، وتمشون لاهله وولده في الخَمر والضراء، ونصبر منكم على مثل خز المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم تزعمون ان لا ارث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، أفلا تعلمون، بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته، أيها المسلمون أأغلب على ارثيه، يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئًا فريًا، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1]**، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا** إذ قال ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[2]**، وقال:** ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[3]**، وقال:** ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[4]**، وقال:** ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5]**، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا ارث أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية اخرج منها أبي ﷺ، أم هل تقولون أهل ملتين لا**

١- النمل/١٦.

٢- مريم/٥-٦.

٣- الأحزاب/٦.

٤- النساء/١١.

٥- البقرة/١٨٠.

يتوارثان، اولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة، أم أنتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي، فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الانصار، فقالت: يا معشر الفتية، واعضاد الملة، وانصار الاسلام، ما هذه الغميزة في حقي، والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا أهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وازاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله، فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمت الارض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، واكدت الآمال، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، واذيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، هتافًا وصراخًا، وتلاوة والحانًا، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1].

ايهًا بني قيلة، اهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وانتم ذو العدد والعدة، والاداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم

١- آل عمران/١٤٤.

موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الامم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتاتمرون حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام، ودرّ حلب الايام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الافك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حرتم بعد البيان، واسررتم بعد الاعلان، ونكصتم بعد الاقدام، واشركتم بعد الايمان، ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا قد أرى ان قد اخلدتم إلى الخفض، وابعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونحوتم من الضيق بالسعة، فمججتم مارعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فان الله لغني حميد، ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا والصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الابد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا انا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون.

فأجابها أبو بكر عبدالله بن عثمان فقال: يا ابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفًا كريمًا، رؤوفًا رحيمًا، وعلى الكافرين عذابًا أليمًا، وعقابًا عظيمًا، فان عزوناه وجدناه اباك دون النساء، واخا بعلك دون الاخلاء، آثره على كل حميم،

وساعده فى كل أمر جسيم، لا يحبكم إلاّ كل سعيد، ولا يبغضكم الاّ كل شقي، فأنتم عترة رسول الله ﷺ الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، إلى الجنة مسالكنا، وانت يا خيرة النساء، وابنة خير الانبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، فوالله ما عدوت رأي رسول الله ﷺ، ولا عملت إلاّ باذنه، وان الرايد لا يكذب اهله، واني أشهد الله وكفى به شهيدًا، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبًا ولا فضة، ولا دارًا ولا عقارًا، وانما نورث الكتب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجادلون به المردة ثم الفجار، وذلك باجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك، ولا يذخر دونك، وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن اخالف في ذاك اباك ﷺ.

فقالت عليها السلام: سبحان الله ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفًا، ولا لأحكامه مخالفًا، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، فتجمعون إلى العذر اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوايل في حياته، هذا كتاب الله حكمًا عدلاً، وناطقًا فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1]، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ

١- مريم/٦.

دَاوُدَ ﴾[1]، فبيّن عز وجل فيما وزّع عليه من الاقساط، وشرع من الفرايض والميراث، واباح من حظ الذكران والاناث، ما ازاح به علة المبطلين، وازال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم امرًا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله، وصدقت ابنته، انت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا انكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبيك، قلدوني ما تقلدت وباتفاق منهم اخذت ما أخذت، غير مكابر، ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها، كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فاخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به اشرتم، وشر ما منه أعتضدتم، لتجدن والله محمله ثقيلاً، وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراء الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك ابناء وهنبثه	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلّ قومك فأشهدهم ولا تغب
وكل أهل له قربى ومنزلة	عند الاله على الاذنين مقترب
ابدت رجال لنا فحوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب

١- النمل/١٦.

تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الأرض مغتصب

وكنت بدرًا ونورًا يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك الكتب

إنا رزينا بما لم يرز ذو شجن من البرية لا عجم ولا عرب

ثم انكفأت وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها اليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت:

يا ابن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت قعدة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الاعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحيلة أبي، وبلغة ابني، لقد اجهز في خصامي، والفيته الألد في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دون طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، اضرعت خدك يوم اضعت حدّك، افترست الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا اغنيت باطلاً، ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيتي ودون ذلتي، عذيرى الله منك عاديًا، ومنك حاميًا، ويلاي في كل شارق، مات العمد، ووهت العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربي، اللهم أنت اشد قوة وحولاً، وأحدّ بأسًا وتنكيلاً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل عليك، الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا اخطأت مقدوري، فان كنت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما اعد لك افضل مما قطع عنك،

فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله، وأمسكت[1].

ونقل شيخنا المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ هذه الخطبة في كتاب بحار الانوار عن أبي الفضل احمد بن ابي طاهر في كتاب ﴿بلاغات النساء﴾ وزاد في كلام ابي بكر لها في جوابه بعد خطبتها عليها السلام ما صورته فقال: يابنت رسول الله انتِ عين الحجّة، ومنطق الرسالة، لا يدلى جوابك، ولا ادفعك عن صوابك، ولكن هذا ابو الحسن بيني وبينك هو الذي اخبرني بما تفقدت، وانبأني بما احدثت وتركت، قالت: فان يكن ذلك فصبرًا لمر الحق، والحمد لله اله الخلق.

ثم قال: وما وجدت هذا الحديث على التمام إلاّ عند ابي حفان، انتهى[2].

أقول: انظر ايدك الله بعين البصيرة إلى هؤلاء القوم متى ضاق عليهم المخرج مما يروونه في كتبهم، كيف يتسترون عنه بهذه الاكاذيب التي يزيدونها في الأخبار لدفع العار، وهذه الخطبة قد استفاض نقلها من علماء الطرفين، ولم ينقل احد هذه الزيادة بالكلية، واخبار القضية وكلمات امير المؤمنين عليه السلام في هذه الواقعة كلها تشهد بكذب هذه الزيادة، وهذا كما رووا انه لمّا ماتت فاطمة عليها السلام كان أبو بكر هو الذي صلّى عليها، وحضر دفنها دفعًا لشنعة موتها غاضبة عليه مع ان رواياتهم وجل علمائهم متفقة على خلاف هذه الرواية، كما تقدم ايضاحه.

إيضاح ما في هذه الخطبة الشريفة من الالفاظ المنيفة على ما ذكره

١- الاحتجاج ١٤٥/١ وما قبلها.

١- بلاغات النساء/١٩.

شيخنا المجلسي رحمه الله في كتاب بحار الانوار بعد ذكره الخطبة المروية التي نقلناها.

قوله: ﴿اجمع أبو بكر﴾ أي أحكم النية والعزيمة عليه.

﴿لاتت خمارها على رأسها﴾ أي عصّبته وجمعته، يقال لات العمامة على رأسه يلوتها لوتًا، أي شدها وربطها، والجلباب - بالكسر - يطلق على الملحفة والرداء، والازار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة والثوب، كالمقنعة تغطي بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها، والأول هنا أظهر.

﴿وأقبلت في لمة من حفدتها﴾ اللمة - بضم اللام وتخفيف الميم - الجماعة، قال في النهاية في حديث فاطمة عليها السلام انها خرجت في لمة من نسائها[1]، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل اللمة المثل في السن والترب، وقال الجوهري: الهاء عوض عن الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما أحذرت عينه كثبه، ومن أصلها فعله من الملائمة وهي الموافقة، انتهى[2].

ويحتمل أن يكون بتشديد الميم، قال الفيروزآبادي: اللمّة - بالضم - الصاحب والاصحاب في السفر، والمؤنس للواحد والجمع[3]، والحفدة - بالتحريك - الاعوان والخدم.

﴿تطأ ذيولها﴾ إذا كانت اثوابها طويلة تستر قدميها وتضع عليها قدمها

١- النهاية ٢٧٣/٤ (لمه).

٢- البحار ٢٤٧/٢٩.

٣- القاموس المحيط ١٧٧/١ (اللمة).

عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الاجزاء وتعدد الثياب.

﴿ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله﴾ وفي بعض من النسخ من مشي رسول الله صلى الله عليه وآله، والخرم الترك والنقص والعدول، والمشية - بالكسر - الاسم من مشى يمشي مشيًا، أي لم ينقص مشيها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئًا كأنه هو بعينه.

قال في النهاية فيه: ما خرمت من صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله شيئًا، أي ما تركت، ومنه الحديث لم اخرم منه حرفًا أي لم ادع، والحشد - بالفتح وقد يحرك - الجماعة.

﴿فنيطت دونها ملاءة﴾ - بالضم والمد -، ريطة - بالفتح - الملاءة اذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفتين أو هو كل ثوب لين دقيق.

﴿والجهش﴾ ان يفزع الانسان إلى غيره، وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى امه، وقد تهيأ للبكاء، ويقال جهش اليه كمنع واجهش، والارتجاج الاضطراب.

قوله: ﴿هنيئة﴾ أي صبرت زمانًا قليلاً.

﴿النشيج﴾ صوت معه توجع وبكاء كما يردد الصبي بكاءه في صدره.

﴿وهدأت﴾ كمنعت، أي سكنت.

﴿وفورة الشيء﴾ شدته، وفار القدر، أي جاشت.

قولها ﴿صلوات الله عليها﴾: ﴿بما قدّم﴾ أي بنعم اعطاها العباد قبل أن يستحقوها، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدم الايجاد والفعل من غير ملاحظة

معنى الابتداء، فيكون تأسيسًا.

﴿والسبوغ﴾ الكمال.

﴿والآلاء﴾ النعماء جمع إلى - بالفتح والقصر، وقد يكسر الهمزة -.

﴿واسدى﴾ واولى واعطى بمعنى واحد.

قولها:﴿ والاها﴾ أي تابعها باعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل.

﴿وجمّ الشيء﴾ أي كثر، وجم الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدي والتجاوز[1].

قولها عليها السلام: **﴿ونأى عن الجزاء أمدها﴾**، الامد - بالتحريك - الغاية والمنتهى، أي بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالامد اما الامد المفروض، اذ لا امد لها على الحقيقة، والأمد الحقيقي لكل حد من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بامدها ابتدائها وقد مر في كثير من الخطب بهذا المعنى، وقال في النهاية في حديث الحجاج قال للحسن: ما امدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين من خلافة عمر، وللانسان أمدان مولده وموته، انتهى[2].

واذا حمل عليه يكون ابلغ، ويحتمل على بعد أن يقرأ بكسر الميم، قال الفيروزآبادي: الامد للمملو من خير أو شرّ[3]، والسفينة المشحونة.

١- البحار ٢٤٨/٢٩ وما بعدها.

١- البحار ٢٥٠/٢٩ وما بعدها، النهاية ٦٥/١ (امد).

٢- القاموس المحيط ٢٧٥/١ (آمد).

﴿**وتفاوت عن الادراك أبدها**﴾ التفاوت البعد، والابد الدهر، والدايم والقديم الازلي، وبعده عن الادراك لعدم الانتهاء.

﴿**وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها**﴾ يقال ندبه للامر واليه فانتدب، أي دعاه فاجاب، فاللام في قولها لاتصالها لتعليل الندب، أي رغبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر، لتكون نعمة متصلة لهم، غير منقطعة عنهم، وجعل اللام الاولى للتعليل، والثانية للعلة بعيد، وفي بعض النسخ لافضالها، فيحتمل تعلقه بالشكر.

﴿**واستحمد إلى الخلايق باجزالها**﴾ أي طلب منهم الحمد بسبب اجزال النعم واكمالها عليهم، يقال اجزل له من العطاء، أي اكثر، واجزل النعم كأنه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد حقيقة لاجزال النعم، وعلى التقديرين التعدية بالى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه، وهذه التعدية في الحمد شايع بوجه آخر، يقال: احمد اليك الله، قيل: أي احمده معك، وقيل: أي احمد اليك نعمة الله بتحديثك اياها، ويحتمل أن يكون استحمد بمعنى تحمد، يقال: فلان يتحمد عليّ، أي يمنن، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد.

﴿ **وثنى بالندب إلى أمثالها**﴾ أي بعد أن اكمل لهم النعم الدنيوية ندبهم إلى تحصيل امثالها من النعم الاخروية، أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية، ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى امثالها امر العباد بالاحسان والمعروف، وهو انعام على المحسن اليه وعلى المحسن أيضًا، لانه به يصير مستوجبًا للاعواض والمثوبات الدنيوية والاخروية.

﴿**وجعل كلمة الاخلاص تأويلها**﴾ المراد بالاخلاص جعل الاعمال خالصة لله تعالى، وعدم شوب الريا والاغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لانّ من أيقن بأنه الخالق والمدبر، وبانه لاشريك له في الألوهية، فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الامور إلى غيره.

﴿**وضمن القلوب موصولها**﴾ هذه الفقرة تحتمل وجوهًا:

أحدها: ان الله تعالى الزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة، واشباه ذلك مما يؤول إلى التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل اليه العقل من تلك الكلمة مدرجًا في القلوب بما أراهم من آياته في الآفاق وفي أنفسهم أو بما فطرهم عليه من التوحيد.

الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها، وهو المراد بالموصول.

الرابع: أن يكون الضمير في موصولها راجعًا إلى القلوب، أي لم يلزم القلوب إلاّ ما يمكنها الوصول اليه من تأويل تلك الكلمة الطيبة والدقايق المستنبطة منها أو مطلقًا، ولولا التفكيك لكان احسن الوجوه بعد الوجه الأول مطلقًا.

﴿**وأنار في الفكر معقولها**﴾ أي أوضح في الأذهان ما يعقل من تلك الكلمة بالتفكر في الدلايل والبراهين، ويحتمل ارجاع الضمير إلى القلوب أو الفكر بصيغة الجمع، أي أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول، وهذا يؤيد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة.

﴿**الممتنع من الابصار رؤيته**﴾ يمكن أن يقرأ الابصار بصيغة الجمع والمصدر، والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التام.

﴿**ومن الألسن صفته**﴾ الظاهر ان الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير، أي بيان صفته.

﴿**لا من شيء**﴾ أي لا من مادة.

﴿**بلا احتذاء امثلة أمتثلها**﴾ احتذى مثاله اقتدى به، وأمتثلها، أي تبعها ولم يتعد عنها، أي لم يخلقها على وفق صنع غيره.

﴿**وتنبيهًا على طاعته**﴾ لان ذوي العقول يتنبهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم عليها واجب، أو ان خالقها مستحق للعبادة، أو بان من قدر عليها يقدر على الاعادة والانتقام، وتعبد البرية، أي خلق البرية ليتعبدهم أو خلق الاشياء ليتعبد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه.

﴿**واعزازًا لدعوته**﴾ أي خلق الاشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء اليه بالاستدلال بها.

﴿**ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته**﴾ الذود والذياد - بالذال المعجمة - السوق والطرد، والدفع والابعاد، وحشت الصيد أحوشه إذا جئته من

حواليه لتصرفه إلى الحبالة، ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة.

﴿**قبل أن اجتبله**﴾ الجبل الخلق، يقال جبلهم الله، أي خلقهم، وجبله على الشيء، أي طبعه عليه، ولعل المعنى أنه تعالى سماه لأنبيائه قبل أن يخلقه، ولعل زيادة البنا للمبالغة تنبيهًا على أنه خلق عظيم، وفي بعض النسخ - بالحاء المهملة - يقال: احتبل الصيد، أي اخذه بالحبالة، فيكون المراد به الخلق أو البعث مجازًا، وفي بعضها قبل أن اجتباه، أي اصطفاه بالبعثة، وكل منها لا يخلو من تكلف.

﴿**وبستر الأهاويل مصونة**﴾ لعل المراد بالستر ستر العدم أو حجب الاصلاب والارحام، ونسبته إلى الاهاويل لما يلحق الاشياء في تلك الاحوال من موانع الوجود وعوايقه، ويحتمل أن يكون المراد أنها كانت مصونة من الاهاويل بستر العدم، إذ هي انما تلحقها بعد الوجود، وقيل: التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات.

﴿**بمآيل الامور**﴾ على صيغة الجمع، أي عواقبها، وفي بعض النسخ بصيغة المفرد.

﴿**ومعرفة بمواقع المقدور**﴾ أي لمعرفته تعالى بما يصلح وينبغي من ازمنة الامور الممكنة المقدورة وامكنتها، ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدر، بل هو أظهر.

﴿**اتمامًا لامره**﴾ أي للحكمة التي خلق الاشياء لاجلها، والاضافة في

مقادير حتمه من قبيل اضافة الموصوف إلى الصفة، أي مقاديره المحتومة.

وقولها ﴿**عكّفًا على نيرانها**﴾ تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها، يقال عكف على الشيء، كضرب ونصر، أي أقبل عليه مواظبًا، ولازمه فهو عاكف، ويجمع على عكف - بضم العين وفتح الكاف المشدد - كما هو الغالب في فاعل الصفة نحو شهد وغيّب، والنيران جمع نار، وهو قياس مطرد في جمع الاجوف نحو تيجان وجيران.

﴿**منكرة لله مع عرفانها**﴾ لكون معرفته تعالى فطرية، ولقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده سبحانه، والضمير في ظلمها راجع إلى الامم، والضميران التاليان له يمكن ارجاعهما اليها والى القلوب والابصار.

﴿**والظُلم**﴾ - بضم الظاء وفتح اللام - جمع ظلمة استعيرت هنا للجهالة.

﴿**والبهم**﴾ جمع بُهمة - بالضم - وهي مشكلات الامور، وجلوت الامر أوضحته و كشفته.

﴿**والغمم**﴾ جمع غمة، يقال أمر غمة، أي مبهم ملتبس، قال الله تعالى: ﴿**لكي لايكون أمركم عليكم غمة**﴾.

قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق، وتقول غممت الشيء إذا غطيته وسترته، والعماية الغواية واللجاج، ذكره الفيروزآبادي.

﴿**واختيارًا**﴾ أي من الله لما هو خير له، وباختيار منه صلى الله عليه وآله ورضًا، وكذا الايثار، والأول أظهر فيهما.

﴿**بمحمد صلّى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار**﴾ لعل الظرف متعلق

بالايثار بتضمين معنى الفتنة أو نحوها، وفي بعض النسخ محمد بدون الباء، فتكون الجملة استيناف فيه، أو مؤكدة للفقرة السابقة، أو حالية بتقدير الواو، وفي بعض كتب المناقب القديمة فمحمد وهو اظهر، وفي رواية كشف الغمة رغبة بمحمد صلى الله عليه وآله، عن تعب هذه الدار[1]، وفي رواية احمد بن أبي طاهر بأبي صلى الله عليه وآله عن هذه الدار[2]، وهو أظهر، ولعل المراد بالدار دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة، وعلى التقادير لا يخلو من تكلف.

﴿**نصب امره**﴾ قال الفيروزآبادي: النصب - بالفتح - العلم المنصوب ويحرك، وهذا نصب مبني بالضم والفتح، انتهى، أي نصبكم الله لاوامره ونواهيه وهو خبر الضمير.

﴿**وعباد الله**﴾ منصوب على النداء.

﴿**وبلغاؤه إلى الامم**﴾ أي تأدون الاحكام إلى سائر الناس، لانكم أدركتم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله[3].

﴿**زعمتم حق لكم**﴾ أي زعمتم ان ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم بالاستحقاق، ويمكن أن يقرأ على الماضي المجهول، وفي ايراد لفظ الزعم اشعار بانهم ليسوا متصفين بها حقيقة، وانما يدعون ذلك كذبًا، ويمكن أن يكون حق لكم جملة اخرى مستأنفة، أي زعمتم أنكم كذلك،

١- كشف الغمة ٢/١١٠.

٢- بلاغات النساء/١٥

١- البحار ٢٩/٢٥٦ وما بعدها.

وكان يحق لكم وينبغي أن تكونوا كذلك ولكن قصرتم، وفي بعض النسخ وزعمتم حق له فيكم وعهد، وفي كتاب المناقب القديم زعمتم أن لا حق لي فيكم عهدًا قدمه اليكم[1]، فيكون عهدًا منصوب باذكروا ونحوه.

وفي الكشف إلى الامم حولكم الله فيكم عهد، قولها عليها السلام: لله فيكم عهد[2]، العهد الوصية.

﴿**وبقية**﴾ الرجل ما يخلفه في أهله، والمراد بهما القرآن، وبالأول ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني القرآن، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر وبقية استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله، فالمراد بالبقية أهل البيت عليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم به فيهم، والبصاير جمع بصيرة، وهي الحجة، والمراد بانكشاف السرائر وضوحها عند حملة القرآن وأهله[3].

﴿**مغتبط به اشياعه**﴾ الغبطة أن يتمنى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول غبطته فاغتبط، والباء للسببية، أي اشياعه مغبوطون بسبب اتباعه وتلك الفقرة غير موجودة في ساير الروايات.

﴿**مود إلى النجاة اسماعه**﴾ على بناء الافعال، اي تلاوته، وفي بعض نسخ الاحتجاج وساير الروايات استماعه[4]، والمراد بالعزايم الفرايض، وبالفضايل السنن، وبالرخص المباحات، بل ما يشمل المكروهات، وبالشرايع ما سوى

١- البحار ٢٥٧/٢٩ عن المناقب.

٢- كشف الغمة ١١٠/٢.

٣- البحار ٢٥٧/٢٩ وما بعدها.

٤- الاحتجاج ١٣٤/١.

ذلك من الأحكام كالحدود والديات أو الأعم، وأما الحجج والبينات والبراهين، فالظاهر ان بعضها مؤيدة لبعض، ويمكن تخصيص كل منها ببعض ما يتعلق باصول الدين لبعض المناسبات.

وفي رواية ابن طاهر وبيناته الجالية وجمله الكافية[1]، فالمراد بالبينات المحكمات، وبالجمل المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهم نقص فيها لاجمالها، فانها كافية فيما اريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها، فانهم المفسرون لغيرهم، ويحتمل أن يكون المراد بالجمل العمومات التي يستنبط منها الأحكام الكثيرة.

﴿**تزكية للنفس**﴾ أي من دنس الذنوب أو من رذيلة البخل، اشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2].

﴿**ونماء في الرزق**﴾إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[3] على بعض التفاسير.

﴿**تثبيتًا للاخلاص**﴾ أي لتشييد الاخلاص وابقائه، أو لاثباته وبيانه، ويؤيد الاخيران في بعض الروايات تبيينًا، وتخصيص الصوم بذلك لكونه أمرًا عدميًا لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من الريا، واقرب إلى الاخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور الصوم لي وأنا أجزي به، وقد شرحناه في

١- بلاغات النساء/١٦.

٢- التوبة/١٠٣؛ البحار ٢٥٨/٢٩ وما بعدها.

٣- الروم/٣٩.

حواشي الكافي، وسيأتي في كتاب الصوم ان شاء الله تعالى.

﴿**تشييدًا للدين**﴾ انما خص التشييد به لظهوره ووضوحه، وتحمل المشاق فيه، وبذل النفس، والمال له، فالاتيان به أدل دليل على ثبوت الدين أو يوجب استقرار الدين في النفس لتلك العلل وغيرها مما لا نعرفه، ويحتمل أن يكون اشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من علة الحج التشرف بخدمة الامام، وعرض النصرة عليه، وتعلم شرايع الدين منه، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلف، وفي العلل ورواية ابن أبي طاهر تسلية للدين[1]، فلعل المعنى تسلية للنفس بتحمل المشاق، وبذل الاموال بسبب التعبد بالدين، أو المراد بالتسلية الكشف والايضاح، فانها كشف الهمّ، والمراد بالدين أهل الدين، واسند اليه مجازًا، والظاهر انه تصحيف تسنية، وكذا في الكشف وبعض نسخ العلل[2]، أي يصير سببًا لرفعة الدين وعلوه.

﴿**والتنسيق**﴾ التنظيم، وفي العلل مسكًا للقلوب[3]، أي ما يمسكها، وفي القاموس المسكة -بالضم- ما يتمسك به، وما يمسك الابدان من الغذاء والشراب، والجمع كصرد، المسك -محركة- الموضع يمسك الماء.

وفي رواية ابن أبي طاهر والكشف تنسكًا للقلوب[4]، أي عبادة لها، لان العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح.

١- بلاغات النساء/١٦.

٢- العلل ٢٤٨/١، كشف الغمة ١١٠/٢.

٣- العلل ٢٤٨/١، وفيه تسكينًا للقلوب.

٤- بلاغات النساء/١٦، البحار ٢٦٠/٢٩ وما بعدها، كشف الغمة ١١٠/٢.

﴿**والصبر معونة على استيجاب الاجر**﴾ اذ به يتم فعل الطاعات، وترك السيئات.

﴿**وقاية من السخط**﴾ أي سخطها أو سخط الله تعالى، والاول أظهر.

﴿**منماة للعدد**﴾ المنماة اسم مكان أو مصدر ميمي، أي يصير سببًا لكثرة عدد الأولاد والعشاير، كما ان قطعها تذر الديار بلاقع من أهلها.

﴿**تغييرًا للبخس**﴾ وفي ساير الروايات للبخسة، أي لئلا ينقص مال من ينقص المكيال والميزان، إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلا ينقصوا أموال الناس، فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه.

﴿**من الرجس**﴾ أي النجس أو ما يجب التنزه عنه عقلاً، والأول أوضح في التعليل، فيمكن الاستدلال به على نجاستها.

﴿**حجابًا عن اللعنة**﴾ أي لعنة الله أو لعنة المقذوف والقاذف، فيرجع إلى الوجه الأخير في السابقة، والأول اظهر اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لعنوا في الدنيا والآخرة**﴾.

﴿**وايجابًا للعفة**﴾ عن التصرف في أموال الناس مطلقًا أو يرجع إلى ما مر، وكذا الفقرة التالية، وفي الكشف بعد قوله للعفة والتنزه عن اموال الايتام والاستيثار بفيئهم اجارة من الظلم، والعدل في الأحكام ايناسًا للرعية، والتبري من الشرك اخلاصًا للربوبية[1].

﴿**عودًا أو بدءًا**﴾ أي أولاً وآخرًا، وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره أقول

١- كشف الغمة ٢/١١٠.

عودًا على بدأ، والمعنى واحد.

﴿والشطط﴾ - بالتحريك - البعد عن الحق، ومجاوزة الحد في كل شيء، وفي الكشف ما أقول ذلك سرفًا ولا شططًا[1].

﴿من أنفسكم﴾ أي لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، بل عن نكاح طيب كما روي عن الصادق عليه السلام، وقيل: أي من جنسكم من البشر، ثم من العرب، ثم من بني اسماعيل.

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي شديد شاق عليه عنتكم، وما يلحقكم من الضرر بترك الايمان أو مطلقًا[2].

﴿حريص عليكم﴾ أي على ايمانكم، وصلاح شأنكم.

﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ أي رحيم بالمؤمنين منكم ومن غيركم، والرأفة شدة الرحمة، والتقديم لرعاية الفواصل، وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين، وقيل: رؤوف بأقربائه، رحيم بأوليائه، وقيل: رؤوف بمن رآه، رحيم بمن لم يره، فالتقديم للاهتمام بالمتعلق.

﴿فان تعزوه﴾ يقال عزوته إلى أبيه، أي نسبته اليه، أي ان ذكرتم نسبه وعرفتموه.

﴿تجدوه أبي وأخا ابن عمي﴾ فالأخوّة ذكرت استطرادًا، ويمكن أن يكون الانتساب أعم من النسب، ومما طرأ أخيرًا، ويمكن أن يقرأ واخا بصيغة

١- كشف الغمة ١١٠/٢.

٢- البحار ٢٦١/٢٩ وما بعدها.

الماضي، وفي بعض الروايات فانّ تعزروه وتوقروه.

﴿**صادعًا بالنذارة**﴾ الصدع الاظهار، يقال صدعت الشيء، أي أظهرته، وصدعت بالحق اذا تكلم به جهارًا، قال الله تعالى: ﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾، والنذارة - بالكسر - الانذار، وهو الاعلام على وجه التخويف، والمدرجة المذهب والمسلك، وفي الكشف ناكبًا عن سنن مدرجة المشركين[1]، وفي رواية ابن أبي طاهر مائلاً على مدرجة المشركين[2]، أي قائمًا للرد عليهم، وهو تصحيف.

﴿**ضاربًا بثبجهم آخذًا باكظامهم**﴾ الثبج - بالتحريك - وسط الشيء ومعظمه، والكظم - بالتحريك - مخرج النفس من الحلق، أي كان صلى الله عليه وآله لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم، ولا يداريهم في الدعوة داعيًا إلى سبيل ربه كما أمره سبحانه بقوله ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[3]، وقيل: المراد بالحكمة البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة، وهي للعوام، وبالمجادلة بالتي هي أحسن الزام المعاندين والجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأما المغالطات والشعريات فلايناسب درجة أصحاب النبوات.

﴿**يكسر الاصنام وينكث الهام**﴾ النكث القاء الرجل على رأسه، يقال طعنه فنكثه، والهام جمع الهام بالتخفيف فيهما، وهي الرأس، والمراد قتل رؤساء

١- كشف الغمة ١١١/٢.

٢- بلاغات النساء/١٣، البحار ٢٦٢/٢٩ وما بعدها.

٣- النحل/١٢٥.

المشركين، وقمعهم واذلالهم أو المشركين مطلقًا، وقيل: أريد به القاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بعده، لاسيما بالنظر إلى ما بعده، وفي بعض النسخ ينكس الهام، وفي الكشف وغيره يجذ الاصنام من قولهم جذذت،[1] أي كسرته، ومنه قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾[2].

﴿**حتى تعرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه**﴾ والواو مكان حتى في رواية ابن أبي طاهر أظهر[3]، وتعرى الليل أي انشق حتى ظهر ضوء الصبح، واسفر الحق، أي كشف الغطاء عن محضه وخالصه، ويقال: اسفر الصبح، أي اضاء.

﴿**ونطق زعيم القوم**﴾ سيدهم والمتكلم عنهم، والرغيم أيضًا الكفيل، والاضافة لامية، ويحتمل البيانية.

﴿**وخرست شقاشق الشياطين**﴾ خرس - بكسر الراء -، والشقاشق جمع شقشقة - بالكسر - وهي شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فانما يشبه بالفحل، واسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي.

﴿**وطاح وشيظ النفاق**﴾ ويقال طاح فلان يطوح، اذا هلك أو اشرف على الهلاك، وتاه في الأرض وسقط، والوشيظ - بالمعجمتين - الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم اياكم والوشايظ، وقال الجوهري: الوشيظ لفيف من الناس

١- كشف الغمة ١١١/٢.

٢- الأنبياء/٥٨؛ البحار ٢٦٣/٢٩ وما بعدها.

٣- بلاغات النساء/١٣.

ليس أصلهم واحد وبنو فلان وشيظة في قومهم، أي هم حشو فيهم، والوسيط - بالمهملتين - اشرف القوم وارفعهم محلاً[1]، وكذا في بعض النسخ، وهو أيضًا مناسب[2].

﴿**وفهتم بكلمة الاخلاص في نفر من البيض الخماص**﴾ يقال: فاه فلان الكلام كقال، أي لفظ به كتفوه، وكلمة الاخلاص كلمة التوحيد، وفيه تعريض بأنه لم يكن ايمانهم عن قلوبهم، والبيض جمع أبيض، وهو من الناس خلاف الاسود، والخماص - بالكسر - جمع خميص، والخماصة تطلق على رقة البطن خلصة وعلى خلوه من الطعام، يقال فلان خميص البطن من أموال الناس، أي عفيف عنها، وفي الحديث كالطير تغدو خماصًا، وتروح بطانًا، والمراد بالبيض الخماص إما أهل البيت عليهم السلام ويؤيد ما في كشف الغمة في نفر من البيض الخماص الذين اذهب الله عنهم الرجس وتطهّرهم تطهيرًا[3]، ووصفهم بالبيض الخماص لبياض وجوههم أو هو من قبيل وصف الرجل بالاعز، وبالاخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل أو لعفتهم على أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان الفارسي (رضي الله عنه) وغيره، ولا يقال لأهل الفارس بيض لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم، أو الغالب في أموالهم الفضة كما يقال لأهل الشام حمر

١- الصحاح ١١٨١/٣ (وشظ).

٢- البحار ٢٦٤/٢٩ وما بعدها.

٣- كشف الغمة ١١١/٢.

لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أحوالهم، والأول أظهر، ويمكن اعتبار نوع تخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الايمان، وبالبيض الخماص لكل منهم.

﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار**﴾ شفا كل شيء طرفه وشفيره، أي كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم.

﴿**مذقة الشارب ونهزة الطامع**﴾ مذقة الشارب شربته، والنهزة - بالضم - العرض، أي محل نهزته، أي كنتم اذلاء قليلين يتخطفكم الناس بسهولة.

وكذا قولها عليها السلام ﴿**وقبسة العجلان وموطيء الاقدام**﴾ القبسة - بالضم - شعلة من نار يقتبس من معظمها، والاضافة إلى العجلان لبيان العلة والحقارة، ووطي الأقدام مثل مشهور في المغلوبية والمذلة[1].

﴿**تشربون الطرق وتقتاتون الورق**﴾ الطرق - بالفتح - ماء السماء التي تبول فيه الابل وتبعر، والورق - بالتحرك - ورق الشجر، في بعض النسخ وتقتاتون القد، وهو - بكسر القاف وتشديد الدال - سيرًا يقد من جلد غير مدبوغ، والمقصود وصفهم بخباثة المشرب، وجشونة المأكل لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم، ولفقرهم وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الاعادي.

﴿**اذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم**﴾ الخاسيء المبعد المطرود، والتخطف استلاب الشيء وأخذه بسرعة، واقتبس من قوله تعالى

١- البحار ٢٦٥/٢٩ وما بعدها، كشف الغمة ١١١/٢.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام ان الخطاب في تلك الآية لقريش خاصة، والمراد بالناس سائر العرب أو الأعم.

﴿**واللتيا**﴾ - بفتح اللام وتشديد الباء - تصغير التي، وجوّز بعضهم فيه ضم اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة.

﴿**وبعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة اهل الكتاب**﴾ يقال مني بكذا على صيغة المجهول، أي ابتلى، وبُهم الرجال كصرد، الشجعان منهم، لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أن يؤتون، وذوبان العرب لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم، ولا اعتماد عليهم، والمردة العتاة المتكبرون الآ المجاوزون للحد[2].

﴿**أو نجم قرن الشيطان و فغرت فاغرة من المشركين قذف اخاه في لهواتها**﴾ نجم الشيء كنصر، نجومًا، ظهر وطلع، والمراد بالقرن القوة، وفسر قرن الشيطان بامته ومتابعيه، وفغر فاه، أي فتحه، فغر فوه، أي انفتح، يتعدى ولا يتعدى، والفاغرة من المشركين الطايفة الغاويه منهم، تشبيهًا بالحية أو السبع، ويمكن تقدير الموصوف مذكرًا على ان يكون التاء للمبالغة، والقذف الرمي، ويستعمل في الحجارة كما ان الخذف يستعمل في العصا، يقال هم بين خاذف

١- الأنفال/٢٦.

٢- البحار ٢٦٦/٢٩ وما بعدها.

وقاذف، واللهوات - بالتحريك- جمع لهى، وهي اللحمة في أقصى سقف الفم، وفي بعض الروايات في مهواتها بالميم، وهي بالتسكين الحفرة ومابين الجبلين ونحو ذلك، وعلى حال المراد أنه ﷺ كلما أراد طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة، بعث عليًا عليه السلام لدفعها، وعرّضه للمهالك.

وفي رواية الكشف وابن أبي طاهر، كلما حشوا نارًا للحرب، ونجم قرن للضلال[1]، وقال الجوهري: حشت النار أوقدتها[2].

﴿**فلا ينكفيء حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه**﴾ انكفاء - بالهمزة- أي رجع، من قولهم كفأت القوم كفاء، إذا أرادوا وجهًا فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفوا أي رجعوا، والصماخ - بالكسر- ثقب الاذن، والاذن نفسها وبالسين كما في بعض الروايات لغة فيه، والاخمص ما لا يصيب الارض من باطن القدم عند المشي، ووطي الصماخ بالاخمص عبارة عن القهر والغلبة عن ابلغ وجه، وكذا اخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شايعة.

﴿**مكدودًا في ذات الله**﴾ المكدود من بلغه التعب والاذى، وذات الله امره ودينه، وكلما يتعلق به سبحانه، وفي الكشف مكدودًا دؤبًا في ذات الله[3].

﴿**سيد أولياء الله**﴾ بالجر صفة رسول الله، أو بالنصب عطفًا على الاحوال السابقة، ويؤيد الاخير ما في رواية ابن أبي طاهر سيدًا في أولياء الله[4]، والتشمير

١- كشف الغمة ١١١/٢، بلاغات النساء/١٣.

٢- البحار ٢٦٨/٢٩ وما بعدها.

٣- كشف الغمة ١١١/٢.

٤- بلاغات النساء/١٣.

في الامر الجد والاهتمام فيه، والكدح العمل والسعي، قال الجوهري: الدعة الخفض تقول منه ودع الرجل، فهو وديع أي ساكن،[1] ووادع أيضًا يقال نال فلان المكارم وادعي من غير كلفة، وقال الفكاهة - بالضم- المزاح، و- بالفتح- مصدر فكه الرجل إذا كان طيب النفس مزاحًا، والفكه أيضًا الاشر والبطر، وقرأ ﴿**ونعمة كانوا فيها فكهين**﴾[2] أي اشرين فاكهين، أي ناعمين، والمفاكهة الممازحة.

وفي رواية ابن أبي طاهر وأنتم في بلهنة وادعون آمنون[3].

قال الجوهري: هو في بلهنة من العيش أي سعه ورفاهية، وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره، وانما صارت ياء لكسرة ما قبلها، وفي الكشف وانتم رفهين فهي مثلها لفظًا ومعنى[4].

﴿**تتربصون بنا الدوائر**﴾ والدوائر صرف الزمان، وحوادث الايام، والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحول النعمة إلى الشدة، أي كنتم تنظرون نزول البلايا علينا، وزوال النعمة والغلبة عنا.

﴿**تتوكفون الاخبار**﴾ التوكف التوقع، والمراد أخبار المصائب والفتن، وفي بعض النسخ تتواكفون الأخبار، يقال: واكفه في الحرب أي واجهه.

﴿**وتنكصون عند النزال**﴾ النكوص الاحجام والرجوع عن الشيء، والنزال

١-الصحاح ١٢٩٥/٣ (ودع).

٢- الدخان/٢٧.

٣- بلاغات النساء/١٣.

٤ - كشف الغمة ١١١/٢، وفيه: وانتم في رفهينة.

- بالكسر - ان ينزل القرنان عن ابلهما أو خيلهما فيتضاربان، والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط[1].

﴿**ظهر فيكم حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الاقلين وهدر فنيق المبطلين**﴾ الحسيكة النفاق، وقال الجوهري: الحسك حسك السعدان الواحدة حسكة، وقولهم في صدره عليّ حسيكة، وحساكة، أي ضغن وعداوة[2]، وفي بعض الروايات حسكة النفاق فهو على الاستعارة، وسمل الثوب كنصر، صار خلقًا، والجلباب - بالكسر - الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو ازار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها، والكظوم السكوت، ونبغ الشيء، كمنع ونصر، أي ظهر، ونبغ الرجل اذا لم يكن [قد قال] الشعر ثم قال واجاد، والخامل من خفي ذكره وصوته، وكان ساقطًا لا نباهة له، والمراد بالاقلين الاذلون، وفي بعض الروايات الأولين، وفي الكشف فنطق كاظم ونبغ خامل وهدر فتيق الكفر يخطر في عرصاتكم[3]، والهدر ترديد البعير صوته في حنجرته، والفتيق الفحل المكرم من الابل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله.

﴿**فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم فالفاكم لدعوته مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين**﴾ يقال: خطر البعير بذنبه يخطر - بالكسر - خطرًا أو خطرانًا، اذا رفعه مرة بعد مرة، وضرب به فخذيه، ومنه قول الحجاج

---

١ - البحار ٢٧٠/٢٩ وما بعدها.

٢ - الصحاح ١٥٧٩/٤ (حسك).

٣- كشف الغمة ١١١/٢، وفيه: وهدر فينق.

لما نصب المنجنيق على الكعبة خطارة كالجمل العتيق، شبه رميها بخطران العتيق، ومغرز الرأس - بالكسر- ما يخفى فيه، وقيل: لعل في الكلام تشبيهًا للشيطان بالقنفذ، فانه انما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فانه يمد عنقه اليه، والهتاف الصياح، والفاكم أي وجدكم، والغرة - بالكسر- الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان، وملاحظة الشيء مراعاته، واصله من اللحظ، وهو النظر بمؤخر العين، وهو انما يكون عند تعلق القلب بشيء، أي وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله، ويحتمل أن يكون للعزة بتقديم المهملة على المعجمة، وفي الكشف وللغرة ملاحظين، أي وجدكم طالبين للغرة[1].

﴿**ثم استنهضكم فوجدكم خفافًا واحمشكم فوجدكم غضابًا فوسمتم غير ابلكم واوردتم غير شربكم**﴾ النهوض القيام، واستنهضه لامره، أي امره بالقيام اليه، فوجدكم خفافًا أي مسرعين اليه، واحمشت الرجل اغضبته، واخمشت النار الهبتها، أي حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه أو من عند أنفسكم.

وفي المناقب القديم عطافًا - بالعين المهملة والفاء- من العطف بمعنى الميل والشفقة، ولعله اظهر لفظًا ومعنى، والوسم اثر الكي، يقال: وسمته كوعدته وسمًا، والورود حضور الماء للشرب، والايراد الاحضار، والشرب

1- كشف الغمة ١١١/٢، وفيه: وللغرة فيه ملاحظين، البحار ٢٧١/٢٩ وما بعدها.

- بالكسر - الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والامامة، وميراث النبوة، وفي الكشف وأوردتموها شربًا ليس لكم[1].

﴿هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر﴾

الكلم الجرح، والرحب - بالضم - السعة، والجرح - بالضم - الاسم، - وبالفتح - المصدر، ولما يندمل أي لم يصلح بعد، وقبرته دفنته.

﴿ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ ابتدارًا مفعول له للافعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل، وفي بعض الروايات بدارًا زعمتم خوف الفتنة أي ادعيتم، فاظهرتم للناس كذبًا وخديعة انا انما اجتمعنا في السقيفة دفعًا للفتنة مع ان الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة، والتفات في سقطوا لموافقة الآية الكريمة[2].

﴿فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم﴾

هيهات للتبعيد، وفيه معنى التعجب، كما صرح به الشيخ الرضي، وكذلك كيف وأنى يستعملان في التعجب، وافكه كضربه، صرفه عن الشيء وقلبه، أي إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم، والحال ان كتاب الله بينكم، وفلان بين اظهر قوم وبين ظهرانيهم، أي مقيم بينهم محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم، والزاهر المتلالي المشرق، وفي الكشف بين أظهركم قائمة فرائضه واضحة دلائله، نيرة شرائعه، وزواجره واضحة، وأوامره لايحه، أرغبة عنه تريدون أم

١- كشف الغمة ١١٢/٢.

٢- البحار ٢٧٣/٢٩ وما بعدها.

بغيره تحكمون، بئس للظالمين بدلاً، أي من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل[1].

﴿ثم لم تلبثوا إلاّ ريث ان تسكن نفرتها ويسلس قيادها ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهاتف الشيطان الغوي واطفاء نور الدين الجلي واهماد سنن النبي الصفي﴾ ريث - بالفتح - بمعنى قدر، وهي كلمة يستعملها اهل الحجاز كثيرًا، وقد تستعمل مع ما يقال لم يلبثوا إلاّ ريثما فعل كذا، وفي الكشف هكذا: ثم لم تبرحوا ريثما، وقال بعضهم: هذا ولم تريثوا اختها إلاّ ريث[2]، وفي رواية ابن أبي طاهر ثم لم يريثوا اختها، وعلى التقديرين ضمير المؤنث راجع إلى فتنة وفاة الرسول ﷺ، وحت الورق من الغصن نثرها، أي لم تصبروا إلى ذهاب اثر تلك المصيبة، ونفرة الدابة ذهابها وعدم انقيادها، والسلس - بكسر اللام- السهل اللين المنقاد، ذكره الفيروزآبادي، وفي مصباح اللغة سلسل سلسًا، من باب تعب، سهل ولان، والقياد - بالكسر- مايقاد به الدابة من حبل وغيره، وفي الصحاح ورى الزند وريًا اذا خرجت ناره[3]، وفيه لغة اخرى، ورى الزند يري - بالكسر فيهما- واوريته انا، وكذلك وريته تورية، وفلان يستوري زناد الضلالة، ووقده النار - بالفتح- وقودها، والجمرة المتوقدة من الحطب، فاذا برد فهو فحم، والجمر بدون التاء جميعها، والهتاف - بالكسر- الصياح، وهتف به، أي دعاه، واهماد النار اطفاءها بالكلية،

١- كشف الغمة ١١٢/٢.

٢- كشف الغمة ١١٢/٢.

٣- الصحاح ٢٥٢٢/٦ (ورى)، البحار ٢٧٦/٢٩ وما بعدها.

والحاصل انكم انما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم، ثم شرعتم في تهييج الشرور والفتن، واتباع الشيطان، وابداع البدع، وتغيير السنن.

﴿تسرون حسوًا في ارتغاء وتمشون لاهله وولده في الخمر والضراء و نصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشا﴾ الاسرار ضدّ الاعلان، والحسو - بفتح الحاء وسكون السين المهملتين- شرب المرق وغيره شيئًا بعد شيء، والارتغاء شرب الرغوة، وهو زبد اللبن، قال الجوهري: الرغوة - مثلثة- زبد اللبن، وارتغيت شربت الرغوة، وفي المثل تسر حسوًا في ارتغاء يضرب لمن يظهر أمرًا ويريد غيره[1].

قال الشعبي لمن سأله عن رجل قبّل أم امرأته، قال: تسر حسوًا في ارتغاء، وقد حرمت عليه امرأته.

وقال الميداني: قال ابو زيد والاصمعي اصله الرّجل يؤتى باللبن، فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولايريد غيرها فيشربها، وهو في ذلك ينال من اللبن، يضرب لمن يريد انه يعينك، وانما يجر النفع إلى نفسه، والخَمَرَ - بالتحريك- ما واراك من شجرة وغيره، يقال: توارى الصيد عني في خمر الوادي، ومنه قوله: دخل فلان في خمار الناس - بالضم- أي مايواريه ويستره منه، والضراء - بالضاد المفتوحة والراء المخففة- الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يذب له الضراء ويمشي له الخمر.

وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض، والحز -

---

١- الصحاح ٦/٢٣٦٠ (رغا).

بفتح الحاء المهملة- القطع أو قطع الشيء من غير ابانة، والمدى - بالضم- جمع مدية، وهي السكين والشفرة، والوخز الطعن بالرمح ونحوه لايكون نافذًا، يقال وخزه بالخنجر، وفي رواية ابن أبي طاهر ويهًا معشر المهاجرة ابتز ارث أبيه، قال الجوهري اذا اغريته بالشيء قلت: ويهًا يا فلان، وهو تحريض، انتهى[1].

ولعل الانسب هنا التعجب، والهاء في أبيه في الموضعين وارثيه -بكسر الهمزة- بمعنى الميراث للسكت، كما في سورة الحاقة كتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيه، تثبت في الوقف، وتسقط في الوصل وقر باثباتها في الوصل أيضًا، وفي الكشف ثم انتم تزعمون ان لا ارث اليه، فهو أيضًا كذلك.

﴿**كالشمس الضاحية**﴾ أي الظاهرة البينة، قال: فعلت ذلك الامر ضاحية، أي علانية.

﴿**شيئًا فريًا**﴾ أي امرًا عظيمًا بديعًا، وقيل: أي امرًا منكرًا قبيحًا، وهو مأخوذ من الافتراء معنى، الكذب.

واعلم أنه قد وردت الروايات المتظافرة كما ستعرف في أنها عليها السلام ادعت انه فدكًا كانت لها نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلعل عدم تعرضها (صلوات الله عليها) في هذه الخطبة لهذه الدعوى ليأسها عن قبولهم اياها، إذا كانت الخطبة بعدما رد أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقه فتمسكت بحديث الميراث لكونه من ضروريات الدين.

١- البحار ٢٧٨/٢٩ وما بعدها.

﴿وزعمتم ان لاحظوة لي﴾ الحظوة - بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة - المكانة والمنزلة، ويقال: حظيت المرأة عند زوجها، اذا دنت من قلبه، وفي الكشف فزعمتم ان لاخط لي ولا ارث لي من أبيه، الحكم الله أو بآية اخرج أبي منها ام يقولون اهل ملتين لا يتوارثان، أم اتنتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي أفحكم الجاهلية، الآية، ايهًا معاشر المسلمة أبتز ارثيه، الله أن ترث أباك ولا أرث أبيه، لقد جئتم شيئًا فريًا[1].

﴿**فدونكها مخطومة مرحولة**﴾ الضمير راجع إلى فدك المدلول عليه بالمقام، والامر باخذها للتهديد، والخطام - بالكسر - كل مايوضع في أنف البعير ليقاد به، والرحل - بالفتح - للناقة كالسرج للفرس، ورحل البعير كمنع، شد على ظهره المرحل، شبهتها عليها السلام في كونها مسلمة لا يعارضه في أخذها احد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب.

﴿**والزعيم محمد**﴾ في بعض الروايات والغريم، أي طالب الحق.

﴿**وعند الساعة ما تخسرون**﴾ كلمة ما مصدريه، أي في القيامة يظهر خسرانكم.

﴿**ولكل نبأ مستقر**﴾ أي لكل خبر، يريد نبأ العذاب أو الايعاد به وقت استقرار الوقوع، وسوف تعلمون عند وقوعه.

﴿**من يأتيه عذاب يخزيه**﴾ الاقتباس من موضعين أحدهما سورة الانعام، والآخر في سورة هود في قصة نوح عليه السلام حيث قال ﴿**ان تسخروا منا فانا نسخر**

١- البحار ٢٨٠/٢٩ وما بعدها.

منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم)، فالعذاب الذي يخزيهم الغرق، والعذاب المقيم عذاب النار.

﴿**ثم رمت بطرفها**﴾ الطرف - بالفتح- مصدر، طرفت عين فلان اذا نظرت، وهو ان ينظر ثم يغمض، والطرف أيضًا العين، والمعشر الجماعة، والفتية - بالكسر- جمع فتى، وهو الشاب، والكريم السخي، وفي المناقب يا معشر البقية واعضاد الملة، وحصنة الاسلام، وفي الكشف يا معشر البقية، ويا عماد الملة، وحصنة الاسلام[1]، والاعضاد جمع عضد - بالفتح- الاعوان، يقال عضدته كنصرته لفظًا ومعنى.

﴿**ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي**﴾ قال الجوهري: ليس في فلان غميزة أي مطعن[2]، ونحوه ذكر الفيروزآبادي، وهو لا يناسب المقام إلاّ بتكلف، وقال الجوهري: رجل غمز، أي ضعيف[3]، وقال الخليل في كتاب العين: الغميزة - بالغين المعجمة والزاي- ضعفة في العمل، وجهلة في العقل، ويقال: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله، أي علمت أنه احمق[4]، وهذا المعنى النسب، وفي الكشف ما هذه الفترة - بالفاء المفتوحة وسكون التاء- وهو السكون[5]، وهو أيضًا مناسب، وفي رواية ابن أبي طاهر - بالراء المهملة- ولعله

١- كشف الغمة ١١٣/٢.

٢- الصحاح ٨٨٩/٣ (غمز).

٣- الصحاح ٨٨٩/٣

٤- كتاب العين ٣٨٤/٤.

٥- كشف الغمة ١١٣/٢.

من قولهم غمز على أخيه، أي حقد وضغن، أو من قولهم غمر عليه، أي اغمي عليه، أو من الغمز بمعنى الستر، ولعله كان - بالضاد المعجمة - فصحف، فان استعمال اغماض العين في مثل هذا المقام شايع، والسنة - بالكسر - مصدر وسن يوسن، كعلم يعلم، وسنًا وسنة، والسنة أول النوم أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو، والظلامة - بالضم - كالمظلمة - بالكسر - ما أخذه الظالم منك فتطلبه عنده، والغرض تهييج الانصار لنصرتها أو توبيخهم على عدمها، وفي الكشف بعد ذلك، اما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ان يحفظ [1].

﴿**سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا اهالة**﴾ سرعان - مثلثة السين -، وعجلان - بفتح العين - كلاهما من اسماء الافعال، بمعنى سرع وعجل، وفيها معنى التعجب، أي ما اسرع واعجل، وفي رواية ابن أبي طاهر سرعان ما أجذبتم فاكديتم [2]، يقال أجدب القوم أي اصابهم الجذب، واكدى الرجل اذا قل خيره، والاهالة - بكسر الهمزة - الودك، وهو دسم اللحم، وغرضها ﴿صلوات الله عليها﴾ التعجب من تعجيل الانصار ومبادرتهم إلى احداث البدع، وترك السنن والاحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيد الانام مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها، واخذ حقها ممن ظلمها، ولا يبعد أن يكون المثل اخبارًا مجملاً بما يترتب على هذة البدعة من المفاسد

١- كشف الغمة ١١٣/٢.

٢- بلاغات النساء/١٧.

الدينية، وذهاب الآثار النبوية[1].

﴿فخطب جليل استوسع وهيه واستنهز فتقه وانفتق رتقه واظلمت الارض لغيبته وكسفت النجوم لمصيبته﴾ الخطب - بالفتح- الشأن والامر عظم أو صغر، والوهي كالرمي الشق والخرق، يقال وهى الثوب اذا بلى وانخرق، واستوسع واستنهز استفعل من الهنز - بالتحريك- بمعنى السعة أو اتسع، والفتق الشق، والرتق ضده، وانفتق أي انشق، والضمائر المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب بخلاف المجرور من بعدها، فانهما راجعان إلى النبي ﷺ، وكسف النجوم ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعديًا ولازمًا، والفعل كضرب، وفي رواية ابن أبي طاهر مكان الفقرة الاخيرة واكتأبت خيرة الله لمصيبته[2]، والاكتئاب افتعال من الكآبة بمعنى الحزن، وفي الكشف واستنهز فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض واكتأبت بخيرة الله، إلى قولها واديلت الحرمة[3]، من الادالة بمعنى الغلبة.

﴿واكدت الآمال وخشعت الجبال واضيع الحريم واذيلت الحرمة عند مماته﴾ يقال: أكدى فلان، أي بخل أو قل خيره، وحريم الرجل ما يحميه ويقاتل عنه، والحرمة ما لا يحل انتهاكه، وفي بعض النسخ لرحمة مكان الحرمة[4].

١- البحار ٢٨٢/٢٩ وما بعدها.

٢- بلاغات النساء/١٧، وفيه: اكتأبت خيرة الله لمصيبته.

٣- كشف الغمة ١١٣/٢، وفيه: واستهتر فاتقه.

٤- البحار ٢٨٥/٢٩ وما بعدها.

﴿**وتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بايقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في افنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافًا وصراخًا وتلاوة والحانًا**﴾ النازلة الشديدة، والبايقة الداهية، وفناء الدار ككساء العرصة المتسعة امامها، والممسى والمصبح -بضم الميم فيهما- مصدران وموضعان من الاصباح والامساء، والهتاف -بالكسر- الصياح، والصراخ كغراب، الصوت أو الشديد، والتلاوة -بالكسر- القراءة، والالحان الافهام، يقال الحنه القول، أي افهمه اياه، ويحتمل أن يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب، قال الجوهري اللحن واحد الالحان واللحون، ومنه الحديث اقرأوا القرآن بلحون العرب، وقد لحن في قراءته اذا طرب فيها وغرد، وهو الحن الناس اذا كان احسنهم قراءة أو غناء انتهى[1].

ويمكن ان يقرأ على هذا بصيغة الجمع أيضًا، والاول أظهر، وفي الكشف فتلك نازلة اعلن بها كتاب الله في قبلتكم ممساكم ومصبحكم هتافًا هتافًا ولقبله ما حل بانبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم وما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين[2]، الحكم الفصل، هو المقطوع به الذي لا ريب فيه، ولا مرد له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحقّ والباطل، والحتم في الأصل إحكام الامر، والقضاء الحتم هو الذي لا

١- الصحاح ٢١٩٣/٦ (لحن).

٢- كشف الغمة ١١٣/٢.

يتطرق اليه التغيير، وخلت، أي مضت، والانقلاب على العقب الرجوع القهقرى، أريد به الارتداد بعد الايمان، والشاكرون المطيعون، او المعترفون بالنعم الحامدون عليها[1].

قال بعض الأماثل: واعلم ان الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبي ﷺ أما عدم تحتم العمل باوامره وحفظ حرمته في أهله لغيبته، فان العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغايب، وأنه اذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن اسماعهم، ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها ما اشارت اليه (صلوات الله عليها) من اعلان الله جل ثناؤه، واخباره بوقوع تلك الواقعة الهائلة قبل وقوعها، وإن الموت مما قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، تثبيتًا للامة على الايمان، وازالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم، ويمكن أن يكون معنى الكلام أتقولون مات محمد ﷺ وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عما نريد، ولا نخاف احدًا في ترك الانقياد للأوامر، وعدم الانزجار عن النواهي، ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله سبحانه افإن مات محمد أو قتل) الآية، لكن لا يكون حينئذ لحديث اعلان الله سبحانه واخباره بموت الرسول مدخل في الجواب الاّ بتكلف، ويحتمل أن يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبي ﷺ كما أفصح عنه عمر بن الخطاب، فبعد تحقق موته عرض لهم شك في الايمان، ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذ مدخلية حديث الاعلان ومابعده

١- البحار ٢٨٦/٢٩ وما بعدها.

في الجواب واضح، وعلى التقادير لا يكون قولها ﴿صلوات الله عليها﴾ فخطب جليل داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على الاستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولها فتلك والله النازلة الكبرى، ويحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم ان موته صلى الله عليه وآله الذي هو اعظم الدواهي قد وقع فلا يبالى بما وقع بعده من المحذورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والانتصاف ممن ظلمها، ولما تضمن مازعموه كون مماته صلى الله عليه وآله اعظم المصايب سلمت عليها السلام أولاً في مقام الجواب تلك المقدمة لكونها محض الحق، ثم نبّهت على خطأهم في أنها مستلزمة لقلة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصرة الحق، وعدم اتباع أوامره صلى الله عليه وآله بقولها أعلن بها كتاب الله إلى آخر الكلام، فيكون حاصل الجواب ان الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بانها سنة ماضية في السلف من أنبيائه، وحذركم الانقلاب على اعقابكم كيلا يكونوا تتركوا العمل بلوازم الايمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحق، وقمع الباطل، وفي تسليمها ما سلمته أولاً دلالة على ان كونها اعظم المصايب مما يؤيد وجوب نصرتي، فاني انا المصاب بها حقيقة، وان شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية أحق وأحرى، ويحتمل أن يكون قولها عليها السلام فخطب جليل من اجزاء الجواب، فيكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة أو المركب من بعضها مع بعض، وحاصل الجواب حينئذ أنه اذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى وقد كان الله عزّ وجلّ اخبركم بها، وامركم ان لا ترتدوا بعدها على

أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عني، والقيام بنصرتي، ولعل الانسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله بالواو دون الفاء[1]، ويحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على احد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضًا وللآخرين اخرى، ويكون كل مقدمة من مقدمات الجواب اشارة إلى دفع واحدة منها[2].

أقول: ويحتمل أن لا يكون هناك شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنه ليس لهم في ارتكاب تلك الأمور الشنيعة حجة ومتمسك الاّ أن يتمسك أحد بأمثال تلك الأمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شايع في الاحتجاج.

﴿ايهًا بني قبله ءأهظم تراث أبيه وأنتم بمرأى مني ومسمع مبتدأ ومجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة﴾ أيهًا - بفتح الهمزة والتنوين - بمعنى هيهات، وبنو قيلة الاوس والخزرج قبيلتا الانصار، وقيلة - بالفتح - اسم ام قديمة، وهي قيلة بنت كاهل، والهضم الكسر، يقال هضمت الشيء، أي كسرته، وهضمه حقه واهتضمه، اذا ظلمه وكسر عليه حقه، والتراث - بالضم - الميراث، واصل التاء فيه واو، وأنتم بمرأى مني ومسمع، أي بحيث أراكم واسمعكم[3].

١- بلاغات النساء/١٧.

٢- البحار ٢٨٧/٢٩ وما بعدها.

٣- البحار ٢٨٩/٢٩ وما بعدها.

وفي رواية ابن أبي طاهر منه، أي من الرسول صلى الله عليه وآله[1]، والمبتدأ في أكثر النسخ - بالباء الموحدة مهموزاً -، فلعل المعنى انكم في مكان يبتدأ منه الامور والأحكام، والاظهر أنه تصحيف، الندا - بالنون غير مهموز- بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون الجمع كالتفسير له، والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من اسباب القدرة على دفع الظلم، واللفظان غير موجودين في رواية ابن أبي طاهر، وتلبسكم على بناء المجرد، أي تغطيكم وتحيط بكم، والدعوة المرة من الدعاء، أي النداء كالخبرة بالضم - بالفتح- من الخبر - بالضم- بمعنى العلم أو الخبرة - بالكسر- بمعناه، والمراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميتها عليها السلام، والتعبير بالاحاطة والشمول للمبالغة أو للتصريح بان ذلك قد عمهم جميعًا، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الاكثر، وفي رواية ابن أبي طاهر الحيرة - بالحاء المهملة- ولعله تصحيف[2]، ولا يخفى توجيهه.

﴿وانتم موصوفون بالكفاح معروفون بالخير والصلاح والنجبة التي انتجبت والخيرة التي اختيرت﴾ الكفاح استقبال العدو في الحرب بلا فرس ولا جنة، ويقال: فلان يكافح الأمور، أي يباشرها بنفسه، والنجبة كهمزة، النجيب الكريم، وقيل: يحتمل أن يكون - بفتح الخاء المعجمة أو سكونها- بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الأثير أنها بالسكون تكون جمعًا، والخيرة

١- بلاغات النساء/١٧.

٢- بلاغات النساء/١٨.

كعينه، المفضل من القوم، المختار منهم[1].

﴿**قاتلتم العرب في المناقب لنا أهل البيت قاتلتم وناطحتم الامم وكافحتم البُهم فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون**﴾ ناطحتم الامم، أي حاربتم الخصوم ودافعتموهم بجد واهتمام، كما يدافع الكبش قرنه بقرنه، والبهم الشجعان كما مر، ومكافحتها التعرض لدفعها من غير توان وضعف، وقولها عليها السلام أو تبرحون معطوف على مدخول النفي، فالمنفي أحد الامرين، ولا ينتفي الاّ بانتفائهما معًا، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون، نأمركم فتأتمرون، أي كنا لم نزل آمرين، وكنتم مطيعين لنا في أوامرنا، وفي كشف الغمة، وتبرحون بالواو[2]، فالعطف على مدخول النفي أيضًا، ويرجع إلى ما مر، وعطفه على النفي اشعار بانه قد كان يقع منهم تراخ عن الاطاعة، كما في غزوة أُحد وغيرها، بخلاف أهل البيت عليهم السلام، اذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية بعيد عن المقام، والاظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأسًا لا نبرح نأمركم[3]، أي لم تزل عادتنا الأمر، وعادتكم الائتمار، وفي المناقب لا نبرح ولا تبرحون نأمركم، فيحتمل أن يكون أو في تلك النسخة أيضًا بمعنى الواو، أي لا نزال نأمركم، ولا تزالون تأتمرون، ولعل ما في المناقب اظهر النسخ واصوبها[4].

﴿**حتى اذا دارت بنا رحى الاسلام ودر حلب الايام وخضعت نعرة الشرك**

١- البحار ٢٩٠/٢٩ وما بعدها.

٢- كشف الغمة ١١٤/٢.

٣- بلاغات النساء/١٨.

٤- البحار ٢٩٢/٢٩.

وسكنت فورة الافك وخمدت نيران الكفر وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين﴾ دوران الرحى كناية عن انتظام امرها، والباء للسببية، ودر اللبن جريانه وكثرته، والحلب - بالفتح- استخراج ما في الضرع من اللبن، - وبالتحريك- اللبن المحلوب، والثاني أظهر، للزوم ارتكاب تجوز في الاسناد أو في المسند اليه على الأول، والنعرة - بالنون والعين والراء المهملتين- مثال همزة الخيشوم، والخيلاء والكبر أو - بفتح النون- من قولهم نعر العرق بالدم، أي فار، فيكون الخضوع بمعنى السكون أو - بالغين المعجمة- من نغرة القدر، أى فارت، وقال الجوهري نغر الرجل - بالكسر- أي اغتاظ.

قال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ، وقال ابن السكيت: يقال: ظل فلان يتنغر على فلان، أي يتدمر عليه، وفي أكثر النسخ - بالثاء المثلثة المضمومة والعين المعجمة- وهي ثغرة النحرين الترقوتين، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): أنا وضعت كلكل العرب، أي صدورهم، والافك - بالكسر- الكذب، وفورة الافك غليانه وهيجانه، وخمدت النار، أي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، ويقال: همدت - بالهاء- اذا طفى جمرها، وفيه اشعار بنفاق بعضهم، وبقاء مادة الكفر في قلوبهم[1].

وفي رواية ابن أبي طاهر وباخت نيران الحرب[2]، قال الجوهري: باخ الحر

١- البحار ٢٩٢/٢٩ وما بعدها.

٢- بلاغات النساء/١٨.

والنار والغضب والحمى، أي سكن وفتر[1]، وهدأت، أي سكنت، والهرج الفتنة والاختلاط، في الحديث الهرج القتل، واستوسق، أي اجتمع وانضم من الوسق - بالفتح- وهو ضم الشيء إلى الشيء، واتساق الشيء انتظامه، وفي الكشف فناويتم العرب وبادهتم الامور إلى قولها ﷺ: حتى دارت بكم رحى الاسلام وقد حلب البلاد وخبت نيران الحرب، يقال: بدهه بامر، أي استقبله به، وبادهه فاجأه.

﴿فأنى حرتم بعد البيان واسررتم بعد الاعلان ونكصتم بعد الاقدام واشركتم بعد الايمان﴾ كلمة أنى ظرف مكان بمعنى أين، وقد تكون بمعنى كيف، أي من أين حرتم، وما كان منشأه، وجرتم اما - بالجيم- من الجور، وهو الميل عن القصد، والعدول عن الطريق، أي لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم، أو - بالحاء المهملة المضمومة- من الحور بمعنى الرجوع أو النقصان، يقال: نعوذ بالله من الجور بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة، واما - بكسرها- من الحيرة والنكوص الرجوع إلى خلف[2].

﴿ألا تقاتلون قومًا نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ نكث العهد - بالفتح- نقضه، والأيمان جمع اليمين، وهو القسم، والمشهور بين المفسرين ان الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم وخرجوا مع الاحزاب، وهموا باخراج

١- الصحاح ٤١٩/١ (بوخ).

٢- البحار ٢٩٤/٢٩ وما بعدها.

الرسول من المدينة وبدأوا بنقض العهد والقتال، وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا ايمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعينوا عليهم أعدائهم، فعاونوا بني بكر على خزاعة، وقصدوا اخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، واتاهم ابليس بصورة شيخ نجدي إلى آخر ما مر من القصة، فهم بدأوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت أو يوم بدر أو نقض العهد، والمراد بالقوم الذين نكثوا ايمانهم في كلامها ﴿صلوات الله عليها﴾ اما الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للامامة ولحقها، الناكثين لما عهد اليهم الرسول صلى الله عليه وآله في وصيه وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت فيهم، والمراد بهم الغاصبون لحق أهل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم ايمانهم نقض ما عهدوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله حين بايعوه من الانقيا٠د له في أوامره، والانتهاء عند نواهيه، وان لا يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا ما امرهم به، والمراد بقصدهم اخراج الرسول صلى الله عليه وآله عزمهم على اخراج من هو كنفس الرسول، وقائم مقامه بامر الله وأمره عن مقام ٠الخلافة وعلى ابطال أوامره ووصاياه في أهل بيته، النازل منزلة اخراجه من مستقره، وحينئذ يكون من قبيل الاقتباس، وفي بعض الروايات لقوم نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم، فقوله لقوم متعلق بقوله اتخشونهم

﴿ألا قد أرى ان اخلدتم إلى الخفض وابعدتم من هو أحق بالبس٠ط والقبض وخلوتم بالدعة ونجوتم من الضيق بالسعه فمججتم ما وعيتم ودسعتم الذي

تسوعتم فان تكفروا انتم ومن في الأرض جميعًا فان الله لغني حميد﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم أو النظر بالعين، واخلد اليه ركن ومال، والخفض - بالفتح - سعة العيش، والمراد بمن هو احق بالبسط والقبض أمير المؤمنين عليه السلام، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾[1]، وخلوت بالشيء انفردت به واجتمعت به في خلوة، والدعة الراحة والسكون، ومج الشراب من فيه رمى به، وعيتم أي خفظتم، والدسع كالمنع الدفع، والقي، واخرج البعير حرته التي فيه، وساغ الشراب يسوغ سوغًا اذا سهل مدخله في الحلق، وتسوغه شربه بسهولة، وصيغة تكفروا في كلامها عليها السلام إما من الكفران وترك الشكر، كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد حيث قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[3]، ومن الكفر بالمعنى الاخص، والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس مع ان في الآية أيضًا يحتمل هذا المعنى، والمراد ان تكفروا أنتم ومن في الأرض من الثقلين، فلا يضر ذلك الاّ أنفسكم، فانه سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته، أو محمودة تحمده الملائكة، بل جميع الموجودات بلسان الحال، فضر الكفران عايد اليكم حيث حرمتم من فضله تعالى، وفريد انعامه

١- الفرقان/١٥.

٢- إبراهيم/٧.

٣- إبراهيم/٨.

واكرامه، والحاصل انكم انما تركتم الامام بالحق، وخلعتم بيعته من رقابكم، ورضيتم ببيعة أبي بكر لعلمكم بان أمير المؤمنين عليه السلام لا يتهاون ولا يداهن في دين الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدايد في الجهاد وغيره، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، وتقسيم الفيء بينكم بالسوية، ولا يفضل الرؤساء والامراء، وان أبا بكر رجل سلس القياد، مداهن في الدين لارضاء العباد، فلذا رفضتم الايمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله الاّ اليكم، وفي الكشف ألا وقد أرى والله ان قد اخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة فمججتم الذي أوعيتهم ولفظتم الذي سوغتم[1].

وفي رواية ابن أبي طاهر فعجتم عن الدين[2]، يقال: ركن اليه - بفتح الكاف وقد يكسر- أي مال اليه وسكن، وقال الجوهري: عجت بالمكان اعوج، أي أقمت، وعجت عيري يتعدى ولا يتعدى، وعجت البعير عطفت رأسه بالزمام، والفالج الواقف، وذكر ابن الاعرابي فلان ما يعوج من شيء أي ما يرجع عنه[3].

﴿**ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القنا وبثة الصدر وتقدمة الحجة**﴾ الخذلة ترك النصر، وخامرتكم أي خالطتكم، والغدر ضد الوفاء،

١- كشف الغمة ١١٤/٢.

٢- بلاغات النساء/١٨.

٣- الصحاح ٣٣١/١ (عوج)، البحار ٢٩٥/٢٩ وما بعدها.

واستشعره أي لبسه، والشعار الثوب الملاصق للبدن، والفيض في الأصل كثرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر، أي شاع، وفاض صدره بالشر، أي باح به واظهره، ويقال: فاضت نفسه أي خرجت روحه، والمراد به هنا اظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهمّ وغلبة الحزن، والنفث بالفم شبيه بالنفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عال تسكينًا لحر القلب، واطفاء النائرة الغضب، والخور - بالفتح والتحريك- الضعف، والقنا جمع قناة، وهي الرمح، وقيل: كل عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعل المراد بخور القنا ضعفت النفس عن الصبر على الشدة وكتمان الضراء، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب، والبث النشر والاظهار، والهمّ الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه أي يفرقه، وتقدمة الحجة اعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعًا لاعتذاره بالغفلة، والحاصل ان استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، واقامة الحجة عليكم لم يكن رجاء للعون والمظاهرة، بل تسلية للنفس وتسكينًا للغضب، واتمامًا للحجة لئلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين.

﴿**فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخف باقية العار موسومة بغضب الله وشنار الابد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾ الحقب - بالتحريك- حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير، يقال: احقبت، أي شددته به، وكلّما شد في مؤخر رحل أو قتب فقد احقب، ومنه قيل احتقب فلان الاثم، فانه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر ان الانسب في هذا المقام احتقبوها بصيغة الافعال، أي شدوا عليها ذلك،

وهيئوها للركوب، لكن فيما وصل الينا من الروايات على بناء الافتعال، والـدبر - بالتحريك- الجرح في ظهر البعير، وقيل: جرح الدابة مطلقًا، والنقب - بالتحريك- رقة خف البعير، والعار الباقي عيب لا يكون في معرض الزوال، ووسمته وسمًا وسمة اذا أوت فيه بسمة وكي، والشنار العيب والعار، ونار الله الموقدة المدججة على الدوام، والاطلاع على الافئدة اشرافها على القلوب بحيث تبلغها ألمها كما يبلغ ظواهر البدن، وقيل: معناه ان هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا، وفي الكشف انها عليهم موصدة[1]، والموصدة المطبقة، وبعين الله ماتفعلون، أي ملتبس بعلم الله أعمالكم، ويطلع عليها كما يعلم أحدكم مايراه ويبصره، وقيل: في قوله تجري باعيننا أن المعنى تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة، والمنقلب المرجع والمنصرف، وأي منصوب على أنه صفة مصدر محذوف، والعامل فيه ينقلبون لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه ما بعده، والتقدير وسيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلابًا أي انقلاب.

﴿**وأنا ابنة نذير لكم**﴾ أي أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله على ظلمكم، فقد تمت الحجة عليكم، والامر في اعملوا وانتظروا للتهديد، وأما قول الملعون والرايد لا يكذب أهله، فهو مثل استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبي ﷺ، والرايد من يتقدم القوم يبصر لهم الكلا ومساقط الغيث، جعل نفسه لاحتماله الخلافة التي هي الرياسة العامة بمنزلة الرايد للامة الذي يجب

١- كشف الغمة ١١٤/٢.

عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق، والمجالدة المضاربة بالسيوف، واستبد فلان بالرأي، أي انفرد به واستقل.

﴿**ولانزوي عنك**﴾ أي لا نقبض ولا نصرف.

﴿**ولانوضع من فرعك وأصلك**﴾ أي لا نحط درجتك، ولا ننكر فضل اصلك واجدادك، وفروعك، وأولادك.

﴿**وترين**﴾ من الرأي بمعنى الاعتقاد[1].

وقولها **﴿صلوات الله عليها﴾ ﴿سبحان الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفًا ولا لأحكامه مخالفًا بل كان يتبع أثره ويقفو سوره أفتجعمون إلى العذر اعتلالاً عليه بالزور﴾** الصادف عن الشيء المعرض عنه، والاثر -بالتحريك أو بالكسر- اثر القدم، والقفو الاتباع، والسور -بالضم- كل مرتفع عال، ومنه سور المدينة، ويكون جمع سورة وهي كل منزلة من النبأ، ومنه سور القرآن لانها منزلة بعد منزلة، وتجمع على سور -بفتح الواو-، وفي العبارة يحتملها، والضمائر المجرورة تعود إلى الله تعالى أو إلى كتابه، والثاني اظهر، والاعتلال إبداء العلة والاعتذار، والزور الكذب.

﴿**وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوايل في حياته**﴾ البغي الطلب، والغوايل المهالك والدواهي، اشارت عليها السلام بذلك إلى ما دبروا لعنهم الله في هلاك النبي صلى الله عليه وآله واستيصال اهل بيته في العقبتين وغيرهما مما أوردناه في هذا الكتاب متفرقًا.

١- البحار ٢٩٨/٢٩ وما بعدها.

﴿هذا كتاب الله حكمًا عدلاً وناطقًا فصلاً يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾[1] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2] **فبيّن عزّ وجل فيما وزع عليه من الاقساط وشرع من الفرايض والميراث واباح من حظ الذكران والاناث ما ازاح به علة المبطلين وازال التظني والشبهات في الغابرين كلا بل سولت لكم انفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾.**

أقول: يأتي الكلام في مواريث الأنبياء ان شاء الله تعالى، والتوزيع التقسيم، والقسط - بالكسر - الحصة والنصيب، والاراحة الاذهاب والابعاد، والتظني اعمال الظن، واصلة التظنن، والغابر الباقي، وقد يطلق على الماضي، والتسويل تحسين ما ليس بحسن وتزيينه وتحبيبه إلى الانسان ليفعله أو يقوله، وقيل: هو تقديره معنى في النفس على الطمع في اتمامه، فصبر جميل، أي فصبري جميل أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئًا، وقيل: انما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى، وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾، وخطابك في قول أبي بكر من المصدر المضاف إلى الفاعل ومراده بما تقلد إما أخذ فدك أو الخلافة، أي اخذت الخلافة بقول المسلمين واتفاقهم، فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها اخذ فدك للحديث المذكور، والمكابرة المغالبة، والاستبداد والاستيثار، الانفراد بالشيء.

١- مريم/٦.

٢- النمل/١٦.

وقولها عليها السلام ﴿معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فاخذ بسمعكم وأبصاركم ولبئس ما ناولتم وساء ما به اشرتم وشرّ ما منه اغتصبتم﴾ القيل بمعنى القول، وكذا القال، وقيل: القول في الخير، والقيل والقال في الشر، وقيل: القول مصدر، والقيل والقال اسمان له، والاغضاء ادناء الجفون، واغضى على الشيء، أي سكت ورضي[1].

وروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام في الآية انّ المعنى أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق، وتنكير القلوب لارادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم، والرين التطبع والتغطية، واصله الغلبة، والتأول والتأويل التصير والارجاع، ونقل الشيء عن موضعه، ومنه تأويل الألفاظ، أي نقل اللفظ عن الظاهر، والاشارة الامر بأحسن الوجوه في أمر وشر، كفر بمعنى شاء، والاعتياض أخذ العوض والرضا به، والمعنى ساء ما أخذتم منه عوضًا عما تركتم.

﴿لتجدن والله محمله ثقيلاً وغبه وبيلاً اذا كشف لكم الغطاء وبان ماوراء الضراء وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنالك المبطلون﴾ المحمل كمجلس، مصدر، والغب - بالكسر - العاقبة، والوبال في الأصل الثقل والمكروه، ويراد به في عرف الشرع عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل الشديد، والضراء - بالفتح والتخفيف - الشجر الملتف كما مر، يقال توارى الصيد مني

١- البحار ٢٩/٣٠٢ وما بعدها.

في ضراء، والوراء يكون بمعنى قدام، كما يكون بمعنى خلف، وبالأول فسر قوله تعالى: ﴿**وكان من ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا**﴾، ويحتمل أن يكون الهاء زيدت من النساخ أو الهمزة، فيكون على الأخير بتشديد الراء من قولهم ورى الشيء تورية، أي اخفاه وعلى التقادير فالمعنى وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم يكن تنتظرونه ولا تظنونه واصلاً اليكم، ولم يكن في حسبانكم، والمبطل صاحب الباطل، من ابطل الرجل اذا أتى بالباطل.

قد كان بعدك ابناء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الارض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

في الكشف ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثلة بقول هند ابنة اثاثة، ثم ذكر الأبيات.

قال في النهاية: الهنبثة واحدة الهنابث، وهي الامور الشداد المختلفة، والهنبثة الاختلاط في القول، والنون زايدة، وذكر فيه ان فاطمة عليها السلام قالت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله قد كان بعدك انباء إلى آخر البيتين الاّ أنه قال فاشهدهم ولاتغب[1]، والشهود الحضور، والخطب - بالفتح- الامر الذي يقع فيه المخاطبة والشأن والحال، والوابل المطر الشديد، ونكب فلان عن الطريق كنصر وفرح، أي عدل.

١- النهاية ٢٧٧/٥ (هنبث).

وكـل أهـل لـه قربـى ومنـزلـة　　　عند الالـه على الادنـين مقتـرب

القربى في الأصل القرابة في الرحم، والمنزلة المرتبة والدرجة، ولا تجمع، والادنين هم الاقربون، واقترب، أي تقارب[1].

وقال في مجمع البيان: في أقتراب زيادة مبالغة على قرب، كما ان في اقتدر زيادة مبالغة على قدر، ويمكن تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه على وجوه:

الأوّل: وهو الأظهر ان جملة له قربى صفة لاهل، والتنوين في منزلة التعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، ومقترب خبر لكل، أي ذي القربى الحقيقي أو عند ذي الاهل كل أهل كانت له مزية وزيادة على غيره من الاقربين عند الله تعالى.

والثاني: تعلق الظرفين بقولها مقترب، أي كل أهل له قربة ومنزلة من ذي الأهل، فهو عند الله تعالى مقترب مفضل على ساير الادنين.

والثالث: تعلق الظرف الاول بالمنزلة، والثاني بالمقترب، أي كل من اتصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله، فهو مفضل على من هو ابعد منه.

الرابع: أن يكون جملة له قربى خبر الكل، ومقترب خبرًا ثانيًا، وفي الظرفين يجري الاحتمالات السابقة، والمعنى ان كل اهل نبي من الانبياء له قرب ومنزلة عند الله، ومفضل على سائر الأقارب عند الامة.

١- البحار ٣٠٥/٢٩ وما بعدها.

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم　　لما مضيت وحالت دونك الترب

بدا الأمر بدوًا ظهر، وابداه اظهره، والنجوى الاسم من نجوته اذا ساررته، وفحوى صدورهم ما اضمروه في نفوسهم من العداوة، ولم يتمكنوا من اظهاره في حياته ﷺ، وفي بعض النسخ فحوى صدورهم، وفحوى القول معناه، والمآل واحد.

قال الفيروزآبادي: الترب والتراب والتربة معروفة، وجمع التراب اتربة وتربان، ولم يسمع لسائرها بجمع، انتهى[1].

فيمكن أن يكون بصيغة المفرد والتأنيث بتأويل الأرض كما قيل، والاظهر أنه - بضم التاء وفتح الراء- جمع تربة.

قال في مصباح اللغة: المقبرة، والجمع ترب مثل غرفة وغرف، وحال الشيء بيني وبينك، أي منعني من الوصول اليك، ودون الشيء قريب منه، ويقال دون النهر جماعة، أي قبل أن تصل اليه، والتهجم الاستقبال بالوجه الكريه المغتضب على بناء المفعول المغضوب، والمحتجب على بناء الفاعل، وصادفه وجده ولقيه، والكثب - بضمتين- جمع كثيب، وهو التل من الرمل، والرُزء - بالضم مهموز- المصيبة بفقد الاعزة، ورزينا على بناء المجهول، والشجن - بالتحريك- الحزن، وفي القاموس العجم - بالضم وبالتحريك- خلاف العرب.

١- القاموس ٣٩/١ ، فصل التاء، البحار ٣٠٩/٢٩ وما بعدها.

قولـه: ﴿ثم انكفأت﴾.

أقول: وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خط المصنف مكتوبًا على هامشها بعد ايراد خطبتها ﴿صلوات الله عليها﴾ ما هذا لفظه: وجدت بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوي ﴿قدس الله روحه﴾ أنه لما خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر حين ردها عن فدك استقبلها أمير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنّفه، ثم قالت: اشتملت إلى آخر كلامها عليها السلام[1].

والانكفاء الرجوع، وتوقعت الشيء واستوقعته، أي انتظرت وقوعه، وطلعت على القوم اتيتهم، وتطلع الطلوع انتظره.

﴿**فلما استقرت بها الدار**﴾ أي سكنت، كأنها اضطربت وتحركت لخروجها أو على سبيل القلب، وهذا شايع، يقال: استقرت نوى القوم، واستقر بهم النوى، أي اقاموا.

﴿**اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين**﴾ اشتمل بالثوب، أي اداره على جسده كله، والشملة - بالفتح- كساء يشتمل به، والشملة - بالكسر- هيئة الاشتمال، فالشملة أما مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى (نباتًا) أو في الكلام حذف وإيصال.

وفي رواية السيد مشيمة الجنين، وهي محل الولد في الرحم، ولعله أظهر، والجنين الولد ما دام في البطن، والحجرة ـ بالضم ـ حظيرة الابل، ومنه حجرة الدار، والظنين المتهم، والمعنى اختفيت عن الناس كالجنين، وقعدت

١- البحار ٢٩/٣١٠ وما بعدها.

عن طلب الحق، ونزلت منزلة الخائف المتهم.

وفي رواية السيد حجزة - بالزاي المعجمة -، وفي بعض النسخ قعدت حجرة الظنين.

وقال في النهاية: الحجزة موضع شد الازار، ثم قيل للازار حجزة للمجاورة[1]، وفي القاموس الحجزة - بالضم - معقد الازار، ومن الفرس مركب مؤخر الصفاق بالحقو[2]، وقال: شدة الحجزة كناية عن الصبر.

﴿**نقضت قادمة الاجدل فخانك ريش الاعزل**﴾ قوادم الطير مقاديم ريشه، وهي عشر في كل جناح، واحدتها قادمة، والاجدل الصقر، والاعزل الذي لاسلاح معه، قيل: لعلها ﴿صلوات الله عليها﴾ شبهت الصقر الذي نقضت قوادمه بمن لاسلاح له، والمعنى تركت طلب الخلافة في أول الامر قبل أن يتمكنوا منها ويشيدوا اركانها، وظننت أن الناس لا يرون غيرك اهلاً للخلافة، ولا يقدمون عليك احدًا، فكنت كمن يتوقع الطيران من صقر منقوضة القوادم.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد انك نازلت الابطال، وخضت الاهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والارذال، وسلمت اليهم الامر ولا تنازعهم، وعلى هذا الأظهر أنه كان في الأصل خاتك - بالتاء المثناة الفوقانية - فصحف.

قال الجوهري: خات البازي واختات، أي انقض على الصيد ليأخذه،

١- النهاية ٣٣٢/١ (حجز).

٢- القاموس المحيط ١٧١/٢، فصل الحاء.

وقال الشاعر: يخوتون اخرى القوم خوت الاجادل[1].

والخائتة العقاب اذا انقضت فسمعت صوت انقضاضها، والخوات ذوي جناح العقاب، والخوات - بالتشديد- الرجل الجري[2]، وفي رواية السيد نقضت - بالفاء- وهو يؤيد المعنى الأول.

﴿**هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحيلة ابي وبلغة ابني لقد اجهز في خصامي والفيته الدّ في كلامي**﴾ قحافة - بضم القاف وتخفيف المهملة- والابتزاز الاستلاب وأخذ الشيء بقهر، وغلبته من البز، بمعنى السلب، والنحيلة فعيلة بمعنى مفعول من النحلة - بالكسر- بمعنى الهبة والعطية عن طيبة نفس من غير مطالبه أو من غير عوض، والبلغة - بالضم- ما يتبلغ به من العيش ويكتفى به، وفي أكثر النسخ بليغة - بالتصغير- فالتصغير في النحيلة أيضًا انسب، وابني اما بتخفيف الياء فالمراد به الجنس أو تشديدها على التثنية، واجهار الشيء اعلانه، والخصام مصدر كالمخاصمة، ويحتمل أن يكون جمع خصم، أي اجهر العداوة أو الكلام لي بين الخصام، والأول اظهر، والفيته أي وجدته، والالد الشديد الخصومة، وليس فعلاً ماضيًا، فان فعله على بناء المجرد، والاضافة في كلامي أما من قبيل الاضافة إلى المخاطب أو إلى المتكلم، وفي للظرفيه أو السببية.

وفي رواية السيد هذا ابن أبي قحافة إلى قولها لقد اجهد في ظلامتي

١- البحار ٣١٣/٢٩.

٢- الصحاح ٢٤٨/١ (خوت).

والدّ في خصامتي.

قال الجزري قال: جهد الرجل في الأمر اذا جد وبالغ فيه، واجهد دابته اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها.

﴿حتى حبستني بني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضت الجماعة دوني طرفها فلا دافع ولا مانع﴾ قيلة - بالفتح- اسم قديمة لقبيلتي الانصار، والمراد بنو قيلة.

وفي رواية السيد حين منعتني الانصار نصرها، وموصوف المهاجرة الطائفة أو نحوها، والمراد بوصولها عونها، والطرف - بالفتح- العين، وغضه خفضه، وفي رواية السيد بعد قولها ولا مانع ولا ناصر، ولاشافع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، كظم الغيض تجرعه والصبر عليه، ورغم فلان - بالفتح- اذا ذل وعجز عن الانتصاف ممن ظلمه، والظاهر من الخروج الخروج من البيت، وهو لا يناسبه كاظمة الاّ أن يراد بها الامتلاء من الغيظ، فانه من لوازم الكظم، ويحتمل أن يكون المراد الخروج من المسجد المعبر عنه ثانيًا بالعود كما قيل، وفي رواية السيد مكان عدت رجعت.

﴿اضرعت خدك يوم أضعت حدك افترست الذئاب وافترشت التراب﴾ ضرع الرجل مثله خضع وذل، واضرعه غيره، واسناد الضراعة إلى الخذلان اظهر افرادها، وضع الخد على التراب أو لان الذل يظهر على الوجه، واضاعة الشيء وتضييعه اهماله واهلاكه، وحد الرجل - بالحاء المهملة- بأسه وبطشه، وفي بعض النسخ - بالجيم- أي تركت اهتمامك وسعيك.

وفي رواية السيد فقد اضعت جدك يوم اضرعت خدك، وفرس الاسد فريسة، كضرب، وافترسها دق عنقها، ويستعمل في كل قتل، ويمكن أن يقرأ بصيغة الغايب، فالذئاب مرفوع، والمعنى قعدت عن طلب الخلافة، ولزمت الارض مع انك اسد الله، والخلافة كانت فريستك التي افترسها واخذها الذئب الغاصب لها، ويحتمل أن يكون بصيغة الخطاب، أي كنت تفترس الذئاب، واليوم افترشت التراب، وفي بعض النسخ الذباب - بالبائين الموحدتين - جمع ذبابة، فيتعين الاول، وفي بعضها افترست الذئاب، وافترستك الذباب.

وفي رواية السيد مكانهما وتوسدت الوراء كالوزع ومستك الهناة والنزع، والوراء بمعنى خلف، والهناة السداة والفتنة، والترع الطعن والفساد.

﴿**ما كففت قائلاً ولا اغنيت باطلاً ولا خيار لي ليتني مت قبل هينتي ودون ذلتي**﴾ الكف المنع، والاغناء الصرف والكف، يقال اغن عني شرك، أي اصرفه وكفه، وبه فسر قوله سبحانه (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا)، وفي رواية السيد ولا اغنيت طائلا، وهو اظهر، قال الجوهري: يقال هذا امر لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غناء ومزية، انتهى[1].

فالمراد بالغناء النفع، ويقال: ما يغني عنك هذا، أي ما يجديك وما ينفعك، والهيئة - بالفتح - العادة في الرفق والسكون، ويقال: امش على هيئتك، أي على رسلك، أي ليتني مت قبل هذا اليوم الذي لابد لي من الصبر على ظلمهم، ولا محيص لي عن الرفق، والزلة - بفتح الزاي - كما في النسخ الاسم

1- الصحاح ١٧٥٤/٥ (طول).

من قولك زللت في طين أو منطق اذا زلقت، ويكون بمعنى السقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم ولو كانت الكلمة - بالذال المعجمة- كان اظهر واوضح كما في رواية السيد فان فيها والهفتاه ليتني مت قبل ذلتي ودون هينتي.

﴿**عذيري الله منك عاديًا ومنك حاميًا**﴾ العذير بمعنى العاذر كالسميع أو بمعنى المعذر كالايم، وقولها منك، أي من اجل الاساءة اليك وايذاءك، وعذيري الله مرفوعان بالابتدائية والخبرية، وعاديًا اما من قولهم عدوت فلانًا عن الامر، أي صرفته عنه أو من العدوان بمعنى تجاوز الحد، وهو حال عن ضمير المخاطب، أي الله يقيم العذر من قبلي في اساءتي اليك حال صرفك المكاره ودفعك الظلم عني أو حال تجاوزك الحد في القعود عن نصري، أي عذيري في سوء الأدب انك قصرت في اعانتي والذب عني، والحماية عن الرجل الدفع عنه، ويحتمل أن يكون عذيري منصوبًا كما هو الشايع في هذه الكلمة، والله مجرور بالقسم، يقال عذيرك من فلان، أي هات من يعذرك فيه، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام حين نظر إلى ابن ملجم ﴿لعنه الله﴾ عذيري من خليلي من مراد، والاول اظهر[1].

﴿**ويلاي في كل شارق مات العمد ووهت العضد شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي اللهم انت اشد قوة وحولاً وأحد بأسًا وتنكيلاً**﴾ قال الجوهري: ويل كلمة مثل ويح الاّ أنها كلمة عذاب، يقال ويله وويلك وويلي، وفي الندبة ويلاه[2]،

١- البحار ٣١٨/٢٩ وما بعدها.

٢- الصحاح ١٨٤٦/٥ (ويل).

ولعله جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلم، ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية، فيكون مبتدأ والظرف خبره، والمراد به تكرار الويل.

وفي رواية السيد ويلاه في كل شارق ويلاه في كل غارب، ويلاه مات العمد وذل العضد إلى قولها عليها السلام اللهم أنت اشد قوة وبطشًا، والشارق الشمس، أي عند كل شروق شارق، وطلوع صباح كل اليوم.

قال الجوهري: الشرق المشرق، والمشرق الشمس، يقال: طلع الشرق ولا آتيك ما در شارق، وشرقت الشمس تشرق شروقًا وشرقًا أيضًا، أي طلعت واشرقت، أي اضاءت، والعمد -بالتحريك وبضمتين- جمع العمود، ولعل المراد هنا مايعتمد عليه في الامور، والشكوى الاسم من قولك شكوت فلانًا شكاية، والعدوى طلبك وال لينتقم لك ممن ظلمك، والحول القوة والحيلة، والدفع والمنع، والكل هنا محتمل، والبأس العذاب، والتنكيل العقوبة، وجعل الرجل نكالاً وعبرة لغيره.

﴿الويل لشأنيك﴾ أي العذاب والشر لمبغضك، والشناءة البغض، وفي رواية السيد لمن احزنك، ونهنهت الرجل عن الشيء فتنهنه، أي كففته وزجرته فكف، والوجد الغضب، أي امنعي نفسك عن غضبك، وفي بعض النسخ تنهنهي، وهو اظهر، والصفوة -مثلثة- خلاصة الشيء وخياره، والوفي كغني، الضعف والفتور والكلال، والفعل كوقى يقي، أي ما عجزت عن القيام بما أمرني ربي، وما تركت ما دخل تحت قدرتي، والبلغة -بالضم- ما يتبلغ به من العيش، والضامن والكفيل للرزق هو الله تعالى، وما اعد لها هو ثواب الآخرة،

والاحتساب الاعتداد، ويقال لمن ينوي بعمله وجه الله تعالى احتسبه، أي اصبري وأدخري ثوابه عند الله تعالى.

وفي رواية السيد فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: لاويل لك، بل الويل لمن احزنك، نهنهي عن وجدك يا بنية الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن خطك، ولا اخطأت، فقد ترين فان ترزئي حقك فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك مما قطع عنك، فرفعت يدها الكريمة وقالت رضيت وسلمت.

قال في القاموس: رزأه ماله، كجعله وعلمه، رزأ - بالضم - اصاب منه شيئًا[1].

أقول: روى الشيخ كلامها الأخير مع جوابه قريبًا مما رواه السيد، فلنذكره بسنده قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن شاذان، عن محمد بن علي بن الفضل، عن محمد بن علي بن معمر، عن محمد بن الحسين الزيات، عن أحمد بن محمد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: لما انصرفت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر اقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت له: يا ابن أبي طالب، اشتملت بشيمة الجنين، وقعدت حجرت الظنين، نقضت قادمة الاجدل، فخانك ريش الاعزل، هذا ابن ابي قحافة قد ابتزني نحيلة أبي وبليغة ابني، والله لقد اجد في ظلامتي، والدّ في خصامي، حتى منعتني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت والله كاظمة وعدت راغمة، وليتني لا خيار لي، ليتني مت قبل ذلتي،

١- البحار ٣٢١/٢٩ وما بعدها.

وتوفيت قبل منيتي، عذيرى فيك الله حاميًا، ومنك عاديًا، ويلاه في كل شارق، ويلاه مات المعتمد، ووهن المعضد، شكواي إلى ربي، وعدواي إلى أبي، اللهم أنت أشد بأسًا وقوة.

فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام لا ويل لك، بل الويل لشانيك، نهنهي من غربك يا بنت الصفوة، وبقية النبوة، فوالله ما ونيت في ديني، ولا أخطأت مقدوري، فان كنت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، ولعيلتك مأمون، وما أعد لك خير مما قطع عنك، فاحتسبي فقالت: حسبي الله، ونعم الوكيل[1].

ولندفع الاشكال الذي قلما لا يخطر بالبال عند سماع هذا الجواب والسؤال، وهو ان اعتراض فاطمة ﴿صلوات الله عليها﴾ على أمير المؤمنين ﴿صلوات الله عليهما﴾ في ترك التعرض للخلافة، وعدم نصرتها، وتخطيته فيها مع علمها بامامته، ووجوب اتباعه وعصمته، وانه لم يفعل شيئًا الاّ بأمره تعالى ووصية الرسول صلى الله عليه وآله، مما يتنافى عصمتها وجلالتها.

فأقول: يمكن أن يجاب عنه بأن هذه الكلمات صدرت منها عليها السلام لبعض المصالح، ولم تكن واقعًا منكرة لما فعله، بل كانت راضية، وانما كان غرضها ان تبين للناس قبيح اعمالهم، وشناعة أفعالهم، وان سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما أتوا به، ومثل هذا كثير ما يقع في العادات والمحاورات، كما ان ملكًا يعاتب بعض خواصه في أمر بعض الرعايا مع علمه ببرائته من جنايتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، وانه مما استوجب به أخص الناس بالملك منه المعاتبة، ونظير

١- البحار ٣٢٢/٢٩ وما بعدها.

ذلك ما فعله موسى عليه السلام لما رجع عليه السلام إلى قومه غضبان اسفًا من القائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجرّه اليه، ولم يكن غرضه الانكار على هارون، بل اراد بذلك أن يعرّف القوم عظم جنايتهم، وشدة جرمهم كما مر الكلام فيه[1].

وأما حمله على ان شدة الغضب والاسف والغيظة حملها على ذلك مع علمها بحقيقة ما ارتكبه عليه السلام، فلا ينفع في دفع الفساد، وينافي عصمتها وجلالتها التي عجزت عن ادراكها احلام العباد، انتهى كلام شيخنا المذكور توّجه الله تعالى بتاج من النور، وافاض عليه من رواشح البهجة والسرور.

قال في المقام على أثر الكلام المتقدم: قال أبو بكر حدثني محمد بن زكريا قال: حدثني ابن عايشة، قال: حدثني أبي، عن عمه، قال: لما كلّمت فاطمة أبا بكر بكى، ثم قال: يا بنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والله ما ورث اباك درهمًا ولا دينارًا، وانه قال: الأنبياء لا يورثون، فقالت: ان فدك وهبها اليّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فمن يشهد بذلك؟ فجاءت بعلي بن أبي طالب فشهد، وجاءت ام أيمن فشهدت، وجاء عمر بن الخطاب، وعبدالرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها[2].

١- أقول: ومن أظهر الامثلة فيما ذكره شيخنا المشار اليه في المقام قوله سبحانه لعيسى عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (المائدة/١١٦) فان الله سبحانه عالم بانه لم يقل ذلك لكن اراد توبيخ اولئك المدعين الالهية باطلاً واتخذوه ربًا بان عيسى غير راض به، ولا مدع له وبيان كذبهم عليه، فلهذا قال عيسى عليه السلام في الجواب ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾. ﴿منه﴾.

٢- البحار ٣٢٤/٢٩ - ٣٢٥.

قال أبو بكر: صدقت يا بنة رسول الله، وصدق علي، وصدقت أم أيمن، وصدق عبدالرحمن بن عوف، وذلك ان مالك لابيك، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها؟ قالت: أصنع بها كما يصنع بها أبي، قال: فلك عليّ الله أن أصنع فيها كما كان يصنع بها أبوك، قالت: الله لتفعلن؟ قال: الله لافعلن، قالت: اللهم اشهد، وكان أبو بكر يأخذ غلتها، فيدفع اليهم منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك، وكان عثمان كذلك، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان اقطع مروان بن الحكم ثلثها، واقطع عمرو بن عثمان ثلثها، واقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن عليه السلام، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر الخلافة كانت أول ظلامة ردها، دعا الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وقيل: بل دعا علي بن الحسين بن علي عليهما السلام فدفعها اليه، فكانت بيد أولاد فاطمة عليها السلام مدة ولاية عمر بن عبد العزيز، فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبدالله بن الحسن بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني الحسن ما حدث، ثم ردها المهدي ابنه، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون فردها إلى الفاطميين[1].

١- السقيفة للجوهري/١٠٥ وما بعدها.

قال أبو بكر: أخبرنا أبو زيد عمر بن شنبة، ثم ساق سنده إلى الزهري، عن عروة، عن عايشة ان فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر لتسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، انما يأكل آل محمد من هذا المال، والله لا اغيّر شيئًا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، ولاعملن فيها ما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا، فوجدت من ذلك على أبي بكر وهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي عليه السلام ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر[1].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده أيضًا إلى الزهري، عن عروة، عن عايشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما حينئذ يطلبان ارضه بفدك وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة. الحديث الأول إلى قوله فلم تكلمه حتى ماتت[2].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى ام هاني ان فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر: من يرثك اذا مت؟ قال: ولدي وأهلي؟ قالت: فما لك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا؟ قال: يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ورث اباك دارًا، ولا مالاً، ولا ذهبًا ولا فضة، قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي

١- السقيفة/١٠٧.

٢- السقيفة/١٠٨.

بيدك، فقال لها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: انما هي طعمة اطعمناها الله، فاذا مت كانت بين المسلمين[1].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى أبي الطفيل قال: لما أرسلت فاطمة إلى بكر ءأنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: بل أهله، قالت: فما بال سهم رسول الله ﷺ؟ قال: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الله اطعم نبيًا طعمة، ثم قبضه وجعله للذي يقوم بعده، فرأيت أنا بعده ان أرده على المسلمين، قالت: أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ أعلم.

قلت: في هذا الحديث عجب، لانها قالت أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله، قال: بل أهله، وهذا تصريح بأنه ﷺ موروث، ويرثه أهله، وهو خلاف قوله لا نورث، وأيضًا فانه يدل على انّ أبا بكر استنبط من قول رسول الله ﷺ انّ الله أطعم نبيًّا طعمة، أن يجري على رسول الله ﷺ عند وفاته، مجرى ذلك النبي أو يكون قد فهم انه عنى بذلك النبي المذكور نفسه، كما فهم من قوله في خطبته انّ عبدًا خيّره الله بين الدنيا، وما عند ربه، فاختار ما عند ربه، فقال أبو بكر: بل نفديك بأنفسنا[2].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى أبي سلمة ان فاطمة طلبت فدك من أبي بكر، فقال: اني سمعت رسول الله يقول: ان النبي لا يورث، من كان النبي يعوله فانا أعوله، ومن كان النبي ينفق عليه، فانا أنفق عليه،

١- السقيفة/١٠٨.

٢- السقيفة/١٠٩.

فقالت: يا أبا بكر اترثك بناتك، ولا يرث من رسول الله بناته؟ قال: ذاك هو[1].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى البحتري بن حسان، قال: قلت لزيد بن علي وأنا أريد أن أهجّن أمر أبي بكر انتزع فدك من فاطمة؟ فقال: ان أبا بكر كان رجلاً رحيمًا، وكان يكره أن يغيّر شيئًا فعله رسول الله ﷺ فأتته فاطمة فقالت: ان رسول الله ﷺ أعطاني فدك، فقال لها: هل لك على هذا بينة؟ فجاءت بعلي فشهد لها، ثم جاءت أم أيمن فقالت: إن السماء تشهد أني من أهل الجنة، قالا: بلى، قال أبو زيد يعني أنها قالت لذلك لأبي بكر وعمر، قالت: فأنا أشهد انّ رسول الله ﷺ أعطاها فدك، قال أبو بكر: فرجل آخر وامرأة أخرى، لتستحقي بها القضية، ثم قال أبو زيد: وايم الله لو رجع الأمر اليّ لقضيت فيها بقضاء أبي بكر[2].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى كثير النوا، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام جعلني الله فداك رأيت ان أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم شيئًا أو قال: ذهبا من حقكم بشيء؟ فقال: لا والذي انزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ما ظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل، قلت: جعلت فداك أنا أتولاهما، قال: نعم، ويحك تولاهما في الدنيا والآخرة، وما اصابك ففي عنقي، ثم قال: فعل الله بالمغيرة وبنان، فانهما كذبا

١- السقيفة/١٠٩.

٢- السقيفة/١١٠.

علينا أهل البيت[1].

قال أبو بكر: واخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى الزهري، عن عروة، عن عايشة ان أزواج النبي صلى الله عليه وآله أردن لما توفي أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر ليسألنه ميراثه أو قال ثمنهن، قالت: فقلت لهن: أليس قد قال النبي صلى الله عليه وآله: لا نورث، ما تركناه صدقة[2].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله لا يقسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقة نسائي، ومؤنة عيالي، فهو صدقة.

قلت: هذا حديث غريب، لان المشهور [انه] لم يرو حديث انتفاء الارث الاّ أبو بكر وحده[3].

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والذي نفسي بيده لا يقسم ورثتي شيئًا مما تركت، هي صدقة، قال: وكانت هذه الصدقة بيد علي، وغلب عليه العباس، وكانت فيها خصومتهما، فأبى عمر أن يقسمها حتى اعرض عنها العباس، وغلب عليها علي عليه السلام، ثم كانت بيد حسن وحسين ابني علي، ثم كانت بيد علي بن الحسين وحسن بن حسن، كلاهما يتداولانها، ثم بيد زيد بن علي[4].

١- السقيفة/١١٠.

٢- السقيفة/١١٠ وما بعدها.

٣- السقيفة/١١١.

٤- السقيفة/١١١.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى مالك بن اوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب دعاه يومًا بعد ما ارتفع النهار، إلى أن قال: فبينا نحن على ذلك اذ دخل علينا يرفأ فقال: هل لك في عثمان، وسعد، وعبدالرحمن، والزبير يستأذنون عليك قال: نعم فاذن لهم، قال: ثم لبث قليلاً ثم جاء فقال: هل لك في علي والعباس ليستأذنان عليك، قال: ائذن لهما، فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليًا، وهما يختصمان في الصوافي التي أفاءها الله على رسوله من أموال بني النضير، قال: فاستب علي والعباس عند عمر، فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين اقض بينهما، وارح أحدهما من الآخر، فقال عمر: انشدكم الله الذي باذنه تقوم السماوات والأرض، هل تعلمون انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة يعني نفسه، قالوا: قد قال ذلك، فاقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال عمر: فاني أحدثكم عن هذا الأمر، ان الله تبارك خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه غيره، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] وكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد اعطاكموها وثبتها فيكم حتى بقي منها هذا المال، وكان ينفق على أهله سنتهم، ثم يأخذه فيجعله مال الله عزّ وجلّ، فعل ذلك في حياته ثم توفي، فقال أبو بكر: انا ولي رسول الله

١- الحشر/٦.

ﷺ فبقضه، وقد عمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأنتما حينئذ، والتفت إلى علي والعباس تزعمان ان أبا بكر فيها ظالم فاجر، والله يعلم انه لصادق، بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر فقلت: انا أولى الناس بأبي بكر وبرسول الله ﷺ فقبضتها سنتين أو قال سنين من أمارتي، أعمل فيها مثل ما عمل أبو بكر ورسول الله، ثم قال: أنتما - واقبل على العباس وعلي- تزعمان اني فيها ظالم فاجر، والله يعلم اني بار راشد، تابع للحق، جئتماني وكلمتكما واحدة، وامركما جميع، فجئتني يعني العباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا يعني عليًاعليه السلام يسألني نصيب امرأته من ابيها، فقلت لكما: ان رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه يكون صدقة، فلما بدا لي أن أدفعها اليكم دفعتها على أن عليكم عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبما عملت به فيها والاّ فلا تكلماني، فقلتما ادفعها الينا بذلك، فدفعتها اليكما بذلك، افتلتمسان قضاء غير ذلك، والله الذي بأذنه تقوم السماوات والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فان عجزتما عنها فادفعاها اليّ، فانا اكفيكماها[1].

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى الزهري، قال: حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه، فذكرت ذلك لعروة فقال: صدق مالك ابن أوس، انا سمعت عايشة تقول: ارسل ازواج النبي عثمان بن عفان إلى أبي بكر ليسألن لهنّ ميراثهن من رسول الله ﷺ مما افاء الله عليه حتى كنت اردهن

١- السقيفة/١١١ وما بعدها.

عن ذلك، فقلت: ألا تتقين الله، ألم تعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث، ما تركناه يكون صدقة يريد بذلك نفسه، انما يأكل آل محمد، فانتهين ازواج النبي إلى ما أمرتهن به[1].

قلت: هذا مشكل، لان الحديث الأول يتضمن ان عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان، فقال: أنشدتكم الله ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، ما تركناه صدقة يعني نفسه، فقالوا: نعم، ومن جملتهم عثمان، فكيف يعلم ذلك ثم يكون مرسلاً لازواج النبي ليسأل لهن ان يعطين الميراث، اللهم الاّ أن يكون سعد، وعبدالرحمن، وعثمان، والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه، وحسن الظن، وسموا ذلك علمًا، لأنه يطلق على الظن اسم العلم.

فان قال قائل: فهلا حسن ظن عثمان برواية أبي بكر في مبدأ الامر، فلم يكن رسولاً لزوجات النبي صلى الله عليه وآله في طلب الميراث.

قيل له: يجوز أن يكون في مبدأ الامر شاكًا، ثم يغلب على ظنه صدقه لامارة اقتضت تصديقه، وكل الناس تقع لهم مثل ذلك.

وهاهنا اشكال آخر: وهو ان عمر ناشد عليًا والعباس، هل تعلمان ذلك فقالا: نعم، فاذا كانا يعلمانه كيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر منه على ما ذكره في خبر سابق وقد أوردناه نحن، وهل يجوز ان يكون العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقه؟ وهل يجوز ان يقال أن عليًا كان يعلم ذلك

١- السقيفة/١١٣ وما بعدها.

ثم يمكّن زوجته ان تطلب ما لا تستحقه؟ وهل خرجت من دارها إلى المسجد ونازعت أبا بكر وكلمته بما كلمته الاّ بقوله، واذنه ورأيه، وأيضًا فانه اذا كان صلى الله عليه وآله لا يورث فقد اشكل دفع آلته ودابته وحذاه إلى علي عليه السلام، لانه غير وارث في الاصل، وانما كان ذلك لاجل زوجته بفرضه أن ترث لولا الخبر، فهو أيضًا غير حايز، لان الخبر قد منع من ان يرث أحد منه شيئًا قليلاً كان أو كثيرًا.

فان قال قائل: انما قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبًا ولا فضة، ولا أرضًا ولا عقارًا.

قيل: هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئًا اصلاً، لانّ عادة العرب جارية بمثل ذلك، لا يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها، بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفي أن يورثوا شيئًا على الاطلاق، وأيضًا انه في خبر الدابة والآله والحذاء روى عن النبي صلى الله عليه وآله: لا نورث، ماتركناه صدقة، ولم يقل لم نورث كذا وكذا، وذلك يقتضي عموم انتفاء الارث عن كل شيء، وأما الخبر الثاني وهو الذي رواه هشام بن محمد الكلبى عن أبيه ففيه اشكال أيضًا، لأنه قال انها طلبت فدك وقالت: ان أبي اعطانيها وإن أم أيمن تشهد لي بذلك، فقال لها أبو بكر في الجواب: ان هذا المال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله، وانما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل به الرجال، وينفقه في سبيل الله.

فلقائل أن يقول: أيجوز للنبي صلى الله عليه وآله أن يملك ابنته أو غير ابنته من أفياء

الناس ضيعة مخصوصة أو عقارًا مخصوصًا من مال المسلمين لوحي أوحاه الله تعالى اليه، ولاجتهاد رآه على قول من اجاز له أن يحكم بالاجتهاد، أو لا يجوز للنبي ﷺ ذلك، فان قال لا يجوز، قال ما لا يوافقه العقل ولا المسلمون عليه، وان قال يجوز ذلك، قيل له فان المرأة ما اقتصرت على الدعوى بل قالت أم أيمن تشهد لي، فكيف ينبغي أن يقال لها لما ادعت وذكرت من يشهد لها، هذا مال من مال الله لم يكن لرسول الله ﷺ، وليس هذا بجواب صحيح.

وأما الخبر الذي رواه محمد بن زكريا عن ابن عايشة ففيه من الاشكال مثل ما في هذا الخبر، لانه اذا شهد لها علي وام أيمن ان رسول الله ﷺ وهب لها فدك لم يصح اجتماع صدقها وصدق عبدالرحمن وعمر لا ماتكلفه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم، لان كونها هبة من رسول الله ﷺ يمنع من قوله كان يأخذ منها قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، لان هذا ينافي كونه هبة لها، لانه لا معنى لكونها لها الاّ ملكيتها، وان تتصرف فيها خاصة دون كل أحد من الناس، وما هذه صفته لا يقسم ويحمل منه في سبيل الله.

فان قال قائل: هو ﷺ أبوها وحكمه في مالها كحكمه في ماله وفي بيت مال المسلمين، فلعله كان بحكم الأبوة يفعل ذلك.

قيل: فإذن قد كان يتصرّف فيها تصرف الأب في مال ولده، ولا يخرجه ذلك عن كونه مال ولده، فاذا مات الاب لم يجز لاحد أن يتصرف في مال ذلك الولد، لأنه ليس بأب له، فيتصرف في ماله تصرف الآباء في أموال أولادهم على ان الفقهاء أو معظمهم لا يجيزون للاب أن يتصرف في مال

الابن.

وهاهنا اشكال آخر: وهو قول عمر لعلي والعباس وأنتما حينئذ تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر، ثم قال لما ذكر نفسه: وأنتما تزعمان أني فيها ظالم فاجر، فاذا كانا يزعمان ذلك، فكيف يجتمع هذا الزعم مع كونهما يعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا اورث، ان هذا لمن اعجب العجاب، ولولا ان هذا الحديث أعني حديث خصومة العباس وعلي عند عمر مذكور في الصحاح المجمع عليها لما اطلت العجب من مضمونه، إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته، وانما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى مالك بن أوس بن الحديثان قال: جاء العباس وعلي إلى عمر، فقال العباس: اقض بيني وبين هذا الكذا وكذا، أي يشتمه، فقال الناس: اقض بينهما، فقال: لا افصل بينهما قد علما ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، ما تركناه صدقة[1].

قلت: وهذا أيضًا مشكل، لأنهما حضرا يتنازعان لا في الميراث، بل وفي ولاية صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله ايهما يتولاهما عماله لا ارثًا، وعلى هذا كانت الخصومة، فهل يكون جواب ذلك قد علما ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث.

قال أبو بكر: واخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى أبي البحتري، قال: جاء العباس وعلي إلى عمر وهما يختصمان، فقال لطلحة والزبير، وعبدالرحمن

١- السقيفة/١١٤.

وسعد: انشدكم الله اسمعتم رسول الله ﷺ يقول: كل مال نبي فهو صدقة الاّ ما اطعمه أهله، انا لا نورث، فقالوا: نعم، قال: وكان رسول الله ﷺ يتصدق به، ويقسم فضله، ثم توفي فوليه أبو بكر سنين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله ﷺ، وأنتما تقولان انه كان خاطئًا، وكان بذلك ظالمًا، وما كان بذلك الاّ راشدًا، ثم وليته بعد أبي بكر، فقلت لكما ان شئتما قبلتكماه على عمل رسول الله ﷺ وعهده الذي عهد فيه، فقلتما نعم، وجئتماني الآن تختصمان يقول هذا اريد نصيبي من ابن أخي، ويقول هذا اريد نصيبي من امرأتي، والله لا أقضي بينكما الاّ بذلك[1].

قلت: وهذا أيضًا مشكل، لأنّ أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر الاّ أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى ان الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابي الواحد.

وقال شيخنا أبو علي: لا تقبل في الرواية الاّ اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم، واحتجوا عليه بقول الصحابة رواية أبي بكر وحده نحن معاشر الأنبياء لا نورث حتى أن بعض أصحاب أبي علي تكلف لذلك جوابًا، فقال: قد روي ان أبا بكر يوم حاجّ فاطمة فقال: انشد الله من سمع من رسول الله ﷺ في هذا شيئًا، فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمعه من رسول الله ﷺ، وهذا الحديث ينطق بأنه استشهد عمر طلحة والزبير وعبدالرحمن وسعدًا فقالوا: سمعناه من رسول الله، فأين كانت هذه الروايات

١- السقيفة/١١٤ وما بعدها.

أيام أبي بكر ما نقل ان أحدًا من هؤلاء يوم خصومة فاطمة وأبي بكر روى من هذا شيئًا.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى الزهري، عن عروة، عن عايشة أن أزواج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ أرسلن عثمان إلى أبي بكر، فذكر الحديث، قال عروة: وكانت فاطمة قد سألت ميراثها أبا بكر مما تركه النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، فقال لها: بأبي أنت وأمي، وبأبي أبوك وأمي ونفسي ان كنت سمعت من رسول الله شيئًا أو امرك بشيء لم أسمعه، أتبع ما تقولين وأعطيتك ما تبتغين والاّ فاني اتبع ما أمرت به[1].

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى البحتري قال: قال لها أبو بكر لما طلبت فدك: بأبي أنت وأمي، أنت عندي الصادقة الأمينة، ان كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ عهد اليك عهدًا، ووعدك به وعدًا، صدقتك وسلمت اليك، فقالت لم يعهد لي في ذلك بشيء ولكن الله تعالى يقول: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[2]، فقال: أشهد لقد قال رسول اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ: انا معاشر الأنبياء لا نورث[3].

قلت: وفي هذا اشكال ظاهر، لانها قد ادعت أنه عهد اليها رسول اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ في ذلك اعظم العهد وهو النحلة، فكيف سكت عن ذكر ذلك لما

١- السقيفة/١١٥.

٢- النساء/١١.

٣- السقيفة/١١٥.

سألها أبو بكر، وهذا أعجب من العجب.

قال أبو بكر: وساق سنده إلى مالك بن أوس بن الحدثان قال: سمعت عمر وهو يقول للعباس وعلي، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير وطلحة: انشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث معاشر الأنبياء ما تركناه صدقة، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون ان رسول الله ﷺ كان يدخل فيقسط أهل السنة من صدقاته، ثم يجعل ما بقي في بيت المال، قالوا: اللهم نعم، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ قبضها أبو بكر فجئت يا عباس تطلب ميراثك من أبن أخيك، وجئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من أبيها، وزعمتما أن أبا بكر كان فيها خائنًا فاجرًا، والله لقد كان أمرء مطيعًا تابعًا للحق، ثم توفي أبو بكر فقبضتها، فجئتماني تطلبان ميراثكما، أما أنت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك، وأما علي فيطلب ميراث زوجته من أبيها، وزعمتما أني فيها خائن وفاجر، والله يعلم اني فيها مطيع تابع للحق، فاصلحا أمركما والاّ والله لم ترجع اليكما، فقاما وتركا الخصومة وأمضيت صدقة.

قال أبو زيد، قال أبو غسان: فحدثنا عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن ابن شهاب، عن مالك بنحوه وقال في آخره: فغلب علي عباسًا عليها، فكانت بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم كانت بيد الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن[1].

قلت: وهذا الحديث يدل صريحًا على أنهما يطلبان الميراث لا الولاية،

١- السقيفة/١١٦ وما بعدها.

وهذا من المشكلات، لان ابا بكر حسم المادة أولاً وقد [روى] عند العباس وعلي وغيرهما ان النبي لا يورث، وكان عمر من المساعدين له على ذلك، فكيف يعود العباس وعلي عليه السلام بعد وفاة أبي بكر يحاولان أمرًا قد كان فرغ منه ويئسا من حصوله، اللهم الاّ أن يكونا ظنا أن عمر ينقض قضاء أبي بكر في هذه المسألة، وهذا بعيد، لان عليًا عليه السلام والعباس كانا في هذه المسألة يتهمان عمر بممالاة أبي بكر ويورثهما.

واعلم ان الناس يظنون ان نزاع فاطمة عليها السلام أبا بكر في أمرين في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث ومنعها أبو بكر اياه أيضًا وهو سهم ذي القربى.

قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري: أخبرني أبو زيد عمر بن شنبة، ثم ساق سنده إلى انس بن مالك ان فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر فقالت: لقد علمت الذي ظلمتنا فيه أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي، ووالد ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله، ولحق رسول الله، وحق قرابته، وأنا اقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه ان هذا السهم من الخمس يسلم اليك كاملاً، قالت: أفلك هو؟ قال: لا، بل انفق عليكم منه، واصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله تعالى، قال:

١–الأنفال/٤١.

هذا حكم الله، فان كان رسول الله عهد اليك في هذا عهداً أو أوجبه لك حقًا صدقتك، وسلمته كله اليك والى أهلك، قالت: ان رسول الله ﷺ لم يعهد اليّ في ذلك بشيء الاّ أنه سمعته يقول: ابشروا آل محمد فقد جاءكم الغنا، فقال أبو بكر: لم يبلغ علمي من هذه الآية ان اسلم اليكم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يقيتكم ويفضل عليكم، وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فسئليهم عن ذلك، وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم، فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر، فتعجبت فاطمة من ذلك، وتظننت انهما كانا تذاكرا ذلك فاجتمعا عليه[1].

قال أبو بكر: واخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى عروة قال: أرادت فاطمة أبا بكر على فدك، وسهم ذوي القربى فأبى عليها، وجعلهما في مال الله تعالى[2].

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ان أبا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع[3].

قال أبو بكر: واخبرنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى محمد بن اسحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام: أرأيت عليًا حين ولي العراق وما ولي من أمر الناس كيف صنع في سهم ذوي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر

١- السقيفة/١١٧.

٢- السقيفة/١١٨.

٣- السقيفة/١١٨.

وعمر، قلت: وكيف وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون الاّ عن رأيه، فقلت: ما منعه؟ قال: كان يكره ان يدعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر[1].

قال أبو بكر: وحدثني المؤمل بن جعفر قال: حدثني محمد بن ميمون، عن داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أمي صديقة بنت نبي مرسل، فماتت وهي غضبى على اناس، فنحن غضاب لغضبها، واذا رضيت رضينا[2].

قال أبو بكر: وحدثني أبو جعفر محمد بن القاسم، قال: حدثني علي بن الصباح قال: أنشدنا أبا الحسن رواية المفضل للكميت:

أهوى عليًا أمير المؤمنين ولا ... أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا

ولا أقول اذا لم يعطيا فدكًا ... بنت النبي ولا ميراثها كفرا

الله أعلم ماذا يحضران به ... يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

قال أبو الصباح: فقال لي أبو الحسين الرواية: أتقول أنه قد اكفرهما في

١- السقيفة/١١٨.

٢- السقيفة/١١٨.

هذا الشعر قلت: نعم، قال: كذلك هو[1].

قال أبو بكر: حدثنا أبو زيد، ثم ساق سنده إلى أبي صالح مولى أم هاني قال: دخلت فاطمة على أبي بكر بعد ما استخلف، فسألته ميراثها من أبيها فمنعها، فقالت له: لئن مت اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فلم ورثت انت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قال: ما فعلت يابنت رسول الله، قالت: بلى انك عمدت إلى فدك، وكانت صافية لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فاخذتها، وعمدت إلى ما انزل الله من السماء فرفعته عنا، فقال: يابنت رسول الله لم افعل، حدثني رسول الله ان الله يطعم النبي الطعمة ما كان حيًا، فاذا قبضه اليه رفعت، فقالت: أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي، ثم انصرفت[2].

قال أبو بكر: وحدثنا محمد بن زكريا، ثم ساق سنده إلى عبدالله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين قال: لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوجع وثقلت في علتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والانصار فقلن لها: كيف أصبحت يابنت رسول الله؟ قالت: أصبحت والله عافيةً لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد ان عجنتهم، وشنيتهم بعد ان سبرتهم، فقبحًا لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي، وبئسما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، ولا جرم قد قلدتهم ربقتها، وشننت

١- السقيفة/١١٩.

٢- السقيفة/١١٩ وما بعدها.

عليهم غارتها، فجذعًا وعقرًا، وسحقًا للقوم الظالمين، ويحهم انى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بامر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي حسن، نقموا منه نكير سيفه، وشدة وطئته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله، والله لو تكافوا عن زمام نبذه اليه رسول الله ﷺ لاعتلقه، وسار بهم سيرًا سجحًا، لا يكلم حشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولاوردهم منهلاً نميرًا فضفاضًا، يطفح ضفتاه، ولاصدرهم بطانًا قد تحيز بهم الري، غير متحل منه بطايل الاّ تغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والارض، وسيأخذهم الله بما كانوا ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجيبه، وان تعجب فقد اعجبك الحادث، ليت شعري إلى أي لجأ استندوا، وبأي عروة تمسكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، ولبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدي الاّ أن يهدى، فما لكم كيف تحكمون، أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما تحلب ثم احتلبوها طلاع القعب دمًا عبيطًا، وذعافًا ممقرًا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ماسن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفسًا، واطمئنوا للفتنة جأشًا، وابشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا، فيا حسرة عليكم، وانى لكم، وقد عميت عليكم، انلزمكموها وأنتم لها كارهون، والحمد لله رب

العالمين، وصلواته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين[1].

قلت: هذا الكلام وان لم يكن فيه ذكر فدك والميراث الاّ أنه من تتمة ذلك، وفيه ايضاح لما كان عندها، وبيان لشدة غيظها وغضبها، فانه سيأتي فيما بعد ذكر ما تناقض به قاضي القضاة والمرتضى في أنها هل كانت غضبى أم لا؟ ونحن لا ننصر مذهبًا بعينه، وانما نذكر ما قيل، واذا جرى بحث نظري، قلنا ما يقوى في أنفسنا منه.

واعلم انا انما ذكرنا في هذا الفصل ماروواه رجال الحديث وثقاتهم، وما اودعه احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه، وهو من الثقات الامناء عند أصحاب الحديث، واما ما يروونه رجال الشيعة والاخباريون منهم في كتبهم من قولهم انهما اهاناها واسمعاها كلامًا غليظًا، وان أبا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضرًا، فكتب لها بفدك كتابًا، فلما خرجت به وجده عمر فمد يده اليه ليأخذه مغالبة، فمنعته، فدفع بيده في صدرها، واخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيها فمحاها، وأنها دعت عليه فقالت: بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي، فشيء لا يرويه اصحاب الحديث، ولا ينقلونه، وقدر الصحابة يجل عنه، وكان عمر اتقى لله، واعرف بحقوق الله من ذلك، وقد نظمت الشيعة بعض هذه الواقعة التي يذكرونها شعرًا، ولها أبيات لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي أوّلها:

يا ابنة القوم تراك   بالغ قتلي رضاك

١- السقيفة/١٢٠ وما بعدها.

وقد ذيل عليها بعض الشيعة واتمها والأبيات:

يا ابنة الطاهر　　كم يقرع بالظلم عصاك

غضب الله لخطب　　ليلة الطف عراك

ورعى النار غدًا فظ　　رعى امس حماك

مر لم يعطفه شكواك　　ولا استحيا اباك

واقتدى الناس به　　بعد فاردى ولداك

يا ابنة الراقي إلى　　السدرة في لوح السكاك

لهف نفسي وعلى　　مثلك فلتبك البواكي

كيف لم تقطع يد مد　　إليك ابن صهاك

فرحوا يوم اهانوك　　بما ساء أباك

ولقد اخبرهم　　إن رضاه في رضاك

دفعا النص على　　إرثك لما دفعاك

وتعرضت لقذر　　تافه فانتهراك

وادعيت النحلة　　المشهود فيها بالصكاك

فاستشاطا ثم ما　　إن كذبا إن كذباك

فزوى الله عن الرحمة　　زنديقا زواك

ونفى عن بابه الواسع　　شيطانًا نفاك

فانظرو إلى هذه البليّة التي صبت من هؤلاء على سادات المسلمين

واعلام المهاجرين، وليس ذلك بقادح في علو شأنهم، وجلالة مكانهم، كما انّ مبغضي الأنبياء وحسدتهم، ومصنفي الكتب في الحاق العيب بهم، والمتهجنين لشرايعهم، لم تزدد الأنبياء الاّ رفعة، ولا زادت شرايعهم في الارض الاّ قبولاً في النفس، وبهجة ونورًا عند ذوي الألباب والعقول.

وقال لي علوي من الحلة يعرف بعلي بن مهنا ذكي ذو فضايل: ما تظن قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة فدك؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا أن يظهرا لعلي عليه السلام وقد اغتصباه الخلافة رقة ولينًا وخذلانًا، ولا يرى عندهما خورًا، فاتبعا القرح بالقرح.

وقلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلى بن نقي من بلدة النيل: وهل كانت فدك الاّ نخلاً يسيرًا، وعقارًا ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدًا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر منع فاطمة عليها السلام عنها الاّ أن يتقوى علي عليه السلام بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي عليهما السلام وساير بني هاشم وبني المطلب حقهم من الخمس، فان الفقير الذي لا مال له تضعف همته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاطراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة، فانظر إلى ما قد وقر في صدور هؤلاء، وهو داء لا دواء له، وما اكثر ما تزول الاخلاق والشيم، فاما العقايد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها، انتهى[1].

١- شرح نهج البلاغة ٢٣٤/١٦ وما بعدها.

أقول: انظر رحمك الله تعالى إلى ما في هذه الأخبار من الاختلاط والتناقض والاختباط، الناشيء من اختلال نظامهم، وانحلال زمامهم في اصلاح هفوات امامهم.

وكيف كان فنقول: اما الحديث الأول ففيه أولاً: ان ما نقل فيه من بكاء أبي بكر ان صح، فانما هو مكر وخديعة، لا حزن وفجيعة، فعل ذلك لدفع ما عسى يطعن به عليه من مخالفة الشريعة، بارتكاب تلك الفعلة الفضيعة، والاّ فلو كان ذلك ناش عن الرقة في قلبه لها والشفقة، لكان الطريق إلى رده اليها، وان ثبت بما ادعاه ان ذلك صدقة بان يستنزل المسلمين عنها، ويقول لهم ان هذه ابنة نبيكم، وواجبة الحق عليكم، فهل تطيب نفوسكم بأن تدفعوا لها هذه النخلات، وتطيبوا بها خاطرها، وتقروا ناظرها، أترى ان أحدًا من المسلمين كان يأبى ذلك، ويشح عليها، أما كان في حقوق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليهم ونعمه التي اسداها اليهم مايقتضي الاغضاء لها عليها السلام عن ذلك، ومع فرض امتناعهم وإن كان مما يدخل في باب المحال، كان قد أتى بما هو الواجب عليه في ذلك المجال من مساعدتها، والحب لها، والشفقة عليها، وإن حصل التقصير من غيره والاخلال، وبهذا قد اعترف أولياؤه، كما تقدم في كلام الشارح نقلاً عن قاضي القضاة.

قال الوزير السعيد علي بن موسى الاربلي قدس سره في كتاب كشف الغمة بعد نقل الاخبار العامية والخاصية في غصب فدك، ونقل الاخبار في انها حق ذي القربى المشار اليه في الآية ماصورته: وقد تظاهرت الروايات من طرق

أصحابنا بذلك، وثبت ان ذا القربى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وعلى هذا فقد كان أبو بكر وعمر لما وليا هذا الأمر كانا يرتبان في الأعمال والبلاد القريبة والنائية من الصحابة والمهاجرين والانصار من لا يكاد يبلغ مرتبة علي وفاطمة والحسن والحسين ولايقاربها، فلو اعتقداهم مثل بعض الولاة، وسلما اليهم هذه الصدقة التي قامت النائرة في أخذها، وعرفاهم ماروياه، وقالا لهم انتم أهل البيت، وقد شهد الله لكم بالطهارة، واذهب عنكم الرجس، وقد عرفناكم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، ماتركناه صدقة، وقد سلمناها اليكم، وشغلنا ذممكم بها، والله من وراء أفعالكم فيها، وهو سبحانه بمرأى منكم، فاعملوا فيها بما يقربكم منه، ويزلفكم عنده، فعلى هذا سلمناها اليكم، وصرفناكم فيها، فان فعلتم الواجب الذي أمرتم به، وفعلتم فيها فعل رسول الله صلى الله عليه وآله قد أصبتم واصبنا، وان تعديتم الواجب، وخالفتم ما حده الرسول صلى الله عليه وآله فقد أخطأتم واصبنا، فان علينا الاجتهاد، ولم نأل في اختياركم جهدًا، وما علينا بعد بذل الجهد لائمة، وهذا الحديث من الانصاف، والله الموفق للسداد، انتهى[1].

وبذلك يظهر ان بكاءه المنقول في هذا الخبر، ومايبديه لها من حلاوة كلامه في مقاله، انما هو سخرية واستهزاء، وتهكم بشأنها ﴿صلوات الله عليها﴾، وسيأتي في كلام الجاحظ ما يؤيده ويسدده.

وثانيًا: ان مع شهادة علي عليه السلام بذلك الذي تواتر في حقه، انه مع الحق

١- كشف الغمة ١٠٥/٢ وما بعدها.

والحقّ معه، وأمثال ذلك مما كررنا نقله، فهل يعارض شهادته شهادة ابن عوف وابن الخطاب ولو كانوا ممن يؤمن بذلك النبي المستطاب ويصدقه، فيما سمعوه منه من هذا الخطاب ليروم أبو بكر الجمع بينهما بما ذكره، ولو أن الشارح الضال وأصحابه الذين هم معه على هذا المقال من تفضيل علي عليه السلام واعظامه، وما اطروه به من الاعزاز والاجلال، ينظرون بعين صحيحة من مرض العصبية، لعلموا ان اولئك القوم في ذلك اليوم لا يرون عليًا عليه السلام بهذه العين التي رآه بها هؤلاء، ولا يعتقدون العمل بصحة هذه الأخبار التي صححها هؤلاء والاّ لم ينزلوه بهذه المنزلة في هذا المقام ولا غيره، وهو أظهر ظاهر في نفاق القوم.

وثالثًا: ما أورده الشارح مما تقدم في كلامه.

ورابعًا: انه كان الواجب على أبي بكر لو كان من المؤمنين المصدقين بشريعة سيد المرسلين، ان يطلب من فاطمة عليها السلام تكميل البينة باليمين، فانه متى أقام المدعي شاهدًا وحلف معه، ثبت حقه كما صرح به جملة من علمائهم، بل قال شارح الينا على ما نقله عنه بعض أصحابنا ان ثبوت المال بشاهد ويمين مذهب الخلفاء الأربعة وغيرهم.

وروى البغوي في كتاب ﴿مصابيح السنة﴾ من الصحاح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قضى بشاهد ويمين[1]، ومن ذلك يعلم انه لا وجه لعدول أبي بكر عن ذلك الاّ أحد وجهين، اما جهله بالحكم الشرعي في المسألة، ولكن كان

١- مسند احمد ٢٤٨/١، السنن الكبرى للبيهقي ١٦٧/١٠.

الواجب مع جلوسه بجهله في مجلس الأحكام ان يستفيد الحكم من غيره، كما هي عادته في غير مقام، واما العناد لأهل البيت عليهم السلام والعداوة باخذ ضياعهم وعقارهم، لقصد اهانتهم واضرارهم، والاهتمام بفقرهم وافتقارهم، ويؤيد ما قلناه هنا ما نقله في كتاب كشف الغمة عن بعض علماء القوم.

قال: قال شريك: كان يجب على أبي بكر أن يعمل مع فاطمة بموجب الشرع، واقل ما عليه ان يستحلفها على دعواها ان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها فدك في حياته، فان عليًا وام ايمن شهدا لها، فتبقى ربع الشهادة، فردها بعد الشهادتين لا وجه له، فاما أن يصدقها أو يستحلفها، ويمضي الحكم لها، قال شريك: الله المستعان مثل هذا الأمر يجهله أو يتعمده، انتهى[1].

وخامسًا: ما دل عليه الخبر من رضا فاطمة عليها السلام بكلام أبي بكر وقولها بعد ذلك اللهم اشهد، وأين هذا مما دلت عليه تلك الخطبة المنقولة بطرق متعددة المشتملة على ما عرفت من التظلم والتألم، والبكاء والشكاية إلى أبيها صلى الله عليه وآله في قبره، ونسبة القوم إلى الكفر والارتداد، وما دلت عليه اخبار هذا المقام وغيرها من أنها ماتت غاضبة على أبي بكر وعمر من أجل ذلك، وهجرتهما، وأوصت ان لا يحضرا جنازتها، ولا الصلاة عليها.

وسادسها: مادل عليه من ان أبا بكر كان يأخذ غلتها إلى آخره، وكذلك ما كان بمضمونه، فان فيه ما ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي في كتاب تاريخ الخلفاء على ما نقله عنه بعض أصحابنا الأجلاء من ان فدكًا كانت

١- كشف الغمة ١١٧/٢.

بعد ذلك حبوة أبي بكر ثم عمر، ثم اقطعها عثمان مروان، وان عمر بن عبد العزيز قد رد فدكًا إلى بني هاشم، وروى أيضًا أنه ردها إلى أولاد فاطمة، انتهى.

وقد تقدم أيضًا من الشارح التصريح بان عثمان قد اقطعها مروان في وقت خلافته، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها فلم تعطها.

وسابعها: ما قدمناه في فصل مطاعن أبي بكر من أنه اقام مناديًا ينادي من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليحضر، فحضر جريز بن عبد الله فادعى على النبي صلى الله عليه وآله عدة، فاعطاه أبو بكر من غير بينة، وحضره جابر بن عبد الله وادعى ان النبي صلى الله عليه وآله وعده ان يحثو له ثلاث حثوات من مال البحرين، فلما قدم مال البحرين بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله أعطاه أبو بكر دعواه ثلاث حثوات بغير بينة[1].

وروى الحميدي في كتابه في مسند جابر قال: فعددتها فاذا هي خمسمائة، فقال أبو بكر لجابر: وخذ مثليها[2].

فلينظر أولوا العقول والاحلام اهل ينقص قدر فاطمة عليها السلام فيما ادعته عن قدر جرير وجابر، فتكلف البينة دونهما ومع ذلك ترد بينتها!

وأما حديث عايشة فقد تقدم نقله في مطاعن أبي بكر من المقدمة، وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث إلى آخره، وليس بين

١- الام للشافعي ٤/١٤٠.

٢- الاستذكار ٥/١٥٩.

هذين الخبرين اختلاف الاّ في هذا اللفظ، ففيه أولاً: ان حلف أبي بكر بالله انه لا يغيّر شيئًا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه يعمل فيها ما كان يعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله يكذبه مارواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند جبير بن مطعم في الحديث الثالث من افراد البخاري قال: جاء جبير بن مطعم وعثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يكلمانه فيما قسم من خمس خيبر بين بني هاشم وبني عبد المطلب فقالا: يا رسول الله قسمت لاخواننا بني عبد المطلب بن عبد مناف، ولم تعطنا شيئًا، وقرابتنا مثل قرابتهم، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: انما أرى هاشما وعبد المطلب شيئًا واحدًا، قال جبير: لم يقسم رسول الله صلى الله عليه وآله لبني عبد شمس، ولا بني نوفل من ذلك الخمس شيئًا. زاده حرملة، عن ابن وهب، عن يونس قال ابن شهاب: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم النبي صلى الله عليه وآله غير انه لم يكن يعطي قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيهم[1].

قال في كتاب ﴿الطرايف﴾ بعد نقل هذا الخبر: ثم رأيت في نسخة الحميدي زيادة هذه صورتها، ثم قال: اظنه كان يزيدهم، قال ابن شهاب وكان عمر يعطيهم منه وعثمان بعده[2]، فانظر إلى ما دل عليه هذا الخبر من انه لم يكن يعطي قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وآله مع حلفه في ذلك الخبر أنه لا يغيّر شيئًا من صدقات ر سول الله صلى الله عليه وآله، وانه يعمل كما يعمل

١- الطرائف/٢٦٠.

٢- الطرائف/٢٦١.

رسول الله، ثم انظر إلى اعتذار الحميدي بأنه يظن انه كان يزيدهم، وفيه أولاً: انه خلاف ما يفعله رسول الله ﷺ، وهو قد اقسم ان يعمل عمله ولا يغيّر ذلك.

وثانيًا: انه اذا ساغ التغيير والتبديل بالزيادة وعلى ما كان يعطيه رسول الله ﷺ، فهلا اعطى فاطمة عليها السلام فدكًا بالحجة التي جاز له بها الزيادة للقرابة في القسمة على ما كان النبي ﷺ يفعله، ودفع عن نفسه شنعة غضبها، وتظلمها وتألمها، أرأيت ان هؤلاء العلماء ليس لهم عقول في مناقضات هذه النقول ولكن الامر كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

وثالثًا: ما دل عليه من غضبها عليها السلام وهجرانها لابي بكر ستة أشهر حتى ماتت مع مارووه من أن الله سبحانه ورسوله يغضبان لغضبها، ويتأذيان لاذاها، ويرضيان لرضاها، ومن الظاهر البيّن انه لو كان أبو بكر ممن يرى فاطمة عليها السلام بالعين التي هي عليها من الاجلال والاعظام عند الله ورسوله، ويصدق بما ورد في حقها مما قدمنا نقله، واتفقت عليه رواة اخبارهم، ونقلة آثارهم، لتوصل إلى رضاها في ضمن هذه المدة الطويلة بكل حيلة ووسيلة، ولم تنم عينه عن ذلك حتى تموت بغيظها ساخطة عليه، وتوصي ان لا يحضرا دفنها ولا جنازتها، وما تكلفه بعض النصاب من أن أبا بكر حضر جنازتها، وهو الذي صلى عليها فهو ستر لا يواري تلك العورة لاتفاق اخبارنا وأخبارهم التي هي برواية عايشة

على العدم كما تقدم، ومساعدة جملة من منصفي علمائهم على ذلك.

وأما حديث عايشة الآخر ففيه ما في أمثاله مما تقدم، وأما حديث ام هاني فما فيه ظاهر مما سبق، ويأتي ان شاء الله تعالى، وأما حديث أبي الطفيل ففيه زيادة على ما أورده الشارح ان نقل هذا الراوي عنها عليها السلام في آخر الرواية قولها انت وما سمعت إلى آخره، فيه ما تقدم في الوجه الخامس من الكلام على الخبر الأول.

ولنعم ما قال صاحب معجم البلدان على ما نقله عنه بعض العلماء الأعيان بعد ذكر فدك وماجرى فيها، ان في امر فدك اختلافًا كثيرًا من رواة خبرها بحسب الاهواء وشدة المراء، انتهى[1].

وأما حديث البحتري بن حسان ففيه ما عرفت في أمثاله، ثم ان قول أبي بكر بعد شهادة علي عليه السلام وأم أيمن فرجل آخر أو امرأة اخرى لتستحق بها القضية، مع كون اليمين كما تقدم موجبة لثبوتها مع الشاهد جهل منه أو تجاهل، وأما حديث كثير النوا فاظهر من ان يتعرض لنقضه ورده، فهو اما كذب محض أو خرج فخرج التقية، فان الراوي كان من شياطين تلك الأمة الغوية، وأما حديث عايشة ففيه أولاً: الطعن بهؤلاء الثلاثة الزهري وعروة وعايشة، فقد عرفت ما هم عليه من البغض لأهل البيت عليهم السلام، فلا تقبل روايتهم، وهذا الشارح الضال الذي يطعن سابقًا في رواية قيس بن حازم الدالة على القدح في عثمان بأن الراوي لها كان يبغض عليًا عليه السلام قال: وقد طعن

١- معجم البلدان ٤/٢٣٩.

مشياخنا المتكلمون فيه بذلك، لانه فاسق، فكيف هنا مع تصريحه في شرحه هذا ببغض هؤلاء الثلاثة له عليه السلام لا يرد خبرهم، ولا يطعن فيه بذلك، بل يغمض نظره عن ذلك ويغضيه.

وثانيًا: ان قول عايشة للازواج لما أردن ان يبعثن عثمان، فقلت لهن: أليس قد قال النبي صلى الله عليه وآله لا نورث، ما تركناه صدقة، ومثله في حديثها الآخر الذي بعد هذا، وقولها فيه للازواج ألا تتقين الله، ألم تعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول لا نورث، إلى آخره.

قالت: فانتهين ازواج النبي إلى ما امرتهن، فيه أوضح دلالة على ما ينقل في هذا المقام من أنه هي، وحفصة، ومالك بن اوس هم الذين شهدوا بذلك.

قال الوزير السعيد علي بن عيسى الاربلي في كتاب كشف الغمة: وروي أن عايشة وحفصة هما اللتان شهدتا بقوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ومالك بن أوس النضري، ولما تولى عثمان قالت له عايشة: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر، فقال: لا اجد له موضعًا في كتاب الله، ولا في السنة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما، وانا لا أفعل، قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله، فقال: أليس جئت وشهدت انت ومالك ابن أوس النضري ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، فابطلت حق فاطمة، وجئت تطلبينه، لا افعل، فكان اذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص انه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر، فقال: ان هذه الزعراء عدوة الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب امرأة نوح وامرأة لوط ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلـــى قولـــه ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[1]، فقالت له: يا نعثل، ياعدو الله، انما سماك رسول الله باسم نعثل اليهـودي الـذي باليمن، فلاعنته ولاعنها، وحلفت ان لا تساكنه بمصر ابدًا، وخرجت إلى مكـة، انتهى كلامه زيد مقامه[2].

وجه التقريب انه لو علم ذلك قبل كلامها هذا لم يرسلن عثمان البتـة، مـا نقله هنا من كلام عايشة لعثمان، ومطالبتهـا بـالميراث، وجـواب عثمـان لهـا قـد تقدم نقله مفصلاً في مطاعن عثمان، ونكير جملة من الـصحابة عليـه فـي شـرح قولـه ومن كلام له عليه السلام في معنى قتـل عثمـان لـو أمـرت بـه لكنـت قـاتلاً إلـى آخره من الجزء الثاني.

وأما حديث أبي هريرة ففيه ما ذكره الشارح مع ما تقدم في سابقه، وهـو مؤيد لما ذكره الشارح، وفيه مع ما تقدمه ومماثلة ممـا سـيأتي ان هـذا لاينـافي دعوى فاطمة عليها السلام الهبة والنحلة، فلـو سـلمنا صـحة أحـاديثهم بـذلك، فـدعوى الهبة مما لا دفع له، والظـاهر انهـا عليها السلام ادعـت النحلـة أولاً، لأن فـدكًا كـان فـي يدها وتصرفها، فلما رأت انهم عكسوا عليها قضية الشرع، وسألوها البينـة علـى ما في يدها، ثم لم يقبلوا بعد ذلك بينتهـا، رجعـت إلـى طلـب ذلـك بـالميراث، فردها أبو بكر بحديثه الذي اخترعه من نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

وأما حديث أبي هريرة الثاني ففيه مع ما تقدم ان نسبة النزاع في ذلك بين

---

١ – التحريم/١٠

٢– كشف الغمة ١٠٧/٢ وما بعدها.

علي عليه السلام والعباس حتى ان عليًا عليه السلام غلب العباس، كذب صريح أو اشتباه والتباس، فان العباس اجل قدرًا، واعلى شأنًا من ان يجهل قدر علي عليه السلام، كما جهله اتباع الوسواس الخناس، ويدل على ذلك باوضح دلالة ما سيأتي ان شاء الله تعالى نقله في آخر المقالة، ورواية الحميدي ان العباس سلمها إلى علي عليه السلام بعد أن قبضاها من عمر.

وأما حديث مالك بن أوس بن الحدثان فأول ما فيه ان راويه من المنحرفين عن علي عليه السلام والمبغضين له[1]، ومما يشهد بكذبه نقله في خبره انه استب علي والعباس عند عمر، فان هذا لا يعتقده الاّ من جحد فضلهما وكفر، أما علي عليه السلام فلما علم من حاله المتفق عليه بين الخاص [والعام]، والمخالف والموالف في اعراضه عن الدنيا وان أقبلت عليه، ويوفرها على الناس متى انقادت اليه كما تقدم في كلامه عليه السلام في متن الكتاب، فكيف يدعي هذا الضال المرتاب وقوع النزاع بينه عليه السلام وبين العباس (رضي الله عنه) المنتهي إلى السباب، ولكن هؤلاء الاشقياء يتوصلون إلى الطعن فيه بجعله في قوالب لا يخفى وهنها على ذوي العقول والالباب، وأما العباس فلما قدمنا من انه اجل قدرًا من أن يجهل قدر علي عليه السلام كما جهله اولئك الضلال، كيف وقد تقدم نقل الشارح في أخبار السقيفة لما بويع لابي بكر أتى ابو سفيان عليًا عليه السلام

١- مالك بن اوس بن الحدثان النصري المدني، هو ابو سعيد، وفي رؤيته النبي صلى الله عليه وآله اختلاف، قال ابن سعد: انه ادرك النبي ورآه ولم يحفظ عنه شيئًا، وقال البخاري في تاريخه الكبير ٣٠٥/٧: وقال بعضهم له صحبة ولم يصح، وقال الرازي في الجرح والتعديل ٢٠٣/٨: مالك بن اوس بن الحدثان النصري المديني، ولا يصح له صحبة للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. المحقق.

ليبايعه، وضمن له أن يقود الناس اليه، فأبى عليه، فمضى إلى العباس، وطلب اليه ان يبايعه، لانه عم النبي صلى الله عليه وآله وأولى به، فقال له العباس: يا أبا سفيان أيردها علي ويقبلها العباس، وهو الذي قال لعلي عليه السلام وهم في البيت مشغولون بجهاز النبي صلى الله عليه وآله امدد يدك لأبايعك، فيقول الناس ان عم رسول الله بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك اثنان، وقد تقدم نقله في أخبار السقيفة إلى غير ذلك من الامور التي يعلم منها يقينًا ان العباس ﴿رضي الله عنه﴾ كان على يقين من امامة علي عليه السلام وولايته، وشدّة حبه ومتابعته، لا ما يتخرصه هؤلاء الضلال، ويطعنون به من سوء المقال.

ثم انظر إلى ما في الخبر المذكور من الغرائب والعجائب، وقد قدمنا نقل مضمون هذا الخبر برواية البخاري ومسلم في فصل مطاعن عمر من المقدمة، وأوضحنا ما فيه من المطاعن والمصائب، وأما ما اطال به هذا الشارح الضال العجب من هذه الرواية بعد ذكره المناقضة التي اشتملت عليها من قوله ان هذا لمن أعجب العجاب، ولولا ان هذا الحديث مذكور في الصحاح، إلى آخره.

فان فيه ان العجب الكلي، انما هو من ضلاله التام مع دعواه انه من العلماء الاعلام، وذوي النقض والابرام، وانه تابع للحق، لايتعصب للباطل، ولا يناضل عليه، ولا يجادل حيث انه اعتز بهذه التسمية من أصحاب تلك الكتب مع ما ذكره في غير موضع مما تقدم من اشتمالها على اخبار المناكر، كاخبار الرؤية والتجسيم، والقدح في أنبياء الله، والقدح في أمير المؤمنين، وان كل رواة أخبارها الاّ الشاذ اليسير ممن اعترف في هذا الشرح ببغضهم لاهل البيت عليهم السلام،

ونقل عن شيوخه بأن ذلك فسق يوجب ردّ الرواية وعدم قبولها، وقد اوضحنا جميع ذلك في غير موضع مما تقدم، فكيف ينوه هنا باسمها، وأنها الصحاح المجمع عليها.

ثم انظر إلى اقتصار الشارح في طعنه في الخبر على المناقضة التي ذكرها خاصة، وتغميض عينه عما فيه من الطامة الكبرى، والداهية النكرى، وهو نسبة عمر عليًا والعباس إلى أنهما كانا يعتقدان فيه وفي أبي بكر أنهما ظالمان فاجران.

وفي رواية البخاري ومسلم في كل من أبي بكر وعمر فرأيتماه ورأيتماني كاذبًا آثمًا، غادرًا خائنًا[1]، ولم يعتذر علي ولا العباس عن ذلك، ولا اعتذر أحد من اولئك الجماعة الحاضرين عنهم بانهما ليسا كذلك والاّ لنقل، وحينئذ فأي بلاء ومحنة عليهما وعلى من تابعهما اشد من هذا، بأن يعتقد علي عليه السلام الذي هو مع الحق والحق معه لا يفترقان فيهما الظلم والفجور، والكذب والاثم، والغدر والخيانة، فأين ما يدعيه هذا الشارح الضال في غير مقال من تفضيل علي عليه السلام والتنويه بشأنه، وانه من التابعين له، والواقفين على حدود أوامره ونواهيه، لم لا يصدقه في هذا المقال أو يجيب عن ذلك ولو بمزخرفاته التي يتمحلها في أمثال هذا المال، والعجيب ليس من عمر فيما قاله ولا من رواة الخبر، لان حالهم حاله، فان الجميع كما حققناه سابقًا ليسوا ممن ينظر عليًا عليه السلام بهذه العين التي ينظره بها هؤلاء الآن، مما هو عليه من علو الشأن، ورفعة

١- صحيح مسلم ١٥٢/٥.

المكان، وان من خالفه وناصبه كان من الهالكين كائنًا من كان، وانما ينظرونه بالعين التي ينظرون بها ساير الناس، فلا يبالون من مخالفته لهم أو مخالفتهم له، ولا من قدحهم فيه أو قدحه فيهم، ولكن العجب من هؤلاء الذين يروون في حقه عليه السلام ما عرفت في غير مقام، ويدعون أنهم يعتقدونه كذلك، ومع هذا يغمضون أعينهم عن امثال هذا الكلام، ويمضون على ولاية اولئك الاقوام، ويذبون عن الطعن فيهم، وينتصرون لهم، ويجادلون على ذلك في كل مقام، فأي ضلال أبين من ذلك، وأي تعصب على الباطل أوضح مما هنالك، وانما ما ذكره الشارح في الجواب عن الاشكال الأول بقوله اللهم الاّ أن يكون عثمان وسعد إلى آخره، فهو اظهر في الوهن والبطلان من ان يتعرض فيه للايضاح والبيان، والاظهر ان يقال في الجواب ان موافقة اولئك الجماعة لعمر وتصديقه، انما هو للخوف من شدة غلظته وفظاظته، كما اعتذر به الشارح سابقًا في مشاقته الرسول صلى الله عليه وآله في الكتاب ومخالفته، وأما ما ذكره في الاشكال الثاني بقوله هل يجوز أن يقال انّ عليًا كان يعلم ذلك ويمّكن زوجته إلى آخره، ففيه ان هذه التشكيكات الركيكة المتهافتة، والتخرصات الواهية الباردة بعد ظهور شعاع نور الحق من تحت غيوم هذه الاخبار، وسطوع اشراقه حتى هتك الحجب والاستار، كما اوضحناه في المقام بما لا يقبل الخفا والاستتار، انما نشأ من ضلال الافهام والاذهان، وشدة التعصب على الباطل حتى في الاديان والاّ فهذه الاخبار كما ترى منها ما اشتمل على خطبتي فاطمة عليها السلام الذي هو اظهر دليل فيما كان عليه القوم يومئذ من الضلال، والخروج عن جادة السبيل، ومنها

ما اشتمل على شهادة علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام بالهبة والنحلة، وهو الصادق الصديق، والفاروق على التحقيق، ولا يجحد ذلك الاّ كل كافر زنديق، ومنها ما اشتمل على مطالبة فاطمة عليها السلام والعباس عند أبي بكر، ثم العباس وعلي عند أبي بكر بعد موت فاطمة، كما يدل عليه خبر مالك بن أوس بن الحدثان، ثم رجوعها والمطالبة عند عمر، فلو كان مارواه أبو بكر من حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث حقًا، فهل يجوز في العقول السليمة، والأذهان المستقيمة أن يتكرر هذه المطالبات من علي عليه السلام والعباس، واظهر من جميع ذلك ما عرفت من خبر نسبه علي والعباس أبا بكر وعمر إلى الخيانة والغدر، والاثم في امر فدك، ويؤيد ذلك ما تقدم في كلام علي عليه السلام في صدر المقالة من قوله انما كانت في أيدينا فدك من كل ما اظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.

وبالجملة فالحق ساطع ابلج، ولكن المنافق لا يزال في ظلمات الباطل يتلجلج، هذا والمروي من طريق الامامية ﴿رضوان الله عليهم﴾ في هذا المقام عن علي عليه السلام، وهو الذي ينطبق عليه ما اشرنا اليه في هذه الأخبار، ويحصل به الألتئام فيها والانتظام، انه لما كان من غد ذلك اليوم الذي حضرت فيه فاطمة عليها السلام للمطالبة فرجعت، جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد، وحوله جماعة من المهاجرين والانصار، وهم في جمع كثير فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من أبيها، وقد نحلها به أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وملكها اياه في حياته؟ فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فان اقامت على ذلك شهودًا ان

أباها ملكها اياه والاّ فلا حق لها، فقال علي عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله ورسوله، وخلاف الحكم في المسلمين، فقال: لا، فقال: أخبرني يا أبا بكر لو كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه، فلمن تسأل البينة؟ فقال أبو بكر: اياك كنت أسأل، فقال علي عليه السلام: فما بالك سألت فاطمة البينة على ما في يديها، ولم تسأل المسلمين البينة على ما في أيديهم؟ قال: فسكت أبو بكر ولم يرد جوابًا، فقال عمر: دعنا من كلامك هذا يا علي، فانا لا نقوى على حجتك، فان أتيتم بشهود والاّ فهو فيء للمسلمين، فقال علي عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله العزيز؟ فقال: نعم، قال: أخبرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1] فيمن نزلت؟ فينا أم في غيرنا؟ فقال أبو بكر: بل فيكم، فقال علي عليه السلام: شهد الله لنا بالتطهير، ان يمسنا رجس أو ذنب، فطهرنا وعصمنا من الرجس، ومحل الكذب، فكذبتها وهي في دعواها صادقة، فان الله عصمها من الكذب وانت تشهد عليها بالكذب، فقد خالفت الله، ثم اني اسألك يا أبا بكر لو ان شهودًا شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعًا بها؟ فقال: كنت أقمت عليها الحد كما أقمته على سائر الناس، قال علي عليه السلام: يا أبا بكر اذًا تكون عند الله من الكافرين، قال: ولم ذلك؟ فقال علي عليه السلام: انك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله ورسوله، إذ جعل لها فدكًا، واقبضها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتصرفت فيها بامره، وشهد لها به شهود،

١- الأحزاب/٣٣.

وأنت قبلت شهادة ابن الحدثان اعرابي بوال على عقبيه، وقد قال رسول الله ﷺ: البينة على المدعي، واليمين على المنكر، ورددت قول الله المجيد في كتابه، قال الراوي: فجعل الناس ينظر بعضهم بعضًا وقالوا: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أبا الحسن، ولم تزل صادقًا في قولك، الخبر إلى آخره.

أقول: هذا هو الحق الصحيح الذي لا يعتريه الاشكال، والقول الصريح الذي لا يداخله التشكيك والاحتمال، والظاهر ان قوله عليه السلام في هذا الكلام لأبي بكر، وأنت قبلت شهادة ابن الحدثان، يؤيده ما نقله الشارح عن أصحاب أبي علي من أن أبا بكر يوم حاج فاطمة عليها السلام قال: انشد الله من سمع من رسول الله ﷺ في هذا شيئًا فروى مالك بن أوس بن الحدثان انه سمعه من رسول الله ﷺ، ومنه يعلم حال ابن الحدثان ورواياته المشتملة على الزور والبهتان، ولا سيما اشتمال اخباره على الشتم والسباب بين علي عليه السلام والعباس، فانه ناش عن مزيد نصبه الذي ليس فيه التباس.

وأما حديث مالك بن أوس بن الحدثان الدال على أنه جاء العباس وعلي إلى عمر فقال العباس: اقض بيني وبين الكذا وكذا، يعني شتمه، فقد اوضحنا ما فيه، وانه زور وبهتان من هذا الفاجر المهان، وسيأتي ان شاء الله تعالى مزيد ايضاح وبيان.

وأما قول الشارح فيه أنه أيضًا مشكل، لأنهما حضرا يتنازعان لا في الميراث، بل في ولاية الصدقة، فهو ناش عن عماه أو تعاميه بعد اعترافه بما اشتملت عليه هذه الاخبار من الفساد الذي لا يقبل الاصلاح، بل البهتان

والكذب الصراح، فانه لم يكن بين علي عليه السلام والعباس في ذلك نزاع ولا خصام، ولا اختلاف في هذا المقام، وانما حضرا إلى عمر في وقت خلافته للمطالبة بالميراث، للاحتجاج عليه عند الله ورسوله والالزام، كما سيأتي ايضاحه ما يرفع عنه غشاوة الابهام.

وأما حديث أبي البحتري ففيه ما تقدم في حديث مالك بن أوس بن الحدثان، وهو كما ترى صريح في أن المطالبة انما هو في الميراث.

وأما حديث عروة فقد تقدم في نظيره بما يكشف عن فساد ضميره، وفساد قليل اخباره وكثيره.

وأما حديث أبي البحتري فمثله، ويؤيده ما نبه به الشارح على كذبه، وأين هذه الاخبار وأمثالها من تلك الأخبار المتقدمة الدالة على التظلم والتألم، والاحتجاج والمخاصمة بينها عليها السلام وبين أبي بكر، ورميه وأصحابه بالكفر، واقامتها الشهود على دعواها، ولكن هؤلاء القوم لحيرتهم، واضطراب افكارهم في هذا المقام لا يدرون مايروون وما ينقلون، كأنهم يمشون في عشواء الظلام.

وأما حديث ابن الحدثان الذي لايستحي ولا يرعوي من نقل الزور والبهتان، ففيه زيادة على ما تقدم أنه لا يخفى ان المشهور في الأخبار وعند جملة العلماء في هذا المضمار، ان مطالبة فاطمة عليها السلام ومخاصمتها مع أبي بكر انما كان في فدك أو فيها وفي غيرها مما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نقل فيها دعواه نحلة تارة، ودعواه ميراثًا اخرى، وقد قدمنا بيان وجه الدعويين، وأنه لا تناف بينهما في البين، ولاريب أن رجوع علي عليه السلام والعباس إلى أبي بكر بعد

موت فاطمة عليها السلام ومطالبتهما بالميراث، ثم إلى عمر بعد موت أبي بكر، انما هو في ذلك رد احاديث ابن الحدثان وامثاله من ذوي البهتان، كحديث أبي هريرة المذكور قبل أيضًا يدل على ان عمر دفع ذلك بعد سنتين أو سنين من خلافته إلى علي عليه السلام والعباس، وهذا الخبر بالطريق الثانية التي نقلها أبو زيد عن أبي غسان عن عبدالرزاق الصنعاني إلى آخره، تدل على ان ذلك صار في يد علي عليه السلام لكن على وجه الصدقة لا الميراث، ثم من بعده ابنه الحسن، ثم الحسين عليهما السلام، ثم علي بن الحسين عليه السلام، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن[1].

وانت خبير بأن هذا اما أن يكون في فدك، وهو مخالف لما دل عليه جملة من الأخبار، وصرح به ارباب السير والآثار من ان فدكًا ونحوها مما كانت فاطمة عليها السلام طالبت به وخاصمت فيه بعد ان انتزعه أبو بكر منها، لم يرجع

١- أقول: نقل في كتاب كشف الغمة عن الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين قال فاما صدقته بالمدنية فدفعها عمر إلى علي والعباس، فغلبه علي عليها، وأما خيبر وفدك فامسكهما عمر وقال هما صدقة رسول الله كانت لحقوقه التي تعروه ونوايبه وامرهما إلى من ولي الامر، فهما على ذلك اليوم، قال قدس سره بعد كلام في البين معترضًا على هذا الكلام.

أقول: حكم هذه الصدقة التي بالمدينة حكم فدك وخيبر، فهلا منعهم الجميع كما فعل صاحبه ان كان العمل على مارواه أو صرفهم في الجميع ان كان الامر بضد ذلك، فاما تسليم البعض ومنع البعض، فانه ترجيح بغير مرجح، اللهم إلاّ ان يكونوا فعلوا شيئًا لم يصل الينا في امضاء ذلك، وفي قوله فغلبه عليها دليل واضح على ماذهب اصحابنا من توريث البنات دون الاعمام، فان عليًا لم يغلب العباس على الصدقة من جهة العمومة، وكان العباس أقرب من علي عليه السلام في ذلك، وغلبته اياه على سبيل الغلب والعنف مستحيل ان يقع من علي عليه السلام في حق العباس، ولم يبق الاّ انه غلبه عليها بطريق فاطمة وابنيها عليهم السلام، انتهى كلامه زيد مقامه. ﴿منه رحمه الله﴾.

إلى بني هاشم إلى وقت خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم قبضت بعد موته حتى رجعها السفاح وهكذا، وقد سمعت كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب سهل بن حنيف وقوله عليه السلام بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلت السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عليها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.

وهو كما ترى كما يدل على ذلك الخطام والجدال، والتردد والمطالبة، انما هو في فدك، لانها هي التي تحت أيديهم، ثم غصبت منهم، يدل على أنه بعد اغتصابها لم ترجع اليهم، وانه قد سخت نفوسهم عنها، وهذا كلامه في أيام خلافته، وقد تقدم أيضًا في هذا المقام في الرواية الاولى من روايات المقالة أنها كانت في يد الخلفاء الثلاثة مدة خلافتهم، ثم في يد معاوية جعلها اثلاثًا بين مروان وعمر بن عثمان ويزيد بن معاوية، إلى أن ولي أبو العباس السفاح فردها على عبدالله بن الحسن بن الحسن، وقد تقدم أيضًا في هذا المقام النقل عن الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي في كتاب تاريخ الخلفاء ان فدكًا بعد ذلك كان حبوة أبي بكر وعمر، ثم اقطعها مروان عمر بن عبد العزيز، وقد رد فدكًا إلى آخره، وتقدم أيضًا في المقدمة نقل مثل ذلك عن أبي هلال العسكري في كتاب الأوايل.

وبالجملة فشهرة غصبها من فاطمة عليها السلام، وأنها لم ترجع إلى بني هاشم الآ في زمن عمر بن عبد العزيز اظهر من ان ينكر، واما ان يكون في غيرها كما رواه الحميدي في كتاب الجمع من الصحيحين، قال: فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، فغلبه علي عليها، وأما خيبر وفدك فامسكهما

عمر، وقال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت لحقوقه التي تعروه، ومواريثه، وأمرهما إلى من ولي الأمر، فهما على ذلك اليوم.

وفيه أولاً: ما سمعت من كلام أمير المؤمنين عليه السلام انما كانت في أيدينا فدك إلى آخره مما يدل على أنه ليس في أيديهم من ميراث النبي صلى الله عليه وآله الاّ فدك، وأنها غصبت ولم ترجع اليهم، ولو كان هنا شيء آخر وقد رجع اليهم لم يتجه صحة هذا الكلام، وبذلك اعترف الشارح في شرح كلامه عليه السلام كما تقدم نقله.

وثانيًا: ان قول عمر في خيبر وفدك أنهما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر كلامه يعطي أن الذي رده عليهم ليس بصدقة، وان سماه الراوي صدقة والاّ لكان قبضها كما قبض خيبر وفدكًا، إذ لا يعرف لردها وجه سيما مع تعليله هذا في فدك وخيبر الاّ كون ذلك ميراثًا دون فدك وخيبر، كما هو ظاهر، والاّ لكان ترجيحًا بلا مرجح متى كان الجميع صدقة، ويؤيده ان غلبة علي عليه السلام العباس عليها ان صح انما كان بوجه الحجة والشرع، وهو كون الميراث لفاطمة عليها السلام التي هي ابنته صلى الله عليه وآله دون العباس الذي هو عم لا على وجه المغالبة والقهر، فان قدرهما يجل عن ذلك كما سنبينه ان شاء الله تعالى، هذا ما يقتضيه الكلام بالنسبة إلى المقام، والمفهوم من أخبار أهل البيت عليهم السلام ان الحوايط السبعة التي بالمدينة، وهي العواف، والدلال، والبرقة، والميثب والحسنى، والصافية، وما لام ابراهيم، كانت في يد فاطمة عليها السلام، وأنها وقفتها وجعلت الولاية فيها إلى علي ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين، وفي بعض

الأخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله وقفها على فاطمة عليها السلام، وان النزاع مع القوم يومئذ انما كان في فدك خاصة، ولعل غصب القوم لفدك بخصوصها لما كان فيها من كثرة الدخل وزيادة الحاصل، كما عرفت مما نقله الشارح آنفًا عن بعض الامامية دون هذه الحوايط المذكورة، وحينئذ فيحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقوله بلى كانت في أيدينا فدك إلى آخره، على أنها كانت تقوم بحالهم، وتكفيهم لنوائبهم، وما يعروهم ويهمهم في مصارفهم دون غيرها.

وأما ما ذكره الشارح في ذيل هذا الخبر من أن هذا من المشكلات لأن أبا بكر حسم المادة أولاً إلى آخره، ففيه أنه لا اشكال من هذه الجهة لما ذكرناه من ان تكررها في المطالبة بالميراث مرة بعد اخرى، انما هو لاقامة الحجة على أبي بكر وعمر عند الله ورسوله في الدنيا والآخرة.

تنبيه

ومن الواجب ان نبيّن في هذا المقام ما هو الوجه في اجتماع علي عليه السلام والعباس في المطالبة، وان ذلك على وجه الاتفاق بينهما دون الاختلاف والمغالبة، كما موه به هؤلاء الناصبة حتى نسبوهما إلى المشاتمة.

فنقول: انه لما كان مما احدثه القوم من أول ذلك اليوم، ان البنت لا ترث مع العم، اجتمع العباس مع فاطمة عليها السلام لمعاضدتها ومساعدتها، ثم مع علي عليه السلام بعد موتها لمعاضدته ومساعدته لدفع حجة القوم بمنع البنت، إذ مع عدم استحقاقها الميراث بزعمهم، فالوارث العباس، فيجب أن يدفعوه اليه، ومما يدل

على ما ذكرنا هنا من أن منع البنت من الميراث مع العم من محدثات القوم ماروواه شيخنا الصدوق ﴿عطّر الله مرقده﴾ في كتاب عيون الرضا في حديث طويل يتضمن سؤال هارون الرشيد للكاظم عليه السلام عن جملة من المسايل، قال له من جملتها: فلم ادعيتم انكم ورثتم النبي صلى الله عليه وآله، والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توفي أبو طالب قبله، والعباس عمه حي، فقلت له: أرى أمير المؤمنين ان يعفيني من هذه المسألة، وليسألني عن كل باب سواه فقال: لا أوتجيب، فقلت: فآمني، فقال: قد امنتك قبل الكلام، فقلت: ان في قول علي بن أبي طالب انه ليس مع ولد الصلب ذكرًا كان أو انثى ميراث الاّ الأبوين والزوج أو الزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراثًا، ولم ينطق به الكتاب الاّ أن تيمًا وعديًا وبني أمية قالوا: العم والد رأيًا منهم بلا حقيقة ولا اثر عن الرسول صلى الله عليه وآله، ومن قال بقول علي من العلماء قضاهم خلاف قضاء هؤلاء، وهذا نوح بن دراج يفتي في هذا المسألة بتولي علي، وقد حكم به، وقد ولاه أمير المؤمنين قضاء المصرين الكوفة والبصرة، الخبر[1].

ومما يدل على انه لا نزاع بين علي عليه السلام والعباس في ذلك ولا خلاف، بل هما في غاية من الاتفاق والائتلاف أولاً: ما قدمنا في المقام من طلب العباس عليًا عليه السلام لان يبايعه بعد النبي صلى الله عليه وآله، وقوله ﴿رضي الله عنه﴾ لابي سفيان لما طلبه للخلافة، أيردها علي ويقبلها العباس، وأمثاله مما يدل على اجلاله له، ونظره له بعين الوقار، والتقديم له والاعظام.

١- عيون اخبار الرضا ٧٩/٢.

وثانيًا: انه لو كان ما نقلوه في خبر ابن الحدثان وغيره من ان عليًا عليه السلام انما اخذ تلك الصدقات مغالبة وزورًا، ثم اولاده من بعده، لكان بنوا العباس ينازعونهم فيها، ويأخذونها من أيديهم في أيام خلافتهم ودولتهم، ولو كان لنقل، وليس فليس.

وثالثًا: مارواه البخاري ومسلم في صحيحهما، وقد ذكره الحميدي في مسند عمر في الحديث الثامن عشر من المتفق عليه على ما نقله في كتاب الطرايف انه لما سلم عمر إلى العباس ﴿رضي الله عنه﴾ وعلي عليه السلام صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله التي في المدينة خاصة، وكان العباس وعلي عليه السلام قد طلباهما من عمر بطريق الميراث من النبي، ولعل أبا بكر واتباعه الذين سموها صدقات، فدفعها العباس إلى علي عليه السلام خاصة، وكانت في يده ثم لما توفي علي عليه السلام كانت في يد ولده الحسن، ثم ساق الكلام كما تقدم في رواية ابن الحدثان[1].

وفي هذه الرواية أيضًا ما عرفت في تلك الرواية الاّ أن الغرض الاستدلال منها بما في قوله فدفعها العباس إلى علي عليه السلام خاصة، فأين ما يدعيه ابن الحدثان من المسابة والمشاتمة بينهما في هذا المكان، وهذه رواية الصحيحين تشهد بأنه دفعه إلى العباس باختياره وقصده.

وقال في كتاب الطرايف بعد ذكر كلام في المقام: ومما يقتضي ان منازعة العباس ﴿رضي الله عنه﴾ لعلي عليه السلام في الميراث كانت مساعدة لعلي،

١- الطرائف/٢٨٣.

مارواه محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، وهو من اعيان المخالفين في مسند علي عليه السلام فيما رواه قثم بن العباس ما هذا لفظه: رفع الحديث قال: قيل لقثم بن العباس (رضي الله عنه): كيف ورث علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله دون العباس؟ قال: لانه اقدمنا به لحوقًا واشدنا به لزوقًا.

وروى الحضرمي المذكور رفع الحديث انه قيل لعبد الله بن العباس: ماشأن علي ورث رسول الله دون أبيك العباس وهو عمه؟ قال: لانه كان أقدمنا به لحوقًا، واشدنا به لزوقًا[1].

وهذان الحديثان من طرق القوم كما يدلان على اتفاق علي عليه السلام والعباس في باطن الامر، يدلان على ان النبي يورث، وان الوارث له علي عليه السلام من جهة زوجته عليها السلام.

ورابعًا: ما ذكره في كتاب الطرايف أيضًا قال: وقد روى كثير من علماء الاسلام اتحاد العباس مع علي عليه السلام حتى روى ابن سعد، وهو من اعيان المخالفين في كتابه المعروف بالطبقات ان عليًا عليه السلام هو غسل العباس (رضي الله عنه)، وتولى أمره لما مات، وقد كان من اختصاص علي عليه السلام بأولاد العباس قبل تمكنه في خلافته، ومبدأ انبساط يده ومبايعته ما يدل على دوام الصفا والوفا، وقد ذكر ذلك جملة من العلماء وعلماء التواريخ حتى كانوا خواصه في حروبه وولاياته، وفي أسراره واحتجاجاته.

وقد ذكر الصولي في كتاب الاوراق روى للمأمون الخليفة العباسي في

١- الطرائف/٢٨٤.

علي بن أبي طالب يتضمن بعض ما ذكرناه، وهو قوله شعرًا:

أُلام على ذكر الوصي أبي الحسن ... وذلك عهدي من عجايب ذا الزمن
خليفة خير الناس والأول الذي ... اعان رسول الله في السر والعلن
ولولاه ما عادت لهاشم إمرة ... كانت على الايام تقضى وتمتهن
فولى بني العباس ما اختص غيرهم ... ومن منّه اولى الكرامة والمنن
فاوضح عبد الله بالبصرة الهدى ... وفاض عبيد الله جودًا على اليمن
وقسم اعمال الخلافة بينهم ... فلا زلت مربوطًا بذا الشكر مرتهن

انتهى[1].

وخامسًا: ما قدمنا روايته في الأخبار الملحقة باخبار يوم الغدير من المقدمة عن ابن عبد ربه في كتاب العقد وغيره في غيره، عن أبي رافع وغيره، ان عليًا عليه السلام نازع العباس إلى أبي بكر في برد النبي صلى الله عليه وآله وسيفه وفرسه، فقال أبو بكر: أين كنت يا عباس حين جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبدالمطلب وأنت أحدهم، فقال: أيكم يوازرني فيكون وصيي، وخليفتي في أهلي، وينجز موعدي، ويقضي ديني، فقال له العباس: فما اقعدك مجلسك هذا، تقدمته وتأمرت عليه، فقال أبو بكر: اغدرًا يا بني عبدالمطلب[2].

أقول: انظر إلى هذا الخبر بعين البصيرة، وتأمل فيه بعقل غير حسيرة،

١- الطرائف/٢٧٥.

٢- المناقب لابن شهراشوب ٢٤٩/٢، البحار ٣/٣٨.

يظهر لك سر اجتماع علي عليه السلام والعباس في المطالبة مرارًا في الميراث لا ما توهمه حثالة الناس، واتباع الوسواس الخناس.

طريفة

وفي المقام حكاية طريفة يناسب ذكرها، ولطيفة شريفة يجب سطرها، نقل جملة من علمائنا الاعلام افاض الله تعالى على أرواحهم رواشح الفضل والانعام، منهم شيخنا الصدوق ﴿عطر الله مرقده﴾ ان خالد بن يحيى البرمكي سأل هشام بن الحكم بمسمع من الرشيد الخليفة العباسي، فقال: أخبرني يا هشام عن الحق هل يكون في جهتين مختلفتين؟ قال هشام: الظاهر لا، قال: فخبرني عن نفسين اختصما في حكم في الدين، وتنازعا واختلفا، هل يخلو من أن يكونا محقين أو مبطلين أو يكون أحدهما محقًا والآخر مبطلاً؟ قال هشام: لا يخلو من ذلك، فقال له: يحيى بن خالد فخبرني عن علي والعباس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيهما كان المحق من المبطل، اذ كنت لا تقول أنهما كانا محقين ولا مبطلين؟ قال هشام: فنظرت فاذا انا ان قلت ان عليًا عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي، وان قلت ان العباس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي، ووردت عليّ مسألة لم أكن سألت عنها قبل ذلك الوقت، ولا اعددت لها جوابًا، فذكرت قول أبي عبدالله عليه السلام وهو يقول: يا هشام لا تزال مؤيدًا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، فعلمت اني لا أخذل، وعنّ لي الجواب في الحال، فقلت له لم يكن لاحدهما خطأ في الحقيقة وكانا جميعًا

محقين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود عليه السلام حيث يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[1] إلى قوله ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] فاي الملكين كان مخطئًا، وأيهما كان مصيبًا؟ أو تقول كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي بعينه، فقال خالد: لست أقول ان الملكين أخطئا بل أقول انهما اصابا، وذلك لأنهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم، وانما اظهرا ذلك لينبها داود على خطيئته، ويعرفاه الحكم، ويوقفاه عليه، قال: قلت له: كذلك علي عليه السلام والعباس ﴿رضي الله عنه﴾ لم يختلفا في الحكم، ولا اختصما في الحقيقة، وانما اظهرا الاختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على غلطه، ويوقفاه على خطئه، ويدلاه على ظلمه لهما في الميراث، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وانما كان منهما على حد من كان من الملكين، فاستحسن الرشيد ذلك الجواب، انتهى[3].

وأما ما نقله الشارح من الأخبار المتعلقة بسهم ذوي القربى، وان فاطمة عليها السلام قد طالبت به ومنعها أبو بكر، فيدل عليه زيادة على ما ذكر ما قدمنا نقله في مطاعن أبي بكر عن الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين، قال: كتب عبد الله بن العباس إلى نجدة بن عامر الحروري في جواب كتابه، وكتبت

١- ص/٢١.

٢- ص/٢٢.

٣- الفصول المختارة للمفيد/٤٩.

تسألني عن الخمس لمن هو؟ فانا نقول: هو لنا، وأبى علينا قومك ذلك[1].

وأما الحديث المشتمل على أبيات الكميت ففيه اشكال، قد أوضحناه في بعض كتبنا، وهو ان الرجل المذكور معدود في خلّص شيعة أهل البيت عليهم السلام، كما ذكره علماء الرجال، ومنهم العلامة قدس سره في كتاب خلاصة الأقوال وغيره[2]، ونقل من شعره بمحضر الباقر عليه السلام ما صورته:

ان المصرين على ذنبيهما	والمخفيا الفتنة في قلبيهما
والخالعا العقدة عن عنقيهما	والحاملا الوزر على ظهريهما
كالجبت والطاغوت في مثليهما	فلعنة الله على روحيهما

فضحك الباقر عليه السلام، وقد تقدم في المقدمة نسبة الابيات اليه، وهو قوله:

ويوم الدوح دوح غدير خم	ابان له الولاية لو اطيعا

إلى آخرها بنقل المخالف والموالف، ولكن نقل بعض افاضل اصحابنا عن الشيخ المفيد ﴿نوّر الله مرقده﴾ في شرحه لقصيدة السيد اسماعيل الحميري البائية التي اولها: هلا وقفت على المكان المعشب، باسناده إلى سليمان المسترق عن السيد يعرف بقاسم الخياط، قال حججت مع السيد في أيام هشام، فلقيت الكميت بن زيد الشاعر الاسدي، فسلم عليه السيد وعظّمه،

١- الطرائف/٢٦، صحيح مسلم ١٩٧/٥، المعجم الكبير للطبراني ٣٣٧/١٠.

٢- خلاصة الاقوال/٢٣٢، وفيه: الكميت بن زيد الاسدي رحمه الله، مشكور.

وقال: انت اعزك الله القائل:

ولا أقول اذا لم يعطيا فدكًا بنت الرسول ولا ميراثه كفرا
الله اعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا

فقال الكميت: نعم انا الذي أقوله، فقال السيد: لولا اقامة الحجة لوسعني السكوت، اضعفت يا هذا عن الحق، ثم ذكر له شيئًا من الاحتجاج عليه، ثم قال له: فانظر في أمرك، فقال الكميت: انا تائب إلى الله من شكي فيما قلت، انتهى[1].

وقد وقفت على جواب لهذه الابيات منسوب إلى شيخنا بهاء الملة والحق والدين ﴿نوّر الله تعالى مضجعه﴾ في اجوبة مسائل سأله عنها بعض الافاضل، ومن جملتها انه سأله الجواب عن هذه الأبيات بما صورته: سيّدي

١- أقول: قد نقل صاحب صراط المستقيم صورة احتجاج السيد رحمه الله بروايته عن المرزباني عن قاسم الخياط غلام السيد ما هذا لفظه: قال أضعفت عن الحق بقول النبي فاطمة بضعة مني يريبي ما رابها، ويشهد لها علي عليه السلام وولداه وأم أيمن ولا يحكم لها والله يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾(مريم/٦)، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾(النمل/١٦) ويجعلون سبب خلافة أبي بكر شهادة ابنته ان النبي صلى الله عليه وآله قال مروا أبا بكر ان يصلي بالناس، ما تقول فيمن حلف بالطلاق ان فاطمة وشهودها ما قالوا الاّ حقًا؟ قال: يقيم على امرأته، قال: فلو حلف انهم قالوا غير الحق؟ قال: طلقت امرأته، قال: فانظر في امرك قال: أنا تائب إلى الله في شيء فيما قلت، انتهى.

أقول: وحينئذ من الممكن ان هذه الابيات كانت في أول أمره ثمّ رجع إلى الدين الحق، وجميع ما روي عنه من اثبات الغدير، وحديث الباقر المذكور في الاصل ونحو ذلك كله بعد رجوعه، والله العالم. ﴿منه رحمه الله﴾.

وسندي، ومن عليه بعد الله وأهل البيت معتمدي، هذه الابيات لبعض النواصب بتر الله أعمارهم، واخرب ديارهم، فالمأمول من أنفاسكم الطاهرة، والطافكم الغامرة ان تشرفوا خادمكم بجواب منظوم عن هذه الأبيات، يكسر سورة هذا الناصب وامثاله من الطغاة، نصر الله بكم الاسلام بمحمد وآله الكرام، وهي هذه: اهوى عليًا، ثم ذكر الابيات.

الجواب: الثقة بالله وحده، التمست أيها الاخ الأفضل الوفي، الالمعي الذكي، اطال الله بقاك، وادام في معارج العز ارتقاك، الاجابة عما هدر به هذا المخذول، فقابلت التماسك بالقبول، وطفقت أقول شعرًا:

يا أيها المدعي حب الوصي ولم ... تسمح بسب أبي بكر ولا عمرا

كذبت والله في دعوى محبته ... تبت يداك ستصلى في غد سقرا

وكيف تهوى أمير المؤمنين وقد ... اراك في سب من عاداه مفتكرا

فان تكن صادقًا فيما نطقت به ... فابرأ إلى الله ممن خان أو غدرا

وانكر النص في خم وبيعته ... وقال ان رسول الله قد هجرا

أتيت تبغى قيام العذر في فدك ... اتحسب الامر بالتمويه مستترا

ان كان في غصب حق الطهرفاطمة ... سيقبل العذر ممن جاء معتذرا

فكل ذنب له عذر غداة غد ... وكل ظلم يرى في الحشر مغتفرا

فلا تقولوا لمن ايامه صرفت ... في سب شيخكم قد ضل أو كفرا

بل سامحوه وقولوا لا نؤاخذه ... عسى يكون له غدر اذا اعتذرا

فكيف والعذر مثل الشمس اذ بزغت ... والامر متضح كالصبح اذ ظهرا

لكن ابليس اغواكم وصيركم عميًا وصمًا فلا سمعًا ولابصرا

وأمّا حديث أبي صالح مولى ام هانى ففيه ما تقدم في نظايره، واما حديث فاطمة بنت الحسين عليه السلام وما نقلته من كلام فاطمة عليها السلام في مرضها، فهو نظير كلامها عليها السلام في الخطبة المتقدمة، وتقرير الاستدلال ظاهر لكل ناظر.

وأما قول الشارح الضال عقيب نقل كلامها عليها السلام قلت: هذا الكلام وان لم يكن فيه ذكر فدك إلى آخره ففيه أولا: ان هذا الكلام انما هو تعريض باولي الجلافة الذين تقمصوا الخلافة، وغصبوها من امام الكافة الذي هو الاصل في غصب فدك، ووقوع كل ظلم على اهل البيت ومخافة، ولكن بصر بصيرته قد عمى عن ذلك لما مسّه من الآفة، أو عرفه وتعامى عنه لعدم الرهبة من الله سبحانه والمخافة، ثم انظر إلى ما اشتمل عليه كلامها ﴿صلوات الله عليها﴾ مما يخرس شقاشق هذا الشارح الضال فيما هدر به في غير مقام من العذر لتقدم ائمته في الخلافة على علي عليه السلام، بانهم راعوا في ذلك المصلحة للاسلام، وخافوا الانتقاض فيه بولايته عليه السلام والانهدام، فان هذا خطابها لنساء المهاجرين والانصار بالطعن في رجالهم، وميلهم إلى من بايعوه، وقدموه على امير المؤمنين عليه السلام ينادي بافصح لسان، ويخبر باوضح بيان، بان الجميع انما اتفقوا على العدول عنه لما علموه من شدة وطأته، وتنمره في ذات الله، وعدم محاباته، ثم انظر إلى قولها عليها السلام والله لو تكافوا عن زمام نبذه اليه رسول الله صلى الله عليه وآله، مما هو اشارة إلى النص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقولها لسار بهم

سيرًا سجحًا، إلى آخره.

وهو صريح كما ترى فى أنه لو كف أبو بكر وعمر ومن تبعهم أيديهم من غصب الخلافة، لسار بهم هذا السير الذي ذكرته، وبأحسن الاوصاف، واجلها وصفته، فأين مايدعيه الشارح الضال واصحابه المشاركين له في هذا الضلال، المخالفين للمعقول والمنقول، فيما ذهبوا اليه من تأخير الفاضل، وتقديم المفضول عن العذر الذي اوجب لهم الوقوع في هذا الفضول، وهي عليها السلام الصادقة الصديقة، بغير نكير، بما اعلنت به آية التطهير، ولا ينبئك مثل خبير، فما ادري ما جواب هؤلاء الضلال، وكل من روى هاتين الخطبتين منهم عنها عليها السلام في هذا المجال، فان كذبوها كفروا بلا اشكال، للرد في ذلك على الملك المتعال، ولكن هذه عادتهم من التيه في أودية الحيرة والضلال، ينقلون ما تلزمهم الحجة به، ويغمضون عنه العين في البين في غير مقام، وهو مصداق ما وصفهم به الملك العلام، من جعلهم اضل من الانعام.

ثمّ أقول: وقد روى هذه الخطبة الشريفة شيخنا الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ﴿طيب الله مرقده﴾ في كتاب ﴿معاني الأخبار﴾ بسنده إلى محمد بن زكريا الذي روى عنه أبو بكر الجوهري هنا، ثم ساق بقيه السند كما هنا، ورواها بسند آخر أيضًا إلى علي عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعتني فقالت: امنفذ أنت وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلى، انفذها، فاوصت اليّ وقالت: اذا أنا مت فادفني ليلاً، ولاتؤذن رجلين ذكرتهما، قال: فلما اشتدت عليها اجتمع اليها نساء المهاجرين والانصار فقلن: كيف اصبحت

يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ الحديث[1].

ثم قال شيخنا الصدوق رحمه الله: قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله سألت أبا احمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري عن معنى هذا الحديث، فقال: أما قولها ﴿صلوات الله عليها﴾﴿عايفة﴾ العافية الكارهة، يقال عفت الشيء اذا كرهته اعافه.

﴿والقالية﴾ المبغضة، يقال: قليت فلانا اذا ابغضته، وفي كتاب الله عزوجل: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[2].

وقولها: ﴿لفظتهم﴾ هو طرح الشيء من الفم كراهة له.

وقولها: ﴿بعد ان عجمتهم﴾ يقال: عجمت الشيء اذا عضضت عليه، وعوم معجوم اذا عض.

﴿وشنيتهم﴾ ابغضتهم، والاسم منه الشنآن.

وقولها: ﴿سبرتهم﴾ اي امتحنتهم.

وقولها: ﴿فقبحًا لفلول الحد﴾ يقال: سيف مفلول اذا انثلم حده.

﴿والخور﴾ الضعف.

﴿والخطل﴾ الاضطراب.

وقولها: ﴿لقد قلدتهم ربقته﴾ الربقة مايكون في عنق الغنم وغيرها من الخيوط، والجمع الربق.

١- معاني الاخبار للشيخ الصدوق/ ٣٥٤.

٢- الضحى/٣

﴿وشتت﴾ صببت، يقال شتت الماء وشننته اذا صببته.

﴿وجذعًا﴾ اسم من جذع الانف.

﴿وعقرًا﴾ من قولك عقرت الشيء.

﴿وسحقًا﴾ أي بعدًا.

﴿وزحزحوها﴾ أي نحوها.

﴿والرواسي﴾ الاصول الثابتة، وكذلك القواعد والطمس.

﴿ومانقموا من أبي الحسن﴾ أي ما الذي انكروا عليه.

﴿وتنمره﴾ أي تغضبه، يقال: تنمر اذا غضب، وتشبه بالنمر.

وقولها: ﴿تكافوا﴾ أي كفوا ايديهم عنه.

﴿والزمام﴾ مثل في هذا.

﴿لاعتلقه﴾ لاخذه بيده.

﴿والسجح﴾ السير السهل، لا يكلم لا يجرح ولا يدمى.

﴿والحشاش﴾ مايكون في أنف البعير من الخشب.

﴿ولا يتعتع﴾ أي لا يكره ولا يملق.

﴿والمنهل﴾ لمورد الماء.

﴿والنمير﴾ الماء النامي في الجسد.

﴿والفضفاض﴾ الكثير.

﴿والضفتان﴾ جانبا النهر.

﴿والبطان﴾ جمع بطين، وهو الريان.

﴿غير متحل منه بطائل﴾ أي كان لا يأخذ من مالهم قليلاً ولا كثيرًا الاّ مغمر الماء، أي كان يشرب بالغمر.

﴿والغمر﴾ القدح الصغير.

﴿وردعه سورة الساغب﴾ أي كان يأكل من ذلك قدر ما يردع ثوران الجوع.

﴿والذنابة﴾ ما يلي الذنب من الجناح.

﴿والقوادم﴾ ماتقدم منه العجز، معروف.

﴿والمعاطس﴾ الانوف.

وقولها: ﴿فنظرة﴾ أي انتظروا.

﴿ريثما تنتج﴾ تقول حتى تلد.

﴿ثم احتلبوا طلاع القعب﴾ أي ملأ القعب، والقعب العس من الخشب.

﴿والدم العبيط﴾ الطري.

﴿والدعاف﴾ السم.

﴿الممقر﴾ المر.

﴿والهرج﴾ القتل.

﴿والزهيد﴾ القليل، انتهى[1].

وثانيًا: انه لو كان اولئك القوم في ذلك اليوم يرون فاطمة عليها السلام بهذه العين التي ينظرها بها من تأخر في هذه الأيام، ويعترف بما ورد في حقها من التبجيل

١- معاني الاخبار للشيخ الصدوق/٣٥٤ — ٣٥٧.

والتعظيم، والاجلال والاعظام، والاكرام مع ما يسمعون هنا من تألمها وتظلمها، وشكاياتها وبكائها، لبذلوا النفوس في نصرتها ومساعدتها، وجردوا السيوف في القيام بواجب حقها ومعاضدتها، ويزيدك أيضاحًا انه لم يخلف بين اظهرهم من الولد الاّ هذه الابنة، مع ماذكر في حقها من الفضايل والمناقب، وما انزل الله تعالى في شأنها في كتابه العزيز من تطهيرها من الذنوب، والامر بمودتها مع ما له صلى الله عليه وآله من الحقوق اللازمة الواجبة، الموجبة لمزيد رعايتها، مضافًا إلى ما حث عليه في خطبه من الوصية باهل بيته، كما تقدم في أخبار الغدير وغيرها، ويجري عليها ما سمعت من هذه الأحوال التي يذوب لها صم الجبال، فتخرج في ملأ المسلمين تطالب وتحاجج، وتضارب وتستصرخ وتستغيث، وأمير المؤمنين عليه السلام من شهودها، ومع هذا كله فلا يساعدها مساعد ولو بكلمة واحدة من اولئك القوم حتى ترجع حزينة باكية، وتموت بوجدها وغصتها متظلمة إلى الله تعالى شاكية، ثم تخرج عايشة بنت أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السلام التي هي باعتراف هؤلاء القوم في هذه الأيام كانت ظالمة آثمة باغية، ثم يساعدها على حربه الألوف من الناس من الصحابة والتابعين وغيرهم، أفليس هذا أوضح دليل على ما كان عليه القوم تلك الأيام من الضلال والتضليل، والخروج عن نهج ذلك السبيل، ولله در من قال:

ما المسلمون بشيعة لمحمد ... لكنهم تبعًا لنجل عتيق
جاءتهم الزهراء تطلب ارثها ... فتقاعدوا عنها بكل طريق
وتواثبوا في قتل آل محمد ... لما اتتهم ابنة الصديق

وأمّا قوله انه لا ينصر مذهبًا بعينه، فهو كلام متحير مبهوت، وضال ممقوت، وتستر بما هو أوهن من بيت العنكبوت.

أمّا أوّلاً: فانه كيف لا ينصر مذهبًا بعينه، وقد علم من شرحه في هذا الكتاب وتعصبه على اهل بيت النبي ﷺ الأطياب، وستر هفوات اعدائهم بالاباطيل والمجادلة عنهم بمزيد الضلال والتضليل، وستر مناقبهم وما يدل على امامتهم، فانهم اصحاب ذلك المنصب الجليل، وارتكاب الاحتمالات الباردة والتكلفات الشاردة في ذلك، ومزيد القال والقيل.

وثالثًا: انه لا يخفى ان الخلاف بين الشيعة واهل السنة في هذا الموضع وغيره على قولين، لابد وان يكون احدها حقًا، والآخر باطلاً، والواجب على من كان من ذوي الايمان نصرة الحق واعتقاده حيث كان وأينما كان، وتشييده واظهاره بالدليل والحجة والبرهان الاّ أن يشهد على نفسه بانه من الضلاّل المذبذبين الذين لا يهتدون إلى حق ولا يقين، لكن النظر في حاله وماجرى عليه في شرح هذا الكتاب يدل على انه حيث عجز في هذا المقام لما رأى في رواياتهم من الحجية عليه والالزام عن نصر أئمته وخلفائه، تستر بمثل هذا الكلام الذي لا يروج الاّ على ناقصي العقول والاحلام، وانحل نظامه، واضطرب كلامه، وذلك لانه لما رأى هذه الاخبار التي نقلها من طرقهم متهافتة متناقضة، ومتباغضة متعارضة، ورأى ما في كلام فاطمة عليها السلام من الطعن في أئمته وخلفائه، بما هو احدّ من السهام، لم ير ملجأ في الجواب مع تعصبه لائمته الاّ التستر بهذا الكلام.

واما قولـه وأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم إلى آخره، ففيـه ان عدوله مما هو فيه إلى هذا الكلام، انما هو من قبيـل مـا يقـال ان العـاجز فـي مقـام المنـاظرة، كـالطير فـي الـشجرة يفـر مـن غـصن إلـى غـصن خوفًـا مـن المحاصـرة، حيـث غمـض عينـه عـن تحقيـق مـا هـو الحـق المـستفاد مـن هـذه الاخبار، وما الذي تؤديه وتقتضيه في هـذا المـضمار، وكيـف كـان فمـا ذكـره وفيه أولاً: أنه أي اهانة واذلال واصغار أعظم مـن أن يؤخـذ مـا فـي يـدها، ممـا تكف به وجهها عن ذل الحاجة للناس حتى تخرج عليها السلام في مـلأ النـاس ببكائهـا ونحيبها، وتطالب وتنازع وتخاصم، فترجع بالخيبة والحرمان، والوجد والحسرة والاحزان، وأي فخر ومزية في كلام أبي بكر لهـا فـي تلـك الأخبـار المنقولـة، وقوله بأبي أنت وأمي، وبكائه ونحو ذلك من المكر والخدع، بعد اهانته لها بما ذكرناه، واشتفاء غليله بما فعله، وسيأتي اعتراف النظّام بصحة ما قلناه.

وثانيًـا: ان الـشيعة انمـا روت اخـذ عمـر الكتـاب مـن عنـدها، وتفلـه فيـه وتمزيقه، ولم ترو أنه ضربها في ذلك اليوم أو دفع في صدرها، وانما ضربه لهـا كان في يوم اخراجه عليًا عليه السلام للبيعة، كما تقـدم نقلـه عـن النظّـام احـد علمـاء الشارح وأصحاب نحلته، وتخريق الكتـاب هنـا لـيس مـن خـصوصيات الـشيعة كما زعمه، بل روي مـن طـرقهم أيـضًا كمـا قـدمنا فـي مطـاعن أبـي بكـر فـي المقدمة.

فقد روي في رسالة المأمون، وهي مرويـة مـن طـرقهم[1]، ورواه الواقـدي

١- اما من طرقنا فقد نقله: فقه القرآن للراوندي ٢٤٨/١، البحار ١٥٧/٤٨، الكافي ٥٤٣/١.

وهو من مشاهير علمائهم، وسيأتي أيضًا نقل هذا الضال له في كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ من طريقهم، ولم ينكره ولم يعترض عليه في نقله، كما هي عادته فيما لا يرتضيه ولا يوافق عليه من كلامه.

وثالثًا: ان قوله قدر الصحابة يجل عن ذلك، وكان عمر اتقى لله، واعرف بحقوق الله من ذلك، ينافيه اولاً: كلام فاطمة عليها السلام في هاتين الخطبتين حيث نسبت الجميع ، وهم أبو بكر، وعمر، ومن تبعهم إلى الكفر والالحاد، والرجوع عن الدين والارتداد، وحينئذ فان اعترف واقرّ بان فاطمة عليها السلام صادقة ثبت المطلوب، وبطل عذره الواهي، الناشي عن ضلالة الغير المتناهي، وان كذبها كفى خزيًا له وشقاوة في المعاد، اذا وقف بين يدي رب العباد الذي قد طهرها من الرجس، والكذب والفساد.

وثانيًا: انه أين كان تقوى أبو بكر وعمر ومن معهم، وخوفهم من الله حين يديرون الحطب، ويضرمون النار على اهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة في منزلهم، ويخرجون أمير المؤمنين عليه السلام ملببًا يقاد كما يقاد البعير المخشوش، ويهان كما يهان الاسير، وزوجته وأولاده خلفه يبكون ويستغيثون، كما تقدم جميع ذلك في أخبار السقيفة، ولكن هذا الضال التايه في أودية الضلال يهدر بما لا يعيه، ويشقشق ملأ فيه، وأما قوله بعد نقل الابيات فانظروا إلى هذه البلية التي صبت من هؤلاء على سادات المسلمين إلى آخره.

ففيه أولاً: ان البلية انما صب عليهم من الله عزّو جلّ باظهاره لفضائحهم وقبائحهم على ألسنة أوليائهم واتباعهم، ليكون غدًا حجة عليهم بين يديه عزّو

جلّ، وأي ذنب للشيعة اذا كان جميع ما تطعن به على خلفائهم، انما أخذوه من أخبارهم وكلام علمائهم، كما اوضحناه سابقًا، فهذا كلام فاطمة عليها السلام في هاتين الخطبتين المرويتين من طرقهم ينادي كما سمعت بارتدادهم وكفرهم، وهذا الجاحظ الذي هو باعتراف الشارح من المتعصبين للعثمانية، وقد تقدم بحث شيخه الاسكافي معه في الرد عليه، والرد لما أورده من تلك الترهات الظلمانية، قد صرح بغصب فدك على ابلغ وجه، كما سيأتي نقله ان شاء الله تعالى، وطعن في أبي بكر اشد الطعن، وهذه جملة من علمائهم وجل اخبارهم تنادي بما فعل باهل البيت عليهم السلام في يوم قهر علي عليه السلام على البيعة من قصد احراقهم، وضرب فاطمة، واسقاط جنينها وامثال ذلك من الامور الشنيعة، الموجبة للكفر والارتداد، والخروج عن الدين والدخول في زمرة ذوي الألحاد، ولكن هؤلاء الضلال العادمي الديانة والصيانة في جميع الاحوال، لم يمنعهم الحياء من الامام ان يتكلموا بمثل هذا الكلام، كأنهم من جملة البهائم والانعام، فليتهم اذ تمسكوا بولاية هذين الجبتين انكروا ما ورد في حق أهل البيت عليهم السلام من المناقب، وان طبقت الخافقين، الموجبة لكفر من خالفها رأى العين، وأنهم مع الاعتراف بها انكروا ما فعله خلفائهم بأهل البيت عليهم السلام من تلك المصائب، التي تشد لها العصائب، ولكن أبى الله سبحانه الاّ اظهار ذلك لمزيد الخزي عليهم والشنيعة، وان غمضوا أعينهم عن ذلك، وقذفوا به الشيعة، ولله در القاضي ابن قريعة احد علماء القوم حيث قال وقد كشف به المغطى، ورفع ذلك الغطا شعرًا:

يا من يسائل دائبًا | عن كل معظله سخيفه
لا تكشفنّ مغطئًا فلربما | كشفت جيفه
ولرب مستور بدا | كالطبل من تحت القطيفه
ان الجواب لحاضر | لكنني اخفيه خيفه
لولا حدود صوارم | امضى مضاربها الخليفه
لنشرت من اسرار | آل محمد نكتًا لطيفه
وأريتكم ان الحسين | اصيب في يوم السقيفه
ولأي شي أُلحدت في الليل | فاطمة الشريفه
ولما حمت شيخيكم | عن وطأ حجرتها المنيفه
أسفًا لبنت محمد | ماتت بغصتها أسيفه

وقد تقدمت هذه الأبيات في الجلد الأول بزيادة على ما هنا، واقتصرنا منها هنا على محل الاستشهاد.

وثانيًا: ان قدح الشيعة فيهم، انما هو تبع لقدح ائمتهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ من أمير المؤمنين عليه السلام فمن بعده من أولاده، كما تقدم بيانه في غير مقام، ونقله هذا الضال في الجزء التاسع في شرح قوله الاصل، ومنها وقد قال انك يابن أبي طالب على هذا الامر لحريص إلى آخره، عن اسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه مقدم الحنابلة في حكاية ذكر منها ان علي بن طالب هو الذي سنّ السب للشيعة، وفتح لهم هذا الباب، فارجع اليه ليزول عنك الارتياب،

وهذه خطبة فاطمة ﴿صلوات الله عليها﴾ في هذين الموضعين اظهر ظاهرًا في ذلك، فلم لا اجاب عنها، فان كان قدح أهل البيت عليهم السلام وتكفيرهم لهم، لا يقدح فيهم ولا في علو شأنهم، ولا جلالة قدرهم ومكانهم، يلزم ان يقدح في علو شأن القادح البتة، والقول به كفر بالاتفاق من ذوي الوفاق والنفاق.

وثالثًا: ان ما طوّل به من قياسهم على الانبياء عليهم السلام في أن الطعن عليهم لم يزدهم الاّ رفعة، ولا زادت شرائعهم الاّ انتشارًا في الأرض إلى آخره، اشارة إلى ما هو سبب ضلالهم، وهلاكهم في التعامي عن الحق، وتقليدهم ومتابعتهم، وهو اتساق الدنيا لائمتهم، واقبالها عليهم، وامتداد الدولة لهم في جميع الاوقات، وانخذال الشيعة في زاوية التقية بما يلقونه منهم من المخافات، وفيه اولاً: ان الشيعة وان كانوا اقل عددًا فهم بحمد الله اكثر عدة، وقد قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[3]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[5]، ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾[6]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ

١- سبأ/١٣.

٢- هود/٤٠.

٣- البقرة/٢٤٩.

٤- يوسف/١٠٣.

٥- المائدة/٤٩.

٦- النساء/١١٤.

لَا يَعۡقِلُونَ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مدح القلة، وذم الكثرة.

خليلي قطاع الطريق إلى الحمى كثيـــر وان الواصليـــن قليـــل

وثانيًا: انه لا يخفى على من نظر بعين الحق والانصاف، انه لم يزل أولياء الله في الامم السابقة واللاحقة قليلين، والحق لم يزل مقهورًا وفي جانب الباطل مضمحلاً مغمورًا، وجيمع الانبياء المتقدمين واتباعهم كانوا بفراعنة زمانهم وملوك أوقاتهم مقهورين مضطهدين، يوسعونهم قتلاً وتشريدًا وطردًا، فما فخر به ليس له، بل عليه، كما هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبالجملة انه ليس لهم وان ارتقوا إلى السماء الاّ الكثرة المذمومة، وتكثير التأليف في تلك البدع، والمحدثات المسومة، المبنية على الآراء والاقيسة والاهواء، والتقرب إلى خلفاء الجور وامراء الشيطان، بتصحيح خلافتهم عن الله سبحانه ورسوله، ليفوزوا منهم بحطام هذه الدنيا الدنية، والرياسة على كافة البرية.

واما قوله بعد نقل ما نقله عن ذينك الرجلين الامامين ﴿رضي الله عنهما﴾ انظر إلى ما وقر في صدور هؤلاء إلى آخر الكلام ففيه أولاً: انه اذا ثبت كون اخذ أبي بكر وعمر فدكًا من فاطمة عليها السلام غصبًا، كما ينادي به كلامها عليها السلام في خطبتها، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في متن هذا الكتاب

١- المائدة/١٠٣.

باعتراف الشارح ثمة في صدر البحث، ويدل عليه أيضًا اعتراف عمر في غير خبر مما تقدم بان عليًا عليه السلام والعباس كانا يقولان انه مع أبي بكر فيما فعلاه من أخذ فدك غادران خائنان، آثمان ظالمان فاجران، ولم ينكر علي عليه السلام ولا العباس ذلك، ويؤيده أيضًا طعنه في هذه الأخبار بما ذكره فيها فلا بد البتة ان يكون لهذا الغصب والجرأة عليهم دون سائر المسلمين من سبب، وليس الاّ ما ذكره هذان الفاضلان ﴿رحمهما الله﴾، وكيف استجاز هذا الضال معارضة الشيعة فيما تبديه من هذا المقال مع كونه صريح كلام ائمتهم عليهم السلام بنقله في المقام، ولم يتعرض لنقض ذلك ولا الجواب عنه، وكان الواجب عليه لو كان يجد الطريق اليه ان يجيب عن كلام علي وفاطمة ﴿صلوات الله عليهما﴾ فيما طعنا به على اولئك الاقوام، ثم بعد ذلك يتعرض للطعن على كلام شيعتهم المبني عليه، لو كان ممن يعمل بالانصاف ويحتج اليه.

وثانيًا: ان قوله فاما العقايد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها على اطلاقه ليس بمحل للعجب كما توهمه، فان عقايد اولئك قد صارت مبنية على اساس وثيق، واصل بالثبات عليه حقيق خليق، وهو ولاية أهل بيت النبوة التي هي الدين الالهي على التحقيق، واخذ العلوم الدينية اصولاً وفروعًا من مشكاة النبوة، وباب مدينة العلم النبوي، والشرب بذلك المشرب الرحيق، وحينئذ فلا تعجب من عدم زوال عقايدهم، وانما العجب من ثبات مثله وامثاله على هذه العقايد التي كشفوا عن ضلالها، واوضحوا بأنفسهم مزيد نكالها ووبالها، وجادلوا مع ذلك عليها بالباطل الذي لا يرجع إلى حاصل ولا طائل، كما

اوضحناه بحمد الله في هذا الكتاب بما تشتاقه أذهان أولوا العقول والألباب، ومما يدخل في هذا المقام ما ذكره حجة اسلامهم الغزالي في باب اللعن من كتاب احياء العلوم من ان لعن اليهود، وأهل الكتاب لا يجوز مطلقًا، نعم يجوز على طريق الشرط والتقييد، فيقال: لعن الله فلان اليهوي ان لم يمت على الاسلام، لان صدور الاسلام منه جايز، نعم يجوز اللعن على الرافضة مطلقًا من غير شرط، لحصول القطع بان الرافضي لا يتوب ولا يرجع عن مذهبه ورفضه، انتهى كلامه ضوعفت في الجحيم آلامه[1].

ولقد أراد أن يذم فمدح، وان يفضح فافتضح، كما ظهر لك مما شرحناه في هذا الكتاب ووضح.

ثم أقول: ان ما تضمنته هذه الاخبار من قول أبي بكر في غير خبر ان الأنبياء لا يورثون ذهبًا ولا فضة، انما يورثون العلم والحكمة والنبوة.

ففيه أولاً: ان هذا النبي الذي هو أحدهم انما ورث على مقتضى كلامه العلم والحكمة دون المال، ولا ريب ان مقتضى الارث هو انتقال جميع ذلك إلى وارثه كما في ارث المال، فجميع علم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وحكمته، وسنته ينتقل إلى وارثه على حسب ما ادعوه أيضًا في قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2] من انه ورثه في مقام النبوة لا المال، وحينئذ فالواجب عليهم ان يعينوا لنا هذا الوارث له صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جميع علمه، وحكمته وسنته، فان كان هو أبو بكر وعمر

١- احياء العلوم للغزالي ١٢٣/٣.

٢- النمل/١٦.

اللذين قد جلسوا مكانه، فما أرى لهم الاّ الضد من ذلك العلم والحكمة، لما استفاض وعلم من جهلهم كما قدمنا بيانه، وان كان هو أمير المؤمنين عليه السلام فلم عدل عنه أبو بكر وعمر، وتقدموا عليه اذا كان هو الوارث لمقامه كما ذكروه، هب انهم تقدموا عليه لطمع الملك والرياسة، كما تدعيه الشيعة أو للمصلحة التي تدعيها اهل السنة، فلم لا يرجعون اليه في الأحكام، اذ كان هو الوارث لذلك المقام من بين الانام، ومن جملتها حكم هذه المسألة المتنازع فيها، وان كان ذلك الوارث شخصًا آخر من غير ما ذكرنا، فلا قائل به ولامدعي له.

وأنت خبير بان خبر الثقلين، وخبر السفينة، وخبر انا مدينة العلم وعلي بابها، وامثالها تنادي بكون الوارث هو علي عليه السلام، وحينئذ فكيف جاز لابي بكر الذي شهد بكونه عليه السلام الوارث بمعونة هذه الاخبار ان يستبد بضلاله في هذا المقام[1].

١- قال الوزير السعيد علي بن عيسى الاربلي قدس سره في كتاب كشف الغمة نقلاً عن ابن البطريق بعد ذكره جملة من الاخبار في هذا المضمار ما صورته: اعلم ان في هذه الاخبار دليلاً على نفي الشك عن امير المؤمنين عليه السلام إلاّ ان يكون رسول الله أولاً لانه قال انه وارثه، وفسر ما يرثه، فقال كتاب الله وسنة الرسول، وذكر ان ذلك هو وراثة الانبياء قبله، وهذا هو غاية التنويه بذكره في استحقاق الامر بعده، لان الميراث هو حق جعله الله تعالى لمستحقه ليس بجعل المتوفي، فاذا كان ميراث الانبياء هو الكتاب والسنة، وهما مستحقان من قبل الله تعالى، وبهما صحة النبوة، والامامة فرع عليهما، فوارثهما قائم مقام الانبياء، وجار على طريقتهم، وحينئذ يجب على الامة اتباعه والانقياد إلى طاعته، ليكونوا بذلك لربهم من الطائعين، ولنبيهم متابعين، لان من كان وارثًا لما به صحت النبوة، كان اعلم به ووجب اتباعه، وقد ثبتت الامامة لعلي عليه السلام فيما ثبتت النبوة للنبي صلى الله عليه وآله، فتارك الاقتداء بامامته عليه السلام كتارك الاقتداء بنبوته. ﴿منه رحمه الله﴾.

وثانيًا: ما ذكره بعض اصحابنا ﴿رضوان الله عليهم﴾ في الرد على بعض النصاب وذوي الأذناب في جملة الآيات الواردة في ميراث الأنبياء على وراثة النبوة والعلم حيث قال بعد كلام في المقام: وأيضًا لو كانت النبوة والعلم مما يورث، لم يكن على وجه الارض الاّ الأنبياء والعلماء، اذ الميراث لا يجوز ان يكون لواحد من الورثة دون آخر، فأول خلق الله كان هو نبينا آدم عليه السلام، فلو ورث ولده نبوته وعلمه، لوجب ان يكون جميع ولد آدم انبياء وعلماء، وكذلك اولاده إلى يوم القيامة، ويلزم أيضًا قائل هذا ان يحكم بان ورثة محمد صلى الله عليه وآله قد ورثوا نبوته فهم انبياء، فلا يجوز تقديم أبي بكر عليهم، وان صححنا خلافته كما ذكروه في انكار تجويز تقدم المهدي على عيسى عليهما السلام.

والعجب من الناصبة انهم لا يثبتون على طريقة واحدة، لانهم اذا قال لهم الامامية ينبغي أن تكون الخلافة لعلي عليه السلام لئلا يخرج سلطان محمد من داره وقعر بيته، قالوا هذه سنة هرقلية، لا تجتمع النبوة والامامة في بيت واحد، وهنا يثبتون مذهبهم الهرقلي، ويقولون ان النبي يتولد منه النبي، ويرث منه النبوة، انتهى كلامه زيد مقامه.

قال في المقام:

الفصل الثاني

في أن النبي صلى الله عليه وآله هل يورث أم لا؟ نذكر في هذا الموضع ما حكاه المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في الشافي عن قاضي القضاة في المغني، وما

اعترضه به، وان استضعفنا شيئًا من ذلك، قلنا ما عندنا وإلاّ تركناه على حاله.

قال المرتضى: أول ما ابتدأ به قاضي القضاة حكايته عنا استدلالنا على انه صلى الله عليه وآله يورث بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[1] ، وهذا الخطاب عام يدخل فيه النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ أجاب يعني قاضي القضاة عن ذلك وقال: ان الخبر الذي احتج به أبو بكر يعني قوله: نحن معاشر الانبياء لا نورث لم يقتصر على روايته هو وحده حتى استشهد عليه عمر وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن فشهدوا به، فكان لا يحل لأبي بكر وقد صار الامر إليه ان يقسم التركة ميراثًا، وقد خبر رسول الله صلى الله عليه وآله بها صدقة وليست ميراثًا، واقل ما في هذا الباب ان يكون الخبر من أخبار الآحاد، ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص في العبد والقاتل وغيرهما، ولما سمعت فاطمة ذلك من أ بي بكر كفت عن الطلب، فما ثبت من الاخبار الصحيحة فلا يمتنع ان تكون غير عارفة بذلك فطلبت الارث، فلما روى لها كفت فأصابت أولاً وأصابت ثانيًا، إلى ان قال قاضي القضاة نقلاً عن أبي علي في آية زكريا وطلبه الولد من الله سبحانه بحمله الميراث في الآية على العلم، لان زكريا خاف على العلم يندرس، لان الانبياء لا تحرص على الاموال، وانما أراد خوفه على العلم ان يضيع فسأل الله تعالى وليًا يقوم في الدين مقامه، ثمّ ساق الكلام إلى ان قال: فاما خبر السيف والبغلة والعمامة وغير ذلك فقد قال أبو علي انه لم يثبت ان أبا بكر دفع ذلك إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام على

١– النساء/١١.

جهة الارث، وكيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه هو، كيف لو كان وارثًا ان يخصه بذلك ولا أرث له مع العم ولا عصبة، إلى ان قال: ويجوز ان يكون أبا بكر يرى الصلاح في ذلك ان يكون بيده لما فيه من تقوية الدين وتصدق ببذله بعد التقويم، لان الامام له ان يفعل ذلك.

قال: وحكي عن أبي علي في البرد والقضيب انه لم يمتنع ان يكون فعله عدة في سبيل الله وتقوية على المشركين، ثمّ عارض نفسه بطلب ازواج النبي صلى الله عليه وآله الميراث، وتنازع أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بعد موت فاطمة عليها السلام، وأجاب عن ذلك بان قال: يجوز بان يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر، ثمّ ساق الشارح حكاية المرتضى وكلام قاضي القضاة إلى ان قال: هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضي القضاة.

ثمّ قال: نحن نبين أولاً ما يدل على انه صلى الله عليه وآله يورث المال، ثمّ نعطف الكلام على ما أورده ونتكلم عليه.

قال ﴿رضي الله عنه﴾: والذي يدل على ماذكرنا قوله تعالى مخبرًا عن زكريًا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1]، فخبّر انه خاف من بني عمه، لان الموالي هنا هم بنو العم بلا شبهة، وانما خافهم ان يرثوا ماله فينفقوه في الفساد، لانه كان يعرف ذلك من اخلاقهم وطرائقهم، فسأل ربه ولدًا يكون أحق بميراثه منهم، والذي يدل على ان المراد من

١- مريم/٥-٦.

الميراث المذكور من الآية ميراث المال دون العلم والنبوة على ما يقولون ان لفظ الميراث في الشريعة واللغة لايفيد اطلاقها إلاّ ما يجوز ان ينتقل على الحقيقة من المورث إلى الوارث كالاموال وما في معناها، ولا يستعمل في غير المال، إلاّ تجوزًا واتساعًا، ولهذا لا يفهم من قول القائل ولا وارث لفلان إلاّ فلان، وفلان يرث مع فلان بالظاهر والاطلاق إلاّ ميراث الاموال والاعراض دون العلوم وغيرها، وليس لنا ان نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مجازه لغير دلالة، والانصاف انه تعالى خبّر عن نبيه انه اشترط في وارثه ان يكون رضيًا، وحتى لو لم يحمل الميراث في الآية على المال دون العلم والنبوة لم يكن للاشتراط معنى، وكان لغوًا وعبثًا، لانه إذا كان انما يسئل ان يقوم مقامه، ويرث مكانه وقد دخل الرضا وما هو أعظم من الرضا في جملة كلامه وسؤاله، فلا مقتضى للاشتراك المذكور، فاذا ثبت هذه الجملة صح ان زكريا مورث ماله، وصح أيضًا بصحتها ان نبينا ﷺ ممن يورث، لان الاجماع واقع على ان حال نبينا ﷺ لا يخالف حال الانبياء المتقدمين فمن مثبت للامرين وناف للامرين.

قلت: ان شيخنا ابا الحسين قال في كتاب ﴿الغرر﴾: صورة الخبر الوارد في هذا الباب، وهو الذي رواه أبو بكر لا نورث، ولم يقل نحن معاشر الانبياء لا نورث، فلا يلزم من كون زكريا يورث، الطعن في الخبر، وتصفحت انا كتب الصحاح فوجدت صيغة الخبر كما قاله أبو الحسن، وان كان ﷺ عنى نفسه بذلك فقد سقط احتجاج الشيعة بقصة زكريا و غيره من الانبياء إلاّ انه

يبعد عندي انه أراد نفسه خاصة، لانه لـم تجر عادتـه ان يخبـر عـن نفسه شـيئًا بالمرة.

قال المرتضى: ومما يقوي ما قدمناه ان زكريا خاف من بني عمه فطلب وارثًا لاجل خوفه منهم إلاّ بالمال دون العلم، والنبوة، لانه كان أعلم بالله تعالى من ان يخاف ان يبعث نبيًا ليس بأهـل للنبـوة أو ان يـورث علمـه وحكمـه مـن ليس أهلاً لهما، ولانه انما بعث لاذاعة العلـم ونـشره فـي النـاس، فـلا يجـوز ان يخاف من الامر الذي هو الغرض من البعثة[1].

إلى ان قال الشارح: قال المرتضى: واما تعلق صاحب الكتـاب بـالخبر الذي رواه أبو بكر وادعاه انه استشهد عمر وعثمان وفلانًا، فأول ما فيه ان الذي ادعاه من الاستشهاد غير معروف، والذي روي ان عمر استشهد هؤلاء النفر لما تنازع أمير المـؤمنين والعبـاس فـي الميـراث، فـشهدوا بـالخبر المتـضمن لنفـي الارث، وانما يعول مخالفنا فـي صـحة الخبـر الـذي رواه أبـو بكـر عنـد مطالبـة فاطمة عليها السلام بالارث على امساك الامة عن النكير عليه والرد لقضيته.

قلت: صدق المرتضى فيما قال اما عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومطالبة فاطمة عليها السلام بالارث، فلم يرو الخبر إلاّ أبو بكر وحده، وقيـل: انـه رواه معـه مالـك بـن اوس بن الحدثان، واما المهاجرون الذين ذكرهم قاضـي القـضاة فانمـا شـهدوا بالخبر في خلافة عمر، وقد تقدم[2].

١- شرح نهج البلاغة ٢٤٢/١٦ - ٢٤٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٤٥/١٦ وما بعدها.

قال: المرتضى: ثمّ لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة، لان الخبر على كل حال لا يخرج عن ان يكون غير موجب للعلم، وهو في حكم اخبار الآحاد، وليس يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن بما جرى هذا المجرى، لان المعلوم لا يخصص إلاّ بمعلوم، ثمّ نقل الشارح جملة كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في ذلك، وقال بعده قلت: أما قول المرتضى لو سلمنا ان هؤلاء المهاجرين الستة رووه لما خرج عن كونه خبرا واحدًا، ولما جاز ان يرجع عن عموم الكتاب به، لانه معلوم والخبر مظنون، فلقائل ان يقول انه حصل في كل واحد من آيات القرآن رواية مثل هذه الستة حيث جمع القرآن على عهد عثمان ومن قبله من الخلفاء، فانهم بدون هذا العدد كانوا يقبلون في اثبات الآية في المصحف، بل كانوا يحلفون من أتاهم بالآية، ومن نظر في كتب التواريخ عرف ذلك، فان كان هذا العدد انما يفيد الظن فالقول في آيات الكتاب اثبت عن علم مستفاد من رواية هذا العدد ونحوه، فالخبر مثل ذلك، فاما مذهب المرتضى في خبر الواحد، فانه قول انفرد به عن سائر الشيعة، لان من قبله من علمائهم ما عولوا إلاّ على اخبار الآحاد كزرارة ويونس، وأبي بصير وابن بابويه، والحلبي وأبي حزم القمي وغيرهم، ثمّ من كان في عصر المرتضى منهم كأبي جعفر الطوسي وغيره، إلى ان قال:

قال المرتضى: وأما قوله نخص القرآن بالخبر كما خصصناه في العبد والقائل فليس بشيء، لانا انما خصصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم، وليس هذا موجودًا في الخبر الذي ادعاه.

واما قولـه ان فاطمة عليها السلام لما سمعت ذلك كفت عن الطلب، فأصابت أولاً وأصابت ثانيًا، فلعمـري انمـا كفـت عـن المنازعـة والمـشاحة، لكنهـا انـصرفت مغضبة متظلمة متألمة، والامر فـي غـضبها وسـخطها اظهـر مـن ان يخفـى علـى منـصف، فقـد روى اكثـر الـرواة الـذين لا يتهمـون بتـشيع ولا عـصبية فيـه مـن كلامها في تلك الحال وبعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة، ما يدل على ما ذكرناه من سخطها وغضبها.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، ثمّ ساق سنده إلـى عـروة عن عايشة: لما بلغ فاطمة اجماع أبي بكر على منعها فدك لاتت خمارها على رأسها، وأشتملت بجلبابها وأقبلت في لمّة من حفدتها.

قال المرتضى: وأخبرنا المرزباني، قال: حدثنا أبو بكر محمـد المـالكي، قال: حدثنا أبو العينا محمد بن القاسم اليماني، قال: حدثنا ابن عايشة، قـال: لمـا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة المسجد إلى ابي بكر وهو فـي حـشد مـن المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت دونهـا مـلاءة، ثـمّ انـت أنّـة أجهـش لهـا القوم بالبكاء وارتج المجلس، ثـمّ امهلـت هنيئـة حتـى إذا سـكن نـشيج القـوم، افتتحت كلامهـا بالحمـد لله عـزّ وجـلّ والثنـاء عليـه، والـصلاة على رسـول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنـتم، حـريص عليكم، بالمؤمنين روؤف رحيم، فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلّغ الرسالة، صادعًا بالنذارة، مائلاً عـن سـنن المـشركين، ضاربًا بثبجهم، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخـذًا باكظـام

المشركين، يهشم الاصنام، ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر حتى تعرى الليل عن صبحه، واسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وتمت كلمة الاخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، نهزة الطامع، ومذقة الشارب، وقبسة العجلان، وموطيء الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد اذلة، خاسئين، يتخطفكم الناس من حولكم حتى انقذكم الله منها برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد ان مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة المشركين قذف اخاه وابن عمه في لوائها، ولا ينكفي حتى يطأ صماخها، ويطفي عادية لهبها بسيفه أو قالت ويخمد لهبها بحده، مكدودًا في ذات الله، وأنتم في رفاهية، فاكهون، آمنون، وادعون. إلى هنا رواية أبي العباس بن عايشة.

واما عروة ابن عايشة فزاد بعد هذا: حتى اختار الله لنبيه دار الانبياء، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، فاطلع الشيطان رأسه صارخًا بكم، فدعاكم وألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة متلاحظين، ثمّ استنهظكم فوجدكم خفافًا، فالفاكم غضابًا، فوسمتم غير ابلكم رواء، واردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، انما زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات وأنى بكم وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين اظهركم زواجره بيّنة، وشواهده

لايحه، واوامره واضحة، رغبة عنه تريدون، ام لغيره تحكمون، بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثمّ لم تلبثوا الاّ ريث ان تسكن نفرتها، تشربون حسوًا في ارتفاء، ونحن أصبر منكم على مثل حد المدى، وأنتم الآن تزعمون ان لا أرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن احسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، يا ابن أبي قحافة اترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئًا فريًا، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد يوم القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها فقالت:

قد كان بعدك ابناء وهنبثة — لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الارض وابلها — واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وروى ابن أبي العلا مع هذين البيتين بيتًا ثالثًا:

فليت بعدك كان الموت صادفنا — لما قضيت وحالت دونك الترب

قال: فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ياخيرة النساء، وابنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا عملت إلاّ باذنه، وان الرايد لا يكذب أهله، واني اشهد الله وكفى بالله شهيدًا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله [يقول:] انا معاشر الانبياء لانورث ذهبًا ولا فضه، ولا دارًا ولا عقارًا، وانما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة.

فلما وصل الامر إلى علي بن أبي طالب كلم في رد فدك، فقال: اني لاستحي من الله أن أرد شيئًا صنعه أبو بكر وأمضاه عمر[1].

قال المرتضى﴿رضي الله عنه﴾: وأخبرنا أبو عبدالله المرزباني، قال حدثني علي بن هارون: قال: أخبرني عبدالله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه، قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي الحسين بن أبي طالب كلام فاطمة عليها السلام عند أبي بكر ومطالبتها اياه فدك، وقلت: ان هؤلاء يزعمون انه مصنوع وانه من كلام أبي العيناء، لان الكلام منسوق البلاغة، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أولادهم، وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ بها فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل ان يوجد جد أبي العيناء، وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام، ثمّ قال أبو الحسين زيد: وكيف ينكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام وهم يروون من كلام عايشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحققونه، لولا عداوتهم لنا أهل البيت، ثمّ ذكر الحديث بطوله على نسقه وزاد في الآبيات بعد البيتين الاولين:

ضاقت عليّ بلاد بعدما رحبت ... وسيم سبطاي خسفًا فيه لي نصب

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... قوم تمنوا فاعطو كلّما طلبوا

تهجمتنا رجال واستخف بنا ... قوم تمنوا فاعطو كلّما طلبوا

١- شرح نهج البلاغة ٢٤٥/١٦ – ٢٥٢.

قال: فما رأينا أكثر باك وباكية من ذلك اليوم[1].

قال المرتضى: وقد روي هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة، ووجوه كثيرة، فمن أرادها أخذها من مواضعها، فكيف يدعي انهاعليها السلام كفت راضية، وأمسكت قانعة، لولا البهت وقلة الحياء.

قلت: ليس في هذا الخبر ما يدل على فساد ما ادعاه قاضي القضاة، لانه ادعى انها نازعت وخاصمت ثمّ كفت لما سمعت الرواية، وانصرفت تاركة للنزاع، راضية بموجب الخبر المروي، وما ذكره المرتضى من هذا الكلام لايدل على سخطها حال حضورها، ولا يدل على انها بعد رواية الخبر وبعد ان أقسم أبو بكر بالله تعالى انه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ ما سمعه منه انصرفت ساخطة، ولا في الحديث المذكور والكلام المروي ما يدل على ذلك، ولست أعتقد انها انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة، بل أعلم انها انصرفت ساخطة وماتت وهي على أبي بكر واجدة، ولكن لا من هذا الخبر، بل من أخبار اخر كان الاولى بالمرتضى ان يحتج بها على مايرويه في انصرافها ساخطة وموتها على تلك السخطة، واما هذا الخبر وهذا الكلام فلا يدل على المطلوب[2].

١- شرح نهج البلاغة ٢٥٢/١٦ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٥٣/١٦ - ٢٥٤.

إلى ان قال السيد ﴿رضي الله عنه﴾: وأما قوله في قصة زكريا انه خاف على العلم ان يندرس، لان الانبياء لا تحرص على الاموال، وانما خاف ان يضيع العلم، فسأل الله وليًا يقوم بالدين مقامة، فقد بيّنا ان الانبياء، وان كانوا لا يحرصون على الاموال ولا يبخلون بها، فانهم يجتهدون في منع المفسدين من الانتفاع بها على الفساد، وليس يجوز من زكريا ان يخاف على العلم من الاندراس والضياع، لانه يعلم ان حكمة الله تقتضي حفظ العلم الذي هو الحجة على العباد ومستراح عللهم في مصالحهم، فكيف يخاف على ما لا يخاف على مثله، ثمّ ساق الشارح كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾، ثمّ تكلم هو على بعض كلام المرتضى، فقال: على ان قول المرتضى لا يجوز ان يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره، لانه محفوظ من الله فكيف يخاف مما لا يخاف من مثله غير مستمر على أصوله، لان المكلفين الآن قد حرموا بغيبة الامام عنده الطافًا كثيرة الواصلة اليها الشرعيات كالحدود وصلاة الجمعة والاعياد، وهو وأصحابه يقولون في ذلك ان اللوم على المكلفين، لانهم حرموا بغيبة الامام أنفسهم اللطف، فهلا جاز ان يخاف زكريا من تبديل الدين، وتغييره وفساد الاحكام الشرعية، لانه انما يجب على الله التبليغ بالرسول إلى المكلفين، فاذا أفسدوا هم الاديان وبدلوها لم يجب عليه ان يحفظها عليهم، لانهم هم الذين حرموا أنفسهم اللطف.

إلى ان قال: **قال** المرتضى: وأما حكايته عن أبي علي ان أبا بكر لم يدفع إلى امير المؤمنين عليه السلام السيف والبغلة والعمامة على جهة الارث، وقوله كيف

يجوز ذلك مع الخبر الذي رووه، وكيف خصصه ومما عجب منه عجيبًا، ولم يثبت عصمة أبي بكر فتنتفي أفعاله عن التناقض.

قلت: لا يشك احد في ان ابا بكر كان عاقلاً وان شك قوم في غير ذلك، فالعاقل في يوم واحد لا يدفع فاطمة عن الارث، ويقول ان أباك قال لا نورث، ثمّ يورث في ذلك اليوم شخصًا آخر من مال ذلك المتوفي الذي حكى عنه انه لا يورث، وليس انتفاء التناقض عن أفعاله موقوفًا على العصمة بل على العقل[1].

قال المرتضى: قوله يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وآله نحلها اياه وتركه أبا بكر في يده لما في ذلك من تقوية الدين وتصدق ببذله، و كل ما ذكره جايز، إلاّ انه قد كان يجب ان يظهر أسباب النحلة والشهادة بها والحجة عليها، ولم يظهر من ذلك شيء نعرفه، ومن العجائب ان تدعي فاطمة فدكًا نحلة وتستشهد على قولها أمير المؤمنين عليه السلام وغيره فلا يصغى إلى قولها، ويترك السيف والبغلة والعمامة في يد أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل النحلة بغير بيّنة ظهرت ولا شهادة قامت.

قلت: لعلّ أبا بكر سمع الرسول صلى الله عليه وآله وهو ينحل ذلك عليًا عليه السلام فلذلك لم يحتج إلى البينة والشهادة، فقد روي انه أعطاه خاتمه وسيفه وأبو بكر حاضر، واما البغلة فقد كان نحله اياها في حجة الوداع على ماوردت به الرواية، واما العمامة فسلب الميت، وكذلك القميص والحجرة والحذاء، فالعادة ان يأخذ ذلك ولد الميت ولا ينازع، لانه خارج أو كالخارج من التركة، فلما

١- شرح نهج البلاغة ٢٥٥/١٦ وما بعدها.

غسله علي عليه السلام أخذت فاطمة ثيابه على أنا قد ذكرنا في الفصل الأول كيف دفع إليه آلة النبي صلى الله عليه وآله وحذاه ودابته، والظاهر انه فعل ذلك اجتهادًا لمصلحة رآها، وللامام ان يفعل ذلك[1].

قال المرتضى: على انه كان يجب على أبي بكر ان يبيّن ذلك ويذكر وجهه بعينه لما نازع العباس فيه، فلا وقت لذلك الوجه اولى من هذا الوقت.

قلت: لم ينازع العباس عليًا إلاّ في ايام عمر، وقد ذكرنا كيفية المنازعة وفيما إذا كانت، انتهى[2].

أقول: ان كلام قاضي القضاة في المقام طويل، وكلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ أطول، ونحن اقتصرنا على ما يتعلق به غرضنا مما تكلم الشارح فيه، وكذلك المرتضى في مواضع:

أحدها: قول الشارح بعد نقل كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في الاستدلال بآية: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾[3].

قلت: ان شيخنا أبا الحسن قال في كتاب ﴿الغرر﴾ إلى آخر ما ذكره فان فيه ان هذه المراوغة مما لا يخفى على البقر فضلاً عن سائر البشر، لان حديث نحن معاشر الأنبياء ثبت عن أبي بكر واشتهر وصار بين العلماء وذوي الاثر، أشهر من هالة القمر، والذي تضمنه من أخبار هذا المقام هذا الخبر المروي

١- شرح نهج البلاغة ٢٦١/١٦ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٦١/١٦ وما بعدها.

٣- مريم/٥.

هنا عن عروة عن عايشة، وجملة من الاخبار المتقدمة في سابق هذه المقالة، وخبر خطبة فاطمة ﴿صلوات لله عليها﴾ المروية سابقًا عن أبي بكر الجوهري بتلك الطرق المتعددة المذكورة ثمة، ومنها حديث ابن عايشة عن ابيه عن عمه وفيه ان أبا بكر قال: ان الانبياء لا يورثون، ومنها خبر أبي سلمة وفيه ان أبا بكر أجاب فاطمة عليها السلام بعد ان طلبت منه فدك، فقال: اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ان النبي لا يورث، ومرمى هذه العبارة من قوله صلى الله عليه وآله ان المراد بالنبي الجنس، فهو مثل قولنا الانبياء لا يورثون كما هو ظاهر.

ومنها رواية عمر بن مرة عن أبي البحتري وفيها فقال: يعني أبا بكر اشهد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انا معاشر الانبياء لا نورث، وهذه الروايات كلها من كتاب الجوهري الذي اطراه وأثنى عليه غاية الثناء كما تقدم، من انه عالم ثقة، وورع، محدث، كثير الأدب، ثقة، من رجال الحديث وثقاتهم، وهو من الثقاة الامناء.

ومن ذلك ما قدمنا نقله في المقدمة من صحيح البخاري وفيه قال: أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: انا معاشر الانبياء لا نورث إلى آخره، ومن تتبع كتب القوم رأى أنهم لا ينقلون الخبر ولا يتداولونه إلاّ بهذا اللفظ لاستشهاده به وانتشاره، وهذا الضال المعاند لما رأى صحة استدلال المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ بالآية على وجه لا يمكن القدح فيه، رجع إلى جانب آخر عسى أن يتيسر له القدح في كلامه ﴿رضي الله عنه﴾.

وثانيها: قوله في الاعتراض على كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ برده

خبر أبي بكر بانه من أخبار الآحاد وان وافقه على روايته تلك الستة المذكورة.

قلت: اما قول المرتضى لو سلمنا انّ هؤلاء إلى آخره فان فيه أولاً: ان ما اورده على المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ بجميع آيات القرآن في زمن الخلفاء من ألسنة الناس ممن كان أقل من الستة المشار اليها، فهو غير وارد عليه، لان المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ وكذلك جملة الشيعة لم يعتمدوا على القرآن من حيث كونه جمع الخلفاء وشهادة من شهد عنده انه منه، وانما اعتمادهم على تقرير أئمتهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ لذلك، واتفاقهم ان القرآن المنزل وان حصل فيه ما حصل كما نبهوا عليه في أخبارهم، واوضحوه لشيعتهم، وقد أمروهم بمدارسته والاخذ بأحكامه وفسروا لهم اكثر آياته.

وثانيًا: ان ما ذكره من ان مذهب المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في خبر الواحد قول انفرد به عن سائر الشيعة توهم باطل، فانه لم يفهم ماعناه المرتضى من خبر الواحد في هذا المقام، وان شاركه في هذا الوهم جملة من علمائنا الاعلام، ونحن نشرح لك بما تنكشف به غشاوة الابهام، ثمّ نعطف على كلامه، ونبيّن ما فيه من اختلال النظام، وانحلال الزمام، فنقول وبالله التوفيق:

قال الفاضل المحقق الشيخ حسن بن شيخنا الشهيد الثاني ﴿قدس سرهما﴾ في كتاب المعالم: ذكر السيد المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في جواب المسائل التبانيات ان أصحابنا لا يعملون بخبر الواحد وان ادعاء خلاف ذلك عليهم دفعًا للضرورة، قال: لانا نعلم علمًا ضروريًا لا يدخل في مثله الريب ولا شك ان علماء الشيعة الامامية يذهبون إلى ان أخبار الآحاد لا يجوز العمل بها

في الشريعة ولا التعويل عليها، وانها ليست بحجة ولا دلالة، وقد ملأوا الطوامير وسطروا الاساطير في الاحتجاج على ذلك، والنقض على مخالفيهم فيه، ومنهم من يزيد على هذه الجملة ويذهب إلى انه مستحيل من طرف العقول ان يتعبد الله تعالى بالعمل باخبار الآحاد، ويجري ظهور مذهبهم في أخبار الآحاد مجرى ظهوره في إبطال القياس في الشريعة وحظره.

وقال قُدِّسَ سِرُّهُ في موضع آخر من المسائل المشار اليها: ان العلم الضروري حاصل لكل مخالف للامامية أو موافق أنهم لا يعملون في الشريعة بخبر لا يوجب العلم، وان ذلك قد صار شعاراً لهم يعرفون به، كما ان نفي القياس في الشريعة من شعارهم الذي نقله عنهم كل مخالط، وتكلم في الذريعة على التعلق بعمل الصحابة والتابعين بان الامامية تدفع ذلك، وتقول انما عمل باخبار الآحاد من الصحابة المتأخرين الذين يحتشم التصريح بخلافهم، والخروج عن جملتهم، فامساك النكير عليهم لا يدل على الرضا بما فعلوه، لان الشرط في دلالة الامساك على الرضا ان لا يكون له وجه سوى الرضا من تقية وخوف وما أشبه ذلك، ثمّ أورد السيد قُدِّسَ سِرُّهُ على نفسه سؤالاً في بعض كلامه هذا لفظه:

فان قيل: إذا سددتم طريق العمل بالاخبار فعلى أي شيء تعولون في الفقه كله، وأجاب بما حاصله: ان معظم الفقه يعلم بالضرورة مذاهب أئمتنا ﴿صلوات الله عليهم﴾ فيه بالاخبار المتواترة وما لم يتحقق ذلك فيه، ولعله الأولى، فلا نعول فيه على اجماع الامامية.

وقال قُدِّسَ سِرُّهُ في موضع من مسائل التبانيات: ان اكثر أخبارنا المروية في

كتبنا معلومة مقطوع على صحتها وصدق رواتها، فهي موجبة للعلم مقتضية للقطع، وان وجدناها مودعة في الكتب بسند مخصوص من طريق الآحاد. انتهى ما نقله في المعالم من كلام السيد ﴿قدس سرهما﴾[1].

وقال السيد العلامة أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب ﴿فقه القرآن﴾: وقال المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في بعض مسائله الطبرستانية: وان فروع الدين كأصوله في ان على كل واحد منها أدلة قاطعة واضحة لا ئحة، وان التوصل إلى العلم بكل واحد من الامرين يعني الفروع والاصول ممكن صحيح، وان الظن لا مجال له في شيء من ذلك ولا الاجتهاد المفضي إلى الظن دون العلم، فلا شبهة في ان من خالف في فرع كلف اصابته وان ادرك الحق فيه ونصبت له الادلة له عليه والموصلة إليه، يكون عاصيًا مستحقًا للعقاب، فاما الكلام في أحكامه، وهل له أحكام أهل الكفر وغيره، فطريقه السمع، ولا مجال للعقل فيه، والشيعة الامامية مطبقة على ان مخالفيها في الفروع كمخالفيها في الاصول فى الاحكام، إلى آخره.

وأنت إذا تأملت في كلمات السيد قُدِّسَ سِرُّهُ في هذا المقام، وضممت بعضها إلى بعض يظهر لك ان مراده بخبر الواحد من هذه الاخبار المروية في كتب الاصحاب عن الأئمة الاطياب ﴿صلوات الله عليهم﴾ أو غيرها ما كان عاريًا عن القرائن الموجبة لصحته وثبوته إلى المعصومين ﴿سلام الله عليهم﴾، وحكمه قُدِّسَ سِرُّهُ في كلامه الاخير المنقول عن المعالم بان أكثر أخبارنا المروية

١- المعالم/١٩٤ وما بعدها.

في كتبنا معلومة مقطوعة على صحتها، وكذا في كلامه في المسائل الطبرستانية في ان فروع الدين كأصوله في ان على كل واحد منها أدله قاطعة واضحة إلى آخره، صريح في ان هذه الاخبار الدالة على جزئيات فروع الفقه ليست من قبيل الآحاد التي طعن فيها وادعى اجماع الامامية على عدم العمل فيها، فلا بد ان يكون مراده باخبار الآحاد معنى أخر وهو ما سيأتي ان شاء الله تعالى.

وحكمه قدس سره بصحة هذه الاخبار المشار اليها ظاهر، لانه قدس سره كان قريب العهد من أعصارهم عليهم السلام وكانت الاصول المشهورة المجمع على صحتها عن الائمة عليهم السلام موجودة، والقرائن المعاضدة لها متواترة، بمثل ذلك صرح الشيخ في كتاب «العدة» في بحث خبر الواحد، فقال بعد الابحاث الطويلة في الحكم بصحة هذه الاخبار المروية عن الائمة الاطهار عليهم السلام.

فان قيل: كيف تدعون الاجماع على الفرقة في العمل بخبر الواحد، والمعلوم من حالها انها لا ترى العمل بخبر الواحد، كما ان المعلوم من حالها انها لا ترى العمل بالقياس.

قيل لهم: المعلوم من حالها الذي لا ينكر ولا يدفع انهم لا يرون العمل بخبر الواحد الذي يرويه مخالفيهم في الاعتقاد يختصون بطريقه، فاما ما يكون رواية منهم طريقه أصحابهم، فقد بيّنا ان المعلوم خلاف ذلك، إلى ان قال:

فان قيل: أليس شيوخكم لا تزال يناظرون خصومهم في ان خبر الواحد لا يعمل به ويدفعونهم عن صحة ذلك حتى ان منهم من يقول لا يجوز ذلك عقلاً.

قيل له: الذي أشرت إليه من المنكرين لاخبار الآحاد انما كلموا من خالفهم في الاعتقاد ودفعوهم عما يروونه من الاخبار المتضمنة للاحكام التي يروون خلافها، وذلك صحيح على ماقدمناه، ولم نجدهم اختلفوا فيما بينهم، ولا أنكر بعضهم على بعض العمل بما يرونه إلاّ مسائل دل الدليل الموجب للعلم على صحتها إلى آخر كلامه قُدِّسَ سِرُّهُ.

وبمثل ذلك صرح المحقق ﴿طاب ثراه﴾ في كتابه في الاصول وغيره من أصحابنا، وبذلك يظهر لك أنهم يتفقون على العمل بهذه الاخبار المروية عن أئمتهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ وان كانت بطريق الآحاد، وانها مفيدة للعلم دون الظن، لانها معتضدة بالقرائن والامارات المفصلة في كلامهم الموجبة لذلك، وأخبار الآحاد الممنوع من العمل به انما هو ما عرى عن تلك القرائن كأخبار مخالفيهم المختصين بها من طرقهم، وكلام السيد (رضي الله عنه) في الذريعة في المنع من التعلق بالاخبار التي عمل بها الصحابة والتابعين مع كونها أخبار يرجع إلى كلام الشيخ (قدس سرهما) في العدة، كما هو ظاهر ومما يؤيد ما قلناه ويوضح ما ادعينا من ان مراد المرتضى (رضي الله عنه) ما ذكرنا قوله هنا في رد كلام القاضي انه يخصص القرآن بالخبر كما خصص في العبد والقائل من انه ليس بشيء، لانا انما خصصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم إلى آخره، فانه من المعلوم ان مراده بذلك الدليل المقطوع هو ماروي عن الائمة عليهم السلام من الاخبار في ذلك التي هي من طرق الآحاد كغيرها من أخبار الشريعة، ولكنه انما حكم بكونها معلومة مقطوع بها بما قدمناه آنفًا من

الاعتضاد بالقرائن الموجبة لذلك.

إذا عرفت ذلك فقول الشارح ان من قبل المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ كزرارة ويونس وأمثالهم انما عولوا على اخبار الآحاد على اطلاقه ممنوع، وذلك لان من لقى الائمة عليهم السلام وأخذ الاحكام منهم مشافهة فهو لا يوصف خبره بكونه من أخبار الآحاد، لان حكم الامام عليه السلام عندنا معشر الامامية حكم النبي صلى الله عليه وآله في عصمته، ووجوب الرجوع إليه، والاعتماد في أحكام الاصول والفروع عليه، واتصاف الخبر بكونه آحادًا أو متواترًا انما هو باعتبار الوسائط بين الراوي والمعصوم المروي عنه، ومتى لم يكن ثمة واسطة فلا يتصف الخبر بذلك، بل هذا الخبر في افادة العلم واليقين أقوى من المتواتر، كما هو بيّن ظاهر، واما من أخذ الحكم منهم بواسطة في ذلك الوقت فقد عرفت مما قدمناه انه وان كان من قبيل خبر الواحد إلاّ انه باعتبار اعتضاده بالقرائن المفيدة للقطع واليقين بصحته عن المعصوم، قد خرج عن خبر الآحاد، ودخل في باب المتواتر، وهو في ذلك الوقت أظهر من أن يخفى، وأما من تأخر عن المرتضى ﴿رضي الله عنهم أجمعين﴾ كالشيخ ومن بعده فقد عرفت مما حققناه انهم متفقون مع المرتضى في ذلك، ولكن لعدم امعان النظر في كلماتهم في هذا المقام، وعدم التتبع لها حق التتبع التام، وقع من وقع في هذه الاوهام.

وثالثها: قوله بعد نقل استدلال المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ على ان انصراف فاطمة عليها السلام غاضبة على أبي بكر بما نقله من كلامها عليها السلام.

قلت: ليس في هذا الخبر ما يدل على فساد ما ادعاه قاضي القضاة إلى

آخره فان فيه أولاً: انه وكذا قاضي القضاة وأمثالهما معذورون في هذا الكلام، لانه مبني على ما يعتقدونه في أبي بكر من العدالة والايمان بالله ورسوله وصحة خلافته المتفرعة على ذلك، ومن المعلوم ان فاطمة عليها السلام لم يكن تنظره بهذه العين التي ينظره بها هؤلاء الضلال، ولا كذلك المرتضى وجملة الامامية المتوالين بالآل عليهم صلوات ذي الجلال، ألا ترى ان فاطمة ﴿صلوات الله عليها﴾ قد نسبت أبا بكر في هذا الكلام، وكذا كل من تبعه من اولئك الاقوام إلى الكفر والارتداد عن دين الملك العلام، كما أوضحناه سابقًا، ومن المعلوم عند هذا الشارح وأصحابه ان غصب فدك بمجرده لا يوجب كفر بل ولا فسقًا، وغايته عندهم من الصغاير المكفرة، كما ذكر مثله سابقًا في ذيل أخبار السقيفة المتقدمة من المجلد الأول، وذكر امثال ذلك في حق عثمان، وحينئذ فحكمها بتكفير القوم وارتدادهم، انما يرجع إلى غصب الامامة والخلافة من امام الكافة كما نطق به كلامها عليها السلام المتقدم في مرض موتها، وان كان الكلام في فدك قد صار بابًا لفتح هذا الكلام، وحينئذ فان كان اعتقادها عليها السلام واعتقاد شيعتها كفر أبي بكر وارتداده فروايته وقوله عندهم في حكم العدم، ولو كانت تراه بالعين التي تراه بها هؤلاء، وانما كفرته وحكمت بارتداده ومن معه، انما هو لاجل غصب فدك، وانها بعد كلام أبي بكر وروايته كفت وأعرضت وصدقت كما يدعونه لنقل عنها الاعتذار عما رمتهم به من ذلك الكلام الذي هو احدّ من حز الشفار، وليس فليس.

وثانيًا: ان قدر فاطمة عليها السلام وكذا بعلها أمير المؤمنين عليه السلام الذي انما

خرجت إلى المخاصمة باعتراف الشارح آنفًا بإذنه واجازته أجل وأرفع من ان يجهلا هذا الحكم الذي ادعى أبو بكر علمه، ولا ريب ان كلام فاطمة كلامه عليه السلام على التحقيق، ومشربها مشربه في كل جليل ودقيق، وحينئذ فكلام أبي بكر وروايته التي توهموا منها رضاها عليها السلام لا يوصل إلى مقام، بل هو عندنا في حيز الاعدام، وهذا هو الذي بنى عليه المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ وحاصله:

ان الكلام الذي تكلمت به في خطبتها قد انصرفت عليه، لم يزله مزيل لما عرفت من ان مبناه ومنشأه أولاً ليس هو مجرد غصب فدك.

وثانيًا: انها لا توافق على صحة هذا الخبر ولا تسلمه لما ذكرناه، وبالجملة فانكشاف الامر لفاطمة ﴿صلوات الله عليها﴾ في حال أبي بكر ونفاقه، وكفره، وغدره، ومكره، وكذا المرتضى وجملة الشيعة الامامية أشهر من ان ينكر.

ورابعها: قوله بعد ان نقل عن المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في قصة زكريا الرد على أبي علي في ذلك بما هو مذكور ثمة، على ان قول المرتضى لا يجوز ان يخاف زكريا إلى آخره غير مستمر على اصوله إلى آخر كلامه، فانه مردود بانه يجهل مذهب الامامية في ذلك أو يتجاهل لعناده عن معرفة ما هنالك، فان هذه الاشياء المعدودة من اقامة الحدود وصلاة الجمعة والاعياد ونحوها من القضاء بين الانام، والفتيا في الاحكام وأمثال ذلك من أحكام الشريعة المنوطة بالامام قد استفاضت اخبار الائمة المعصومين عليهم السلام بانها مع عدم ظهور احد منهم أو عدم تمكنه من الامر والنهي يتولاها الفقيه الجامع لشرايط الفتوى، الآخذ لاحكام الشريعة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، لا من آراء ذوي

الآراء ولا اجتهاد ذوي الاهواء مع الاتصاف بالعدالة والتقوى وانه نائب عنهم، والراد عليه في حكم كالراد على الله ورسوله، غاية الامر ان الشيعة الامامية في الصدر السابق لما لم تكن لهم دولة ولا سلطنة تقتضي ظهور مذهبهم حق الظهور، وكانوا تحت دول المخالفين وسلطنتهم لم يتمكنوا من اقامة هذه الاشياء، ولو ان هذا الشارح الضال حضر في ايام الدولة الصفوية واستيلائهم على جملة وافرة من الاقاليم الارضية، وانتشار مذهب الامامية، ونفوذ الاحكام الشرعية، واقامة الجمعات والجماعات، والاعياد في جميع تلك البلدان، والاجهار بذلك المذهب والاعلان لتمنى ان يكون في الرمس، فضلاً عن ان يقول ما قاله بالامس.

وبذلك يظهر ان الشيعة انما حرموا من ألطاف وجود الامام عليه السلام وظهوره بين الانام سعادة التشرف برؤيته، والكون في خدمته، والمشاهدة لانوار غرته إلاّ حصول الاختلال في دينهم وشرعهم، فان احاديث الائمة المتقدمين ﴿صلوات الله عليهم اجمعين﴾ قد تكفلت بجميع الاحكام الشرعية، وما يحتاجه إليه الشيعة إلى يوم الدين حيث انهم بما يحصل من غيبة الامام الثاني عشر ﴿عجل الله فرجه﴾ كانوا عالمين، فأملوا على شيعتهم الموجودين يومئذ في أعصارهم جميع الاحكام في الاصول والفروع، والحلال والحرام، وأمروهم بضبطها وربطها، وكتابتها وحفظها، وأخبروهم بانهم سيأتي عليهم زمان يحتاجون اليها، واما الذين حرموا ألطاف وجود الامام هم اعداءه المخالفون، فتاهوا في اودية الغواية والضلال، وتشعبوا في الدين اصولاً وفروعًا

شعبًا تجل عن الحصر والمثال، وخبطوا الشريعة باهوائهم، وأفسدوها بقياساتهم وآرائهم، كهذا الشارح الضال الذي ينكر وجوده الآن وأصحابه من أهل السنة والمخالفين، الذين هم السبب في اخافته عليه السلام وعدم ظهوره، فهم الذين حرموا أنفسهم اللطف بغيبته حيث ان غيبته عليه السلام خوفًا منهم لا شيعته القائلين بامامته والداعين ليلاً ونهارًا بتعجيل دولته.

وبذلك يظهر لك ما في قوله فهلاّ جاز ان يخاف زكريا من تبدل الدين إلى آخره، فانه رمي في الظلام، ونفخ في غير ضرام، وذلك لظهور الفرق بين الكلام في غيبة الامام الذي رام الاعتراض به والالزام، وبين مراد المرتضى في الاستدلال في الآية، وبيان ذلك انه كما ان الواجب على الله التبليغ بالرسول إلى المكلفين، فانه واجب عليه ايضًا حفظ ذلك الدين عن تغيير المغيرين وتبديل المبدلين، اما بارسال نبي آخر بعد ذلك الرسول أو بايداع الدين من ذلك الرسول إلى وصي يوصي به إليه، ويعتمد في حفظه عليه، كما هو سنة الله عزّ وجلّ في الانبياء السالفين، إذ لا نبي يموت إلاّ وله وصي يحفظ دينه، وان حاد أكثر امته عنه، وحرموا أنفسهم اللطف بمتابعته إلاّ ان الدين محفوظ عند ذلك الوصي ومن تبعه من الامة وان قلوا وذلوا، ثمّ من يوصي إليه ذلك الوصي، وهذه سنة الله عزّ وجلّ في الامم الماضية، وعليها جرى الامر في هذه الامة، فان دينه صلى الله عليه وآله بعد موته بقي محفوظًا عند وصيه ثمّ الاوصياء بعده، ومع غيبة الوصي الثاني عشر فله نواب وحفاظ مأمونون قائمون به نيابة عنه، وهذا هو الذي قصده المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في المقام، فقوله حينئذ ان المكلفين

إذا افسدوا هم الاديان وبدلوها لم يجب عليه ان يحفظها عليهم، غلط محض، وجهل صرف، وكيف لا وقد استفاض في الاخبار انه لابد لله عزّ وجلّ من حجة في الأرض اما ظاهر مشهور أو باطن مغمور، ولابدّ في كلّ عصر من الاعصار من وجود الحجة على أهله وإلاّ لقامت الحجة للجهال على الله تعالى، والمدعى هو حفظ الله تعالى الدين في حد ذاته بحيث متى أراده المكلف رجع إليه لتقوم به الحجة عليه، لا حفظه على المكلفين بان يجبرهم على القيام بالدين وان لا يكونوا من المغيرين له والمفسدين، كما توهمه بجهله الظاهر المبين.

وحينئذ فاذا ثبت ان الله تعالى متكفل لحفظ الدين في جميع الاعصار، اندفع ما أورده هذا الضال المهدار.

وخامسها: قوله في قضية السيف والبغلة والعمامة ودفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

قلت: لا يشك أحد في ان أبا بكر كان عاقلاً إلى آخره.

فان فيه: أولاً: ان العاقل الذي يأنف من مناقضة نفسه في أفعاله وأقواله، انما هو من حيث الانكار والازراء عليه والذم له، وأبو بكر في حصن حصين وحرز مكين من ذلك، فان مافعله من تقمص الخلافة، وارتكاب ما ارتكبه في حق أهل البيت عليهم السلام من الاذلال والاهانة وإلاّ فانه مع ما سمع ورأى من النصوص التي تقدم بعضها في المقدمة وغيرها أدهى وأمر، وأظهر في الشناعة، والقبح والمنكر وأشر، والحال انه ما ازرى عليه أحد ولا أنكر، بل ساعدوه

وعاضـدوه، تعـصبًا وبغـضًا لـسادات البـشر، وقـد تقـدم لـك مـن المخالفـات والمناقضات الصادرة من أقوال وأفعال عمر مايربوا على عدد الـشجر والمـدر، وسيأتي ان شاء الله تعالى في كلام الجاحظ في هذا المقـام مـا فيـه مزيـد تأييـد وتشييد لهذا الكلام.

وثانيًا: ان ذلك مما ذكرته علمـائهم وصـرحت بـه أخبـارهم، وقـد قـدمنا رواية الواقدي لذلك، وان أبا بكر حكم بتلـك الاشياء لعلـي عليه السلام ميراثـًا، وقـد تقدم أيضًا كلام هذا الشارح في الفصل الأول واستشكاله دفع ذلـك إلـى علـي عليه السلام ميراثًا، مع منافاته لحديث أبي بكر الذي رواه، وحينئذ فالذم ان لـم يتوجـه إلى أبي بكر فلا معدل له عنهم، لانهم كما قال الله عزّ وجلّ ﴿**قومًا بورًا**﴾ وقـد جاءوا افكًا وبهتانًا وزورًا.

وثالثًا: ان عقل أبي بكر انما هو بمعنى الـشيطنة والنكـرى، فـان العقـل لـه معان متعددة، وهذا أحدها كما صرحت به أخبار الائمـة الابـرار ﴿صـلوات الله عليهم﴾، وهو العقل الذي كان في معاوية وعمرو بن العاص ونحوهما، وحينئذ فلعلّ أبا بكر زعم انه بعد غصب فدك وما فعله بأهل البيت عليهم السلام من المـصائب التي تزعزع لها الفلك التلافي بالحكم لعلي عليه السلام علـى العبـاس بعـض مـا هتـك يومئذ وما فتك.

وسادسها: قولـه في رد كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في منـع النحلـة لعدم ظهور أسبابها وعدم الشهادة بها.

قلت: لعلّ أبا بكر سمع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخره، فان فيه:

أولاً: ان التعلق بلعل انما يورد في مقام اعتل فيه الجواب واختل، واضطرب فيه الفكر وانحل، ولله در المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ حيث قال في المقام فيما طويناه على غرة من الكلام: ولسنا نرى أصحابنا يعني المعتزلة يطالبون أنفسهم في هذه المواضع بما يطالبونا بمثله إذا ادعينا وجوهًا أو أسبابًا وعللاً مجوزة، لا يقنعون منا بما يجوز ويمكن، بل يوجبون فيما ندعيه الظهور والاشتهار، وإذا كان هذا عليهم نسوه او تناسوه، انتهى.

وثانيًا: انه إذا كان قد روي في ذلك لما خفي على العباس حتى وقع بنزاعه عليًا عليه السلام في تيه الالتباس.

وثالثًا: انه مناقض لما قدمه من الاستشكال، فانه إذا كان ذلك ثابتًا بالرواية كما زعمه هنا فكيف يطول ثمة بذلك المقال.

ورابعًا: انه إذا كان للامام ان يجتهد في تخصيص بعض المسلمين بما هو حق لجميع المسلمين لمصلحة يراها، فلم لا اجتهد لفاطمة عليها السلام بفدك كذكك، اللهمّ إلاّ ان يكون لم ير المصلحة في جبر خاطرها، وتطيب قلبها، وتسلية حزنها، بل رأى المصلحة في اهانتها واذلالها، وفقرها وضرها واقلالها، فارتكب ما ارتكب في حقها من تلك المسالك التي أوجبت له ولاوليائه المهالك.

وسابعها: قوله لم ينازع العباس عليًا إلاّ في أيام عمر إلى آخره فان فيه:

أولاً: ما نقلناه من حديث الواقدي الدال على المنازعة عند أبي بكر في هذه الاشياء، والمنازعة عند عمر انما هو في فدك ونحوها من تلك الصدقات

بزعمهم.

وثانيًا: ان المنازعة بين علي والعباس قد وقع عند أبي بكر في فدك أيضًا بعد موت فاطمة كما دلّ عليه حديث مالك بن اوس بن الحدثان الثاني من أحاديثه المتقدمة في الفصل الأول، وقد حمله الشارح على انهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية، فكيف يدعي هنا انه لم يقع منهما تنازع إلاّ في زمن عمر.

قال في المقام: قال المرتضى: واما قوله ان ازواج النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انما طلبنّ الميراث لما لم يعرفن رواية أبي بكر للخبر، وكذلك انما نازع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الميراث بعد موت فاطمة لهذا الوجه فمن أقبح ما يقال في هذا الباب وابعده عن الصواب، وكيف لا يعرف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رواية أبي بكر وبها دفعت زوجته عن الميراث، وهل مثل ذلك المقام الذي قامته، وما وراه أبو بكر في دفعها يخفى على من هو في أقاصي البلاد، فضلاً عن من هو في المدينة حاضر شاهد يراعي الاخبار ويعنى بها، ان هذا لخروج في المكابرة عن الحد، وكيف يخفى عن الازواج ذلك يطلبنه مرة بعد اخرى، ويكون عثمان الرسول لهن والمطالب عنهن، وعثمان على زعمهم أحد من شهد ان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يورث على كل حال، ان ثبت ان النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يورث ماله، ولا بد ان يكون قد سألن عن السبب في دفعها فذكر لها الخبر، فكيف يقال انهن لم يعرفن.

قلت: الصحيح ان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم ينازع بعد موت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في الميراث، وانما نازع في الولاية لفدك وغيرها من صدقات رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، واما الازواج فما ثبت انهن نازعن في ميراثه ولا عن عثمان انه كان المترسل

لهن والمطالب عنهن إلاّ في رواية شاذة، والازواج لما عرفوا ان فاطمة عليها السلام دفعت عن الميراث أمسكن ولم يكن قد نازعن، وانما اكتفين بحضور غيرهن.

قال المرتضى: فان قيل: فاذا كان أبو بكر قد حكم بالخطأ في دفع فاطمة عليها السلام عن الميراث واحتج بخبر لا حجة فيه، فما بال الامة أقرته على هذا الحكم ولم تنكر عليه، ورضاها وامساكها دليل على صوابه.

قلت: قد مضى ان ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلاّ في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا، وذكرنا في ذلك قولاً شافيًا، وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ فى كتاب ﴿العباسية﴾ عن هذا السؤال جوابًا حسن المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها.

قلت: ما كناه المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في غير هذا الموضع أصلاً بل كان ساخطًا عليه، وكناه في هذا الموضع واستجاد قوله، لانه موافق غرضه، فسبحان الله ما أشدّ حب الناس لعقايدهم.

قال: قال أبو عثمان: وقد زعم ناس ان الدليل على صدق خبرهما يعني ابا بكر وعثمان في منع الميراث وبراءة ساحتهما، ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله النكير عليهما.

ثمّ قال: قد يقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ان ترك النكير على المتظالمين منهما، والمحتجين عليهما، والمطالبين، دليل على صدق دعواهم واستحسان مقالتهم، ولا سيما وقد طالت المناجاة، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكاية، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذلك فاطمة حتى انها

أوصت ان لا يصلي عليها أبو بكر، ولقد قالت له حين اتته طالبة بحقها ومحتجة لرهطها: من يرثك يا أبابكر لو مت؟ فقال: أهلي وولدي، فقالت: فما بالنا لانرث النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟! فلما منعها ميراثها، وبخسها حقها، واعتل عليها، ولجّ في أمره، وعاينت التهظم، وآيست من النزوع، ووجدت من الضعف، وقلة الناصر، قالت: والله لادعونّ الله عليك، قال: والله لادعونّ الله لك، قالت: والله لا أكلمك ابدًا، قال: والله لا اهجرك أبدًا، فان يكن ترك النكير دليلاً على صواب منعها فان في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذا أو ان تقول هجرًا أو تجوّر عادلاً، أو تقطع أصلاً، فانا لم نجدهم انكروا مواريث الخصمين جميعًا، فقد تكافأت الامور واستوت الاسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله من المواريث اوفق بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم.

ثمّ قال: فان قالوا كيف يظن به ظلمها والتعدي عليها، وكلما ازدادت عليه غلظة ازداد عليها لينًا ورقة، حيث تقول: والله لا أكلمك أبدًا، فيقول: لا والله لا اهجرك ابدًا، ثمّ تقول: والله لادعون الله عليك، فيقول: والله لادعون الله لك، ثمّ يحتمل منها هذا الكلام الغليظ، والقول الشديد في دار الخلافة بحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة، ثمّ لم يمنعه ذلك ان قال متقربًا معتذرًا كلام المعظم لحقها، المكبر لمقامها، والصاين لوجهها، المتحنن عليها: ما أحد أعزّ عليّ منك فقرًا، ولا

أحب إلى منك غنى، ولكن سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: انا معاشر الانبياء لانورث ما تركناه فهو صدقة.

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذ كان أريبًا، وللخصومة معتادًا ان يظهر كلام المظلوم، وذلة المنصف، وحدب الوامق، ومقت المحق، وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ودلالة واضحة، وقد زعمتم ان عمر قال على منبره متعتان كانتا على عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ متعة النساء ومتعة الحج، انا انهى عنهما، واعاقب عليهما، فما وجدتم احد انكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطأه في معناه، ولا تعجب منه ولا استفهمه، وكيف تقضون بترك النكير، وقد شهد عمر يوم السقيفة بعد ذلك ان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: الائمة من قريش، ثمّ قال شكايته لو كان سالم حيًا ماتخالجني فيه الشكوك حتى أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهم شورى، وسالم عبد لامرأة من الانصار، وهي اعتقته وحازت ميراثه، ثمّ لم ينكر ذلك من قوله منكر، ولا قابل انسان بين قوليه، ولا تعجب منه، وانما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا ربقة عنده دليلاً على صدقة وصواب عمله، فاما الترك على من يملك الضعة والرفعة، والامر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والاطلاق، فليس بحجة تشفي ولا دلالة تفي.

قال: وقال آخرون بل الدليل على صدق قولها وصواب عملها، امساك الصحابة عن خلعها والخروج عليها، وهم الذين وثبوا على عثمان في ايسر من

جحد التنزيل ورد النصوص، ولو كان كما تقولون ما كان سبيل الامة فيهما إلاّ كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعز نفرًا، وأشرف رهطًا، وأكثر عددًا، وأقوى عدة.

قلنا: انهما لم يجحدا التنزيل، ولم ينكرا النصوص، ولكنها بعد اقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة، ادعيا رواية، وتحدثا بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا ممتنعًا في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه من عليه مثل علتهما فيه، ولعل بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عدلاً في رهطه، مأمونًا في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرت عليه غدرة، فيكون تصديقه على جهة حسن الظن وتعديل الشاهد، ولانه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج الذي يقطع بشهادته على الغيب وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قل النكير وتواكل الناس، فاشتبه الامر فصار لا يتخلص إلى معرفة حق ذلك من باطله إلاّ العالم المتقدم أو المؤيد المرشد، ولانه لم يكن لعثمان في صدور العوام، وقلوب السفلة والطغام ما كان لهما من المحبة والهيبة، ولانهما كانا أقل استيثارًا وتفكهًا بمال الله منه، ومن شأن الناس اهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم ولا يستأثر بخراجهم، ولم يعطل ثغورهم، ولان الذى صنع أبو بكر من منع العترة حقها، والعمومة ميراثها، قد كان موافقًا لجلة قريش، وكبراء العرب، ولان عثمان كان مضعوفًا في نفسه، مستخفًا بقدره، لا يمنع ضيمًا، ولا يقمع عدوًا، ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والندم، والتشنيع والنكير لامور لو اتى عمر اضعافها، وبلغ أقصاها لما اجترأوا على اغتيابه، فضلاً عن مناواته ومواجهته، كما اغلظ عيينة بن حصين له، فقال

له: اما انه لو كان عمر لقمعك ومنعك، فقال عيينة: ان عمر كان خيرًا لي منك ارهبني فاتقاني.

ثمّ قال: والعجب انا وجدنا كل من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه، والقدر والوعيد، يرد كل صنف منهم أحاديث مخالفيه وخصومه، ماهو اقرب اسنادًا، واصح رجالاً، وأحسن اتصالاً حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي ﷺ نسخوا الكتاب، وخصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردوه، وأكذبوا قايليه، وذلك ان كل انسان منهم انما يجري إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه، هذا آخر كلام الجاحظ، انتهى[1].

أقول: اما قوله قلت: الصحيح ان أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخره. ففيه انه ليس بصحيح بل باطل، وبيان ذلك من جوه:

أحدها: ان قاضي القضاة الذي قد نقل أبي علي مثل ذلك وصححه وارتضاه اعرف منه، وأدرى وأولى بالذب عن امامه وأحرى، وقد نصب نفسه في هذا الكتاب للذب عنهم بجهده وجده، وسعيه وكده، وأكثر فيه من الاكاذيب والبهتان، والتمحلات الباردة، والترهات الشاردة في غير مكان، فلو كان ما صححه هنا صحيحًا لكان ذلك عنده وعند أبي علي ظاهرًا غنيًا عن البيان، وكيف كان فكلام المرتضى (رضي الله عنه) وارد عليهما لاعترافهما بذلك.

وثانيها: قد تقدم في الفصل الأول نقل الشارح لحديث مالك بن اوس بن

١- شرح نهج البلاغة ٢٦٣/١٦ وما بعدها.

الحدثان وغيره مما يدل على ان المنازعة كانت في الميرات لا في الولاية، وهو لمزيد عناده وضلاله، الموجب لمزيد وباله، ينسى أو يتناسى ما قدمه، وهو أقرب قريب في هذا المكان لا يحتمل التناسي ولا النسيان، فما هذه الحيرة والبهت والمناقضات التي لا تصدر إلاّ عن أجهل الصبيان، ولولا قرب تلك الاخبار لاعدناها وركبنا مرارة التكرار، فارجع اليها ليظهر لك ما في أمثال هذه الاعذار من الاستكبار عن متابعة الحق والاستنكار.

وثالثها: قوله انه لم يثبت منازعة الزوجات وطلبهن الميراث، وارسال عثمان إلاّ في رواية شاذة مع انه قد رُوى ذلك في الفصل الأول بثلاث روايات عن عايشة، واستشكل في ذلك وتكلم أيضًا بما تكلم به المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ هنا، فما وجه الحكم بشذوذ هذه الرواية مع كون هذا المضمون قد روي في ثلاث روايات عن عايشة التي هي العمدة عندهم زيادة على غيرها في الرواية والدراية، مع ما وصف به الجوهري ناقل كل هذه الروايات وأثنى عليه في موضعين مما تقدم غاية الثناء، واطراه غاية الاطراء، فالحكم بشذوذ هذه الروايات من بين رواياته تحكم محض، وتمحل صرف.

وبالجملة فانه لا يخفى على الفطن النبيه ان هذا الشارح المحيل انما يذكر أحيانًا ما يوافق كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ ويصححه، ويؤيده حيلة وصناعة، واظهارًا لانه ممن يتبع جادة الانصاف، ليتيسر له القدح فيه اخرى، وان كان على غاية الاعتساف.

وأنت إذا نظرت إلى مانقلنا من اعتراضاته الواهية على كلام المرتضى

﴿رضي الله عنه﴾ وما بيناه في دفعها، وانها أوهن من بيت العنكبوت، وانه لاوهن البيوت، ومناقضاته نفسه كالمتحير المبهوت، ظهر لك صحة ما قلناه، وحجية ما ادعيناه.

اما قوله في صدر كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ ونقله عن الجاحظ وتكنيته له.

قلت: ما كناه المرتضى رَحِمَهُ اللهُ في غير هذا الموضع أصلاً إلى آخره ففيه:

أولاً: انه حقيق بالتكنية هنا بل بالتعظيم، والتبجيل والتكريم، لكونه قد اعترف على رغم انفه وانوف اصحابه بالحق الحقيق بالاتباع، وشيّد للشيعة الحجة على نفسه واصحابه وأئمته، لان الحجة إذا قام بها الخصم كانت اتم، واذا اعترف بها المناوي صارت الزم، وقد أظهر فسق خلفائه الثلاثة، وكشف عن سوآتهم، وأعلن باظهار ظلمهم وعداوتهم، وحق للمرتضى ان يكنيه، وعندي ان كلامه هذا يجب ان يكتب بالتبر على الاحداق لا بالحبر على الاوراق، وحينئذ فاذا كان هذا اعتراف علمائهم بمثل هذه الفضائح ونشر هذه القبايح، فكيف استجاز هذا الشارح الضال وأمثاله بسط ألسنتهم على الشيعة بانهم يسبون الخلفاء والصحابة، ويفسقونهم ويعادونهم، ويبرأون منهم لذلك، ويغمضون النظر عن بعضهم بعضًا، والشيعة انما أخذت ذلك من كلامهم كما في هذا الموضع وغيره مما تقدم، وكيف غمض الشارح الضال عينه عن ما في هذا الكلام من الطعن الذي هو أحدّ من السهام، فلم لا أعترضه وأبطله ولو بترهاته وأباطيله التي يهدر بها في غير مقام.

وثانيًا: قوله سبحان الله ما أشد حب الناس لعقايدهم، فان فيه ان المعتقد للعقائد الحقة كما عليه الفرقة الناجية المحقة من الدين المأخوذ معنعنًا عن الائمة المعصومين عن النبي الامين عن جبرئيل عن رب العالمين حقيق بالحب والحرص عليه، وعلى مايؤيده ويشيده، ولا سيما إذا كان من طريق الخصوم، وأما مثله ممن ليست له عقيدة ثابتة في الدين، ولا رسوخ قدم ولا يقين، بل انما هو من الضالين المذبذبين، فلا يبالون بالمناقضات في عقايدهم، ولا يأنفون من المناقضات في مصادرهم ومواردهم، كما رأيت وسمعت من كلام الجاحظ هنا وأمثاله من الشارح الضال وغيره، مما قدمنا بيان ايضاحه، ونشرنا ضوء مصباحه، فانك تراهم مابين ان يعظمون هؤلاء الخلفاء ويطرون عليهم حتى يبلغونهم السماء، ويروون لهم من الاخبار ما يرفعونهم به على درجات الانبياء الابرار، وما بين ان ينشروا فضايحهم ومعايبهم، ويذكروا قبايحهم ومثالبهم، وإلى هذا يشير كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾، وقوله ليقابل به كلامه في العثمانية وغيرها، وقد قدمنا لك شطرًا من كلام الجاحظ في العثمانية وما انتصر به لأبي بكر على امام البرية.

قال:

الفصل الثالث

في ان فدك هل يصح كونه نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام أم لا؟

نذكر في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضي القضاة في المغني، وما

اعترض به عليه، ثمّ نذكر ما عندنا في ذلك.

قال المرتضى حاكيًا عن قاضي القضاة وما عظمت الشيعة القول في امر فدك قالوا: وقد روى أبو سعيد الخدري انه لما نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّه﴾[1] أعطى رسول الله فاطمة فدك، ثمّ فعل عمر بن عبد العزيز مثل ذلك فردها على ولدها، قالوا: ولا شك ان ابا بكر أغضبها ان لم يصح كل الذي روي في هذا الباب، وكان الاجمل ان يمنعهم التكرم مما ارتكبوا منها فضلاً عن الدين، ثمّ ذكروا انها استشهدت أمير المؤمنين عليه السلام وام أيمن فلم يقبل شهادتهما، هذا مع تركه أزواج النبي صلى الله عليه وآله في حجرهن ولم يجعلها صدقة، وصدقهن في ان ذلك لهن ولم يصدقها.

قال: والجواب عن ذلك ان أكثر مايروون في هذا الباب غير صحيح، ولسنا ننكر صحة ما روي من ادعائها فدك، فاما انها كانت في يدها فغير مسلم، بل لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها، فاذا كانت في جملة التركة، فالظاهر انها ميراث، وإذا كان كذلك فغير جايز لأبي بكر قبول دعواها، لانه لا خلاف في ان العمل على الدعوى لا يجوز، وانما يعمل على مثل ذلك إذا علمت صحته بمشاهدة أو ما جرى مجراها، أو حصلت بيّنة أو اقرار، ثمّ ان البيّنة لابد منها، وان أمير المؤمنين لما خاصمه اليهودي حاكمه، وان ام سلمة التي كانت اطبق على فضلها لو ادعت بخلاف ما قبلت دعواها.

ثمّ قال: ولو كان أمير المؤمنين هو الولي ولم يعلم صحة هذه الدعوى،

١- الإسراء/٢٦.

ما الذي كان يجب ان يعمل؟

فان قلتم: يقبل الدعوى فالشرع بخلاف ذلك، وان قلتم يلتمس البيّنة، فهو الذي فعله أبو بكر.

ثمّ قال: وأما قول أبي بكر، رجل مع الرجل او امرأة فهو يوجبه الدين، ولم يثبت ان الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين بل الرواية المنقولة شهد لها مولى رسول الله ﷺ مع ام أيمن، قال: وليس لاحد ان يقول فلماذا ادعت ولا بيّنة معها، لانه لا يمتنع ان تجوز ان يحكم أبو بكر الشاهد واليمين أو تجوز عند شهادة من شهد لها ان يتذكر غيره فيشهد، وهذا هو الواجب على متلمس الحق، ولا عيب عليها في ذلك ولا على أبي بكر في التماس البيّنة وان لم يحكم لها، لما لم يتم ولم يكن هناك خصم، لان التركة صدقة على ما ذكرنا، وكان لا يمكن ان يعوّل في ذلك على يمين أو نكول، فلم يكن في الامر إلاّ ما فعله.

قال: وقد انكر أبو علي ما قاله السائل من انها لما ردت في دعوى النحل ادعته ميراثًا، وقال: بل كان طلب الارث قبل ذلك، فلما سمعت فيه الخبر كفت وادعت النحل.

قال: فأما عمر بن عبد العزيز فلم يثبت انه رده على سبيل النحل بل عمل في ذلك ما عمله عمر بن الخطاب، بان أقره في يد أمير المؤمنين ليصرف غلاتها في الموضع التي كان يجعلها رسول الله ﷺ فيه، فقام بذلك مدة ثمّ ردّها إلى عمر في آخر سنته، وكذلك عمر بن عبد العزيز، ولو ثبت انه فعل

السلف لكان هو المحجوج بقولهم وفعلهم، واحد ما يقوي ما ذكرناه ان الامر لما انتهى إلى أمير المؤمنين ترك فدك على ما كان، ولم يجعله ميراثًا لولد فاطمة، وهذا يبيّن ان الشاهد كان غيره، لانه لو كان هو الشاهد لكان الاقرب بان يحكم بعلمه على ان الناس اختلفوا في الهبة إذا لم تقبض فعند بعضهم تستحق بالعقد وعند بعضهم انها [اذا] لم تقبض يصير وجودها كعدمها، فلا يمتنع من هذا الوجه ان يمتنع أمير المؤمنين من ردها وان صح عنده الهبة، وهذا هو الظاهر، لان التسليم لو كان وقع لظهر انه كان في يدها، ولكان ذلك كافيًا في الاستحقاق، فاما حجر ازواج النبي ﷺ فانما تركت في أيديهن لانها كانت لهن ونص الكتاب يشهد بذلك ﴿وقرن في بيوتكن﴾، وروي في الاخبار ان النبي ﷺ قسم ما كان من الحجر على نسائه وبناته، ويبيّن صحة ذلك انه لو كان ميراثًا أو صدقة لكان أمير المؤمنين لما أفضى الامر إليه يغيّره.

قال: وليس لاحد ان يقول انما لم يغيّر ذلك، لان الملك قد صار له فتبرع به، وذلك الذي يحصل له ليس إلاّ ربع ميراث فاطمة، وهو الثمن من ميراث رسول الله ﷺ فقد كان يجب ان ينتصف لاولاد العباس وأولاد فاطمة منهن في باب الحجر، فيأخذ هذا الحق منهن، فتركه ذلك يدل على صحة ما قلناه، وليس يمكنهم بعد ذلك إلاّ التعلق بالتقية، وقد سبق الكلام فيها.

قال: ومما يذكرونه ان فاطمة لغضبها على أبي بكر وعمر أوصت ان لا يصليا عليها، وان تدفن سرًا عنهما، فدفنت ليلاً، وهذا كما ادعوه برواية رووها عن جعفر بن محمد وغيره ان عمر ضرب فاطمة بالسوط، وضرب الزبير

بالسيف، وان عمر قصد منزلها وفيه علي والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلف عن أبي بكر وهم مجتمعون هناك، فقال لها: ما أحد بعد ابيك أحبّ الينا منك، وأيم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم وعليك، فمنعت القوم من الاجتماع.

قال: ونحن لانصدق هذه الروايات ولا نجوزها، وأما أمر الصلاة فقد روي ان ابا بكر هو الذي صلى على فاطمة وكبر عليها أربعًا، وهذا أحد ما استدل به كثير من الفقهاء في التكبير على الميت، ولم يصح أيضًا انها دفنت ليلاً، فان صح ذلك فقد دفن رسول الله ﷺ ليلاً ودفن عمر ابنه ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يدفنون بالنهار، ويدفنون في الليل، فما في هذا ما طعن به، بل الاقرب في النساء ان دفنهن ليلاً استر وأولى، ثمّ حكى عن أبي علي تكذيب ما روي من الضرب بالسوط.

قال: والمروي عن جعفر بن محمد انه كان يتولاهما، ويأتي القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله ﷺ وروى ذلك عباد بن صهيب، وشعبة بن الحجاج، والدراوردي وغيرهم، وقد روى عن أبيه محمد بن علي وعلي بن الحسين مثل ذلك، فكيف يصح ما ادعوه، وهل هذه الرواية إلاّ كرواياتهم ان علي بن أبي طالب اسرافيل، والحسن ميكائيل، والحسين جبرئيل، وفاطمة ملك الموت، وآمنة ام النبي ﷺ ليلة القدر، فان صدقوا ذلك أيضًا قيل لهم: فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت.

فان قالوا: لا نصدق ذلك فقد جوزوا رد هذه الروايات، وصح انه لا

يجوز التعويل على هذا الخبر، وانما يتعلق بذلك من غرضه الالحاد كالوراق وابن الراوندي، لان غرضهم القدح في الإسلام.

وحكي عن أبي علي انه قال ولم صار غضبها ان ثبت كأنه غضب رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث قال: من أغضبها فقد أغضبني بأولى من أن يقال فمن أغضب أبا بكر فقد نافق وفارق الدين، لانه روي عنه عليه السلام حب أبي بكر وعمر ايمان، وبغضهما نفاق، ومن يورد مثل هذا فقصده الطعن في الإسلام، وان يوهم ان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله نافقوا مع مشاهدة الاعلام ليضعفوا دلالة العلم في النفوس.

قال: وأما حديث الاحراق فلو صح لم يكن طعنًا على عمر، لانه له ان يهدد من امتنع من المبايعة ارادة الخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت، انتهى كلام قاضي القضاة[1].

قال المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾: نحن نبتدي فيدل على ان فاطمة عليها السلام ما ادعت من نحل فدك إلاّ ما كانت مصيبة فيه، وان مانعها ومطالبها بالبينة معبث عادل عن الصواب، لانها لا تحتاج إلى شهادة وبيّنة، ثمّ نعطف على ما ذكره على التفصيل فنتكلم عليه، اما الذي يدل على ما ذكرناه فهو انها كانت معصومة من الغلط، مأمونًا منها فعل القبيح، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما

١- وقد روى قضية الاحراق والتهديد به مجموعة من العلماء منهم: كتاب الاخبار للنوفلي، عنه مروج الذهب ٧٧/٣، المصنف ٢٦٧/١٤، الاكتفاء عنه تشيد المطاعن ٤٤٠/١، كنز العمال ٦٥١/٥، الامامة والسياسة/١٧ – ٢٠، وغيرها الكثير فمن اراد فليرجع اليها في محلها. المحقق.

يدعيه إلى شهادة وبيّنة.

فان قيل: دلوا على الامرين.

قلنا: بيان الاول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، والآية تتناول جماعة منهم فاطمة عليها السلام بما تواترت الاخبار في ذلك، والارادة ههنا دلالة على وقوع الفعل المراد، وأيضًا فيدل على ذلك قوله عليه السلام بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ، وهذا يدل على عصمتها، لانها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها يؤذيه على كل حال، بل كان متى فعل المستحق من أذاها واقامة الحد عليها ان كان الفعل تقتضيه صار له مطيعًا، على انا لا نحتاج في هذا الموضع إلى الدلالة بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادعته، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، لان أحدًا لا يشك انها لم تدع ما ادعته كاذبة، وليس بعد ان لا يكون كاذبة إلاّ ان تكون صادقة، وانما اختلفوا في هل يجب مع العلم بصدقها تسليم ما ادعته بغير بيّنة ام لا يجب ذلك، والذي يدل على الفصل الثاني ان البيّنة انما تراد ليغلب الظن بصدق المدعي، ألا ترى ان العدالة معتبرة في الشهادات لما كانت مؤثرة في غلبة الظن لما ذكرناه، ولهذا جاز ان يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة، لان علمه أقوى من الشهادة، ولهذا كان الاقرار أقوى من البيّنة حيث كان أبلغ في تأثير غلبة الظن، وإذا قدم الاقرار على الشهادة لقوة الظن عنده فأولى ان يقدم العلم على الجميع، وإذا لم

١- الأحزاب/٣٣.

يحتج مع الاقرار إلى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القوي، لا يحتاج أيضًا مع العلم إلى ما يؤثر الظن من البيّنات والشهادات، والذي يدل على صحة ماذكرنا انه لا خلاف من اهل النقل إن إعرابيًا نازع النبي صلى الله عليه وآله في ناقة فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذه لي وأنا خرجت إليك من قيمتها، فقال الأعرابي: من يشهد لك؟ فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد بذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: من أين علمت أحضرت ذلك؟ قال: لا، ولكن علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله، فقال: قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين، وهذه القصة مشبهة لقصة فاطمة عليها السلام، لأن خزيمة أكتفى في العلم بكون الناقة له وشهد بذلك من حيث علم أنه رسول الله ولا يقول إلا حقًا، وأمضى النبي صلى الله عليه وآله ذلك له من حيث لم يحضر الإبتياع ولا تسليم الثمن، فقد كان يجب على من علم أن فاطمة عليها السلام لا تقول إلاّ حقًا ان لا يستظهر عليها بطلب شهادة أو بيّنة، هذا وقد روي أن أبا بكر لما شهد لها أمير المؤمنين عليه السلام كتب بتسليم فدك إليها، فاعترض عمر قضيته وخرق ما كتبه.

روى ابراهيم بن ميمون، قال: حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر وقالت: ان أبي أعطاني فدك وعلي وأم أيمن يشهدان لي، فقال: ما كنت لتقولي على أبيك إلاّ الحق فلأعطينكها، ودعى بصحيفة من أدم فكتب لها فيها، فخرجت فلقيت عمر، فقال: من أين جئت؟ قالت: من عند أبي بكر، أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك، وأن عليًا وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها

وكتب لي بها؟ فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبي بكر، فقال: أعطيت فاطمة فدك وكتبت لها بها؟ قال: نعم، قال: إن عليًا يجر النفع إلى نفسه وأم أيمن امرأة وبصق في الكتاب فمحاه ومزقه[1].

وقد روي هذا المعنى من طرق مختلفة، فمن أراد الوقوف عليها واستقصائها أخذها من مواضعها، وليس لهم أن يقولوا انها أخبار آحاد، لأنها وإن كانت كذلك فأقل أحوالها توجب الظن، وتمنع من القطع على خلاف معناها، وليس لهم أن يقولوا كيف يسلّم إليها فدك، وهو يروي عن الرسول صلى الله عليه وآله ما خلفه صدقة، وذلك أنه لا تنافي بين الأمرين، لأنه إنما سلمها لها على ما وردت به الرواية على سبيل النحل، فلما وقعت المطالبة بالميراث روى الخبر في معنى الميراث، فلا اختلاف بين الأمرين، فإما إنكار صاحب الكتاب لكون فدك في يدها فما رأيناه اعتمد في ذلك على حجة، بل قال لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر أنه لها، والامر على ما قال، فمن أين أنه لم يخرج من يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه، وقد روى من طرق مختلفة غير طريق أبي سعيد الذي ذكره صاحب الكتاب أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّه﴾[2] دعى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك، وإذا كان ذلك مرويًا فلا معنى لدفعه بغير حجة، وقوله لا خلاف ان العمل على الدعوى لا يجوز

١- شرح نهج البلاغة ٢٧٢/١٦ وما بعدها.

٢- الإسراء/٢٦.

صحيح، وقد بيّنا ان قولها كان معلومًا صحته[1].

وأما قوله وإنما يعمل على ذلك متى علم صحته بمشاهدة أو ما يجري مجراها أو حصلت بيّنة أو اقرار، فيقال له: أما ما علم بمشاهدة فلم يكن هناك، وأما بيّنة فقد كانت على الحقيقة، لأن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام من أكبر البيّنات وأعدلها ولكن على مذهبك أنه لم يكن هناك بيّنة، فمن أين زعمت أنه لم يكن هناك علم وأنه لم يكن عن مشاهدة، وقد أدخلت ذلك في جملة الأقسام.

فإن قال: لان قولها بمجرده لا يكون جهة للعلم.

قيل له: لم قلت ذلك، أوليس قد دللنا على أنها معصومة، وأن الخطأ مأمون عليها، ثم لو لم يكن ذلك لكان قولها في تلك القضية معلومًا صحته على كل حال، لأنها لو لم تكن مصيبة لكانت مبطلة عاصية فيما أدعته إذ الشبهة لا تدخل في مثله، وقد أجمعت الأمة على أنها لم يظهر منها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله معصية بلا شك وارتياب، بل أجمعوا على أنها لم تدّع إلاّ الصحيح وان اختلفوا، فمن قائل يقول ما معها مخطيء، وآخر يقول هو أيضًا مصيب لفقد البيّنة وان علم صدقها.

فأما قوله أنه عليه السلام لو حاكم غيره لطولب بالبيّنة، فقد تقدم في هذا المعنى ما يكفي، وقصة خزيمة بن ثابت وقبول شهادته يبطل هذا الكلام.

وأما قوله ان أمير المؤمنين عليه السلام حاكم يهوديًا على الوجه الواجب في

١- شرح نهج لبلاغة ٢٧٤/١٦.

ساير الناس فقد روي ذلك إلاّ أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يفعل من ذلك ما كان يجب عليه أن يفعله، وإنما تبرع به واستظهر باقامة الحجة فيه، وقد اخطأ من طالبه بالبيّنة كائنًا من كان.

فأما اعتراضه بأم سلمة فلم يثبت من عصمتها ما ثبت من عصمة فاطمة عليها السلام، فلذلك احتاجت في دعواها إلى بيّنة، وأما إنكاره وادعائه أنه لم يثبت ان الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يزد في ذلك على مجرد الإنكار، والاخبار مستفيضة أنه عليه السلام شهد لها فدفع ذلك بالراح لا يغني شيئًا.

وقوله ان الشاهد لها هو مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله من المنكر الذي ليس بمعروف، وأما قوله أنها جوزت أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين فظريف مع قوله فيما بعد أن التركة صدقة ولا خصم فيها، فتدخل اليمين في مثلها، أفترى أن فاطمة عليها السلام لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار الذي بيّنه صاحب الكتاب عليه، ولو لم تعلمه ما كان أمير المؤمنين عليه السلام وهو أعلم الناس بالشريعة يوافقها عليه، وقوله أنها جوزت عند شهادة من شهد لها أن يتذكر غيرهم فيشهد، باطل، لأن مثلها لا يتعرض للظنة والتهمة، ويعرض قوله للرد، وقد كان يجب معه القبول والإمضاء، ومن هو دونها في المرتبة والجلالة والصيانة من افتاء الناس لا يتعرض لمثل هذه الخطبة ويتورطها للتجويز الذي لا أصل له ولا إمارة عليه، فأما انكار أبي علي لأن يكون النحل قبل ادعاء الميراث، وعكسه الامر فيه، فأول ما فيه انا لا نعرف له غرضًا صحيحًا في انكار ذلك، لأن أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحح له مذهبًا، ولا يفسد على مخالفه

مذهبًا، ثم ان الامر في أن الكلام في النحل كان المتقدم ظاهرًا، والروايات به كلها واردة، وكيف يجوز أن تبتدي بطلب الميراث فيما تدعيه بعينه نحلاً، أو ليس هذا يوجب أن يكون قد طالبت بحقها من وجه لا تستحقه منه مع الاختيار، وكيف يجوز ذلك والميراث مشترك فيه غيرها، والنحل تنفرد به، ولا ينقلب مثل ذلك علينا من حيث طالبت بالميراث بعد النحل لانها في الابتداء طالبت بالنحل، وهو الوجه الذي تستحق فدك منه، فلما دفعت عنه طالبت بالميراث، لأن المدفوع عن حقه له أن يتوصل إلى تناوله بكل وجه وسبب، وهذا بخلاف قول أبي علي، لانه أضاف إليها إدعاء الحق من وجه لا تستحقه منه، وهي مختارة منه، وأما إنكاره ان يكون عمر بن عبد العزيز رد فدك على وجه النحل، وادعاءه انه فعل في ذلك ما فعل عمر بن الخطاب من اقرارها في يد أمير المؤمنين عليه السلام ليصرف غلاتها في وجوهها، فأول ما فيه انا لا نحتج عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على أي وجه وقع، لأن فعله ليس بحجة، ولو أردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل المأمون، فإنه رد فدك بعد أن جلس مجلسًا مشهورًا حكم فيه بين خصمين نصبهما أحدهما لفاطمة عليها السلام والآخر لأبي بكر، وردها بعد قيام الحجة ووضوح الأمر، ومع ذلك فإنه قد أنكر من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف ومشهور بلا خلاف بين أهل النقل فيه، وقد روى محمد بن زكريا الطائي عن شيوخه، عن أبي المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز رد فدك على ولد فاطمة، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره

بذلك، فكتب إليه ان فاطمة قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وآل فلان فعلى من أرد منهم؟ فكتب إليه أما بعد: فإني لو كتبت إليك آمرك أن تذبح شاة لكتبت إليّ أجماء أم قرناء، أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من علي، والسلام[1].

قال أبو المقدام: فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه، وقالوا: هجنت فعل الشيخين، وخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة، فلما عاتبوه على فعله قال: انكم جهلتم وعلمت، ونسيتم وذكرت، أن أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم حدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما يرضيها، وان فدكًا كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر، ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبد العزيز أبي، فورثتها أنا وإخوتي عنه، فسألتهم ان يبيعوني حصتهم منها، فمن بايع وواهب حتى استجمعت لي، فرأيت أن أردها على ولد فاطمة، قالوا: فان أبيت الاّ هذا فأمسك الاصل.

وأما ما ذكره من ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لما أفضى الأمر إليه واستدلاله بذلك على أنه لم يكن الشاهد فيها، فالوجه في تركه رد فدك هو الوجه في إقراره أحكام القوم وكفه عن نقضها وتغييرها، وقد بيّنا ذلك فيما سبق، وذكرنا أنه في انتهاء الأمر اليه في بقية من التقية قوية[2].

١- شرح نهج البلاغة ٢٧٥/١٦ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٧٨/١٦ وما بعدها.

فأما استدلاله على ان حجرات أزواج النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت لهن بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1] فمن عجيب الاستدلال، لان هذه الأوصاف لا تقتضي الملك بل العادة جارية فيها ان تستعمل من جهة السكنى، ولهذا يقال: هذا بيت فلان ومسكنه، ولا يراد بذلك الملك، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[2] ولا شبهة في أنه تعالى أراد منازل الرجال التى يسكنون فيها زوجاتهم، ولم يرد بهذه الاضافة الملك.

فأما ما رواه من أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قسم حجره على نسائه وبناته، فمن أين إذا كان الخبر صحيحًا ان هذه القسمة على وجه التمليك دون الإسكان والإنزال، ولو كان قد ملكهن ذلك لوجب أن يكون ظاهرًا.

فأما الوجه في ترك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما صار الأمر إليه منازعة الازواج في هذه الحجر فهو ما تقدم، وأما قوله ان أبا بكر هو الذي صلى على فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وكبر أربعًا، وأن كثيرًا من الفقهاء يستدلون به في التكبير على الميت فهو شيء ما سمع إلاّ منه وان كان تلقاه من غيره، فهو يجري مجراه في العصبية وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أن عليًا هو الذي صلى على فاطمة إلاّ رواية نادرة وردت بأن العباس ﴿رحمه الله تعالى﴾ صلى عليها.

١- الأحزاب/٣٣.

٢- الطلاق/١.

وروى الواقدي بإسناده في تأريخه عن الزهري، قال: سألت ابن عباس متى دفنتم فاطمة عليها السلام؟ قال: دفناها بالليل بعد ان هدأة العيون، قلت: فمن صلى عليها؟ قال علي[1].

وروى الطبري، عن الحارث بن اسامة، عن المدايني، عن أبي بكر زكريا العجلاني، ان فاطمة عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت إليه، فقالت: سترتموني ستركم الله.

قال أبو جعفر محمد بن جرير: والثبت في ذلك أنها زينب، لأن فاطمة دفنت ليلاً ولم يحضرها إلاّ علي والعباس والمقداد والزبير.

وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تأريخه عن الزهري، قال: حدثني عروة بن الزبير أن عايشة أخبرته أن فاطمة عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي ليلاً وصلى عليها.

وذكر في كتابه هذا إن عليًا والحسن والحسين عليهم السلام دفنوها ليلاً وغيبوا قبرها.

وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن محمد بن الحنفية ان فاطمة دفنت ليلاً.

وروى عبد الله بن أبي شيبة، عن يحيى بن سعيد القطان، عن معمر، عن الزهري مثل ذلك.

وقال البلاذري في تأريخه: أن فاطمة لم تر مبتسمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله،

١- شرح نهج البلاغة ٢٧٩/١٦ وما بعدها.

ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها[1].

والامر في هذا أوضح واشهر من أن يطنب في الاستشهاد عليه، وتذكر الروايات فيه.

وأما قوله ولم يصح أنها دفنت ليلاً، وان صح فقد دفن فلان وفلان، فقد بيّنا ان دفنها ليلاً في الصحة أظهر من الشمس، وان منكر ذلك كالدافع للمشاهدات، ولم يجعل دفنها ليلاً هو الحجة ليقال لقد دفن فلان وفلان ليلاً، بل يتبع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات الظاهرة المستفيضة التي كالتواتر أنها أوصت بأنها تدفن ليلاً لئلا يصلي عليها الرجلان، وصرحت بذلك وعهدت به بعد ان كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلما طالت عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجة إليه، وكلمها في ذلك وألح عليها، فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلمهما، فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين عليه السلام هل صنعت ما أردت؟ قال: نعم، قالت: فهل أنت صانع ما آمرك به؟ قال: نعم، قالت: فانشدك بالله أن لا يصليا على جنازتي ولا يقوما على قبري[2].

وروي أنه عليه السلام عفى قبرها وعلم عليه، ورش اربعين قبرًا في البقيع، ولم يرش قبرها حتى لا يهتدى إليه، وعاتبا عليًا بترك إعلامهما بشأنها واحضارهما الصلاة عليها.

١- شرح نهج البلاغة ٢٨٠/١٦ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٨١/١٦

فمن هنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدم عليه وتأخر عنه لم يكن فيه حجة، وإما حكاية أبي علي إنكار ضرب الرجل لها وقوله ان جعفر بن محمد وأباه وجده كانوا يتولونهما، فكيف لا ينكر أبو علي ذلك واعتقاده فيهما اعتقاده، وقد كنا نظن أن مخالفينا يقنعون ان ينسبون إلى ائمتنا الكف عن القوم والامساك، وما ظننا انهم يحملون انفسهم على ان ينسبوا إليهم الثناء والولاء، وقد علم كل احد ان أصحاب هؤلاء السادة المختصين بهم قد رووا عنهم ضد ما رواه شعبة بن الحجاج وفلان نحو قولهم: هما أول من ظلمنا حقنا، وحمل الناس على رقابنا، وقولهم: انهما اصغيا بآياتنا، واضطجعا بسبيلنا، وجلسا مجلسًا نحن أحق به منهما، إلى غير ذلك من فنون التظلم والشكاية، وهو طويل متسع، ومن أراد ذلك فلينظر في كتاب ﴿المعرفة﴾ لأبي اسحاق إبراهيم بن سعيد الثقفي، فانه قد ذكر عن رجل من أهل البيت بالأسانيد النيّرة ما لا زيادة عليه، ثم لو صح ما ذكر لجاز حمله على التقية[1].

واما ذكره إسرافيل وميكائيل، فما كنا ان نظن ان مثله يذكر ذلك، وهذا من أقوال الغلاة الذين ضلوا في أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت، وليسوا من الشيعة ولا من المسلمين، فأي عيب علينا فيما يقولون على ان جماعة من مخالفينا قد غلوا في أبي بكر وعمر، ورووا روايات مختلفة فيما يجري مجرى ما ذكره في الشناعة، ولا يلزم العقلاء وذوي الألباب من المخالفين عيب في

١- شرح نهج البلاغة ٢٨١/١٦ وما بعدها.

ذلك، وأما معارضة ما روي في فاطمة عليها السلام بما روى ان حبهما إيمان وبغضهما نفاق، فالخبر الذي رويناه مجمع عليه والخبر الآخر مطعون فيه، فكيف يعارض ذلك بهذا، وأما قوله انما قصد من يورد هذه الأخبار تضعيف دلالة الاعلام في النفوس من حيث أضاف النفاق إلى من شاهدوها، فتشنيع في غير موضعه، واستناد إلى ما لا يجدي نفعًا، لان نفاق من شاهد الاعلام لا يضعفها، ولا يوهن دليلها، ولا يقدح في كونها حجة، لان الاعلام ليست ملجأة إلى العلم، ولا موجبة لحصوله على كل حال، وانما يثمر العلم لمن أمعن النظر فيها من الوجه الذي تدل منه، فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره لا يكون بعدوله مؤثرًا في دلالتها، فكم قد عدل من العقلاء وذوي الاحلام والألباب الصحيحة عن تأمل هذه الاعلام واصابة الحق منها، ولم يكن ذلك عندنا وعند صاحب الكتاب قادحًا في دلالة الاعلام على ان هذا القول يوجب عليه أن ينفي الشك والنفاق عن كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وعاصره وشاهده، كأبي سفيان وابنه، وعمرو بن العاص، وفلان وفلان ممن قد اشتهر نفاقهم، وظهر شكهم في الدين وارتيابهم باتفاق بيننا وبينه، وإذا كانت اضافة النفاق إلى هؤلاء لا تقدح في دلالة الاعلام فكذلك القول في غيرهم.

فأما قوله ان حديث الاحراق لم يصح، ولو صح لساغ لعمر مثل ذلك، فقد بيّنا ان حديث الاحراق قد رواه غير الشيعة[1].

وقوله انه يسوغ مثل ذلك، فكيف يسوغ احراق بيت علي وفاطمة، وهل

١- شرح نهج البلاغة ٢٨٢/١٦ وما بعدها.

في ذلك عذر يصغى إليه او يصح، وإنما يكون علي وأصحابه خارقين الاجماع لو كان الاجماع قد تقرر وثبت، وليس بمتقرر ولا ثابت مع خلاف علي وحده فضلاً عن ان يوافقه على ذلك غيره، وبعد فلا فرق بين أن يهدد بالاحراق لهذه، وبين أن تضرب فاطمة عليها السلام بمثلها، فإن احراق المنزل أعظم من ضرب سوط او سوطين، فلا وجه لانتقاض المخالفة من حديث الضرب إذا كان عنده مثل هذه الاعذار.

قلت: أما الكلام في عصمة فاطمة عليها السلام فهو بفن الكلام أشبه، وللقول فيه موضع غير هذا، وأما قول المرتضى إذا كانت صادقة فلم يبق حاجة إلاّ من يشهد لها[1].

فلقائل أن يقول: لم قلت ذلك، ولم زعمت أن الحاجة إلى البيّنة انما كانت لزيادة غلبة الظن، ولم لا يجوز ان الله تعالى تعبّد بالبيّنة لمصلحة تعلمها وإن كان المدعي لا يكذب، أليس قد تعبد الله تعالى بالعدة في العجوز التي قد آيست من الحمل وإن كان أصل وضعها لاستبراء الرحم، وأما قصة خزيمة بن ثابت فيجوز أن يكون الله تعالى قد علم أن مصلحة المكلفين في تلك الصورة أن يكتفى بدعوى النبي صلى الله عليه وآله وحدها ويستغنى فيها عن الشهادة، ولا يمتنع أن يكون غير تلك الصورة مخالفًا لها، وان كان المدعي لا يكذب، ويبيّن ذلك أن مذهب المرتضى جواز ظهور خوارق العادات على أيدي الائمة الصالحين، ولو قدّرنا ان واحدًا من أهل الصّلاح والخير ادعى دعوى، وقال بمحضر

١- شرح نهج البلاغة ٢٨٣/١٦ وما بعدها.

جماعة من الناس من جملتهم القاضي ان كنت صادقًا فاظهر عليّ معجزة خارقة للعادة فظهرت عليه، لعلمنا أنه صادق ومع ذلك لا تقبل دعواه إلاّ ببيّنة، وسألت علي بن علي الفاروقي الشافعي المدرس بالمدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع لها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة، فتبسم ثم قال كلامًا لطيفًا مستحسنًا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، فقال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدًا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والمدافعة بشيء، لانه يكون قد اسجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعيه كائنًا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة وشهود.

وهذا كلام صحيح وان كان قد أخرجه مخرج الدعابة والهزل، فأما قول قاضي القضاة لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها، واعتراض المرتضى عليه بقوله انه لم يعتمد في ذلك على حجة، بل قال: لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر انها لها، والأمر على ما قال، فمن أين انه لم يخرج من يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه، فانه لم يجب عما ذكره قاضي القضاة، لان معنى قوله أنها لو كانت في يدها أي متصرفة فيها لكانت اليد حجة في الملكية، لان اليد والتصرف حجة لا محالة، فلو كانت في يدها تتصرف فيها وفي ارتفاعها كما يتصرف الناس في ضياعهم وأملاكهم لما احتاجت إلى الاحتجاج بآية الميراث، ولا بدعوى النحل إلاّ اليد حجة، فهلا قالت لأبي بكر هذه الأرض في يدي ولا يجوز انتزاعها مني إلاّ بحجة، وحينئذ كان يسقط احتجاج أبي

بكر بقوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث، لانها ما ادعتها ميراثًا ليحتج عليها بالخبر، وخبر أبي سعيد في قوله فأعطاها فدك يدل على الهبة لا على القبض والتصرف، لانه يقال أعطاني فلان كذا وكذا فلم أقبضه، ولو كان الاعطاء هو القبض والتصرف لكان هذا الكلام متناقضًا.

فأما تعجب المرتضى من قول أبي علي أن دعوى الأرث كانت متقدمة على دعوى النحل، وقوله انا لا نعرف له غرضًا في ذلك، لأنه لا يصلح له بذلك مذهب ولا يبطل على مخالفيه مذهب، فإن المرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبي علي في ذلك، وهذا شيء يرجع إلى أصول الفقه، فإن أصحابنا استدلوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد بإجماع الصحابة، لأنهم اجتمعوا على تخصيص قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡ﴾[1] برواية أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه صدقة، قالوا والصحيح في الخبر أن فاطمة عليها السلام طالبت بعد ذلك بالنحل لا بالميراث، فلهذا قال الشيخ أبو علي ان دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل، وذلك لأنه قد ثبت أن فاطمة عليها السلام انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية ولا موافقة لأبي بكر، فلو كان دعوى الأرث متأخرة وانصرفت عن سخط لم يثبت الاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، أما لو كان دعوى الارث متقدمة فلما روى لها الخبر امسكت وانتقلت إلى النزاع من جهة أخرى، فانه يصح حينئذ الاستدلال بالاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، فأما أنا فان الاخبار عندي متعارضة يدل بعضها

١- النساء/١١.

على ان دعوى الارث متأخرة، ويدل بعضها على أنها متقدمة، وأنا في هذا الموضع متوقف، وما ذكره المرتضى من ان الحال يقتضي أن يكون البداية بدعوى النحل صحيح، واما خفاء القبر وكتمان الموت وعدم الصلاة وكل ما ذكره المرتضى فيه هو الذي يظهر ويقوى عندي، لأن الروايات به أكثر وأصح من غيرها، وكذلك القول في موجدتها وغضبها، فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه يختلف فتارة وتارة، وعلى كل حال فميل أهل البيت إلى ما فيه نصرة أبيهم وأمهم، وقد أخل قاضي القضاة بلفظة حكاها عن الشيعة ولم يتكلم عليها، وهي لفظة جيدة، قال: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبوا منها فضلاً عن الدين، وهذا الكلام لا جواب عنه، ولقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله ﷺ، وحفظ عهده يقتضي ان تعوض ابنته بشيء يرضيها ان لم يستنزل المسلمون عن فدك، ويسلم إليها تطييبًا لقلبها، وقد يسوغ للامام ان يفعل ذلك من غير مشاورة للمسلمين إذا رأى المصلحة فيه، وقد يعمل العهد الآن بيننا وبينهم، ولا يعلم حقيقة ما كان، وإلى الله ترجع الامور، انتهى[1].

أقول: الكلام في هذه المقالة يقع في عدة مواضع:

الأول: انه لا يخفى ان إنكار قاضي القضاة جملة من هذه الأمور المشهورة في رواياتهم وكتب أخبارهم، وبها اعترف جملة من علمائهم، ونسبتها للشيعة خاصة مثل انكار شهادة علي عليه السلام وأم أيمن لفاطمة، وقد رواه

١- شرح نهج البلاغة ٢٨٤/١٦ وما بعدها.

الجوهري في كتاب ﴿السقيفة﴾[1]، كما تقدم في المقام وغيره كما تقدم في المقدمة، وانكاره قصد احراق بيتها عليها السلام وقد استفاضت به اخبارهم، كما قدمناها برواية الجوهري وغيره، وإنكاره رد عمر بن عبد العزيز فدك على ورثتها، وهو أشهر في اخبارهم وبين علمائهم من الشمس، وانكاره غضب فاطمة عليها السلام وموتها بوجدها، وسخطها على أبي بكر وعمر ودفنها لذلك ليلاً، وعدم حضورهما جنازتها، وقد تقدم في روايات الجوهري وغيره وأمثال ذلك، فإن كان ذلك لعدم وقوفه على هذه الكتب والأخبار المروية فيها فهو أدل دليل على قصر باعه وقلة متاعه، ومن كان كذلك فلا ينبغي أن يتعرض للتصنيف في هذا المقام، ويعد نفسه في فرسان النقض والابرام، فيجعل نفسه هدفًا للملام وغرضًا لرمي السهام، وان كان قد وقف عليها وانما انكرها مكابرة وعنادًا وتعصبًا للباطل فكفى به خزيًا له ولدينه بين الانام، وعند الملك العلام، لكونه مبنيًا على حمية الجاهلية التي مضى عليها الضالون المضلون ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

وهذه عادته في هذا الكتاب، بل عادة غيره في أمثال هذه الأبواب متى ضاق عليهم الخناق، وعظمت عليهم المشاق التجأوا إلى إنكار الأخبار، وإن كانت بينهم مشهورة وفي كتبهم مأثورة، وتزوير الأخبار في ذلك المضمار ليتسع لهم المجال، وتطويل المقال مثل نقله هنا خبر صلاة أبي بكر على فاطمة

١- السقيفة للجوهري/١٠٥.

٢- الصف/٨.

عليه السلام، وخبر حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق، ومثله في هذا القول أبو علي، وقد تقدم له مثل هذه الروايات اصطنعها للذب عن عثمان كما أشرنا إليه ثمة، وبه اعترف الشارح في ذلك المكان، كل ذلك حمية على خلفائهم الذين اتخذوهم اربابًا من دون الله عزو جل، وبغضًا لأهل بيت النبوة ﴿صلوات الله عليهم﴾، وهم مع ذلك يتمدحون بتفضيل علي عليه السلام، ويزعمون أنهم بذلك صاروا من جملة أوليائه الكرام، والعمدة في امر كتمانهم لهذه الأمور بعد قصد الحمية والعصبية لائمتهم في الورود والصدور، هو سد باب البحث معهم في جملة المقامات حيث أنهم لا يقبلون أخبار الشيعة لما فيها من المناكر الفضيعة، وإذا أورد عليهم الشيعة الاستدلال بأخبارهم المروية في كتب سيرهم وآثارهم انكروها وقابلوها بأخبار قد زوروها واصطنعوها، وقد صدق فيهم المثل من لا يستحي فليعمل ما يشتهي.

الثاني: ما ادعاه على الشيعة من روايتهم ان علي بن أبي طالب عليه السلام هو إسرافيل إلى آخره، فانه لا يخفى ان كان من العلماء الاعلام وارباب النقض والابرام، المطلعين على الاقوال والمذاهب، فهو لا يخفى عليه كذب هذه الرواية على الشيعة كما نبه عليه السيّد قدس سره، وانما قصده بإيراد ذلك دفع الشنعة عن نفسه وأصحابه فيما يوردونه من الأحاديث المنكرة المخترعة الظاهرة الكذب والمبتدعة حتى متى قال لهم الشيعة بذلك قابلوهم بانكم قد رويتم مثله كذا وكذا، ولا يبعد عندي ان هذا الخبر من مخترعاتهم أيضًا على ألسن الشيعة، ويؤيده ما رواه شيخنا الصدوق قدس سره في كتاب ﴿عيون أخبار الرضا﴾

عليه السلام في حديث طويل قال فيه: يا ابن محمود ان مخالفينا وضعوا اخبارًا في فضايلنا وجعلوها ثلاثة أقسام أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع ا لناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا الحديث.

وكيف كان فنقول له على سبيل المجاراة على ترهاته وأكاذيبه: انه لا يمتنع مع كون فاطمة عليها السلام ملك الموت ان يضربها عمر، وذلك فانه رووا كما قدمناه في الفصل الثالث من المقصد الثالث في المقدمة ان ملك الموت لما أتى لقبض روح موسى عليه السلام لطمه موسى عليه السلام وقلع عينه، ولا ريب ان عمر بناء على ما رووا في حقه من الأخبار الدالة على انه في مرتبة النبي صلى الله عليه وآله هو أشرف من موسى وغيره، بل شادوا مرتبته على مرتبة النبي صلى الله عليه وآله حيث نزهوه عما نسبوه للنبي من القبايح والأباطيل كحديث أنه رجل لا يحب الباطل وأمثاله مما تقدم في الفصل المشار إليه، أعلى مرتبة من موسى، فلا يمتنع عليه حينئذ ان يضرب ملك الموت ولا يهابه على ان حديث الضرب قد اعترف به من علمائهم النظّام، كما تقدم في المقدمة وصرح أيضًا بقصد الاحراق، فلا وجه لدعوى اختصاصه بالشيعة كما زعمه.

الثالث: ما حكاه عن أبي علي انه قال لم صار غضب فاطمة عليها السلام ان يثبت كأنه غضب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخره فإن فيه:

أوّلاً: ما ذكره المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾.

وثانيًا: أنه لا ريب ان عليًا وفاطمة عليهما السلام كانا أول المبغضين لهما حسبما

دلت عليه أخبارهم ونادت به سيرهم وآثارهم لما تقدم في كلام فاطمة عليها السلام في هذا المقام، مما هو أصرح صريح في نسبتهما ومن تبعهما إلى الكفر والارتداد، وأنهم من الملحقين في الآخرة بثمود وعاد، وما تقدم من أقوال علي عليه السلام تصريحًا في مواضع وتلويحًا في أخرى، ولا سيما في الخطبة الشقشقية المشهورة، وما تقدم قريبًا في جواب كتاب معاوية لما وبخه بكراهة أبي بكر وعمر في قوله عليه السلام: اني لا اعتذر إلى الناس من كراهتهما، وبذلك اعترف الشارح فيما تقدم، فأي دليل يراد على إبطال هذا الخبر المفترى أوضح من ذلك، لولا قلة الحياء في سلوك هذه المسالك، اللهم إلاّ أن يبرؤا من علي وفاطمة عليهما السلام، وينسبونهما إلى النفاق ببغضهما لأبي بكر وعمر كما عليه الاتفاق، وحينئذ فيتم لهم الاستدلال بالخبر وان عاقبته الخلود في سقر، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرًا.

وثالثًا: ما قدمناه من أقوال الرجلين لا سيما في حال الموت مما يدل على شكهما في النجاة من العذاب، بل شك عمر في نفسه بكونه من المنافقين، وهل عده رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم أم لا، فإذا كان إيمانهما عند انفسهما بهذه المثابة، فكيف يكون حبهما إيمان، لولا عدم ايمان هذا الناقل للخبر بالملك المنان، ولا ريب ان هذا الخبر ان ثبت روايته قبل هذا الناقل، فهو من الاكاذيب التى رويت في زمان الاموية في مقابلة فضائل أهل البيت عليهم السلام، كما تقدم ذكره في الجزء الحادي عشر من كتاب معاوية إلى البلدان بالامر بوضع الاخبار في مناقب الحلفاء وان يرووا في حقهم بازاء كل منقبة من مناقب أهل البيت منقبة

مثلها، ولما كان مما استفاض في حق علـي عليه السلام ان حبه إيمـان وبغـضه نفـاق، وضعوا هذا الخبر لأبي بكر وعمر بازائه، ثم انظر إلى هذا الشارح الـضال الـذي يلتقط المـدخل فـي كـلام المرتـضى ﴿رضـي الله عنـه﴾ بمـا هـو أبطـل باطـل، ويغمض عينيه عما في أمثال هذا الكـلام الـذي هـو أظهـر فـي الـبطلان مـن أن يعوّل عليه في المقام.

الرابع: قولـه ومن يورد مثل هذا فقصده الطعن فـي الإسـلام إلـى آخـره، ففيه:

أوّلاً: ما ذكره المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾.

وثانيًا: ان علمائهم ونقلـة اخبـارهم هـم الـذين أوردوا هـذا وأمثالـه كمـا أشرنا إليه سيما وقـد تقـدم وصـف الـشارح لأبـي بكـر الجـوهري الناقـل لهـذه الأخبار بأنه من الثقات المأمونين الذين قد اعتمد العلماء على اخبارهم وأخذوا عنهم، وحينئذ فكل ما وجهه من الطعن يتوجه إليهم، وكل ما أورده فهـو وارد عليهم، فان صدق وكذبوا فلا يبقى بعد هذا وثوق بما ينقلونه من الاخبـار، ولا اعتماد عليهم في إيراد ولا اصدار، وان كان بالعكس فهو المطلوب وكفـى لـه خزيًا بين العلماء الابرار.

وثالثًا: ان منعه من نفاق الصحابة مع مشاهدة الاعلام بناء علـى مـا اشـتهر بينهم من الحكم بعدالة جميع الصحابة كما نقله عنهم في المقدمة وغيرها يرده القرآن العزيز المملو بذكر المنافقين وذمهـم وتـوبيخهم كمـا تقـدم فـي كـلام النقيب.

ورابعًا: انه كيف يتم ما ذكروه من ان من شاهد الاعلام لا يجوز له النفاق ولا الخلاف في ذلك المقام، والله تعالى في غير موضع من كتابه العزيز قد نعى على الامم المتقدمة انهم ما اختلفوا الاّ من بعد ما جاءتهم البينات وظهرت لهم الآيات، كقوله سبحانه ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[1]، وقوله عزوجل ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] ،فهذه الآيات كلها شاهدة على ان من خالف وحاد عن الحق من

١- آل عمران/١٩.

٢- آل عمران/١٠٥.

٣- البقرة/٢٥٣.

٤- البقرة/٢١٣.

الأمم السابقة، انما هو بعد مشاهدة الاعلام وقيام الحجة عليه في غير مقام، وقد صح عنه ﷺ برواية الفريقين وإجماع الخصمين ان هذه الامة ستسلك سبيل من تقدمها من الامم حذو النعل بالنعل والقدة بالقدة، كما قدمنا الاخبار بذلك في المقدمة، وحينئذ فيثبت وقوع الاختلاف في هذه الامة بعد نبيها، ويتحتم ان الذين اهتدوا للحق من تلك الامة هم الذين قال فيهم الرسول ﷺ انهم مع الحق والحق معهم لن يفترقا إلى يوم القيامة، فانهم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى، وانهم أحد الثقلين المأمور بالتمسك بهما، وان من تمسك بهما نجى من الضلال، وهم أهل البيت عليهم السلام، وشيعتهم المتمسكون بأقوالهم وأفعالهم ومتابعتهم.

انظر إلى هؤلاء الذين يزعمون انهم من رؤوس العلماء الاعلام، وهم أضل من الانعام.

الخامس: ما ذكره من ان حديث الاحراق لو صح لم يكن طعنًا على عمر إلى آخره، ففيه زيادة على ما ذكره المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ انه مع تسليم الاجماع على بيعة أبي بكر الذي قد اتفقوا على أنها غير منصوصة ولا مأمور بها من الله عز وجل ولا من رسوله، بل هي في الحقيقة كما مر مشروحًا في غير مقام من عمر ومن تبعه في السقيفة، ثم أخذ الناس لها بعد ذلك طوعًا أو كرهًا، كيف يعارض بها ما ثبت عن الله تعالى في محكمات الكتاب وعن نبيه ﷺ في حق أهل البيت الأطياب، مما هو متفق عليه، لا شك ولا مرية تعتريه، وكيف يجوز رد أقوالهما ونصوصهما الصحيحة الصريحة في مقابلة

اجتماع من اجتمع على أبي بكر من الناس، وكيف يكون ابو بكر وعمر في ذلك هما الاصل في هذا الدين بهذا الاجماع في التحليل والتحريم، والتجوير والمنع، والتقديم والتأخير، ونحو ذلك، ويسوغ مخالفة الله ورسوله لأجل اتباع أوامرهما مع صراحة نصوصهما واستفاضتها وكثرتها وعدم المخصص لهما الاّ مجرد الزور والبهتان، ان هذا لمن عجايب الزمان، أوليس الله تعالى في محكم كتابه أمر بمودة ذوي القربى وجعلها أجر الرسالة، وكيف يجامع هذا الامر الفضيع مودتهم، أتراه سبحانه امر بمودتهم واوجبها على الخلق كافة مطلقًا غير مقيدة بوقت ولا زمان، وهو يعلم انهم يأتون ويفعلون ما يستحقون به الاحراق، أو أن الله تعالى لم يعلم ذلك، أليس الله تعالى قد نص في محكم كتابه أيضًا بأنه قد أذهب عنهم الرجس والذنوب، وطهرهم من المساويء والعيوب، وقد استفاضت اخبارهم بذلك كما قدمناه، فان زعموا ان هذا الأمر الذي استحقوا الاحراق عليه ذنب يوجب ذلك، فقد ردوا كتاب الله وشهادته لهم بالتطهير، وان لم يكن ذنبًا كان ما فعلوه بهم في مقابلته ظلمًا وجورًا.

وأما الأخبار في حقهم فهي مما لا يحيط بها الحد والعد، وقد تقدم شطرًا منها حديث الثقلين[1]، وحديث سفينة نوح[2]، وحديث انهم مع الحق والحق معهم، وأمثال ذلك مما قد اتفقوا على روايته وصححوه، أترى ان رسول الله ﷺ يصفهم بذلك، ويجعلهم الحجة على الخلق، وهم يأتون ما يستحقون

١- مسند احمد ١٨١/٥، مستدرك الحاكم النيشابوري ١١٠/٣، المعجم الصغير للطبراني ١٣٥/١.

٢- المصنف ٥٠٣/٧، المعجم الاوسط للطبراني ٣٠٦/٥، الدر المنثور للسيوطي ٧١/١.

به الحرق بالنار، وكيف لا يكون ذلك طعنًا لهم على عمر مع ما صح في اخبارهم، كما قدمناه في المقدمة وغيرها من قوله ﷺ من آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن اغضبهم فقد اغضبني وامثال ذلك، يا أعمى الله عيون قلوب الناصبة الضالة، وقلب هذا الشارح الضال الذي يغمض عينه عن مثل هذا الكلام، وهو يفتخر ويتمدح بحب ذلك الامام، ويترصد المداخل الباطلة في كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾، ويغمض عينه عن كلام هذا الضال الفاجر حيث انه على مذهبه وعقيدته الخبيثة الردية.

السادس: قول الشارح قلت: اما الكلام في عصمة فاطمة عليها السلام فهو بفن الكلام اشبه، فان فيه انه وان كان بفن الكلام اشبه، فأي مانع من التعرض له وتحقيقه وبيان ما عنده فيه لابتناء هذه المسألة عليه، سيما وقد حقق في شرحه كثيرًا من المسائل الكلامية وغيرها من سائر العلوم مع ان لها مواضع أخر قد حققت فيها، ولكن هذه عادته وسجيته في التستر عن الالزام، وما يرد عليه في مثل هذا المقام.

السابع: قوله أيضًا فاما قول المرتضى إذا كانت صادقة لم يبق حاجة إلى من يشهد لها إلى آخره، فإن فيه انه تطويل بغير طائل، وتكثير الكلام لغير حاصل، أما أولاً: فان حاصل كلام المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في هذا المقام ان حكم الحاكم الشرعي بالحق المدعى يتوقف على أحد أمور، وتلك الأمور مترتبة في القوة وزيادة الدلالة على صحة المدعى:

فأولها: علم الحاكم على اظهر القولين واشهرهما وإليه يشير كلام

القاضي بقوله إذا علمت صحته بمشاهدة.

وثانيها: اعتراف المدعى عليه بالحق.

وثالثها: البيّنة.

ورابعها: يمين صاحب الحق مع رد المدعى عليه أو نكوله على احد القولين، فهذه أسباب مترتبة في ثبوت الحق وحكم الحاكم به وكل سابق منها أقوى من لاحقه، ولا يخفى ان ترتب هذه الاسباب في قوة الدلالة وضعفها، وانه مع وجود الأقوى لا يصار إلى الاضعف، يعطي ان الامر دائر مدار قوة الامارة ومزيد دلالتها فيما تدل عليه، وحيث كان من جملتها بل هو أولها وأقواها علم الحاكم بصحة الدعوى، فليكن منها أيضًا علم الحاكم بصدق المدعي، فانه يرجع إلى الأول عند التحقيق، ولو كان الحكم بصحة الدعوى مقصورًا على البيّنة، وانه سبحانه انما تعبد بها خاصة لربما تم له ما ذكره وقاسه على العدة الاّ ان الامر كما عرفت ليس كذلك على انه لو تم ما ذكره من انه يجوز ان الله تعالى تعبد بالبيّنة لمصلحة يعلمها، للزم عدم جواز ان يحكم الحاكم بعلمه، اذ متى كان الغرض من البيّنة غلبة الظن، وانما المراد منها مصلحة اختص الله سبحانه بعلمها، فيدور الحكم حينئذ مدارها، ولا يجوز للحاكم ان يحكم بعلمه حذرًا من مخالفة تلك المصلحة المجهولة لنا التى رتبها الله على البيّنة وناطها بها، وهو باطل.

وأما ثانيًا: فما تمحله في قصة خزيمة بن ثابت لصدق النبي ﷺ وتجويزه قصر الحكم على تلك الصورة مردود، بانه لو تم مثل هذا الاحتمال

البارد الشارد من غير قرينة ولا دليل عليه في المقام، لسقط الاحتجاج بجملة من الاخبار على كثير من الاحكام، إذ لا يخفى ان اكثر الاحكام الشرعية لم تخرج فيها الاخبار بقواعد كلية، وانما خرجت في احكام جزئية، ولو اقتصر في الحكم فيها على مورد النص خاصة لاشكل فيما ضاهى تلك الصورة وكان مثلها، وقد قرروا في الاصول اجراء ذلك في جميع ما شارك تلك الصورة وما شابهها بطريق تنقيح المناط الاّ انه ظني، وهو الذي عليه القوم، ومنه قطعي وهو الفرد الذي تعمل عليه الشيعة، مثلاً اذا سأل شخص المعصوم عليه السلام عن صلاته في نجاسة مخصوصة في ثوب مخصوص عالمًا عامدًا، فأجابه ببطلان صلاته، ووجوب الاعادة، فانه يستفاد منه ان كل من صلى في النجاسة أي نجاسة كانت مما لا يعفى عنه، فان صلاته باطلة وعليه الاعادة، ولو قصر الحكم على ذلك السايل بعينه في تلك الصورة بعينها لبقيت افراد المسألة وجزئياتها التي تقع من جملة المكلفين في جميع الازمان عارية من الدليل، وهذا مما لا خلاف فيه بين العامة والخاصة، نعم لو كان قرينة من الخارج أو من الخبر تؤذن بالتخصيص عمل عليها، ولم يجز تعدية الحكم والخروج عن موضع النص، وخبر خزيمة قد علل فيه خزيمة شهادته للرسول صلى الله عليه وآله من عدم حضوره للبيع وقبض الثمن بعصمته صلى الله عليه وآله من الكذب وانه لا يقول إلاّ حقًا، وقد أقره الرسول صلى الله عليه وآله على ذلك بل زاده وأعلى مناره، فجعل شهادته بشهادتين من غيره، وبمقتضى ما حققناه يكون هذا الحكم ثابتًا في جميع أفراد المسألة، وهو أن كل معصوم فانه صادق مصدق لا يحتاج إلى بيّنة ولو شهد له

من لا يحضر القضية جاز كما ذكره السيد قدس سره، فالتمسك بهذا التجويز البارد الذي جنح إليه هذا الضال المارد لو تم لاطرد في غير هذا الخبر من أخبار الشريعة، وهو موجب لبطلان الشريعة كما لا يخفى، وقد قدمنا خبر خزيمة بن ثابت المذكور برواية القوم في فصل مطاعن أبي بكر من المقدمة واردفناه بنظير له من طريق الشيعة.

وأما ثالثًا: فما اعتضد به مما نقله عن المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ من جواز ظهور خوارق العادات على أيدي الائمة والصالحين إلى آخره، مردود بأنه مع تسليم صحة ما نقله فالفرق بين الموضعين واضح، وذلك فان صدق المدعي المستند إلى العصمة التي هي من الله تعالى ولا يكون حكمه حكم صدق من علم صلاحه وتقواه، وظهر على يده شيء من خوارق العادات، فإن الصدق في الأول لما كان مستندًا إلى أمر إلهي وسبب رباني دال على أن ذلك المكلف في جميع أحواله وأقواله وأفعاله في مدة عمره لا يكون إلاّ حاذقًا جاريًا على نهج الحق والصواب، فالعقل فضلاً عن الدليل الشرعي يحيل كذبه وافترائه في ذلك الجزئي المدعى، بخلاف الصدق في الصورة الثانية فانه لم يكن له من الدليل المعتمد عليه ازيد من ظهور صلاح ذلك الرجل وتقواه، وانه من المقربين عند الله سبحانه حتى انه يجيب دعاءه ويسمع نداءه، وهذا ليس بالمرتبة الأولى، والمرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ لم يرتب سقوط الشهادة على مجرد الصدق بل على الصدق المستند إلى العصمة، كما هو مقتضى سياق الكلام على ان مجرد ظهور الصلاح والتقوى مع عدم معرفة الباطن لا

يقابل العصمة المقطوع بها على صلاح الباطن والظاهر، وخوارق العادات التي اعتضد بها كثيرًا ما تجري وتقع على سبيل الفتنة والاختبار لا على سبيل الكرامة والقرب إليه سبحانه والاختيار، وقد حكى جملة ممن يوثق بهم عن جماعة من كفرة الهند المتعبدين بالرياضات الشديدة اخبارهم بالأمور الغيبية، وقد ورد مثله في اخبارنا أيضًا في خبر الرجل الكافر الذي كان في زمن الامام الكاظم عليه السلام في سوق بغداد يخبر الناس بما يضمرونه في انفسهم حتى مضى اليه الإمام عليه السلام وانتظره إلى ان تفرق الناس عنه، فأخذ بيده وخلا به واستفسره عن السبب الذي نال به هذه المرتبة فاخبره انه لا يعلم لذلك سببًا الاّ أنه يخالف هوى نفسه في كل ما أرادت، وان كل شيء تميل إليه نفسه فهو يأخذ بخلافها، فقال له الإمام عليه السلام اعرض عليها الاسلام فتقنع بردائه وأرخى رأسه إلى الارض ساعة ثم رفع رأسه، وقال: انها تأبى ذلك، فقال له الامام عليه السلام: انك زعمت أن ما نلته من هذه المرتبة انما كان بمخالفة هوى النفس فخالفه إذًا، فخالف هوى نفسه ، واسلم وتبع الامام عليه السلام فكان في جملة شيعته الملازمين له، فسأله ذات يوم رجل في مجلس الإمام عليه السلام عن شيء أضمره في نفسه ففكر في نفسه فلم يهتد إلى جوابه، فقال للإمام عليه السلام كالمتعجب من حال نفسه، يا ابن رسول الله اني لما كنت كافرًا كنت أعلم كلما يضمره الناس والآن قد اسلمت، فكيف لم أعرف ما كنت أعرفه مع شرف الاسلام على الكفر؟ فقال له الإمام عليه السلام: السر في ذلك هو أن تلك العبادة والرياضة التي كنت تعمل بها في حال الكفر من عبادات الانبياء والأولياء ويستحق صاحبها من الله مزيد

القرب والثواب، وحيث ان الكافر لا ثواب له في الآخرة، أعطاك الله جزاء عملك هذا في الدنيا، وهو ما كنت تخبر به الناس من الغيب، ولما أسلمت ادخر الله تعالى لك ثواب ذلك إلى الآخرة ومنعه عنك في الدنيا.

الثامن: قوله أيضًا فأما قول قاضي القضاة لو كانت في يدها لكان الظاهر انها لها، واعتراض المرتضى عليه بقوله انه لم يعتمد في ذلك على حجة إلى آخره، فان ما ذكره في تأويل كلام قاضي القضاة وان كان في حد ذاته متجهًا بناء على ما يزعمه إلاّ أنه بعيد عن مرمى العبارة المذكورة، فانه لو كان مراد قاضي القضاة ما ذكره وشرحه لكان حق العبارة ان يقال لو كانت في يدها لاحتجت باليد والتصرف، بل ظاهر العبارة المذكورة ان مراده انما هو لو كانت في يدها لكان ظاهر اليد يوجب الملك، وحينئذ لا ينازعها أبو بكر ولا يخرجها من يدها ولا يكون محلاً للدعوى والمنازعة والمحاكمة، ولما رأينا الامر بخلاف ذلك من أنها صارت محلاً للدعوى والمنازعة والمخاصمة دل ذلك على انها كانت في جملة التركة، هذا هو ظاهر العبارة الذي لا يحتاج إلى تكلف ولا زيادة اضمار مقدمات في البين لتنطبق العبارة على المعنى المراد منها، وحينئذ فيرجع كلامه إلى حسن الظن بأبي بكر، وانه لو كانت فدك في يد فاطمة عليها السلام لم يخرجها من يدها ويغصبها منها حتى أنها ترجع وتدعيها نحلة تارة وميراثًا أخرى، وجوابه حينئذ ان هذا مصادرة على المطلوب، وأما توجيهه الباطل ومعناه العاطل فيرده:

أولاً: ان هذا التوجيه وجيه لو كان القوم على ما يزعمونه من الوقوف

على جادة الدين المبين والانصاف، ومتى لم يكونوا كذلك كما هو الحق الظاهر من اخبار المقام، فلا مجال لاجراء هذا التوجيه في حقهم.

وثانيًا: انه قد تقدم في المقدمة رواية الواقدي وغيره انه قد دفع رسول الله صلى الله عليه وآله فدكًا لفاطمة عليها السلام بعد نزول جبرئيل بالآية المذكورة واستعملتها حتى توفي أبوها ﴿عليه الصلاة والسلام﴾[1]، فلما بويع أبو بكر منعها، الخبر، ومثله في رسالة المأمون أيضًا، وهذا هو المروي عن أهل البيت عليهم السلام.

وثالثًا: ان قوله وخبر أبي سعيد في قوله فاعطاها فدك يدل على الهبة لا على القبض إلى آخره، مردود بان هذا اللفظ وان كان كذلك بحسب أصل وضعه اللغوي حيث ان الاعطاء فعل المعطي، والقبض امر آخر زايد عليه، وهو فعل المعطي والقابض، إلاّ ان المتبادر عرفًا لشيوعه واشتهاره في ذلك هو الدلالة على القبض، ألا ترى ان المتبادر من قول القائل فلان أعطى زكاة ماله أو أعطى خمس ماله، أو قولنا أعطى السلطان فلانًا كذا ونحوه، انما هو ما يدل على القبض من المدفوع إليه، بل لو ادعى شخص على شخص مالاً فحلف انه اعطاه إياه، فانه لا يكلف أمرًا زايدًا على هذا اللفظ بأن يقول قبضه.

وأما ما استند إليه من قول القايل فلان اعطاني كذا فلم أقبضه ففيه ان هذا قد خرج بالقرينة المذكورة في اللفظ عن ذلك المعنى المتبادر، فلا تناقض، كما زعمه بل ربما يقال ان ثبوت معنى الاعطاء بقول مطلق لا يتحقق إلاّ بالقبض، لانه ما لم يقبض لا يصدق الاعطاء، فانه لو دفع زيد إلى عمرو

١- آية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ (الإسراء/٢٦).

مالاً ولم يقبله بل رده عليه لا يقال اعطى زيد عمروًا مالاً بهذا اللفظ، بل يقال أعطاه فلم يقبله، وما ذاك إلاّ أن الاعطاء بقول مطلق متضمن لمعنى القبول والقبض، ومتى أريد خلافه احتيج إلى القرينة، وهو قولنا فلم يقبضه ونحوه، وحينئذ فلا تناقض في الكلام كما زعمه حيث غطت على بصر بصيرته غشاوة العصبية في المقام.

التاسع: قوله فاما تعجب المرتضى من قول أبي علي ان دعوى الارث كانت متقدمة على دعوى النحل إلى آخره وفيه اولاً: ان هذا الكلام وان كان في حد ذاته بالنسبة إلى ما زعموه في المسألة الأصولية متجهًا إلاّ أنه ليس لإرادته في هذا المقام وجه ولا ارتباط له بتحقيق هذه المسألة التي هي محل البحث، وهذا هو الذي اراده المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ فما ذكره السيد قدس سره متجهًا لا اندفاع له بهذا العذر الفاتر والجواب الماكر.

وثانيًا: فان ما ذكره في تقرير تلك المسألة الاصولية من جملة زخاريفهم الواهية التي هي لتدليسات شيخهم إبليس مضاهية:

أما أولاً: فلما ذكره المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ في المقام.

وأما ثانيًا: فلأن اخبارهم المتقدمة قد دل بعضها على انصرافها ساخطة بعد دعوى الميراث، وبعضها بعد دعوى النحل، فأيهما اعتبر تقديمه فالسخط تابع له وواقع عقيبه.

وأما ثالثًا: فلان حديث خطبة فاطمة عليها السلام على ما نقله كتاب كشف الغمة عن الجوهري، ومثله تقدم في المقدمة قد تضمن احتجاج فاطمة عليها السلام بآيات

الميـراث فـي حـال المخاصـمة والمنازعـة، وكيـف يـتم تخصيـصها بـالخبر المذكور، والحال انها انمـا انـصرفت بعـد المحاجـجة غاضـبة كـما اعتـرف بـه الشارح، وكيف يتم هذا التخصيص والاجماع عليه وهـذا علـي عليه السلام والعبـاس بعد موت فاطمة عليها السلام لا زالوا ينكرون الخبر ويتكررون للمطالبة بـالميراث ايـام عمر، ومن أوضح الواضحات في انكارهم الخبر المذكور قول عمر فيما تقـدم في المقدمة من روايات الصحيحين عندهم، وروايات الجوهرى المتقدمـة فـي الفصل الأول من هذا المقام ان عليًا عليه السلام والعباس كانـا يقـولان فيـه وفـي أبـي بكر أنهما في أخذ فـدك خائنـان ظالمـان، آثمـان غـادران، فـإذا اعتـرف عمـر خليفـتهم وامـامهم الـذي يريـدون ان يغطـوا علـى هفواتـه وهفـوات صـاحبه، ويتطلبون الاعذار لهما بان هذا اعتقاد علي عليه السلام والعباس فيهما، فأي مقام لهذا الخبر وأي محل لهذا الاجماع لولا قلة الحياء ومزيد الحمية والعصبية الباطلة.

العاشر: قولـه وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم، ولا يعلـم حقيقـة مـا كـان، وفيه ان هذا الخبر تستر بما هو اوهن من بيت العنكبوت، وانه لاوهـن البيـوت، وهذه عادتهم متى ضاق عليهم الخناق، ولم يجـدوا لـدائهم مـن واق يلتجـأون إلـى حـسن الظـن بأولئـك الاصـحاب، وان ظهـر لهـم تعـديهم لحـدود الـسنة والكتاب، ويتعمدون البقـاء علـى الباطـل، ولا ينقـادون للحـق ولـو بالـسلاسل، وبيان بطلان هذا العذر البارد الفاتر بما هو اظهر ظاهر لكل ناظر ان نقول:

أولاً: لا يخفى على ذوي الألباب والعقول، بل من كان له أدنى روية في معقول أو منقول انا مأمورون من الله تعالى في آيات كتابه العزيز على لسان نبيه

ﷺ بولايـة اوليائهمـا والبرائـة مـن أعـدائهما، ولا ريـب انـا اصـحاب هـذه الاعصار المتأخرة لم نر أصحاب عصر النبي ﷺ ولـم نحـضر أفعـالهم، ولـم نشاهد ما وقع منهم وما جرى بينهم، لنحكم على أحد بما شاهدناه منه وعلمناه من أحواله، ولو أنا نعلم أن الله تعالى يقبـل منـا العـذر فـي عـدم ولايـة أوليائـه وبغض اعدائه لتركنـا البحـث عـن شـأنهم والخـوض فـي زيـادتهم ونقـصانهم، والتشاغل بالفحص عما جرى في تلك الايام من نقض وإبرام وطاعات وآثـام، ولكنا نعلم انه لم يرض بذلك، بل أوجب علينا السعي والفحـص، وبـذل الجـد والاجتهاد في معرفة أوليـاءه ومـوالاتهم، ومعرفـة اعدائـه ومعـاداتهم، والبـراءة منهم، ولا ريب أنـه لا طريـق لنـا إلـى ذلـك إلاّ بـالرجوع إلـى الآثـار والاخبـار والسير التي نقلها العلماء خلفًا عن سلف، وصححوها ودونوها، وهذا هو فرض الله في حقنا في وجوب موالاة اوليائه والبراءة من أعدائه، وحينئذ فـإذا اعتـرف هنا بأن فاطمة عليها السلام قد ماتت واجدة غاضبة على أبي بكر وعمر كما دلت عليـه الاخبار التي قدمها، واعترف بعدالة ناقلها ووثاقته مع مـا اتفقـوا عليـه أيـضًا فـي حقها من أن من أغضبها فقد أغـضب النبـي ﷺ، ومـن آذاهـا فقـد آذاه، ولا ريب ان المغضب له ﷺ مغضب لله تعالى ومؤذ له بنص الآية القرآنيـة،[1] بـل رووا كمـا تقـدم فـي المقدمـة ويـأتي أيـضًا فـي المقـام ان الله يغـضب لغـضبها ويرضـى لرضـاها، فبموجـب ذلـك يلـزم ان أبـا بكـر وعمـر ممـن أغـضب الله ورسـوله، وإذا كانـا كـذلك وجـب البـراءة منهمـا لقولـه سـبحانه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا

١- قولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (الاحزاب/٥٧).

يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾[1]، الآيــة وغيرهــا أيــضًا، فكيف يجوز له ولامثاله التلزم بولايتهما، وكيف يسوغ هذا العذر البارد والتعلل بان العهد قد بعد، والحال انه مكلف بما وصل إليه من الاخبار، ومحجوج بها غدًا بين يدي الملك العزيز الجبار.

وثانيًا: انه بموجب هذا العذر الدال على توقفه وعدم جزمه بما دلت هذه الاخبار يجب عليه التوقف أيضًا في ولاية أبي بكر وعمر وعدم الجزم بها والاعتقاد بصحتها، لانه إذا اعترف بصحة هذه الاخبار الموجبة لغضب الله تعالى عليهما ثم جوز الاحتمال فيها على غير ما دلت عليه مناطيقها، وصرحت به اخبارها وألفاظها فالشك في ذلك والتردد فيه مستلزم للشك في ولايتهما والتردد فيها، لانه وان ثبتت ولايتهما بزعمه بدليل آخر إلاّ انه بالنظر إلى ما دلت عليه هذه الاخبار كما حققناه يجب الخروج عنهما جزمًا لتقديم الجارح على المثبت ومع التردد فيها لا أقل من التردد في ذلك البتة، كما هو بحمد الله ظاهر لكل ناظر، ولكن سلوك سبيل العناد والتعصب على الفساد داء لا دواء له في العباد، والله الهادي إلى طريق الرشاد.

تتمّة مهمة

ثمّ لنذكر هنا بعض الأخبار الواردة في شأن ربة العصمة والفخار زيادة على ما قدمناه في المقدمة مما هو ظاهر المنار في علو شأن بضعة

١– المجادلة/٢٢.

المختار ووالدة الائمة الابرار، ليظهر لك ما في كلام هؤلاء القوم من البغض لها، والتعصب عليها حمية لائمتهم ذوي الاحمال والاثقال والآصار نقلاً من كتاب كشف الغمة في مناقب الائمة للوزير السعيد علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي تغمده الله بغفرانه واسكنه أعلى غرفات جنانه.

قال قدس سره في باب مناقبها عليها السلام نقلاً من طرق القوم، وروى ابن خالويه في كتاب الآل، حدثني أبو عبد الله الحنبلي، قال: حدثنا محمد بن احمد بن قضاعة، قال: حدثنا أبو معاذ عبدان بن محمد، قال: حدثني مولاي ابو محمد الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد علي، عن أبيه علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما خلق الله آدم وحوا تبخترا في الجنة، فقال آدم لحوا: ما خلق الله خلقًا هو أحسن منا، فأوحى الله إلى جبرئيل ائت بعبدي الفردوس الاعلى، فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنة على رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان، قد أشرقت الجنان من نور وجهها، فقال آدم: حبيبي، من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من وجهها؟ قال: هذه فاطمة بنت نبي من ولدك في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها، قال بعلها علي بن أبي طالب.

قال ابن خالويه: البعل في كلام العرب خمسة أشياء الزوج والصنم من

قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾[1]، والبعل اسم امرأة وبها سميت بعلبك، والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقي، والبعل السماء، والعرب تقول السماء بعل الأرض، قال: فماذا القرطان اللذان في أذنيها؟ قال: الحسن والحسين، قال آدم: حبيبي جبرئيل اخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل ان تخلق بأربعة آلاف سنة[2].

وعن ابن خالويه في كتاب الآل رفعه إلى علي بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد، وزاد ابن عرفة عن رجاله يرفعه إلى أبي أيوب الانصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة على الصراط فتمر ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين[3].

أقول: وقد تقدم في فصل مطاعن أبي بكر نقل هذا الخبر عن كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر، وتقدم نقل الشارح له عن بعض علمائهم.

ثم قال قدس سره: ومنه عن نافع، عن أبي الحمراء قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية أشهر إذا خرج إلى صلاة الغداة مر بباب فاطمة عليها السلام وقال:

١- الصافات/١٢٥.

٢- البحار ٥٢/٤٣.

٣- البحار ٥٣/٤٣.

السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا[1].

أقول: وقد قدمنا في المقدمة مثله بطريق آخر.

ثم قال: ومن كتاب الآل مرفوعًا إلى مالك بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله ﷺ متبسمًا يضحك، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أضحكك؟ قال: بشارة أتتني من عند الله عز وجل في ابن عمي وأخي وابنتي، ان الله تعالى لما زوج فاطمة أمر رضوان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقًا يعني صكاكًا بعدد محبينا أهل البيت، ثم أنشأ من تحتها ملائكة من نور من بعد، فأخذ كل ملك رقاقًا، فإذا استوت القيامة بأهلها صاحت الخلائق والملائكة، فلا يلقون محبًا لنا أهل البيت إلاّ أعطوه رقًا فيه براءة من النار، فنثار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من النار[2].

أقول: فليقابل هذا الخبر الذي سمعه عبد الرحمن بن عوف بما فعله بعلي عليه السلام يوم الشورى من الاهانة والخوف مما يدل على نفاقه الذي ملأ منه الجسد والجوف، حسبما أوضحناه في تلك المقامات المتقدمة.

وهذا شأن جملة أولئك الاصحاب فيما أتوه في حق أهل بيت النبي الاطياب، بعد سماع مثل هذه النصوص التي قدمنا منها قطره من سحاب.

ثم قال قدس سره: ومن كتاب الآل عن الحسين بن علي، عن أبيه، عن النبي

١- البحار ٥٣/٤٣، وفيه: عن نافع ابن ابي الحمراء.

٢- كشف الغمة ٩١/١، البحار ١٢٣/٤٣، وفيه: عن بلال بن حمامة.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انه قال: يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[1].

أقول: وقد تقدم في الفصل المشار إليه آنفًا نقل هذا الخبر أيضًا عن أخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد، وعن كتاب روضة الاحباب، ثم ساق قُدِّسَ سِرُّهُ جملة من أخبار الامامية إلى أن قال: ونقلت من كتاب لأبي اسحاق الثعلبي، عن مجاهد قال: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقد أخذ بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله[2].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ان فاطمة شعرة مني، فمن آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه ملأ السماوات والارض[3].

وعن حذيفة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا ينام حتى يقبّل عروض وجنة فاطمة وبين ثدييها[4].

وروى ان محمد بن أبي بكر مرة قرأ ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث﴾ قال: وهل يحدث الملائكة إلاّ الانبياء؟ قال: مريم لم تكن نبية، وسارة امرأة ابراهيم قد عاينت الملائكة وبشروها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ولم تكن نبية، وفاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت محدثة ولم

١- كشف الغمة ٨٥/٢، البحار ٢٢/٤٣.

٢- البحار ٥٤/٤٣، كشف الغمة ٩٥/٢.

٣- كشف الغمة ٩٥/٢.

٤- كشف الغمة ٩٥/٢.

تكن نبية[1].

قلت: وما ينكرون من هذا وقد رووا ان النبي صلى الله عليه وآله قال: ان لم يكن من أمتي مخاطبون ومحدثون فانك منهم يا عمر إلاّ ان يُصحّحوا هذا ويكذبوا غيره على عادتهم[2].

وروي واظني ذكرته في اخبار علي عليه السلام بغير روايته عن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي ذات يوم فقال: يا فاطمة عندك شيء تغذينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح اليوم عندي شيء أُغذيكه، ما كان عندي شيء منذ يومين إلاّ شيء أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين حسن وحسين، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة ألا كنت اعلمتني فأبغيكم شيئًا، فقالت: يا ابا الحسن إني لاستحي من الهي ان تكلف نفسك مالا تقدر عليه، فخرج علي عليه السلام من عند فاطمة عليها السلام فاستقرض دينارًا ليشتري لعياله ما يصلحهم، فعرض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحر قد توجته الشمس من فوقه وآذته من تحته، فلما رآه علي عليه السلام أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما اخرجك من رحلك؟ فقال: يا ابا الحسن خلي سبيلي ولا تسألني عما ورائي، فقال: يا أخي لا يسعني ان تجاوزني حتى أعلم علمك، فقال: يا أبا الحسن رغبت إلى الله وإليك أن تخلي سبيلي ولا تكشفني عن حالي، فقال: يا أخي لا يسعك أن تكتمني حالك، فقال: يا ابا الحسن اما إذا أبيت فوا الذي أكرم

١- كشف الغمة ٩٦/٢.

٢- كشف الغمة ٩٧/٢.

محمدًا بالنبوة واكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلاّ الجهد وقد تركت عيالي جياعًا، فلما سمعت بكاءهم لم تحملني الأرض، فخرجت مهمومًا مغمومًا راكبًا رأسي، هذه حالي وقصتي، فانهملت عينا علي عليه السلام بالبكاء حتى بلت دموعه لحيته، فقال: احلف بالذي حلفت به ما أزعجني إلاّ الذي أزعجك، وقد اقترضت دينارًا فهاكه فقد آثرتك على نفسي، فدفع الدينار إليه ورجع حتى دخل المسجد فصلى الظهر والعصر والمغرب، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مر بعلي عليه السلام وهو في الصف الأول فغمزه برجله فقام علي عليه السلام فلحقه في باب المسجد فسلم عليه فرد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا أبا الحسن هل عندك عشاء تعشينا فنميل معك، فمكث مطرقًا لا يحير جوابًا حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عرف ما كان من أمر الدينار ومن أين أخذه وأين وجهه بوحي من الله إلى نبيه، وأمر ان يتعشى عند علي عليه السلام تلك الليلة، فلما نظر إلى سكوته قال: يا ابا الحسن مالك لا تقول لا فانصرف، أو نعم فأمضي معك، فقال: حياء وتكرمًا فاذهب بنا، فأخذ بيد علي فانطلقا حتى دخلا على فاطمة عليها السلام وهي في مصلاها قد قضت صلاتها وخلفها جفنة تفور دخنًا، فلما سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله خرجت من مصلاها فسلمت عليه وكانت أعز الناس عليه، فرد السلام ومسح يده على رأسها فقال: يا بنتاه كيف أمسيت رحمك الله، قالت بخير، قال: عشينا رحمك الله وقد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، فلما نظر علي عليه السلام وشم ريحه رمى فاطمة عليها السلام ببصره رميًا شحيحًا، قالت له فاطمة عليها السلام: سبحان الله ما أشح

نظرك واشده ءاذنبت ذنبًا بيني وبينك استوجب به منك السخط؟ فقال: وأي ذنب من ذنب أصبته، أليس عهدي بك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعامًا منذ يومين، قال: فنظرت إلى السماء وقالت: الهي يعلم ما في سمائه وأرضه اني لم اقل إلاّ حقًا، فقال لها: يا فاطمة أنى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه، ولم أشم مثل رايحته قط، ولم آكل بأطيب منه، قال: فوضع رسول الله ﷺ كفه الطيبة المباركة بين كتفي علي عليه السلام فغمزها، فقال: يا علي هذا بدل عن دينارك، هذا جزاء دينارك من عند الله، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثم استعبر النبي ﷺ باكيًا ثم قال: الحمد لله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتى يجريك يا علي مجرى زكريا، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران.

قلت: حديث الطعام قد أورده الزمخشري في كشافه عند قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[1]، وذكرته آنفًا في المجلد الأول[2].

أقول: ونحن قد نقلناه فيما تقدم في الجزء الحادي عشر إلاّ انه ليس بهذه الرواية.

ثم ساق قدس سره جملة من الاخبار، إلى أن قال: وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة ما كان لها

١- آل عمران/٣٧.

٢- كشف الغمة ٩٧/٢ – ٩٩، الكشاف ٣٥٨/١.

كفؤ على وجه الأرض آدم فمن دونه.

قلت: قد أورد صاحب كتاب الفردوس في الاحاديث عن النبيصلى الله عليه وآله يا علي ان الله عز وجل زوجك فاطمة، وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضًا لك مشى حرامًا[1].

أقول: وقد قدمنا هذا الخبر أيضًا في الفصل المشار إليه آنفًا برواية الخطيب الخوارزمي موفق بن أحمد، وفيه من مشى عليها مبغضًا لها مشى حرامًا.

ثم قال قدس سره: وحكى لي السيد تاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا العلوي الحسيني سقى الله ثراه واحسن عن أفعاله الكريمة جزاه ان بعض الوعاظ ذكر فاطمة عليها السلام ومزاياها وكون الله تعالى وهبها من كل فضيلة رباعها وصفاياها، وذكر بعلها واباها واستخفه الطرب فانشد:

خجلاً من نور بهجتها ... تتوارى الشمس بالشفق

وحياء من شمائلها ... يتغطى الغصن بالورق

فشقّ كثير من الناس ثيابهم، وأوجب وصفها بكاءهم وانتحابهم[2].

ثم ساق الاخبار في هذه المضمار إلى ان قال لا زال مشمولاً بسوانح الافضال من الملك المتعال: مناقب فاطمة عليها السلام لو كاثرت النجوم كانت أكثر،

١- كشف الغمة ١٠٠/٢.

٢- كشف الغمة ٩٢/٢ وما بعدها.

ولو ادعت شمس النهار الظهور كانت أظهر، ولو فاخرها الافلاك كانت عليها أشرف وأفخر، بيتها في قريش في سنامه ورغابه، وأبوها الذي أحاط به الشرف من كل جوانبه، وكان قاب قوسين من مراتبه ومناصبه، وبعلها الذي شاركه في علائه ومناسبه ورفعه بما نبه به على منزلته على أصحابه وأقاربه، وابناها عليهما السلام المعدودان من أحب حبائبه، المخصوصان بأوفر نصيب من مآثره ومناقبه، وهي عليها السلام شجرة مجد هذه أصولها وفروعها، ومزنة فخار صفى ماؤها وطاب ينبوعها، وقصة سؤدد اعتدل في أسباب المعاد منقولها ومسموعها، فكيف يبلغ وصف فضلها، وقد بلغت النهاية في نبلها، واستولت على قصبات المسابقة وخصلها، وما عدت فضيلة إلاّ وهي لها بالاضافة أو هي من أهلها، ومن عراه شك فيما قلته فليأت بمثلها ومثل أبيها وبنيها وبعلها، صلى الله عليهم صلاة تقوم بشرف محلهم ومحلها، انتهى كلامه علا في الخلد مقامه، وثبتت في الفردوس أقدامه[1].

أقول: وقد استخف القلم الطرب في هذا الباب حين سمع فضايل هؤلاء الأحباب، فأطال في النقل وتجاوز الغرض من وضع الكتاب، استلذ بهذه المناقب، فجرى سعيًا على أم رأسه، ووجد فسيحًا فاغتق في حلبة قرطاسه، ولولا كف عزمه لأطال في المقال، وانى له بالوصول إلى تلك الغاية التي لا تنال ولو بالآمال، وكيف لا وهي شجرة أصلها النبي، ولقاحها الوصي، وأغصانها ورثة الحكم الالهي، وثمرتها علمهم المرضي، ونورهم المضي.

١- كشف الغمة ١٢١/٢.

هذا آخر ما يتعلق به الكلام من الجزء السادس عشر من شرح الكتاب ويتلوه ان شاء الله تعالى الكلام فيما يتعلق بالجزء السابع عشر، والحمد لله وصلى الله على محمد وآل بيته الطاهرين.

قال الاصل، ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور، إلى أن قال: فانظر في ذلك نظرًا بليغًا، فان هذا الدين قد كان اسيرًا في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، ويطلب به الدنيا[1]، بعد كلام في المقام.

ثم قال: ان هذا الدين كان اسيرًا، هذه اشارة إلى قضاة عثمان وحكامه، فانهم لم يكونوا يقضوا بالحق عنده بل بالهوى ولطلب الدنيا، وأما أصحابنا فيقولون رحم الله عثمانًا، فانه كان ضعيفًا، واستولى عليه أهله، وقطعوا الامور دونه، فاثمهم عليهم، وعثمان بريء منهم، انتهى.

أقول: لا يخفى ان هذا الشارح الضال وأصحابه الجارين على هذا المنوال قد أعدوا لهم حصنين وان كانوا غير حصينين، يلوذون بهما إذا ضاق المجال، ويتسترون فيهما إذا أعوز الاحتيال، أحدهما معاوية وابن العاص ومن اقتفاهما من كل فاجر وعاص، وثانيهما متى تعذر التستر بذلك عثمان، لعظم ما ظهر في خلافته من الجور والطغيان، فمتى ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كلام رمز فيه وأشار إلى الطعن في اماميهما الاعظمين تكلفوا صرفه إلى معاوية وابن

١- شرح نهج البلاغة ٥٨/١٧.

العاص، فان لم يتيسر لهم ذلك لعدم انطباقه على مثل اولئك، صرفوه إلى عثمان واردفوه بالعذر له كما في هذا المكان، كل ذلك محافظة على امامة أبي بكر وعمر التي هي الاصل والاساس التي استقام عليها دينهم واستقر، ولكنه عند النظر والانصاف مما لا يسمن ولا يغني كما لا يخفى على من له إلى الحق أدنى ميل ورجوع، ولا ريب أن كلامه عليه السلام في هذا المقام جاريًا على ما تكرر مثله من الكلام مما قدمنا ذكره وأردفناه بما قشع عنه غشاوة الابهام، ومراده بأولئك الاشرار انما هو من تقدم عليه ممن قد أسس الخلافة لعثمان ومن تلاه من ذوي الجور والعدوان، وذلك:

أما **أولاً**: فإنه ان كان المانع من صرفه إلى أولئك هو قوله أنه يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا، فخطبته عليه السلام الشقشقية التي قد اعترف الشارح وغيره من علمائهم بما فيها من المطاعن التي لم يبق بعدها بقية أظهر ظاهر في تأييد هذا الكلام، كما أوضحناه في شرحها بما تشتاقه العقول والافهام، فلا معنى للموافقة ثمة، والانكار هنا إلاّ من حيث العجز والافحام، وان كان من حيث الوصف بكونهم من الاشرار فهو مع ثبوت ما ذكرناه لا استنكاف منه ولا استنكار.

وأما **ثانيًا**: فانه لا يخفى ان الدّين انما هو في يد الخليفة والامام الجالس مجلس الرسول صلى الله عليه وآله، فانه هو القائم بالشريعة والمرجع فيها، ومن نصبه من قاض أو حاكم فانما هو جدول من مائة يكدر بكدره، ويصفو بصفائه.

وأما ثالثًا: فلأن العمل فيه بالهوى هو بعينه الاجتهاد والقياس المبني على

الظنون والآراء والأهواء، فان كل ما خرج عن الكتاب والسنة المطهرة لا يعدل به عن ذلك، كما اعترف به الشارح فيما تقدم من أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مقيد بقيود الشريعة لا يتجاوز الكتاب والسنة إلى الظنون والآراء، ويطبق أمور الدنيا على الدين، وقد اعترف أيضًا بأن خلفائه ولا سيما عمر انما كانوا في جل احكامهم يعولون على الاجتهاد والاقيسة والآراء، كما تقدم ذلك كله منقحًا محققًا، وحينئذ فلا معنى للانكار في هذا المقام إلاّ خوف الوقوع في مضيق الالزام.

وأما **رابعًا**: فما نقله عن أصحابه في حق عثمان بعد تخصيصه لكلامه عليه السلام بقضاة عثمان وحكامه من الترحم عليه، والعذر له عن ذلك، وان الاثم انما هو على قضاته دونه، فهو مما يسود وجوههم ويلحقهم به لمشاركتهم له في احداثه وقبيح افعاله، لما استفاض في الآيات والاخبار من ان من رضى شيئًا كان كمن اتاه، وكان من جملة اعماله، فانه لا ريب ان قضاته وحكامه انما جلسوا في القضاء والحكم بامره واذنه، فهو شريك لكل منهم في خيره وشره، وطاعته ووزره، وكيف لا وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في صدر هذا العهد المذكور ينادي بأبلغ لسان ويفصح عنه بأوضح بيان حيث قال عليه السلام: وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فانك ان لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله ادحض حجته، وكان لله حربًا حتى ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم، فان الله سمع دعوة المظلومين، وهو

للظالم بالمرصاد، انتهى[1].

وقد قدمنا كلامه عليه السلام لعثمان بنقل هذا الشارح الضال في أول مقالة من الجزء التاسع، وقوله عليه السلام له في كلام طويل في توبيخه وتقريعه له: ألا تنهى سفهاء بني أمية عن أعراض الناس، وأبشارهم، وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان اثمه مشتركًا بينك وبينه، إلى آخره.

وحينئذ فأي مجال لهذا العذر البارد من كل منافق مارد، وكيف لا يكون شريكًا لهم في اثمهم، وهو يمنع عنهم، ويحامي دونهم، لما علم من كتب السير والاخبار كما قدمنا نبذة من ذلك، وكيف إذا كان يعلم يقينًا ان قضاته وحكامه قد استولوا عليه، وقطعوا الامور دونه، وانهم قد افسدوا الدين باهوائهم وآرائهم، وهو لا يتمكن من عزلهم، فلم لا يعزل نفسه عن هذا المقام، ويفوضه إلى من يقوم بالدين على أحسن وجه ونظام، وحينئذ فعلى أي حال كان فالقبح والفساد راجع إلى عثمان فانه باغضائه على ذلك مع علمه بما هنالك، مورد له ولهم إلى شديد المهالك، ثم كيف يكون ضعيفًا يستولي عليه أهله، وهو الخليفة المطاع في الناس، والناس من جميع البلدان تأتي اليه وتشكو عماله، فلم لا يأمرهم فيهم، ويمكنهم منهم لو كان ممن يسير بالحق والعدل، ولا يرضى بظلم عماله، ولا يتعصب لهم على الباطل، والضعف انما يوصف به من لا سامع لامره ونهيه ولا مطيع، ومن المقطوع به ان عثمان لو كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكان الكل من السامعين

١- شرح نهج البلاغة ٣٤/١٧.

والمطيعين له حسبما كان عليه من تقدمه بزعمهم، والقوم انما اجتمعوا على خلعه من اقطار الارض وجميع نواحيها حتى تفاقم الأمر إلى قتله إلاّ من حيث ما علموه من تعصبه وحمايته لأهله، وقضاته وحكامه الذين أفسدوا الدين باعترافهم هنا، ورضاه بجميع قبائحهم، وتوفيره أموال المسلمين عليهم، فكيف يتم عذر هؤلاء الضلال عنه بما ذكروه، أرأيت ان هذا العذر البارد لو كان صحيحًا لم يهتد إليه أحد من ذلك الجم الغفير الذين انتدبوا لخلعه حتى قتلوه، وفعلوا به ما فعلوا بعد القتل من التنكيل والعذاب الوبيل حتى بقي جيفة على مزبلة ثلاثة أيام بمرأى من الخاص والعام، ثم دفن خفية في مقابر اليهود الحاقًا له بهم وبعاد وثمود دون مقابر الاسلام، ورمي سريره بالحجارة، فمن اطلع عليهم، فهل فعل هذا أو يفعل بمسلم فضلاً عن أن يكون الخليفة والامام، وذلك كله من كبراء الصحابة كطلحة والزبير وامثالهما من أولئك الانام، أف لهذه العقول الزائفة عن الحق، وما أحراها بالطبع عليها وحق.

قال الاصل، ومن كتاب له عليه السلام إلى مصر مع مالك الاشتر لما ولاه إمارتها، أما بعد: فإن الله بعث محمدًا نذيرًا للعالمين، ومهيمنًا على المرسلين، فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الامر بعده، فوالله ما كان يلقى من روعي، ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله عن اهل بيته، ولا أنهم ينحوه عني من بعده، فما راعني الا وانثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محو دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت ان لم أنصر الاسلام وأهله ان أرى فيه ثلمًا أو

هدمًا يكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمئن الدين وتنهنه[1].

بعد كلام في المقام قال: ما خطر ببالي ان العرب تعدل بالامر بعد وفاة محمد ﷺ عن بني هاشم ثم من بني هاشم عني، لانه كان المتيقن بحكم الحال الحاضرة، وهذا الكلام يدل على بطلان دعوى النص وخصوصًا الجلي، قال فما راعني ألا انثيال الناس، تقول للشيء يفجأك بغتة ما راعني إلاّ كذا، والروع –بالفتح– الفزع، كأنه يقول ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي، وتلك الثقة التي اطمأننت إليها إلاّ وقوع ما وقع من انثيال الناس، أي انصبابهم من كل وجه كانثيال التراب على أبي بكر، وهكذا لفظة الكتاب الذي كتبه للاشتر، وإنما الناس يكتبونه الآن إلى فلان تذممًا من ذكر الاسم كما يكتبون في أول الشقشقية أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، قوله فامسكت يدي، أي امتنعت عن بيعته، حتى رأيت راجعة الناس، يعني أهل الردة كمسيلمة وسجاح، وطليحة بن خويلد، وما بقى، وان كان مانعوا الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردة أم لا، ومحو الدين أبطاله، وزهق جزع وزال، وتنهنه سكن، واصله الكف، وكأن الدين كان متحركًا مضطربًا فسكن وكف عن ذلك الاضطراب.

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير ان رسول الله

١– شرح نهج البلاغة ١٥١/١٧.

ﷺ لما مات اجتمعت أسد وغطفان وطي على طلحة بن خويلد إلاّ ما كان من خواص أقوام في الطوائف الثلاث، فاجتمعت أسد بسهيل، وغطفان بجنوب طيبة، وطي في حدود أرضهم واجتمعت ثعلبة بن أسد ومنهم من يليهم من قيس بالاورق من الربذة، وناشت إليهم ناس من بني كنانة ولم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين، اقامت أحدهما بالابرق، وسارت احدهما إلى ذي العصة، وبعثوا الوفود إلى أبي بكر يسألونه ان يقارهم على اقامة الصلاة ومنع الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه، ورجع الوفود إلى قومهم فاخبروهم بقلة من أهل المدينة، وأطمعوهم فيها، وعلم أبو بكر والمسلمون بذلك، وقال لهم أبو بكر: أيها المسلمون ان الارض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وانكم لا تدرون ليلاً تموتون أم نهارًا، وادناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يؤملون ان نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم، فاعدوا واستعدوا، فخرج علي عليه السلام بنفسه وكان على نقب من انقاب المدينة، وخرج الزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرهم فكانوا على الانقاب الثلاثة، فلم يلبثوا إلاّ مليًا حتى طرق القوم المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حسا ليكونوا ردءًا، فوافوا الانقاب وعليها المسلمون، فارسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسلوا اليهم ان الزموا مكانكم ففعلوا، وخرج ابو بكر في جمع من أهل المدينة على النواضح، فانتشر العدو بين أيديهم، واتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسا، فخرج عليهم الكمين بانحاء فد نفخوها وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوها بارجلهم في وجوه الابل فتدهده كل

نجي منها في طول، فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ولا تنفر الابل من شيء يقاربها من الانحاء، فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة ولم يصرع منهم أحد ولم يصب، فبات المسلمون بتلك الليلة يتهيأون ثم خرجوا على تعبئة، فما طلع الفجر إلاّ وهم والقوم على صعيد واحد، فلم يسمعوا للمسلمين حسًا ولا همسًا حتى وضعوا فيهم السيف، فاقتتلوا اعجاز ليلتهم، فما ذر قرن الشمس إلاّ وقد ولوا الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم، ورجعوا إلى المدينة ظاهرين.

قلت: هذا الحديث الذي أشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام انه نهض فيه أيام أبي بكر وكأنه جواب عن قول قائل انه عمل لابي بكر أو جاهد بين يدي أبي بكر، فبيّن عذره في ذلك، وقال انه لم يكن كما ظنه القائل، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس وعن الدين، فانه واجب سواء كان للناس امام أو لم يكن[1].

أقول: أما قوله ان هذا الكلام يدل على بطلان النص فان فيه:

أولاً: ان كلامه هذا يدل على مزيد جهله ونقصانه أو عناده ومكابرته وضعف ايمانه، وذلك فان غاية كلامه عليه السلام هنا هو التعجب من عدول الناس عنه إلى أبي بكر الذي لا يساويه، بل لا يساوي ساير بني هاشم، بل ولا ساير أشراف المسلمين في نسب، ولا منقبة، ولا فضيلة، ولا مزيه، فانه لم يظن وقوع ذلك منهم ولم يخطر بباله قبل ذلك، وأي دلالة لهذا على عدم النص، بل لو قيل بدلالته على النص لكان غير بعيد، ألا ترى انه لو قيل انما تعجب من هذا

١- شرح نهج البلاغة ١٥٣/١٧ وما بعدها.

الامر واستغربه من حيث انه المنصوص عليه والموصى بذلك الامر اليه، ولم يلق في روعه ان الناس يخالفون النص عليه إلى غيره لكان منطبقًا على التعجب المذكور أي انطباق، وملتصقًا به أي التصاق، فان ذلك هو محل العجب الذي لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه.

وثانيًا: انا قد قدمنا بحمد الله سبحانه في المقدمة من النصوص ما هو كالشمس في الاشتهار، وموافقة جملة من علمائهم على ذلك بما لا يقبل الانكار، ولكن نظره عن الحق قليل، وفكره عليل، بل قد تقدم في كلامه في غير موضع ولا سيما في الجزء الثاني عشر فيما وقع بين ابن عباس وعمر، واعترف هو بان تلك الاخبار دالة على النص، ولكن انما دفعه باستبعاده من الصحابة مخالفة النص، وهو يغمض عينه عن جميع ذلك ويهدر في امثال هذه المواضع بمثل هذا الكلام البالغ في السماجة إلى حد تمله الافهام.

وثالثًا: ان هذا الكلام صريح في الرد عليه بما اعتذر به لائمته وتقدمهم على أمير المؤمنين عليه السلام من حيث انه لمصلحة الاسلام، وخوف الانتقاض بخلافته والانهدام، فانه لو كان حقًا لما كان لتعجبه عليه السلام وجه في هذا المقام، فانه عليه السلام أعرف الناس بمصالح الاسلام، وما يتعقبه من نقص أو تمام، وأحرص الناس على انتظامه وتمامه، كما ينادي به هذا الكلام، بل فساد الاسلام واختلال النظام انما يترتب على خلافة ائمته، ومفتحه هو ما اشار اليه عليه السلام في هذا المقام، وأيده بنقل كلام الطبري المذكور، وذلك فان العلة التامة في ارتداد من ارتد من العرب يومئذ انما هو في تلك الفتن الشنيعة، والفضائح

الفضيعة التي ترتبت على بيعة السقيفة كما مر مشروحًا، فانه لما سمعت العرب ان الامر قد صار مغالبة وقهرًا، وان الصحابة قد عدلت عن الوصي الموصى اليه بذلك الذي هو عمدة بيت النبوة، وقد كان صيته وهيبته في قلوب العرب ثابتة من أيام النبوة، وقد وضع الامر في أذل بيت من قريش وارذله، علموا ان الصحابة قد خرجوا عن جادة النبوة واحكامها، وان الامر بني على طلب الملك والرياسة وحب الامارة، وكفاك في هذا أقوال أبي سفيان المتقدمة في أبي بكر وتهجينه، وعدم رضاه بولايته، فانه اول من نفر من هذا الامر واراد القيام عليه، لولا انهم سارعوا إلى خدعه بالرشا والمال كما تقدم، ومن أجل هذه الامور نفرت العرب وارتدت في حافرتها، وبذلك صرح السيد الزاهد العابد المجاهد ذي المناقب والفضايل رضي الدين علي ابن طاووس قُدِّسَ سِرُّهُ في وصاياه لابنه حيث قال: ان الذي جرى يوم السقيفة من تركهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على فراش الممات، واشتغالهم بالولايات وما جرى من ترك المشاورة لذوي البصاير، وانفرادهم بتلك الفضايح في الموارد والمصادر، كاد ان يزيل حكم النبوة، ويوجب ذهاب الاسلام بالكلية، لان العرب لما سمعوا من أهل السقيفة اشتغالهم بالأمور الدنيوية، واستحقاقهم الحرمة النبوية لم يستبعدوا انهم خرجوا عن اعتقاد نبوته وعن وصيه ومن أوصى إليه بإمته، وان قد صار الامر مغالبة لمن قدر عليه، فارتدت قبايل العرب واختار كل منهم رأيًا اعتمدوا عليه، فحكى جماعة من أصحاب التاريخ منهم العباس بن عبدالرحيم المروزي فقال ما هذا لفظه: ولم يثبت على الاسلام بعد موت النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من طوايف العرب

إلاّ أهل المدينة وأهل مكة، وارتد سائر الناس، ثم شرح المروزي كيفية ارتداد الخلايق بعد النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقال: ارتدت بنو تميم والزيات واجتمعوا على مالك بن نويرة اليربوعي، وارتدت ربيعة كلها وكانت لهم ثلاثة عساكر عسكر باليمامة مع مسيلمة الكذاب، وعسكر مع معرور الشيباني وفيه بنو شيبان وعامة بنو بكر بن وايل، وعسكر مع الحطيم العبدي.

قال المروزي: وارتد أهل اليمن ارتد الاشعث بن قيس في كندة، وارتد أهل مأرب مع الاسود العنسي، وارتد بنو غافر مع علقمة بن قلامة، فكان هذا الارتداد يا ولدي يا محمد من جملة موانع أبيك أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ من منازعة أبي بكر وعمر ومن رغب في نيل الدنيا بطريقهما، ممن يرجو ان يحصل له منها إذا حصل له ولاية من الحطام ما لا يرجوه بولاية أبيك علي عَلَيْهِالسَّلَامُ، لانهم عرفوا منه عَلَيْهِالسَّلَامُ انه لا يعمل بغير الحق الذي لا تصبر عليه النفوس، فلو ان اباك أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ نازع أبا بكر منازعة المقاتلة له والمنافرة، ادى ذلك إلى ان تصير أهل المدينة حربًا وأهل ردة ظاهرة، وكان أهل مكة الذين ذكر أنهم ما ارتدوا وقد أسلموا لما هجم النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عليهم بالعساكر التي عجزوا عنها، وملكهم قهرًا وبغتة على صفة ما كانوا يقدرون على التخلص منها، فكان اسلامهم اسلام المقهور، فمتى وجد من يساعده على زوال القهر عنه ما يؤمن منه ارتداده عما قهر عليه من الاسلام المذكور، فما كان بقي على ما ذكره المروزي وغيره ما ارتد من ساير اهل تلك البلاد إلاّ الطايف، وأي مقدار للطايف مع ارتداد ساير الطوايف، فلولا تسكين أبوك أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ

لذلك البغي والعدوان، بترك المحاربة لابي بكر ومساعدته لاهل المدينة على الذين ارتدوا عن الاسلام والايمان، فطفى تلك النيران كان قد ذهب ما يمكن ذهابه منه بتلك الاختلافات المروية، وهذه مصايب وعجايب أوجبها مسارعة أبي بكر وعمر ومن اجتمع في السقيفة لطلب الدنيا السخيفة، والتوصل فيها للمعاندة والحيلة، انتهى كلام السيد المشار إليه، افاض الله رواشح لطفه عليه[1].

وفيه شرح لكلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام بأبين وجه ينجلي به غياهب الابهام، فهذا ما وقع في صدر خلافتهم مما ترتب عليها، وأعقبه ما جرى بين الصحابة من الحروب والفتن ولعن بعضهم بعضًا، وقذف بعضهم بعضًا حتى تفرع على ذلك ما تجدد من الفتن والحروب والفساد إلى يوم الدين.

ولا ريب ان أعظم الفتن التي وقعت في الاسلام، وأوجبت له الانطماس والانهدام هي فتنة بنى أمية وتصدرهم في الخلافة وولاية الاسلام، ولا ريب أنها من فروع بيعة أبي بكر حيث اختص هو وعمر بمعاوية وولوه الشام، وجعلوها له طعمة مدة تلك الايام مع علمهم بما هو عليه من القبائح والآثام، كما مر مشروحًا في غير مقام، وقد اعترف الشارح الضال وجملة من علمائهم في هذا المجال بان جعل عمر الامر شورى كان اصل الفتن في الدين كما تقدم ذكره مشروحًا، ومن الظاهر البيّن انه لو ولي الامر من أوله أمير المؤمنين لم يكن له لهذه الفتن بالكلية سبب ولا أساس، ولصفي الدين من هذا الخبط

١- كشف المحجة لثمرة المهجة لابن طاووس/٦٩ وما بعدها.

والالتباس، كما تقدم في كلامه عليه السلام في الخطبة الطالوتية، وكلام فاطمة عليها السلام في الخطبة المتقدمة التي في مرض موتها عليها السلام، ثم ان قوله عليه السلام فامسكت يدي حتى رأيت راجفة الناس إلى آخره، الدال صريحًا على انه انما انقاد للبيعة، وكف يده عن مقابلة القوم نظرًا للاسلام بحدوث ما حدث فيه يومئذ من الانثلام، عما يرد ما هدر به الشارح الضال، وشقشق به في غير مجال، من انه انما امتنع من البيعة لهم اولاً، ونازع وجادل حيث لم يظهر له وجه المصلحة في تقدمهم عليه، وانه ظن بهم قصد الملك والرياسة دون المحافظة على الدين، ثم لما بيّن له ذلك جنح إلى الطاعة، وبايع طايعًا، وهذا كلامه عليه السلام في أيام خلافته ينادي بانه انما انقاد وأطاع لما شرحه عليه السلام، وهذا الضال يغمض عينه عن ذلك كالأعمى الذي سدّت عليه المسالك، ثم ما نقله الطبري من خروج أبي بكر في جمع من أهل المدينة ورجوعهم منهزمين فهو من يمن ناصيته وجودة رأيه، ومزيد شجاعته، وفي نسبة الهزيمة إلى قضية الانحاء تستر بها عن العار على ذلك الامام واستحياء[1].

١- إلى هنا نهاية كل من النسختين حيث ان المخطوط مقطوع الآخر. وقد صادف الانتهاء من تحقيقه ليلة مولد خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وحفيدة الامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. ﴿المحقق﴾.

مصادر التحقيق

١- القرآن الكريم

٢- الآحاد والمثاني،ابن أبي عاصم (٢٨٧ هـ)، ج ١ – ٢، تحقيق باسم فيصل احمد الجوابرة، ط الاولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، دار الدراية، الرياض – السعودية.

٣- ابو طالب حامي الرسول، نجم الدين الشريف العسكري(١٣٩٠هـ)، ج ١ – ٣، الآداب، النجف الاشرف.

٤- الأحاديث الطوال، سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الامة، بغداد – العراق.

٥- الاحتجاج، احمد بن علي الطبرسي (٥٦٠ هـ)، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان.

٦- احياء علوم الدين للغزالي.

٧- إحياء علوم الدين، الغزالي، ج ١ -٤، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٨- أدلة معتقد ابي حنيفة في ابوي الرسول، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق مشهور بن حسن بن سلمان، ط الاولى ١٩٩٣م، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة المنوة – المملكة العربية السعودية.

٩- الارشاد، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، ج ١ – ٢، تحقيق مؤسسة آل البيت، دار المفيد.

١٠- إرواء الغليل، محمد ناصر الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت – لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
١١- الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١ – ٨، تحقيق سالم محمد عطا و محمد علي معوض، ط الاولى، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٢- الاستغاثة، ابو القاسم علي بن احمد الكوفي (٣٥٢ هـ)، ج ١ – ٢.
١٣- الاستيعاب، ابن عبد البر (٤٦٣ هـ)، ج ١ – ٤، تحقيق علي محمد البجاوي، ط الاولى ١٤١٢ هـ دار الجيل، بيروت – لبنان.
١٤- اسد الغابة، ابن الاثير (٦٣٠ هـ)، ج ١ – ٥، اسماعيليان، طهران – ايران.
١٥- الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، ج ١ – ٨، تحقيق علي محمد البجاوي، ط الاولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت – لبنان.
١٦- أضواء على الصحيحين، الشيخ محمد صادق النجمي، ترجمة الشيخ يحيى كمالي البحراني، ط الاولى ١٤١٩ هـ مؤسسة المعارف، قم.
١٧- اعانة الطالبيين، البكري الدمياطي (١٣١٠ هـ)، ج ١ – ٤، ط الاولى ١٤١٨ هـ دار الفكر، بيروت – لبنان.
١٨- الاعتقاد، احمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ)، ج ١، دار الآفاق الجديدة، تحقيق احمد عاصم الكاتب، ط الثانية، بيروت – لبنان.
١٩- اعتقاد اهل السنة، هبة الله بن الحسن بن منصور (٤١٨ هـ)، تحقيق د.احمد سعد حمدان، ط.٢ ١٤٠٢ هـ، دار طيبة، الرياض.

٢٠- أعلام النبوة، علي بن محمد الماوردي، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط الاولى ١٩٨٧م، بيروت – لبنان.
٢١- إعلام الورى بأعلام الورى، ج ١ -٢، الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ط الاولى ربيع الاول ١٤١٧ هـ قم– ايران.
٢٢- الأم، الشافعي (٢٠٤ هـ)، ج ١ – ٨، ط الاولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٢٣- الامالي، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، ط الاولى ١٤١٧هـ.
٢٤- الانوار العلوية والاسرار المرتضوية، الشيخ جعفر النقدي (١٣٧٠ هـ)، ط الثانية ١٣٨١ هـ الحيدرية، النجف الاشرف – العراق.
٢٥- اوائل المقالات، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق ابراهيم الانصاري، ط الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت – لبنان.
٢٦- الايضاح، ابن شاذان (٢٦٠ هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني.
٢٧- الايمان لابن منده، محمد بن اسحاق بن يحيى بن منده، ج ١- ٢، مؤسسة تحقيق د.علي بن محمد الفقيهي، الرسالة، ط الثانية، بيروت – لبنان ١٤٠٦ هـ
٢٨- ايمان أبي طالب، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، ط الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت – لبنان.
٢٩- بحار الانوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، بيروت – لبنان.
٣٠- بدائع الصنائع.

٣١- البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر بن كثير ج ١ -١٤، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان.

٣٢- البداية والنهاية، اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ)، ج ١-١٤، تحقيق علي شيري، ط الاولى ١٤٠٨ هـ دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٣- بلاغات النساء، ابو الفضل ابن طيفور (٢٨٠ هـ)، مكتبة بصيرتي، قم، ايران.

٣٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ هـ)، ج ١ – ١٠، مكتبة الحياة، بيروت – لبنان.

٣٥- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (٨٠٨ هـ)، ج ١ -٨، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٣٦- تاريخ الامم والملوك، ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، ج ١ -٨، تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الاعلمي، بيروت – لبنان.

٣٧- تاريخ بغداد، احمد بن علي الخطيب البغدادي، ج١ – ١٤، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٨- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١ هـ)، ج ١ – ٧٠، تحقيق علي شيري، ط ١٤١٥ هـ دار الفكر، بيروت – لبنان.

٣٩- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١ هـ).

٤٠- تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (٢٨٤ هـ)، ج ١ -٢، دار صادر، بيروت – لبنان.

٤١- تأويل الآيات في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين الاسترابادي (٩٦٥ هـ)، ج ١ – ٢، تحقيق مدرسة الامام المهدي، ط الاولى ١٤٠٧ هـ قم – ايران.
٤٢- تأويل مختلف الحديث، محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٣٧٦هـ)، ج ١ -٢، تحقيق الشيخ اسماعيل الاسعردي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٤٣- تحف العقول، ابن شعبة الحراني، تحقيق علي اكبر غفاري، ط الثانية، ١٤٠٤ هـ مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم – ايران.
٤٤- تصحيح اعتقادات الامامية، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق حسين دركاني، ط الثانية ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت – لبنان.
٤٥- تفسير ابن كثير، ج ١- ٤.
٤٦- تفسير البغوي
٤٧- تفسير البيضاوي، ج ١.
٤٨- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ)، ج ١ – ٥، تحقيق الشيخ حسين الاعلمي، ط الثانية ١٤١٦ هـ مكتبة الصدر، طهران – ايران.
٤٩- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير الطبري، ج ١ – ١٢.
٥٠- تفسير القرطبي، (٦٧١ هـ)، ج ١ – ٢٠، ط ١٤٠٥ هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٥١- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن)، ج ١- ٢٠.

٥٢- تفسير القمي (٣٢٩ هـ)، ج ١ – ٢، تصحيح السيد طيب الجزائري، ط الثالثة ١٤٠٤ هـ دار الكتاب، قم – ايران.

٥٣- تفسير مجمع البيان، الطبرسي (٥٠٦ هـ)، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، ط الاولى ١٤١٥ هـ الاعلمي، بيروت – لبنان.

٥٤- تفسير الكشاف، الزمخشري.

٥٥- تفسير مجاهد، مجاه بن جبر المخزومي، ج ١ – ٢.

٥٦- تفسير النسفي.

٥٧- تفضيل أمير المؤمنين، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق علي مدرسي الكعبي، ط الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت – لبنان.

٥٨- التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ج ١ – ٢٢، تحقيق مصطفى بن احمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية، ١٣٨٧ هـ المغرب.

٥٩- التهذيب، الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ)، ج ١ ١٠، تحقيق السيد حسن الخرسان، ط الرابعة ١٣٦٥ هـ، دار الكتب الاسلامية.

٦٠- تهذيب المقال في تنقيح كتب الرجال، السيد محمد علي الابطحي، ج ١ -٥، ط ١٤١٢ هـ قم – ايران.

٦١- الجواهر السنية في الاحاديث القدسية، الشيخ الحر العاملي (١١٠٤هـ)، مكتبة المفيد، قم – ايران.

٦٢- حلية الابرار، السيد هاشم التوبلي البحراني (١١٠٧ هـ)، ج ١ – ٢، تحقيق

الشيخ غلام رضا مولانا البحراني، ط الاولى ١٤١١ هـ مؤسسة المعارف الاسلامية.
٦٣- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)، ج ١ — ٣، مؤسسة الامام المهدي، قم — ايران.
٦٤- خصائص امير المؤمنين، احمد بن شعيب النسائي (٣٠٣ هـ)، تحقيق محمد هادي الاميني، مكتبة نينوى الحديثة.
٦٥- الخصال، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق علي اكبر غفاري، النشر الاسلامي، قم — ايران.
٦٦- خلاصة الاقوال، الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي (٧٢٦هـ)، الطبعة الثاني ١٣٨١، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف — العراق.
٦٧- الدر المنثور، السيوطي (٩١١ هـ)، الطبعة الاولى ١٣٦٥، ج ١ -٦، دار المعرفة.
٦٨- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ١ — ٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٦٩- الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني الشيرازي (١١٢٠ هـ)، ط الثانية ١٣٩٧ هـ مكتبة بصيرتي، قم — ايران.
٧٠- الدعاء، سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط الاولى ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.
٧١- دلائل النبوة، اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني، تحقيق محمد

محمد الحداد، ط الثانية ١٤٠٩ هـ دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٧٢- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، احمد بن عبد الله الطبري (٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي، ١٣٥٦ هـ

٧٣- روح المعاني في تفسير القرآن، محمود الالوسي، ج ١ – ٣٠، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٧٤- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨ هـ)، تحقيق محمد مهدي بن السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، ايران.

٧٥- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، ج ١ – ٩، ط الثالثة ١٤٠٤ هـ المكتب الاسلامي، بيروت – لبنان.

٧٦- سبل الهدى، محمد يوسف الصالحي الشامي (٩٤٢ هـ)، ج ١ – ١٢، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود، ط ١٤١٤ هـ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٧- السقيفة وفدك، احمد بن عبد العزيز الجوهري (٣٢٣ هـ)، تحقيق محمد هادي الاميني، ط الثانية ١٤١٣ هـ شركة الكتبي، بيروت – لبنان.

٧٨- سنن أبي داود (٢٧٥ هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، ط الاولى ١٤١٠– ١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

٧٩- سنن ابن ماجة (٢٧٥ هـ)، ج ١ -٢، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت – لبنان.

٨٠- سنن الترمذي (٢٧٩ هـ)، ج ١ – ٥، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ١٤٠٣ هـ دار الفكر، بيروت – لبنان.

٨١- سنن الترمذي، الترمذي، ج ١-٥، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٨٢- السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨ هـ)، ج ١ -١٠، دار الفكر، بيروت – لبنان.

٨٣- سير اعلام النبلاء، الذهبي (٧٤٨ هـ)، تحقيق شعيب الاناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط التاسعة ١٤١٣ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٨٤- السيرة النبوية، ابن كثير (٧٧٤ هـ) ج ١ – ٤، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط الاولى ١٣٩٦ هـ دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٨٥- سيرة النبي، محمد بن اسحاق المطلبي (١٥١ هـ)، ج ١ – ٤، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١٣٨٣ هـ نشر مكتبة محمد علي صبيح واولاده.

٨٦- شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، النعمان بن محمد المغربي (٣٦٣ هـ)، ج ١ -٣، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم – ايران.

٨٧- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (٦٥٦هـ)، ج ١ – ٢٠، مكتبة المرعشي النجفي، قم – ايران.

٨٨- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (٦٥٦ هـ)، ج ١ – ٢٠، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب العربية.

٨٩- الشريعة.

٩٠- الشفا.

٩١- شواهد التنزيل، عبيد الله بن احمد الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ط الاولى ١٤١١ هـ، مجمع احياء الثقافة الاسلامية.

٩٢- الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧، دار العلم للملايين، بيروت.

٩٣- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٩٤- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، ج ١ – ٦، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ط الثالثة ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، دار ابن كثير، بيروت – لبنان.

٩٥- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ)، ج ١ – ٨، دار الفكر، بيروت – لبنان.

٩٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١ هـ)، ج ١ – ٨، دار الفكر، بيروت.

٩٧- صحيح مسلم، الامام مسلم، ج ١ - ٥، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٩٨- الصراط المستقيم، زين الدين ابي محمد علي بن يونس العاملي (٨٧٧هـ)، ج ١ – ٣، نحقيق محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعرية.

٩٩- الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٣٠ هـ)، ج ١ – ٨، دار صادر، بيروت – لبنان.
١٠٠- الطرائف، ابن طاووس (٦٦٤ هـ)، الطبعة الاولى ١٣٧١، خيام، قم – ايران.
١٠١- العثمانية، الجاحظ (١٥٠ هـ - ٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م، مصر.
١٠٢- علل الشرائع، ج ١ – ٢، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، الحيدرية ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، النجف الاشرف – العراق.
١٠٣- العمدة، ابن البطريق الاسي (٦٠٠ هـ)، تحقيق جماعة المدرسين، ط الاولى ١٤٠٧ هـ قم – ايران.
١٠٤- عيون اخبار الرضا، ج ١ – ٢، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ بيروت.
١٠٥- عيون الاثر، ابن سيد الناس (٧٣٤ هـ)، ج ١ – ٢، ط ١٤٠٦ هـ مؤسسة عز الدين.
١٠٦- الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي (٢٨٣ هـ)، ج ١ -٢، تحقيق السيد جلال الدين المحدث، قم – ايران.
١٠٧- الغدير، الشيخ عبد الحسين الاميني (١٣٩٢ هـ)، ج ١ -١١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
١٠٨- غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤ هـ) ، ج ١ – ٤، تحقيق

محمد عبد المعيد خان، ط الاولى ١٣٩٦ هـ ، دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان.
١٠٩- الفايق في غريب الحديث، الزمخشري (٥٣٨ هـ)، ج ١ — ٣، ط الاولى ١٤١٧ هـ دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.
١١٠- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، ج١ — ١٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، ط ١٣٧٩ هـ دار المعرفة، بيروت.
١١١- الفتح السماوي، المناوي، تحقيق احمد مجتبى، دارا لعاصمة، الرياض.
١١٢- الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي (٢٠٠ هـ)، تحقيق احمد راتب عرموش، ط الاولى ١٣٩١ هـ دار النفائس، بيروت — لبنان.
١١٣- الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي (٥٠٩ هـ)، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.
١١٤- الفصول المختارة، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق سيد مير علي شريفي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت.
١١٥- فضائل الصحابة، النسائي (٣٠٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.
١١٦- فضائل الصحابة، ابن حنبل (٢١ هـ) ، تحقيق د . وصي الله محمد عباس، ط الاولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان.
١١٧- فقه القرآن، الراوندي (٥٧٣ هـ)، ج ١ — ٢، تحقيق السيد احمد الحسيني، ط الثانية ١٤٠٥ هـ ، مكتبة المرعشي النجفي، قم — ايران.
١١٨- فلاح السائل، البهائي (١٠٣١ هـ)، الاعلمي، بيروت — لبنان.

١١٩- الفوائد المجموعة.
١٢٠- فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ج ١ – ٦، تحقيق احمد عبد السلام، ط الاولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٢١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي.
١٢٢- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩ هـ)، ج ١-٨، تحقيق علي اكبر غفاري، ط الثالثة ١٣٨٨ هـ دار الكتب الاسلامية.
١٢٣- الكافية، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق على اكبر زماني، ط الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت – لبنان.
١٢٤- الكامل في التاريخ، ابن الاثير (٦٣٠ هـ)، تحقيق عبد الله القاضي، ط الثانية، ١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٢٥- الكامل في الضعفاء، عبد الله بن عدي الجرجاني، ج ١ – ٧، تحقيق يحيى مختار عزاوي، ط الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت – لبنان.
١٢٦- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ)، مؤسسة المعارف، ط الاولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، بيروت – لبنان.
١٢٧- كتاب الدعاء، الطبراني (٣٦٠ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط الاولى ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٢٨- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق الشيخ محمد باقر الانصاري.
١٢٩- كتاب العين، ج ١ – ٨، الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ مؤسسة

دار الهجرة.
١٣٠- كشف الخفاء ومزيل الالباس، اسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢هـ)، ج ١ – ٢، ط الثانية ١٤٠٨ هـ دار الكتب العلمية.
١٣١- كشف الغمة، ج ١ – ٣، علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي (٦٩٣هـ)، دار الاضواء، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، بيروت.
١٣٢- كشف المحجة لثمرة المهجة، ابن طاووس (٦٦٤ هـ)، ط ١٣٧٠ هـ الحيدرية ، النجف الاشرف.
١٣٣- كنز العمال، المتقي الهندي (٩٧٥ هـ)، ج ١ – ١٦، تحقيق الشيخ بكري حياني و الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.
١٣٤- كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي (٤٤٩ هـ)، مكتبة المصطفوي، ١٤١٠ هـ قم – ايران.
١٣٥- لسان الميزان، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ١ – ٧، تحقيق دائرة المعرف النظامية، الهند، ط الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الاعلمي، بيروت – لبنان.
١٣٦- المبسوط، السرخسي (٤٨٣ هـ)، تحقيق جمع من الافاضل، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ.
١٣٧- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥ هـ)، ج ١ – ٤، تحقيق السيد احمد الاشكوري، ط الثانية ١٤٠٨ هـ مكتبة نشر الثقافة الاسلامية.

١٣٨- مجمع البيان، الطبرسي، ج ١ — ١٠، تحقيق لجنة من العلماء، ط الاولى ١٤١٥ هـ مؤسسة الاعلمي، بيروت — لبنان.

١٣٩- مجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي، ج ١ — ١٠، دار الفكر، ١٤١٢ هـ بيروت — لبنان.

١٤٠- مجمع النورين، ابو الحسن المرندي.

١٤١- المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي (٢٧٤ هـ)، ج ١ — ٢، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، قم — ايران.

١٤٢- المحلى، ابن حزم (٤٥٦ هـ)، ج ١- ١١، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت — لبنان.

١٤٣- مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، ج ١ — ٣.

١٤٤- مختصر تاريخ دمشق.

١٤٥- مدينة الماجر، السيد هاشم البحراني (١١٠٧ هـ)، تحقيق الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، ج١ — ٨، ط ١٤١٣ هـ مؤسسة المارف، قم.

١٤٦- المسائل السروية، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد.

١٤٧- المستدرك، الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)، ج ١ — ٤، تحقيق د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت — لبنان.

١٤٨- مستدرك سفينة البحار، ج ١ — ١٠، الشيخ علي النمازي (١٤٠٥ هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، ١٤١٩ هـ قم — ايران.

١٤٩- مستدرك الوسائل، الشيخ حسين النوري (١٣٢٠ هـ)، ج ١ – ١٨، تحقيق مؤسسة آل البيت، ط الاولى ١٤٠٨ هـ قم – ايران.

١٥٠- المسترشد، الطبري الامامي، تحقيق الشيخ احمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الاسلامية.

١٥١- مسند أبي بكر، احمد بن علي بن سعيد الاموي المروزي (٢٩٢ هـ)، تحقيق شعيب الارناؤوط، المكتب الاسلامي، بيروت – لبنان.

١٥٢- مسند احمد، الامام احمد بن حنبل، ج١ -٢، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

١٥٣- مسند احمد، الامام احمد بن حنبل (٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت.

١٥٤- المصنف، ج ١ – ١١، ابو بكر عبد الرزاق (٢١١ هـ)، تحقيق عبد الرحمن الاعظمي، المجلس العلمي.

١٥٥- معالم الاصول، الشيخ حسن بن الشهيد (١٠١١ هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي.

١٥٦- معاني الاخبار، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق على اكبر الغفاري، ط ١٣٦١ هـ. ش، انتشارات اسلامي، قم – ايران.

١٥٧- معاني الاخبار، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ) تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، ط الاولى ١٤١٧ هـ

١٥٨- معاني القرآن، النحاس، ج ١ – ٦، تحقيق محمد علي الصابوني، ط الاولى ١٤٠٩ هـ جامعة ام القرى، مكة المكرمة – السعودية.

١٥٩- المعجم الاوسط، ج ١ - ٩، سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي الطبراني

(٣٦٠ هـ)، تحقيق ابراهيم الحسيني، دار الحرمين.
١٦٠- معجم البلدان، ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)، ج ١ – ٥، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
١٦١- معجم الشيوخ للذهبي (٧٤٨ هـ).
١٦٢- المعجم الصغير، ج ١ – ٢، الطبراني (٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦٣- المعجم الكبير، الطبراني (٣٦٠ هـ)، ج ١ – ٢٥، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، مطبعة دار احياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١٦٤- المعجم الكبير، سليمان بن احمد الطبراني، ج ١ – ٢، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل – العراق.
١٦٥- مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ط الثانية، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
١٦٦- مكارم الاخلاق، الطبرسي (٥٤٨ هـ)، الشريف الرضي، ط السادسة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.
١٦٧- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب (٥٨٨ هـ)، ج ١ – ٣، تحقيق لجنة من اساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦ هـ النجف الاشرف – العراق.
١٦٨- مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، ج ١ – ٢، تحقيق محمد باقر المحمودي، طالاولى ١٤١٢ هـمجمع احياء الثقافة الاسلامية.

١٦٩- مناقب اهل البيت، حيدر علي محمد الشرواني (١٢٠٠ هـ)، تحقيق محمد الحسون، ط ١٤١٤ هـ

١٧٠- المنتظم، ابن الجوزي (٥٩٧ هـ)، ج١ - ١٠، دار صادر، ط الاولى ١٣٥٨هـ.

١٧١- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، ج ١-٤، تحقيق علي اكبر غفاري، ط الثانية ١٤٠٤ هـ جماعة المدرسين، قم - ايران.

١٧٢- مواقف الشيعة، الاحمدي الميانجي، ط الاولى ١٤١٦ هـ مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم - ايران.

١٧٣- الموضوعات، ابن الجوزي.

١٧٤- النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير (٦٠٦ هـ)، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش، قم - ايران.

١٧٥- نهج الايمان، ابن جبر، تحقيق السيد احمد الحسيني، ط الاولى ١٤١٨ هـ قم - ايران.

١٧٦- نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، ج ١ - ٤، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٧٧- نوادر المعجزات في مناقب الائمة الهداة، محمد بن جرير الامامي، ط ١٤١٠ هـ مؤسسة الامام المهدي، قم - ايران.

١٧٨- نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري (١١١٢ هـ)، ج ١ - ٢، تحقيق

السيد الرجائي، ط الاولى ١٤١٧ هـ مؤسسة النشر الاسلامي، قم — ايران.
١٧٩- نيل الاوطار، الشوكاني (١٢٥٥ هـ) ج ١ -٩، دار الجيل، بيروت.
١٨٠- وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي (١١٠٤ هـ)، ج ١ — ٣٠، تحقيق مؤسسة آل البيت، ط جمادى الآخرة — ١٤١٤ هـ قم — ايران.
١٨١- وفيات الاعيان، ابن خلكان (٦٨١ هـ)، ج ١ -٨ ، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت — لبنان.
١٨٢ - ينابيع المودة، القندوزي الحنفي (١٢٩٤ هـ)، ج ١ — ٣، تحقيق سيد علي جمال اشرف الحسيني، ط الاولى ١٤١٦ هـ دار الاسوة، قم — ايران.

محتويات الكتاب